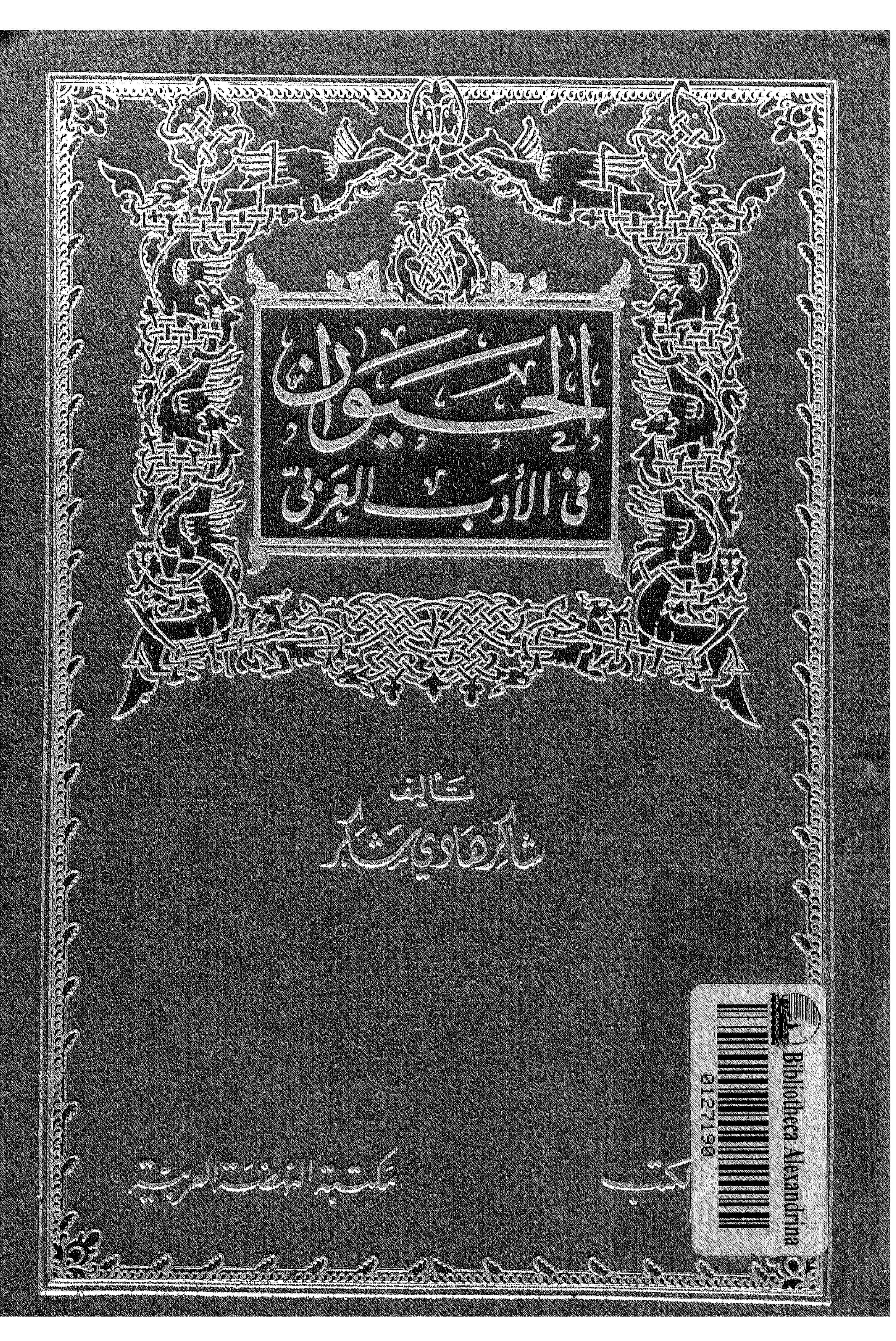

الحيوان
في الأدب العربي
تأليف
شاكر هادي شكر
مكتبة النهضة العربية
كتب
Bibliotheca Alexandrina
0127190








الحيوان في الأدب العربي



بيروت ـ المزرعة بناية الايمان ـ الطابق الاول ـ ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٣١٣٨٥٩ ـ برقياً : نابعلبكي ـ تلكس : ٢٣٣٩٠





تأليف
شاكر هادي شكر

الجزء الأول

مكتبة النهضة العربية
عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي أنشأ الخلائق بلا رويَّة أجالَها، وضمِنَ أرزاقها، وقدّرَ أقواتَها فشملت رحمتُه الذرَّ في مصائِفها[1] والهوامَ في مشاتيها، والوحوش في مغارات الجبال وأوديتها، والبعوضَ في مخابِئها بين سُوق الأشجار وألحِيَتِها[2] وبنات الأرض وهي عائمةٌ في كثبان الرمال، وذوات الأجنحة المستقرَّة بذُرَى شناخيب[3] الجبال، وذوات المنطق من الطيور المغرِّدة في دَياجير الأوكار، وما آستَوْعبَتْهُ الأصدافُ، وحضَنَتْه أمواجُ البحار، وغشِيَتْهُ سُدْفةُ ليلٍ، أوْذرَّ عليه شارق نهار. نفذهم علمُه، وأحصاهم عددُه، ووسِعَهم عدلُه، وغمرهم فضـله[4].

والصلاة والسلام على خيرة خلقه، وخاتم رسله الذي بعثه رحمة للعالمين كافَّة، وعلى أهل بيته منار الهدى، وأعلام الورى، وعلى أصحابه البررة الميامين الذين اقتدوا بسيرته، وساروا على سَنَنِهِ، وعلى التابعين لهم باحسان إلى قيام يوم الدين،

---

(١) الذرّ: صغار النمل. مصائفها: محلّ اقامتها في الصيف.

(٢) الألحية: جمع اللِّحاء وهو قشر الشجر.

(٣) شناخيب الجبال: رؤوس قممها.

(٤) معظم الكلمات مقتبسة من خطبة الأشباح للإمام علي (ع) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٩٨/٦ .

وبعد: انّ بذرة هذا الكتاب قصيدة لابن العلاف الضرير في رثاء هرٍّ، وجدتها أيام شبابي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان مطلعها

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدِ وكنت منا بمنزل الولدِ[1]

فدعاني لنقلها وحفظها قول المؤلف رحمه الله: إنها من أحسن الشعر وأبدعه. وبتأثير من حبِّي لهذه القصيدة أخذت الأشعار المنظومة في الحيوان تستوقفني فأقرأ معظم ما يصادفني منها أثناء مطالعاتي في دواوين الشعر والكتب الأدبية، وبدافع من هذه الرغبة المتنامية قرأت كتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان للدميري وغيرهما من الكتب التي لها علاقة في هذا الموضوع ككتاب المصائد والمطارد لكشاجم، وكنت كعادتي أدوّن مصدر كل فقرة تروقني في دفتر أعددته لهذا الغرض.

وبعد أن تحلّلت من قيود الوظيفة سنة ١٩٦٤ وقررت الأنصراف إلى التحقيق والتأليف سجلت آنذاك ما طرأ على خاطري من الأعمال التي تمنّيت لو أن الله عزَّ وجل يوفقني لانجازها، فكان الكتاب الثاني عشر هو كتابي هذا، ولم تأتي نوبته الّا في سنة ١٩٧٧ م مع انني لم أراع التسلسل في القيام بتلك الأعمال.

ولأجل اعداد مواد الكتاب قرأت وراجعت مئات الكتب، ومئات الدواوين الشعرية. فكانت حصيلة تلك القراءات والمراجعات هذا الكتاب، وكان القصد من تأليفه عدة أمور أهمها:

ـ الاختصاص:

وذلك بالتقاط ما تناثر في الكتب الأدبية واللغوية ودواوين الشعر عن الحيوان وجمعه في كتاب مستقل خدمة للباحثين.

---

(١) يراجع باب القط للوقوف على القصيدة وعلى أسباب نظمها والاختلاف في نسبتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ الحضارة العربية :

في جمع هذا الكتاب إبراز لظاهرة مهمة من ظواهر الحضارة العربية المتأصلة فيهم منذ أقدم العصور، وكشف عن مدى اهتمامهم بتسجيل حركات الحيوان وسكناته وطبائعه بأجلى صورة وأبلغ قول. فما من شاعر عربيّ إلاّ وللحيوان أثر مهم في شعره ولكنهم متفاوتون في هذا المضمار، فمنهم من يأتي على ذكره عرضاً عندما يشبه الشجاع بالأسد، والماكر بالثعلب، والغادة الحسناء بالظبية. إلى غير ذلك من التشبيهات الشائعة عندهم، ومنهم من ولع بالصيد فذكر في طردياته : الخيل والكلاب والفهود وجوارح الطير ، وما تصيده هذه السباع من الحيوانات، ومنهم من وقف على الكثير من أصناف الحيوانات الصغيرة والجسيمة. الأليفة منها والوحشيَّة وقوف فاحص متأمل يحصى عليها حركاتها وأنفاسها. بل لم يغفل البعض منهم عن كلّ ما هبَّ ودبَّ، أوطار في أجواء السماء، أو عام أوركس في الماء مما هو موجود في بلادهم دارساً خصائصه وطبائعه.

وقد أخذ الخلف عن السلف ما حوته أمثالهم من حكايات على ألسنة الحيوانات كحكاية ذات الصفا وهي حية ورد ذكرها في رائيةٍ النابغة الذبياني التي مطلعها[١] :

ألا أبلغـا ذبيـان عني رســالـة فقد أصبحت عن منهج الحقِّ جائِرَه

ملخّصها أن ذات الصفا لدغت رجلاً فمات، ونهض أخوه لأخذ الثأر منها، فارتأت أن تصالحه على أن تدفع له في كل يوم ديناراً من مال مخزون لديها فوافق على ذلك، وأخذ يتسلم الدينار منها في كل يوم. وبعد مدّة ندم الرجل على المصالحة وقرَّر أخذ الثأر منها. فترصّدها وضربها بفأس على رأسها ضربة غير

(١) ديوانه/٦٨ .

مميتة. فدخلت جحرها وقطعت الدينار عنه. فجاء إلى مخبئها وعرض عليها أن يجعلا بينهما عهداً على تناسي ما حدث، ويبدآن صحبة جديدة تقوم على المحبة والوئام. فنظرت الحية إلى قبر أخيه، وتحسّست موضع الضربة من رأسها.

فقالت يمين الله أفعل انني ... رأيتك مسحوراً يمينك فاجرَه
أبى لي قبرٌ لا يزال مقابلي ... وضربة فأس فوق رأسي فاقِره

كما نلمس من معاشرة الانسان العربي للحيوانات عطفاً منقطع النظير حتى على المفترس منها عندما يتعرض للجوع أو العطش كقصة الفرزدق مع الذئب وهي معروضة عرضاً رائعاً في قصيدته النونية التي مطلعها

وأطلس عسَّال وما كان صاحباً ... دعوت بناري موهناً فأتاني[1]

وأمثال هاتين القصتين كثيرة يجدها القارىء الكريم في ثنايا هذا الكتاب

ولو رجعنا إلى أمثالهم السائرة لوجدناها جامعة لكلّ صفات الحيوانات وطبائعها. وإذا كان ضيق المجال لا يتسع لقائله أن يبرز خصائص الموصوف كاملة فقد نظم العرب ـ حسب اعتقادي ـ من الاشعار في الحيوان أكثر مما نظمه أي شعب آخر. فقلّما تجد قصيدة مهما كان موضوعها وليس للحيوان ذكر فيها. وفي ذلك يقول الجاحظ: وقلّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة، وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلاّ ونحن وجدناه أو قريباً منه في اشعار العرب وفي معرفة أهل لغتنا وملّتنا[2].

٣ ـ الناحية التعبديّة:

من العبادات المهمة في الإسلام التفكّر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى والبحث ـ قدر الامكان ـ عن خصائص تلك المخلوقات ليكون الإقرار بالعبودية لله

---

(١) ديوانه ٢/٣٢٩.
(٢) الحيوان ٣/٢٦٨.

الواحد الأحد عن دراية ويقين صادق عملاً بقوله عزّت قدرته (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[1].

فعالم الحيوان عالم رحيب جداً كرحابة الأكوان العلوية، ومن يسرّح الطرق في خصائص الحيوانات وتكوينها وتصوّر مراحل حياتها وخدماتها الجلّى لبني البشر، وكيف أنها تتزاوج وتتناسل ، وتعتني بأولادها، و تتفاهم فيما بينها وهي عجماء، وتكسب رزقها، وتميّز الحيوان الذي يناصبها العداء من الذي لا ضرر منه، وكيف تهاجر من قطر لآخر طلباً للرزق أو المناخ الملائم ثم تعود إلى مواطنها الأصليّة في الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزمن أو تخفى عليها المعالم.

فمن ذا الذي يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوتاً أمام عظمة الباريء المصور جلّت قدرته؟ ثم لا يهتف قائلاً:

ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه الواحدُ

قال الجاحظ[2]: من علّم البعوضة انَّ من وراء ظاهر جلد الجاموس دماً، وأنَّ ذلك الدم غذاء لها. وانَّها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ الشديد الصلب أنَّ خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة، ولو أنَّ رجلاً منّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أنَّ تصل إلى موضع الدم . . . . والذي سخّر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذي سخّر قمقم النحاس لإبرة العقرب. انتهى .

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سُبُحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك، فاهدنا يا أرحم

---

(١) سورة آل عمران /١٩١.
(٢) الحيوان ٧/١٨٥.

الراحمين صراطك المستقيم واشمل برحمتك من قال:

فيك يا أعجوبة الكوْ ن غدا الفكر كليلا
انت حيَّرت ذوي اللُّـ ـبِّ وبلبلت العقولا
كلَّما قُدِّم فكري فيـ ـك شبراً فرَّميلا
ناكصاً يخبط في عشـ ـواء لا يُهدَى سبيلا

بِنْيَة الكتاب:

بنيت كتابي هذا على سبعة أعمدة بها يتكامل الأدب العربي هي: اللغة. القرآن الكريم. الحديث النبوي الشريف. المثل السائر. القصة. المقالة أو المقامة. الشعر.

ولقد حاولت جهد الإمكان أن أختصر فأجعل الكتاب جزءاً واحداً فعجزت عن تحقيق ذلك لوفرة المادة، ولو أطلقت لنفسي العنان لبلغ عشرة أجزاء لأني لم أقيده بزمن محدود.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الكتب الأدبية ودواوين الشعراء تضمنت الكثير من القصائد التي نظمت في الحيوان بصورة عامة، وخصّ ناظموها كل جنس من الحيوان ببيت أو بيتين، ولأني جعلت في كتابي هذا باباً مستقلاً لكل نوع فلم أجد لتلك القصائد محلاً فيه.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر مطالع بعض تلك القصائد ومصادرها.

١ ـ قصيدتان لبشر بن المعتمر أوردهما الجاحظ في كتابه (الحيوان) ٦/٢٨٤ و٦/٢٩١ عدد أبيات الأولى (٦٠) ومطلعها:

الناس دأباً في طلاب الغنى وكلُّهم من شأنه الختْرُ

وعدد أبيات الثانية (٧٠) بيتاً، ومطلعها:

أما ترى العالم ذا حشوة يقصر عنها عدد القطرِ

٢ ـ في فوات الوفيات لابن شاكر ٢/١٦٤، وحياة الحيوان للدميري ٢/٤٠٠ قصيدة لكمال الدين بن الأعمى علي بن محمد بن المبارك عدد ابياتها (٤٥) يذمّ فيها دار سكناه ويعدد ما فيها من الحشرات. مطلعها.

دار سكنت بها أقلُّ صفاتها أن تكثر الحشرات في جنباتها

٣ ـ قصيدة للسيد أحمد الصافي النجفي في ديوانه: التيّار/١٦٠ عدد ابياتها (٣٤) عنوانها (مملكة الحيوان) مطلعها:

لو يعلم الحيوان ما عندي له من رحمة لأتى إليَّ مسلّما

٤ ـ قصيدة للشاعر القروي رشيد سليم خوري مثبتة في ديوانه/٢٤٣ عدد أبياتها (٣٦) مطلعها:

بيضٌ كأعلام السلام على السفينة تخفقُ

٥ ـ وفي ديوان ابن زيدون /٥٩٥ ـ ٦٢٦ فصل عنوانه المطيرات وهو نوع من المطارحات الشعرية في الأحاجي والالغاز تدور على اسماء الطيور، ولكل طائر حرف يرمز إليه.

دارت هذه المطارحات بين الشاعر وبين المعتمد بن عبّاد باستثناء مطارحة واحدة كانت بينه وبين الشاعر أبي طالب بن مكي بلغ مجموع أبيات تلك المطارحات (٢٢١).

وبالختام أتضرع إلى الله عزّ وجل أن يتقبل أعمالنا التي خلصت فيها نّياتنا ومنه استمد العون والسداد، وما توفيقي الاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وكان الفراغ من تأليفه وكتابته بخط يدي يوم الأحد السابع من شهر شعبان سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ليوم (٣٠) من شهر مايس سنة ١٩٨٢ م في بغداد. الداودي. حيّ الأمين. بداري المرقمة ٢/٣٠٣.

شاكر هادي شكر



الإبل[1]

الإبل (بكسر الباء، وقد تسكَّن): الجمال، وهو اسمٌ واحدٌ يقع على الجميع ليس بجمع، ولا أسم جمع، وإنما هو دالّ على الجنس، وهي مؤنّثة، وإذا صغّرتها قلت: أبيلة. وينضوي تحت اسمها اسم.

(البعير)

وهو من الإبل بمنزلة الانسان من الناس، يقع على الذكر والأنثى، يقال: حلبت بعيري، وصرعتني بعيرُ ني. والجمع أبْعرة وأباعر. وبُعْران.

و (الجمل)

وهو الذكر من الإبل، وجمعه: جِمال، وأجمال، وجمالة، وجمالات.

و (الناقة)

وهي الأنثى من الإبل، ولا تسمَّى ناقة حتى تَجْذَع، ومن جموعها: ناق، ونوق، ونياق، وأنوُق، وأينق.

---

(١) المخصص ١٢/٧/٢ (الابل) وصبح الأعشى ٣١/٢ و٣٢، ومعاجم اللغة.

أسنان الإبل

إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه، قبل أن يُعلم أذكر. هو أم انثى:

(سَليل)

فإذا عُلم وكان ذكراً فهو.

(سَقْب، وصَقْب)

والجمع سِقاب، ولا يقال للأنثى سَقْبَة، وأمُّه مُسْقِب. فإذا قوى ومشى فهو.

(راشِح)

والجمع رُشَّح، فإذا ارتفع عن الراشح فهو.

(جادِل)

فإذا مشى مع أمِّه فهي مُشبل، وإذا تَبعها فهي مُتْلِية، وإذا حمل في سنامه شحماً فهو (مُجذٍ) و (مكعر) وهو في هذا كله:

(حوار)

جمعه حِيران، وأحْوِرة، والانثى (حوارة). فإذا كان الحوار ابن سبعة أشهر، أو ثمانية فهو.

(أفِيل)

والأنثى (أفِيلة) والجمع: أفائل، وإفال. فإذا بلغ الحوار سنة ففصل عن أمّه فهو.

(فصيل)

والأنثى (فصيلة) والجمع فصلان، وفصال، فإذا أتم سنة وحُمل على أمِّه فألْقحت فهو حينئذ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ابن مخاض) ويسمى (خَلّ)

والأنثى (بنت مخاض) وتسمّى أيضاً (خَلَّة). فإذا نتجت أمُّه وذلك بعد سنتين ودخول الثالثة ، وصار لها لبن فهو.

(ابن لبون)

والأنثى (بنت لبون). فإذا فصل أخوه وذلك لاستكمال ثلاث ودخول السنة الرابعة فهو.

(حِقّ)

حتى يستكمل، وقيل: الحِقّ: الذي استحقّ أن يركب، ويُحمل عليه، والأنثى (حِقّة) والجمع لكليهما: حِقاق، وقيل جمع الحِقّة: حِقَق، وحقائق. فإذا أتت عليه الخامسة فهو.

(جَـذَع)

والأنثى (جَـذَعة). فإذا ألقى ثَنِيَّته وذلك في السنة السادسة فهو.

(ثَنِيّ) و (ثُنْي)

والجمع ثُنْيان، وثِناء. والأنثى (ثَنِيَّة) وجمعها: ثَنِيَّات. ويقال للثني

(بَـكر) و (قَعود)

وقيل: البَكر: ابن المخاض إلى أن يثني، والجمع: أبكر، وبِكار، والبَكر بمنزلة الفَتى، و

(القـلـوص)

بمنزلة الفتاة، والجمع: قِلاص، وقُلْص، وقلائِص. فإذا ألقى رَباعِيَته وذلك في السابعة فهو.

(رَبـاع)

وإذا أرْبَع سمِّي .

(جَـمَلاً)

وتكون الأنثى (ناقة) إذا أجْذَعت. وإذا ألقى الجملُ السنَّ التي بعد الرَّباعِيَة فهو.

(سَدَس) و (سَدِيس)

وذلك في الثامنة . وهذه الأسنان كلّها قبل الناب ، فإذا خرج الناب فقد بزل ، فهو.

(بـازِل)

وتسمى الناقة في أوَّل البُزُول (نـاب) وجمعها : نِيب : فإذا أتَى على الجمل عام بعد البزول فهو.

(مُخْلِـف)

وليس له إسم في سنِّه بعد الاخلاف ، ولكن يقال (بازل عام) و عامين ، وكذلك ما زاد. والمؤنَّث في جميع هذه الأسنان بالهاء الاّ السَّدس ، والسَّدِيس ، والبازِل ، والمُخْلِف فإنَّها في المؤنَّث كما في المذكَّر بغير هاء .

وإذا اشتدَّ ناب البعير وغلظ قيل (عَصِل نابه) فإذا طال واصْفَرَّ قيل (عَرِد نابه) وهو من عُرُود النبات وطوله ، فإذا جاوز سنَّ العرود فهو.

(عَـوْد)

والأنثى (عَوْدة) . وإذا جاوز ذلك فأسَنَّ وفيه بقية قيل : جمل

(قَحْـر)

والأنثى (قَحْرَة) . وإذا بلغت سنَّ القحر فهي (عَوْزَم) أيضاً ، فإذا جاوزت

العوزم فهي (ضِرْزَم) فإذا ارتفعت عن ذلك وتكسَّرت أسنانها قيل (ناب دِلْقَم) من الدَّلق، لأنَّها لا أسنان لها فلسانها يخرج من فيها، فإذا أكلت أسنانها؛ أو وقعت فهي (لِطْلِط) و (كِحْكِح) و (دِرْدِح). هذا في الاناث دون الذكور.

وإذا جاوز البعير سنَّ القحر فهو.

(ثِلْـب)

إلى أن ينتهي هرمه، فإذا سال لعابه فهو.

(مـاجّ)

والأنثى (ماجَّة) لأنَّه يمّج ريقه ولا يستطيع أن يمسكه من الكبر.

أنواع الإبل ومنسوباتها

(العِـراب)

هي الإبل العربية التي ليس فيها هجنة. الواحد: عربي، وفي الصحاح: الإبل العِراب: خلاف البخاتي.

(البُخْت)

وهي الإبل الخراسانيَّة. واحدها بُخْتي، تجمع أيضاً على بخاتي، وبخات.

(الفَلْج) و (الفالِج)

عظيم الخلق، ذو سنامين، يحمل من السند للفحلة، جمعه فوالج

(الصَّرْصَرانِيَّة)

بين البخاتي والعراب، وفي الصحاح، ويقال: هي الفَوالج.

(المَهْرِيَّة)

منسوبة إلى قبيلة مَهْرَة، أبوها مهرة بن حَيْدان، والجمع المهارِيّ)، وان

شئت خفّفت الياء فقلت: المهارِي، أو المهارَى بالقصر.

(القُرْطِيَّة)

تُنسب إلى قُرط، وهي قبيلة من مَهْرة بن حَيْدان إحدى قبائل اليمن..

(الماطِلِيَّة)

تنسب إلى فحل يقال له: ماطِل.

(البُحتُرِيَّة)

تنسب إلى بُحتر وهم بطن من طيء. كذا في المخصص ولسان العرب، وفي القاموس: تنسب إلى فحل من فحولهم إسمه بُختر.

(العيدِيَّة)

إبل كرام في نسبتها أقوال كثيرة .

(الصَدَفي)

ضرب من نجائب الإبل تُنْسب إلى الصَّدِف : بطن من كندة .

(الدِّيافي)

ضرب من الإبل منسوب إلى قرية بالشام، وقيل بالجزيرة اسمها (دِياف) .

(الأُقيشِيَّـة)

إبل غير عتاق تنفر من كلِّ شيء ، تنسب إلى بني أُقَيْش : حيّ من عُكل .

(الحُوشِيَّة)

بمعنى الوَحْشِيَّة وقيل: منسوبة إلى الحُوش، وهي فحول تزعم العرب أنَّها من إبل الجنّ ضربت ببعضها فنسبت إليها .

(القِرْمِلِيَّة)

من الإبل الصغار، الكثيرة الأوْبار، وهناك (القُرامل) : البختي، أو ولده، و(القَرامل) كلُّها ذو سنامين .

(الشُّوَيْكِيَّة)

كذا في الصحاح والمخصَّص، وفي القاموس (الشويكة) كجهنية : ضرب من الإبل .

ألوان الإبـل

(البياض)

إذا كان البعير خالص البياض قيل (آدَم) والأنثى (أدْماء) على الضدِّ من بني آدم. فإن خالط البياض شُقرة يسيرة قيل : (أعْيَس) والأنثى (عَيْساء) .

(الحمرة)

فإن احمرَّ وغلبت عليه الشُّقرة قيل (أصْهَب) والأنثى صَهْباء ، فإن خلصت حمرته قيل (أحمر) والأنثى (حمراء) ، فإن خالط حمرته قُنُوء قيل (كميت) للذكر والأنثى . فإن صفت حمرته قيل (أحمر مُدَمَّى) ، فإن خالط الحمرة خضرة قيل (أحْوَى) ، فإن خالطها صفرة قيل (أحمر رادِنيّ) فإن خالَطها سواد قيل (أرْمَك) والأنثى (رَمْكاء) ، فإن كانت حمرته كصَدَأ الحديث قيل (أجأى) والإسم الجُؤْوَة .

(السواد)

فإن كان السواد فيه ضعيفاً قيل (أكلف) فإن خالط السواد صفرة قيل (أحْوَى) ، فإن عَلِق بسواده بياض قيل (أوْرَق) ، فإن زادت وُرْقَتُه حتى اظلمَّ بياضه قيل (أدْهَم) ، فإن اشتدَّ سواده قيل (جَوْن) ، فإن كان بين الغبرة والحمرة

قيل (خَوّار) والأنثى (خوّارة) .

من أوصاف الإبل المستحسنة

دقّة الأذن وتحديد أطرافها. كبر الرأس. استطالة الوجه. عِظم الوجنتين. قنوّ الأنف. طول العنق، وغلظه. دقّة المذبح. طول الظهر. عِظم السَّنام. طول الذَّنب وكثرة شعره. غلظ الأطراف. قلة لحم القوائم. وأن تكون كثيرة اللحم لا رَهْلة ولا مسترخية. مَلْساء الجلد. تامَّة الخَلْق. قويَّة صُلبة، خفيفة. سريعة السير.

جماعة الإبل

(الذَّوْد)

من الثلاث إلى العشر، وقيل: ما بين الثنتين والتسع من الإناث دون الذكور، وجمعها: أذْواد.

(الزِيمَة)

ما بين البعيرين والخمسة عشر، جمعها زِيَم.

(الصِرْمة)

من العشرة إلى الثلاثين، وقيل: إلى الأربعين، وقيل: قطعة قليلة ما بين العشر إلى بضع عشرة، وقيل: بل هي ما بين الثلاثين وخمس وأربعين، وإذا بلغت الستين فهي.

(العَكَرَة)

وقيل: العكرة إلى السبعين، وقيل: بل هي ما بين الخمسين والمائة، وجمعها العَكَر.

(العَرْج)

وقد تكسر العين؛ مائة وخمسون ، وقيل: إذا بلغت خمسمائة إلى الألف ، جمعها: عُروج .

(الهُنَيْدَة)

المائة قطّ .

(الكَوْر)

الإبل الكثيرة العظيمة .

(الخِطْر)

ويُفتح الخاء : نحو من مائتين .

(الحَوْم)

الكثير من الإبل، أكثره إلى الألف .

(اللَّطِيمَة)

الإبل التي تحمل الطيب .

(العَسجديَّة)

الإبل التي تحمل النقد والذهب .

(الضَّفَّاطَة)

العِير التي تحمل المتاع ، وتسمَّى الدجَّانة أيضاً .

(النَّعَم)

الإبل، يذكّر، ويؤنث، والجمع أنعام .

(الزِمْزِيم)

الجماعة من الإبل إذا لم يكن فيها صغار .

(الزِمْزِمة)

الجماعة ، أو خمسون من الإبل .

(الرَفّ)

القطعة العظيمة من الإبل .

(القار)

القطيع الضخم من الإبل .

مما ورد في معاجم اللُّغة في الإبل

(أ)

أ ب ي : الأَبِيَّة من النوق : التي ضربها الفحْل ولم تلقح من عامها

أ ث ر : أَثَرَ الفحل الناقة أَثْراً ، ووَثَرَها وَثْراً: ضربها المرَّة بعد المرَّة

أ ر ض : الأَرْض: فراسن البعير، واحده فرسن: طرف خف البعير

أ س د : استأسد البعير: وثب على الإبل يقاتلها ويكدمها

أ ص ص : الاصُوص : الناقة التي حمل عليها فلم تلقح .

أ ط ط : أطِيط الإبل : أنينها من ثقل الحمل .

(ب)

ب ر ق : أَبْرَقَت الناقة: شالت من غير حمل، وهي مُبْرِق وبَرُوق .

ب ر ك : البَرْك : ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا برك .

ب ر ك ع : البُرْكُع : القصير من الإبل

ب س ق : أبسقت الناقة : وقع اللّبأ في ثديها قبل النتاج ، فهي مُبْسِق، وبَسُوق .

ب ش ك ؛ البَشْك : خفّة في نقل القوائم ، وبَشَكَ الإبل: ساقها سوقاً سريعاً

ب غ ل ؛ التَبْغِيل : من مشي الإبل، فيه سعة

ب غ م : البُغام : صوت الإبل المتقطع

ب ك ر : البِكر: التي تضع أوَّل مولود

ب ل ع س: البَلْعَس : الناقة العظيمة

ب ل م : أبْلَمَتْ الناقة : لا ترغو من شدة الغلمة،وهي مُبْلِم ، ومِبْلام ، وبها بلمة شديدة .

ب هـ ت : بُهِت الفحلُ : نُحِّي عن الناقة ليُحمل عليها أكرم منه .

ب هـ ز ر : البُهزُرَة : الناقة العظيمة .

ب و ك : البائك : الناقة العظيمة .

(ت)

ت ر ب : التَرَبُوت : الذلول، للبعير والناقة، ويقال: دَرَبُوت أيضاً، أنظر (درب) .

(ث)

ث ف ن : ثَفِنَات البعير: ما أصاب الأرض من أعضائه، أي الركبتان، والسعدانة ـ وتسمى الكركرة ـ ، وأصول

الفخذين، والأخفاف. واحدتها ثَفِنة .

ث ن ي : الثِّنْي : الناقة التي تلد الولد الثاني

(ج)

ج ث م : تجثَّم البعيرُ الناقة : برك عليها ليضربها

ج ذ ب : الجَذيب من الإبل : العظيم، والجاذب: الناقة قلَّ لبنها .

ج ر ج ب : الجَراجِب : الناقة العظيمة .

ج ر ر : الجَراجِر، والجَرْجُور: الناقة العظيمة، والجَرْجَرة: تَرَدُّد هدير الفحل في حنجرته، والجِرَّة : ما يخرجه البعير من كرشه فيأكله ثانية، جمعه جِرَر، وهو يجترُّ

ج ر ض : الجُراض من النوق : اللَّطيفة .

ج ر ض م : الجِرْضِم : الناقة الضخمة الثقيلة .

ج ر ن : الجِران : مقدَّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر

ج ر هـ م : الجراهم : العظيم من الإبل .

ج ز ر : جزارة البعير: رأسه وفراسنه، لأن الجزار يأخذها كراء عمله .

ج س ر : الجَسْرة : الناقة العظيمة، والجريئة على السير .

ج ش م : جُشَم البعير: صدره ، وبه سُمِّي الرجل جُشَمَ .

ج ع د ل : الجعدل : البعير الضخم .

ج ل ع ب : الجَلْعَب، والجَلْعَبة، والجَلْعابة من الإبل: الطويلة مع هَوَج.

ج ل ف ع : الجلنفع : البعير الشديد الغليظ، والناقة بالهاء .

ج ل ل : تجلَّل الفحل الناقة : علاها .

ج م ر : المُجمرات (بفتح الميم الثانية أو كسرها) : الأخفاف الشداد .

ج م ز : الجَمَزَى : العَدْو دون الحُضْر، وفوق العَنَق .

ج م ع : الجُمْع : الناقة التي في بطنها ولد .

ج م ل : الجِمالة : جماعة من الإبل إذا كانت ذكوراً كلُّها، وأجمل القوم: كثرت جمالهم .

ج ن ح : جَوانح البعير: أضلاع زَوْرِه .

ج هـ ض : الجِهض، والجَهيض: السِّقط الذي تمَّ خَلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، وقيل: الذي لم يستبن خَلْقه ـ وفي المخصص : لا يكون الجهاض إلَّا في الإبل خاصة .

(ح)

ح د ب ر : الحِدْبار : الناقة الهزيلة العجفاء الظهر

ح ذ و : الحِذاء : ما يطأ عليه البعير من خفِّه .

ح ر ج : الحُرْج : الناقة الجسيمة الطويلة على الأرض، والناقة التي لا تركب، ولا يضربها الفحل ليكون أسمن لها، والحَرَجَة: مائة من الإبل .

ح ر د : الحِرْد : مبعر البعير والناقة، وقطعة من السنام، جمعه حرود .

ح ر ف : الحَرْف : الناقة الضامر، والطويلة .

ح ر ق ص : الحَرقصة : الناقة الكريمة .

ح ش ف : حَشَف خِلْف الناقة، وأحْشَفَ: تقبَّض، واستشنَّ، أي صار كالقربة الخَلَق الصغيرة .

ح ش ك : الحشك: شدة الدرَّة في الضرع، وحشك الناقة : ترك حلبها حتى يجتمع لبنها .

ح ض ن : الحَضون من النوق: التي ذهب أحد طُبَّيْها

ح ف د : الحَفْد : سير دون الخبب .

ح ن د ل س: الحَنْدِلِس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية

ح ن ن : الحنين: نزاع الناقة إلى ولدها

ح و ز : الحَوْز: السير الرُّوَيْد .

ح ي ل : الحائل : الناقة التي لم تحمل، جمعها حُول وحِيال، وحُوَّل .

(خ)

خ ب ب : الخَبَب : سير سريع تراوح الناقة فيه بين يديها ورجليها .

خ ب ر : الخَبير: زبد أفواه الإبل

خ ب ز : الخَبْز: السَّوْق الشديد، والضرب

خ ج أ : الخُجَأة من الإبل: الكثير الضِّراب

خ ز ب : خَزِب ضرع الناقة: يبس، فهي خَزِب ، وخَزِبت الناقة: ورم ضرعها .

خ ط ر : خَطَر البعير بذَنَبِه : ضرب به يميناً وشمالاً فهو خطَّار، وناقة خطَّارة .

خ ف ف : الخُفّ من الإبل كالحافر من الخيل، جمعه أخفاف، وخِفاف .

خ ل ج : الخَلوج ، والإخليج : الناقة التي جُرَّ عنها ولدها بموت، أوْ ذبح .

خ ل ف : الخِلْف: ضرع الناقة، أو حلمة الضرع .

خ ل ل : الخِلال : عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع

خ م س : الخِمْس: حبس الإبل عن الماء أربعاً ثم ترد اليوم الخامس، ثم كذلك إلى العشر، فإذا زادت فليس لها تسمية وِرْد ، ولكن يقال: هي ترد عشراً ، وغبّاً ، ثم كذلك إلى العشرين، فيقال حينئذ : ظِمْؤها عشران، فإذا جازت العشرين فهي جوازي .

خ ن د ل س: الخندلس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية وقد مرت الكلمة بالحاء المهملة .

خ و د : خوَّد الفحل: أرسله في الإناث

خ ي ف : الخَيْف: جلد الضرع، وناقة خيفاء : واسعة جلد الضرع، ويسمَّى الضرع خَيْفاً إذا خلا من اللبن، والخيفانة: الناقة السريعة، وقد شُبِّهت بالجَرَادَة .

خ ي ل : الخال: الجمل الضخم، والجمع خِيلان .

(د)

د ب ب : الأَدبُّ: الجمل الكثير وبر الوجه. قال ابن سيده : فأما قول النبي ﷺ يخاطب نساءَه «ليت شعري أيتكنَّ صاحبة الجمل الأَدْبَب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب» فإنه ضعَّف الأدبَّ بفكِّ الإدغام ليخرج على مثال (الحوأب)• وأصل الفعل: الدَّبَب .

د ح ل : الدحول: الناقة التي تعارض الإبل متنحِّية عنها.

د ر ب : الدَّرَبُوت : الذلول، للبعير والناقة، وهي

فَعَلُوت من الدربة، ويقال أيضاً : تَرَبُوت،
أنظر (ت ر ب)

د ر س : دَرَسَ الناقةَ: راخها

د س ر : الدَّوْسَرَة : الناقة العظيمة

د ع ب ل : دِعْبِل : الجمل العظيم الجميل، وبه سُمِّي الرجل

د ع ك ن : الدِّعْكَنَة : الناقة الشديدة الصلبة

د ف و : الدَّفْواء : الناقة النجيبة الطويلة العنق
الطويلة الظهر .

د ل ع س : الدِّلْعَس : الناقة الضخمة .

د ل ع ك : الدِّلْعَك: الناقة العظيمة المسترخية

د هـ ن ج : الدُهانِج : البعير ذو السنامين

د ي ث : دَيَّث البعير: ذَلَّلَه ، وأصل التدييث : التليين.

(ذ)

ذ ف ر : الذِّفِرُّ : العظيم من الإبل، والناقةُ النجيبة: ذِفِرَّةٌ

ذ ل ل : الذَّلول: ضدّ الصَّعْب، للجمل والناقة .

ذ م ل : الذَّميل: من السير السريع للإبل .

ذ ي ب : الذِيبان : الشعر على عنق البعير ومشفره
وهو أيضاً بقيَّة الوبر .

ذ ي ر : الذِيار : طين يعجن ببعر أوْ روث، ثم يُطلى
به ضرع الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

(ر)

ر أ م : رئمت الناقة ولدها: عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم

ر ب ب : ربَّت الناقة، وأرْبت: لزمت الفحل وأحبَّتْه

ر ب ع : ارْتَبعت الناقة وأرْبَعَت، وهي مربعة: اغلقت رحمها فلم تقبل ماء الفحل. والرِّبع: حبس الإبل عن الماء ثلاثاً، ثم تَرِد اليوم الرابع

ر د د : الرِّدَّة: أن تشرب الإبل الماء عَلَلا فتزيد الألبان في ضروعها .

ر ز ح : الرازح: البعير الذي ألقى نفسه من الاعياء، وناقة رازح، وابل رزحى .

ر ز م : الرازم : الذي لا يتحرك هذالاً

ر س م : الرَسِيم: سير للإبل سريع فوق الذميل

ر ش ح : التَّرْشِيح: لحس الناقة ما على ولدها من النُدوَّة .

ر ش ش : رَشْرَش البعير: برك ثم فحص بصدره في الأرض لبروكه .

ر غ غ : الرَّغْرَغَة للإبل: أن ترد يوماً بالغداة، ويوماً بالعشيّ، وقيل أن ترد كلّ يوم متى شاءت .

ر غ و : الرُّغاء؛ صوت الإبل مع الضجيج

ر ف هـ : الرَّفَه: الوِرْد في كلّ يوم، فالجمل رافه، والناقة: رافهة .

ر هـ ن : الراهن من الإبل: المهزول .

ر ق ل : الإرْقال : سرعة السير للإبل .

ر ك ض : رَكَضَت الناقة: تحرَّك ولدها في بطنها .

ر م د : رَمَّدَت الناقة: أَضْرعت وهي بكر .

(ز)

ز خ ز ب : الزُخْزُب : القوي الشديد اللحم من أولاد الناقة .

ز ع ل : الزَعْلَة : الناقة التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

ز ف ف : الزَفِيف: من السير السريع، وقيل: هو الذميل.

ز ل ق : أَزْلقت الناقة: ألقت حملها قبل أن يستبين خلقه .

(س)

س أ د : الإسآد : أن تسير الإبل الليل مع النهار .

س ج ل : السَجْلاء : الناقة العظيمة الضرع، والغزيرة اللبن .

س ح ج : السَحْجاء من الإبل: التامة طولاً، وعظماً .

س ح ف : السَحُوف: الناقة الطويلة الأخلاف .

س د م : السَدِم : الفحل الذي لا يرغو من شدَّة الغِلْمة، وهو مسدَّم أيضاً .

س ر ح ب : السُرْحُوب : الطويل السريع من الإبل للذكر والأنثى

س ر د ح : السِرْداحَة: العظيمة، وقيل: الطويلة من النوق، والبعير: سِرْداح .

س ر م ط : السَرَمَط ، والسَرْمُوط: الجمل الطويل .

س ف د : سَفَدَ الفحلُ الناقة: ضربها، والإسم: السِّفاد .

س ق ب : أسْقَبَت الناقة: إذا كان أكثر ما تضع ذكوراً ، وهي مِسْقاب .

س ق ف : السَقائف: أَضْلاع البعير. واحدها: سقيفة .

س ل م : السُلامَى: عظام الفِرسن كلُّها للواحد والجمع .

س ن ر : السنَّوْر : فقارة عنق البعير .

س ن م : السَّنام : أعْلى ظهر البعير، وتسنَّم الفحل الناقة: علاها

س ن ن : السِنان ، والمُسانَّة : المعارضة، يقال: سانَّ البعير الناقة سِناناً طويلاً حتى أناخها .

س ي ء : السَيء ، والسِيء : ما كان من اللبن في ضرع الناقة قبل أن تدرَّ، وتسيَّأت الناقة: أرسلت لبنها من غير حلب .

(ش)

ش ح ذ : المُشاجِذ من النوق: التي أخذها المخاض ولوت ذنبها، وإنَّما تفعل ذلك لما يأخذها من الغم .

ش خ خ : شَخْشَخَت الناقة: رفعت صدرها وهي باركة .

ش ر خ : الشَرْخ: نتاج كلّ سنة من أولاد الإبل .

ش ر ع : شِراع البعير: عنقه .

ش ر ف : الشُرافِيَّة ، والشَرْفاء من النوق: الضخمة الأذنين .

ش غ ر : الشَغْر، من شغر الفحل شَغْراً: ضرب برأسه تحت الناقة من قِبل ضرعها فيرفعها فيصرعها .

ش ف ر : المِشْفَر من البعير: بمنزلة الشَّفَة من الإنسان، وقد تستعار المشافر للإنسان. والشفير: حدُّ مشفر البعير .

ش ق ش ق: الشِقْشَقة: لهاة البعير، أو شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

ش ك ر : الشَكِرَة : الناقة الممتلئة الضرع .

ش م ر دل : الشمردلة: الناقة الحسنة الجميلة، والسريعة، والبعير: شمردل .

ش م ع ل : الشَّمْعَل، والشَمْعَلَة، والمُشْمَعِلَّة: الناقة الطويلة، والنشيطة السريعة .

ش م ل : الشِمْلال، والشِمْليل من الإبل للمذكر والمؤنث: السريع، وكذلك الشِملُّ، للجمل، والشِملَّة للناقة .

ش ن خ ب: الشناخيب: فِقَر البعير، واحدها شنخوب .

ش و ر : استشار الفحلُ الناقةَ: إذا كرفها فنظر ألاقح هي أم حائل .

ش و ف : المَشُوف: الجمل الهائج، والمَطْلِيُّ بالقَطِران .

ش ي ع : أشاعَت الناقة: أخْدَجت، وأشاعَت ببولها : أرسلته متفرقاً .

(ص)

ص ر ر : الصِّرار: الخيط الذي يشد به الضرع .

ص ر م : المُصَرَّمة : الناقة مقطوعة الطِّبْيَيْن .

ص ر ي : الصَرَى: اللبن المحفَّل في الضرع .

ص ل ق : تصلَّقت الناقة : تمرَّغت عند المخاض ظهراً لبطن ، فهي متصلِّقة .

ص ل ق م : الصِلْقِم، والصِلْقام: الضخم من الإبل .

ص و ل : الصائل من الجِمال: الذي يخبط برجله، وتسمع لجوفه دويّاً من عزة نفسه عند الهياج، وهو الذي يواثب راعيه، ويواثب الناس فيأكلهم .

(ض)

ض ب ع : ضَبَعَت الناقة ضِبْعاً، وأضْبَعَت: إذا أرادت الفحل، ونوق ضِباع ، وضباعَى .

ض ر س : الضَّروس من الإبل: العَضُوض .

ض ر ع : المُضْرِع: الناقة التي أشرق ضرعها، ووقع فيه اللَّبن .

ض م ز : الضَمُـوز : الناقة المسنَّة، وضَمَزَ البعير: أمسك عن جرَّته فلم يجترّ .

ض م ز ر : الضُمازِر: البعير القويّ، والضِمْزَر: الناقة القوية

ض م ن : المضامين: التي في أصلاب الفحول،والتي في بطون الحوامل .

ض و ب : الضُوبان : الجمل القوي السمين، جمعه كواحده .

(ط)

ط ب ق : الطابقاء : الفحل العاجز عن الضراب .

ط ر ق : طَرَق الفحل يطرق طرقاً : نزا على الناقة .

ط ف ل : التطفيل: السير الرُوَيْد .

ط ل ح : الطليح: الناقة التي هزلت من كثرة السير، والبعير طليح أيضاً .

ط و ط ؛ الطاط، والطائط، والطُوط: الفحل الهائج .

(ظ)

ظ أ ر : الظِّئْر: الناقة تُعَطَّف على ولد غيرها حتى ترأمه .

ظ ل ل : الأظل من البعير والناقة : ما تحت المنسم .

ظ م أ : الظمء : ما بين السقيتين، والجمع أظماء .

(ع)

ع ب ر : المُعْبَر: البعير كثير الوبر .

ع ت ر س : الاعتراس: أن يقفز الفحل على رقبة الناقة حتى يركبها ساخطة أو راضية .

ع ث ن ؛ العُثْنُون: شُعيرات عند مذبح البعير .

ع ج ب : العَجْب: أصل الذنب .

ع ج س : العَجيس، والعَجِيساء ، والعَجَاساء : الفحل العاجز عن الضراب، والعظيمة من الإبل .

ع ج ل : العَجول: الناقة التي مات ولدها .

ع ج ن : العَجِنة ، والعَجْناء : الناقة التي ورم حياءها ولا تلقح .

ع ذ ف ر : العُذافرة : الناقة العظيمة .

ع ر ج : العُرَيْجاء: وِرْد الإبل يوماً بالغداة، ويوماً بالعشي، ويسمى الرغرغة أيضاً .

ع ر م س : العِرْمِس: الناقة الطَّيِّعة والقويَّة الشديدة .

ع ر هـ م : العَرْهَم: العظيم الغليظ من الإبل .

ع ر هـ ن : العَرْهَن: العظيم الشديد من الإبل .

ع س ب : العَسْب: كِراء ضِراب الفحل و: ماء الفحل، يقال: قطع الله عَسْبَه وعُسْبَه، أي ماءه ونسله. والعسيب: عظم ذنب البعير .

ع س ر : العَسِير : الناقة إذا لم تحمل في سنتها، والرافعة ذنبها في عَدْوها، والتي ركبت ولم تُليَّن من قبل، وتسمى أيضاً عيسرانيَّة، والبعير عيسراني .

ع ش ر : العُشَراء: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، والجمع عِشار، وعُشَراوات .

ع ش و : العَشْواء: الناقة التي لا تبصر ما أمامها، فهي تخبط ما مرَّت به بيديها .

ع ص ب : إعْصَوْصَبَت الإبل: اجتمعت وجدَّت في سيرها .

ع ص ف : العَصوف: الناقة السريعة التي تعصف براكبها، وتذهب به كالريح .

ع ص م : العِصام : عَسِيب البعير، وهو عظم الذنب .

ع ص ي : العاصي: الفصيل الذي لم يتبع أمَّه .

ع ط ل : العَطِل من الجمال: الحسن الجسم، والناقة عَطِلة .

ع ط م س : العَيْطَمُوس : الناقة التامة الخلق الحسنة. جمعها عطامس .

ع ط ن : العَطَن : مبرك الإبل حول الماء . الجمع أعطان .

ع ل ط : إعلوَّط الفحل الناقة: ركب عنقها وتقحَّمها من فوق .

ع ل ط س : العِلْطَوْس: الخيار الفارهة من النوق .

ع ل ط م : العَلْطَمُوس، والعَلْطَمِيس: الناقة الضخمة الشديدة والضخمة السنام .

ع ل ق : العَلُوق: الناقة التي لم تألف الفحل .

ع ل ك : العَلِكة: شِقشِقة البعير عند الهدير، والعَلَكة: الناقة السمينة .

ع ل ك م : العُلْكُوم: الناقة العظيمة .

ع م ل : اليَعْمَلَة : الناقة القوية النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل، والجمل يعمل جمعهما: يعملات، ويعامل. وفي المخصص (لا يوصف بها المذكر) .

ع م ي ث ل: العَمَيْثَلَة : الناقة الجسيمة، والذكر: عميثل .

ع ن ت ر : العَنْتَرِيس: الناقة الغليظة الصلبة الكثيرة اللحم .

ع ن س : العَنْس: الناقة التي تمّ سنّها واشتدت قوتها، وطال ذنبها

ع ن ق : العَنَق : سير مسبطرّ، أي ممتدّ .

ع و ذ : العائذ: الناقة عندما تضع حملها، جمعها عُوذ، وعُوذات

ع و هـ ج : العَوْهَج: الناقة الفتيَّة .

ع ي ر : العَيْرانَة: الناقة التي تُشَبَّه بالعَير في سرعتها ونشاطها

ع ي س : عاسَ الفحلُ الناقةَ: ضربها .

ع ي ط : العائط من النوق: كالحائل .

ع ي هـ ل : العَيْهَل، والعَيْهَلة، والعَيْهُول ، والعَيْهَال: الناقة السريعة والنجيبة الشديدة، والجمل: عَيْهَل .

ع ي هـ م : العَيْهَم: الشديد من الإبل، والناقة عَيْهَمَة أيضاً .

ع ي ي : العَياياء ، والعَياء: الفحل الذي لا يضرب .

(غ)

غ ب ب : الغِبّ في موارد الإبل: ليومين وليلتين .

غ ب ر : الغُبْر: بقيَّة اللبن في الضرع. جمعه: أغبار .

غ ذ ذ : الإغْذاذ: سرعة السير .

غ ر ب : الغارب: الكاهل، والغاربان: ظهر البعير من مقدَّمه ومؤخَّره. والغرابان من البعير: حرفا الوركين اللَّذان فوق الذنب .

غ ر ز : التغريز : أن تدع حلبة بين حلبتين، وذلك إذا أدبر لبن الناقة .

غ س ل : فحل غِسْل، وغُسَل، وغَسِيل، وغُسَلة، ومِغْسَل، وغِسِّيل: يكثر الضراب ولا يُلقح .

غ م د : تَغمَّد الفحلُ الناقةَ: علاها .

غ م س : الغموس: الناقة في بطنها ولد وهي لا تشول .

غ ي هـ ق : الغَيْهَق: الطويل من الإبل .

(ف)

ف ر س ن : الفِرْسِن : طرف خفّ البعير. الجمع فراسن .

ف ر ش ط : فَرْشَطَ البعير: برك بروكاً مسترخياً، وألْصق أعضاءه بالأرض .

ف ر ض : الفارِض من الإبل: العظيمة .

ف ر ع : الفَرَع: أول ما ينتج من الإبل، و: طعام يصنع عند نتاج الإبل .

ف ر ق : فَرَقَت الناقة: أخدجت، والمفرق: الناقة التي فارقها ولدها بموت، أو ذبح .

ف س ج : فَسَجت القلوص فسُوجاً: أعجلها الفحل فضربها قبل بلوغ وقت الضرب، فهي فاسجة، والفاسج: الناقة السريعة الفتيّة.

ف ش ش : فَشَشْتُ الناقة أفشُّها فشّاً: أسرعتُ حلبها، وفششتُ الضرع: أخرجت جميع ما فيه

ف ط م : الفَطِيم: كالفَصيل .

ف ك هـ : المُفْكِه: الناقة التي يُهراق لبنها عند النتاج قبل أن تضع .

ف ن ق : الفَنِيق من الإبل : الذي نُعِّم وسُمِّن للفحلة. جمعه فُنُق وأفناق .

ف و ق : الفِيقَة (بقلب الواو ياء) : إسم اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين،وأفاقت الناقة: درَّ لبنها فهي مفيق ومفيقة، والجمع مفاويق .

(ق)

ق ب س : القَبِيس من الإبل: السريع اللقاح .

ق ب ع ث ر: القَبَعْثَري : الجمل الضخم .

ق ذ ع م ل : القَدَعْمِل: القصير الضخم من الإبل .

ق ر ب : القَرَب: سير الليل لورود الغد .

ق ر ح : القارِح من النوق: أول ما تحمل، و:التي لا تُشعر بلقاحها حتى يستبين حملها. الجمع قوارح وقرَّح .

ق ر ر : أقَرَّت الناقة: ثبت حملها .

ق ر ع : القَرِيع من الجمال: المختار للضراب، وقرع الفحلُ الناقةَ: ضربها .

ق ر م : القَرْم: الفحل من الإبل الذي تُرِك من العمل والركوب، وودِّع للفحلة، وبه شُبِّه الأكابر من الناس.

ق ر و : القرواء: الناقة العظيمة القرا وهو الظهر .

ق ط ر : القطار: اقتران الإبل بعضها إلى بعض على نسق .

ق ط ن : القَطِنة : مثل الرمانة تكون على كرش البعير، واللحمة بين وركيه .

ق ع د : القَعُود؛ الفصيل، وهو الذي فُصل عن أمِّه .

ق ع و : قَعا الفحلُ على الناقة: علاها للضراب .

ق ل ص : القَلوص: الشابَّة من الإبل .

ق م ح : القامِح ، والمُقامح من الإبل : الذي اشتدَّ عطشه حتى فتر فتوراً شديداً .

ق م ط ر : القِمَطْر: الجمل القوي السريع .

ق ن د ل : القَنْدَل: الناقة العظيمة الرأس .

ق ن ف ذ : قُنْفُذُ البعير: ذِفراه، والذفرى: العظم خلف الأذن .

ق ن ور : القَنَوَّر من الإبل: الشرس الصعب .

ق ي س ر : القَياسِرة ، والقَيْسَرِيَّة: الناقة العظيمة .

(ك)

ك ب س : الكَبْساء، والكُباس: العظيمة الرأس من النوق .

ك ت م : الكَتُوم: الناقة التي لا تشول بذنبها عند اللقاح،ولا يُعلم بحملها. جمعها: كُتُم .

ك ر ض : الكِراض : الخداج: ماء الفحل: حلق الرحم .

ك ر ك ر : الكِركرة : سَعْدانة البعير التي تلصق بالأرض من صدره إذا برك .

ك س ع : كَسَع الناقة : ترك في خِلْفها بقيَّة من اللبن، وقيل: الكسع: أن يضرب ضرعها بالماء البارد ليترادَّ اللبن في ظهرها فيكون أقوى لها على الجدب .

ك س ل : أكْسَلَ الفحل، وكسِل: ضعف عن الضراب .

ك ش ف : الكِشاف: أن تبقى الناقة سنتين ، أو ثلاثاً لا يحمل عليها، أو يحمل عليها (ضد) . والكَشُوف :

الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل .

ك ف أ : أكْفأت الإبل: كثر نتاجها، وأكفأتُ إبلي: جعلتها كفأتين، يعني نصفين ينتج كلَّ عام نصفاً .

ك م ت : الكُمُوت: الكتوم اللقاح .

ك م ش : الكَمْشَة من النياق: الصغيرة الضرع .

ك ن ع ر : الكَنْعَرَة: الناقة العظيمة .

ك هـ هـ : الكهَّة ، والكَهاة، والكيهاء: الناقة العظيمة .

ك و م : الكَوْماء: العظيمة السنام، والبعير أكوم .

(ل)

ل ج ن : اللِّجان في الإبل: كالحران في الخيل. يقال: جمل وناقة لجون .

ل ط س : المِلْطاس: خفُّ البعير الشديد الوطأ .

ل غ م : اللُّغام من الإبل: بمنزلة البصاق من الإنسان .

ل ق ح : لَقِحَت الناقة لقحاً ولَقاحاً، وألْقحها الفحل، فهي لاقح ولَقوح.

ل ك ل ك : اللُّكالِك: الناقة العظيمة .

ل م ع : ألْمَعَت الناقة: شالت بذنبها، وأعلمت بلقاحها. واللمعة : السواد حول حلمة الضرع .

(م)

م ت ش : مَتَشَ أَخْلاف الناقة بأصابعه: احتلبها احتلاباً ضعيفاً .

م ر ن : مارَنَت الناقةُ مراناً: ضربت فلم تلقح، فهي مُمارن .

م ر ي : مَرَيْتُ الناقة: استدرَرْتُها بالمسح، وأمْرَت الناقة: درَّ لبنها .

م ش ش : مشَّ الناقة مشّاً: حلبها وترك في الضرع بعض اللبن .

م ص ر : المَصُور: الناقة التي يتمصَّر لبنها قليلاً قليلاً، وهي الماصر.

م غ ص : المغص (محركة، والاسكان لغة) : خيار الإبل، الواحدة مَغَصَة، وقيل: الخالصة البياض، والجمع: مغاص، وقيل هو جمع لا واحد له، يقال: ابل مغص، وناقة مغص، والأول أرجح

م غ ط : تَمغَّط البعير في سيره: مدَّ يديه مدّاً شديداً .

م ك س : المَكُوس من الإبل: التي تراها أوّل الإبل في المرعى والمورد، وكلّ مسير، والمكس: التقدم .

م ل ص : مَلَصَت الناقة: ألقت ولدها، والولد مليص، والناقة مملص.

م ل ط : المِلاطان : كتفا البعير، وقيل: العضدان، وجانبا السنام .

م ن ح : أمْنَحَت الناقة: دنا نتاجها فهي ممنح .

م ن ي : المُنْيَة، والمنوة للبكر: عشر ليالٍ حتى يستبين لقاحها، وإذا كانت ثنياً، أو ثلثاً فخمس عشرة ليلة، فإذا مضت المنية استبان حمل الناقة .

م و ر : الموَّارة: الناقة السريعة السهلة .

(ن)

ن ب ل : النَّبْل: السير الشديد للإبل .

ن ت ج : النِتاج: اسم يجمع وضع جميع البهائم، وقيل: هو في الناقة والفرس، والأوّل أصح .

ن ج ب : النَّجيب: الكريم من الإبل، والانثى نجيبة، والجمع نجائب .

ن ج د : النَجُود: الناقة الشديدة النفس، و: التي لا تبرك إلَّا على مرتفع من الأرض .

ن ج و : الناجي: البعير السريع، والناقة ناجية .

ن خ ن خ : تَنَخْنَخَ البعير: برك، ومكَّن ثفناته في الأرض .

ن س م : المَنْسِم: طرف خفِّ البعير .

ن ش .أ : أَنْشَأت الناقة: لَقِحت .

ن ص ص : النَصُّ : السير الشديد حتى يُستخرج أقصى ما عند الناقة .

ن ص ع : أَنْصعَت الناقة للفحل: قرَّت له .

ن ص ن ص: نصنص البعير: تحرَّك للنهوض .

ن ع ج : النَعَج: ضرب من سير الإبل السريع، والناعجة: الناقة التي يصاد عليها نعاج الوحش، ولا يكون ذلك إلَّا في الإبل المهريّة .

ن ق ب : النَّقِيبَة من الإبل: المؤتزرة بضرعها عِظماً وحسناً .

ن هـ ب ل : النَهْبَلَة : الضخمة من النوق .

ن هـ ض : نَهْضُ البعير: ما بين الكتف والمنكب .

ن و خ : تَنَوَّخ الجملُ الناقة: أَبْركها ، وبرك عليها للضراب .

(هـ)

هـ ج ن : الهِجان: الكريم، والأبيض من الإبل .

هـ د ب : هَدَب الناقة: احتلبها .

هـ د ر : الهَدِير: صوت البعير المستمر الذي لا يكاد ينقطع .

هـ د م : الهَدِمَة: الناقة التي اشتدت ضبعتها، أي اشتد امتداد أضباعها في سيرها. فهي هَدِمة من نوق هدامى .

هـ د ي : الهادِيَة: المتقدِّمة من الإبل .

هـ ر ج ب : الهِرْجاب: الناقة الضخمة الطويلة .

هـ ش ر : المِهْشار: الناقة التي تلقح في أَوَّل ضربة، وتضع أوَّل الإبل .

هـ ض ل : الهَيْضَل: الجمل الضخم، والأنثى هيضلة، وهي الغزيرة اللبَن أيضاً .

هـ ق ع : اهْتَقَعَ الفحل الناقةَ: أبْرَكها، وتهقَّعت هي: بركت.

هـ كـ ع : الهَكِعَة: الناقة التي استرخت من الضبعة وأربت.

هـ ل ع : الهِلْواع، والهِلْواعة من الإبل: السريعة التي تخاف السوط

هـ ل ق س: الهِلَّقْس: الجمل الشديد.

هـ ل ل : الهِلال: الجمل المهزول من ضِراب أو سير، والمهلل من الإبل: الضامر، والناقة: مهلّلة.

هـ م ر ج ل: الهَمَرْجَل: البعير النجيب الكريم، والناقة: همرجلة.

هـ و ج : الهَوْجاء: الناقة التي كأنَّ بها هَوَجاً من سرعتها.

هـ و د : التَّهْويد: سير الإبل الرفيق.

هـ و ز ب : الهَوْزَب: الجمل الشديد الجري.

هـ ي ج : هاج الفحل يهيج هياجاً: هدر، وأراد الضراب.

(و)

و ج ب : وَجَبَت الإبل، ووَجَّبت: لم تكد تقوم من مباركها.

و ج ف : الوَجِيف: من السير السريع للإبل.

و ج ن : الوَجْناء: الناقة الشديدة اللحم.

و ح ف : المَوْحِف: مبرك الإبل.

و خ د : الوَخْد، والوَخَدان، والوَخِيد: سرعة السير للإبل مع سرعة الخطو.

و د ي : التَّوْدِيَة: خشبة تشدُّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت، والجمع: التوادي.

و س ن : توسَّن الفحل الناقة: علاها.

و غ ب : الوَغْب: الجمل الضَّخم الشديد.

و ك ر : الوَكَرَى: الناقة السريعة، والقصيرة.

و ل ق : الوَلْق: سرعة سير الإبل.

و هـ ق : المُواهَقَة: المواظبة على السير، ومدُّ الاعناق.

و هـ م : الوَهْم : الجمل الضخم الذلول، والجمع : أوْهام ووهوم وَوُهُم .

(ي)

ي ع ر : اليَعارّة من النوق : التي لا تضرب مع الإبل، ولكن يقاد إليها الفحل، وذلك لكرمها .

ذكر الابل في القرآن الكريم

الإبل ﴿ ومن الإبل اثنين ﴾ـ الانعام/١٤٤

﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ﴾ ـ الغاشية/١٧

البعير: ﴿ **ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير** ﴾ ـ يوسف/٦٥ .

﴿ **وقالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير** ﴾ ـ يوسف/٧٢ .

الجمل ﴿ **ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط** ﴾ ـ الاعراف/ ٤٠

الجمالة ﴿ **كأنّه جمالة صفر** ﴾ ـ المرسلات/٣٣ . والجمالة جمع الجمل كالجمال، وقال ابن السكيت: يقال للابل الذكور خاصة (جِمالة) .

الناقة ﴿ **هذه ناقة اللّه لكم آية فذروها تأكل في أرض اللّه** ﴾ ـ الاعراف/٧٣ .

﴿ **فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم** ﴾ ـ الأعراف/٧٧.

﴿ **ويا قوم هذه ناقة اللّه لكم آية فذروها تأكل في أرض اللّه** ﴾ ـ هود/٦٤ .

﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ ـ الاسراء/٥٩ .

﴿ **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ ـ الشعراء/١٥٥ .

﴿ **إنّا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر** ﴾ ـ القمر/٢٧ .

﴿ **فقال لهم رسول اللّه ناقة اللّه وسقياها** ﴾ ـ الشمس/١٣ .

الأنعام: جمع النعم (بالفتح) وهي في الأصل: الإبل، وقد يتوسّع في النعم فتطلق على الإبل، والبقر، والغنم اذا أريد جماعة الأصناف الثلاثة[1]، ووردت الكلمة في القرآن مراداً بها ـ على الأغلب ـ الابل والبقر والغنم:

﴿ من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النّعم ﴾ ـ المائدة٩٥.

﴿ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام ﴾ ـ آل عمران/١٤.

﴿ ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ﴾ ـ النساء/١١٩.

﴿ أحلّت لكم بهيمة الأنعام الاّ ما يتلى عليكم غير محلّي الصيد ﴾ ـ المائدة /١.

﴿ وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحدث والأنعام نصيباً ﴾ ـ الأنعام/١٣٦.

﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الاّ من نشاء بزعمهم ﴾ ـ الانعام /١٣٨.

﴿ وأنعام حرّمت ظهورها ﴾ ـ الانعام /١٣٨.

﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء ﴾ ـ الانعام /١٣٨.

﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ﴾ ـ الأنعام /١٣٩.

﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ ـ الأنعام /١٤٢.

﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ﴾ ـ الأعراف /١٧٩.

﴿ فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ ـ يونس /٢٤.

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ ـ النحل /٥.

﴿ وانّ لكم في الأنعام لعبرة ﴾ ـ النحل /٦٦.

﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ﴾ ـ النحل /٨٠

﴿ ويذكرون اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ـ الحج /٢٨.

﴿ وأحلّت لكم الأنعام الاّ ما يتلى عليكم ﴾ ـ الحج /٣٠.

﴿ ولكلّ أمّة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ـ الحج /٣٤.

﴿ وإنَّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونها ﴾ - المؤمنون / ٢١ .
﴿إنْ هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ﴾ - الفرقان / ٤٤ .
﴿ واتقوا الذي أمدَّكم بما تعلمون. أمدكم بانعام وبنين ﴾ - الشعراء /١٣٣ .
﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ﴾ - فاطر/٢٨ .
﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ - الزمر /٦
﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾ - غافر /٧٩
﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ﴾ - الشورى /١١
﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾ - الزخرف /١٢ .
﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ - محمد /١٢ .
﴿ ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيرة ﴾ - الفرقان /٤٩ .
﴿ أو لم يروا أنا خلقنا لهم ممَّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ﴾ يس /٧١
﴿ كلوا وارعوا أنعامكم إنَّ في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ - طه /٥٤ .
﴿ أخرج منها ماءَها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ - النازعات /٣١ - ٣٣ .
﴿ وفاكهة وأباً. متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ - عبس /٣٢.
﴿ فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ﴾ - السجدة /٢٧

ممّا ورد في الحديث الشريف عن الابل [(١)]

- ان العرف لينفع عند الجمل الصوّال، والكلب العقور.
- الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة.

---

(١) ثمار القلوب/٣٥ والنهاية ١٦/١ والدميري ١٤/١ و١٥ (حياة الحيوان) .

ـ تجدون الناس بعدي كإبل مائة ليس فيها راحلة.
ـ لا تسبوا الإبل فان فيها رقوء الدم، ومهر الكريمة.
ـ لا تسبوا الابل فانّها من نفس الله تعالى.
ـ إنّما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة، إن تَعاهدَها صاحبها على عقلها أمسكها، وان أغفلها ذهبت.

ممّا ورد في الأمثال عن الإبل [1]

(اتّخذَ الليل جملاً).

معناه: ركب الليل في حاجته، ولم ينم حتى أدركها. وقال الامام أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) لأصحابه ليلة العاشر من محرم:
أنتم في حلّ من بيعتي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده، وذروني وهؤلاء القوم فانّهم لا يريدون غيري.

(أتخم من فصيل)

وذلك أنه يشرب من اللّبن فوق ما يحتاج إليه .

(أتعب من راكب فصيل)

الفصيل ولد الناقة الذي فصل عن أمه بعد سنة من ولادته، وانّما يتعب لأنه لا يستحقّ الركوب الاّ في السنة الرابعة بعد الترويض.

(أتمك من سنام)

سنام تامك، أي مرتفع.

---

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

(أحقد من جمل)

الجمل موصوف بالحقد في أيام الضراب خاصة.

(أخبط من عشواء)

العشواء: الناقة التي لا تبصر باللّيل فتخبط كلّ شي تمرّ به

(أخفّ حلماً من بعير)

مأخوذ من قول العباس بن مرداس السلمي:

لقد عظم البعير بغير لبّ   فلم يستغن بالعظم البعيرُ

(أخلف من بول الجمل)

من الخلاف، وذلك أن الجمل يبول إلى خلف.

(استنّت الفِصال حتى القَرْعى)

أصله: إن الفصال الصحيحة اذا استنّت (أي عدت) نظرت إليها القرعى (المصابة بالقرع وهو بثور تخرج في باطن أخفافها) فاستنّت معها فسقطت من ضعفها.

(استنوق الجمل)

المثل لطرفة بن العبد، ويضرب للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه.

(أشهر ممن قاد الجمل)

من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة.

(أصْوَل من جمل)

الصولة ها هنا: العضّ ، يقال: صال الجمل، وعقر الكلب.

(أغدَّة كغدَّة البعير، وموت في بيت سلوليَّة؟)

الغدّة: طاعون الإبل، وسلول: قبيلة من أذل العرب. والمثل لعامر بن الطفيل، يضرب لاجتماع نوعين من الشرّ.

(انّما يجزي الفتى ليس الجملْ)

المثل عجز بيت للبيد بن ربيعة، صدره (واذا جوزيت قرضاً فاجزه) ، وأخذه ابن الرومي فقال:

لست ألحاك على ما سمتني   من قبيح الردّ أو منع النفلْ
قد قضى قول لبيد بيننا   انما يجزي الفتى ليس الجملْ

(أرغو لها حوارها تقرُّ)

يضرب مثلاً لاغاثة الملهوف بقضاء حاجته ليسكن، والناقة إذا سمعت رغاء حوارها سكنت. ويروى المثل على وجه آخر، وهو:

(حرّك لها حوارها تحنّ)

ومعناه أن تذكّر الرجل بعض أشجانه فيهتاج.

(الذود إلى الذود إبل)

الذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل، يُراد أنَّ القليل إذا جمع إلى القليل كثر.

(ضربه ضرب غرائب الإبل)

يضرب مثلاً لشدة الظلم، وغيره من المكاره، وأصله في الإبل ترد الحوض وليس لها ربّ يؤمن وردها، فيضربها أرباب الإبل الواردة ضرباً شديداً، ويذودونها ذياداً عنيفاً.

(عشب ولا بعير)

يضرب مثلا للرجل له مال كثير، وليس له من ينفقه عليه، أو أن يأتي الشيء في وقت لا ينتفع به، كقول المتنبي:

اذا أردت كميت اللّون صافية وجدتها وحبيب القلب مفقودُ

وقال ابو تمام:

أرض بها عشب جَرْف وليس بها ماء وأخرى بها ماء ولا عشبُ

(العُنوق بعد النوق)

العُنوق جمع عَناق: الأنثى من أولاد المعز، ويراد بالمثل: أبَعْدَ الحَال الجليلة صغر أمركم.

(عودي إلى مباركك)

يعني ارجعي إلى أمرك الأول. قال أبو سفيان بن حرب ـ لما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة ـ: كان هذا الأمر في تيم، ثم في عدي وأنىً ليتم وعدي هذا الأمر، ثم رجعت الابل إلى مباركها، فاستقرّ قراره، فتلقفوه تلقّف الكرة.

(الفحل يحمي شوله معقولا)

يضرب مثلاً للرجل الغيران الدافع عن حريمه ولو كان مقيداً. والشول الإبل التي قد سَالت ألْبانها أي ارتفعت، وسَالت أذنا بها طلباً للفحل.

(كفى برغائها منادياً)

يضرب مثلاً للشيء تكتفي بمنظره عن تعرّف حاله. وأصله أنّ ضيفاً أناخ بفناء رجل فجعلت راحلته ترغو، فقال الرجل: ما هذا الرغاء؟ أضيف أناخ بنا فلم يعرّفنا

مكانه؟ فقال الضيف (كفى برغائها منادياً).

(كلُّ نجارِ إبلٍ نجارُها)

يضرب مثلاً لأشياء مختلفة يجمعها أصل واحد. وأصل المثل أنَّ خارباً أغار على ابل من وجوه مختلفة فجاء بها إلى السوق، فسألوه عن سِمَتها لتعرف أصولها، فأنشأ يقول:

تسألني الباعة أين نارها   إذ زعزعوها فسمت أبْصارها
كلُّ نجارِ إبلٍ نجارها   وكلّ دارٍ لأناس دارها
وكل نار العالمين نارها

والخارب: اللّص: ، وقد خصَّه الأصمعي بسارق البُعران. والنار: السِّمة

(مثقل استعان بذقنه)

يضرب مثلاً للذليل يستعين بمثله، وأصله: البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد بذقنه على الأرض. ويروى (استعان بدفَّيه) أي بجنبيه.

(هذا أمر لا تبرك عليه الإبل)

ذلك أنَّ الإبل إذا أنكرت الشيء نفرت منه، فذهبت في الأرض، ولا يجمعها الراعي الاّ بتعب.

(وقعا كركبتي البعير)

يقال ذلك للشيئين المستويين. والبعير إذا أراد البروك وقعت ركبتاه معاً.

(يركب الصعب من لا ذلول له)

يضرب مثلاً لمن يحمل نفسه على الشدائد عندما لا يجد ما يناله بسهولة. والصعب من الإبل: الذي لم يُرَضْ، والذلول: البعير السهل المروَّض للركوب.

وقريب من هذا المثل قول الشاعر:

اذا لم يكن غير الأسنة مركباً   فما حيلة المضطرّ الاّ ركـوبها

(يا عاقد اذكرْ حلاًّ)

يضرب مثلاً للنظر في العواقب. وأصله أنّ الرجل يَشدُّ حِمله على بعيره فيُسرف في الإستيثاق، فيضرّ ذلك به وببعيره عند الحلول. وأخذ المثل أبو نواس فقال:

يـا عـاقـد الـقـلـب مـنـي   هـلاًّ تـذكـرت حـلاًّ

ممّا ورد في الكلام المنثور عن الابل

قال أبو العلاء المعري في رسالته (الصاهل والشاحج) على لسان الصاهل (الفرس) مخاطباً الشاحج (البغل):

(والابل أكثر افتناناً في الأصوات، لأنّ من أصواتها: الحنينَ والأصيط والسجع والتحوُّب والعجيج والجرجرة، والهدر وأصنافه وهي: الفحيح والكتيت والكشيش والقصف والقرقرة والزّغْد والشحشحة والقَلْخ . ومن أصواتها الرغاء والبُغام. . .

(أما الناقة فحسبها من قلّة اللُّب أن ولدها يذبح ويحشى جلده من الثمام فتدرّ عليه، وعندها أنّه حوارها. وأما الجمل فأخوها، وهل يكون ابن دغّة[1] إلاّ على قدرها، وابنة جهيزة[2] إلاّ من جنسها؟ وحسبك من جهالة أنها تترك مالان من

---

(١) ـ دغّة، هي مارية بنت معنج توصف بالحمق (أمثال الميداني ١/٢١٩)

(٢) ـ جهيزة: أم شبيب الحروري تنبز بالحمق أيضاً (الأمثال للميداني ١/ ٢١٨).

المرعى وتختار عليه شوك السعدان وغيره من الشجر والعضاه[1]، فربما نشبت الشوكة منها في بطن البعير فكانت سبب هلاكه . . .

وقال على لسان الشاحج مخاطباً الجمل:

(وأدعو ربَّك أن يبلوك بهوى ناقة شارف هِمَّة مشرَّمة يفضحك هواها في الابل فتكون في ذلك هُزْأةً في البَرْك وضحكة بين الأكوار، وأقول في مضانّ الاجابة: لا ملأت كرشك من السعدان، ولا شِمت بارق الغيث والصَّيْب، ولا رأيت نضرة كلأ عازب، ولا سمعت صوت التلبية، ولا زرت الناسَّة [2] في حجة ولا وقفت بعرفة. وان كنت يمانيّ المولد فلا قدَّر لك أن تنظر إلى الفحل سهيل، وإن كان مولدك بالشام فمنعت أن تلمح شاميَّ النجوم . . .

(وان خرجت إليَّ من حقي فانِّي أغسل الحقد عليك من قلبي وأنتزع مذمّتك من لساني، وأحثّ على مودتك نفسي، ولن تستغني عن صديق من ذوات الحافر، كما لا أستغني عن صديق من ذوات الخُفّ، وأدعو الخالق بسعادتك، وأن يُرعيك أُنُف الكلأ، ويوردك نمير المساءِ من غير أن تعارك عليه خَوْماً، ولا تزاحم عليه في موردك عَرْجاً [3] بل تنفخ حَباب الحوض أو الغدير لاهياً في شربك متهنّياً في ذلك بعَبِّك ورشفك، لا تخاف من عصاً تقرعك ولا زجرٍ يروعك ويذعرك، وأن يُعفى ظهرك من الأعباء فيخلو جثمانك من الجُلب [4] والدَّبر، وتسرح في أرض كثيرة العضاه فيها القتادان الأكبر والأصغر، و السَّلَم والطَّلْح والعُرفُط والسَّمُر والشَّبْهان[5]. فإن أبا زيد الأنصاري ذكر الشبهان في جملة العضاه الشاكّة ولولا ذلك

---

(١) ـ السعدان: نبت من أفضل مراعي الابل له شوك، وفي المثل (مرعى ولا كالسعدان، والعضاه: كل شجر له شوك.

(٢) ـ الناسّة، هكذا بلام التعريف في الصحاح، وفي المحكم (ناسّة): من أسماء مكة المكرمة

(٣) ـ الخَوم: القطيع من الابل. والعَرْج: القطيع من الابل، وقد يصل من خمسمائة إلى ألف.

(٤) ـ الجلب (بالضم) جمع جلبة: قشرة الجرح.

(٥) ـ العضاه: كل شجر له شوك، ومن أنواعه: القتاد والسلم والطلح والعرفط والسمر والشبهان.

لم أذكره لك اذكان غير أبي زيد يزعم أنّ الشبهان الثُمام، أو شجر يشبهه -

ويكون في تلك الأرض ما يعجبك من أصناف الشجر الذي تطرَّفُ ورقه، وتجتذب أغصانه، وينقل إليك الله بقدرته قطعة من سعدان توضح فيلقيه في أرضك لتعاقب [١] بين أصناف الشجر والنبات، ويرزقك هجمةً عُوناً وأبكاراً كأنَّها عذارى عليها شارةٌ، ومعاصر [٢] تتخيرّ فيها على عينك تخيرّ أبي قابوس [٣] في قيان العراق. هذا إن كنت راغباً في الضراب، فان لم تكن راغباً في ذلك فهو أبقى لأيْدِك وأرجى لبصيرتك وأدنى لرشدك وأجدر بطول عمرك، على أنّ العمر إلى الله ان شاء قصَّر، وإن شاء مدَّ [٤])).

ممّا قاله الشعراء في الإبل

عبد الله بن المعتز:

ومَهْلكةٍ لا مع آلها	قطَعْتُ بِحَرْفٍ أمُونِ الخُطا
لها ذَنَبٌ مثلُ خُوص العَسيبِ	وأرْبَعةٌ تَرتمي بالحَصا
بَناها الربيعُ بناءَ الكثَيبِ	ساقَتْ إليهِ الرياحُ النَّقا
فما زالَ يُذْئِبُها ماجِدٌ	عَلى الأينِ حتى انطوَتْ وانطَوى
بأرْضٍ تأوَّلُ آياتِها	عَلى الظنِّ يَخبطُ فيها الهُدَى
صَدعتُ المطِيَّ بإرْقالِها	فما آعْتذرَتْ بَينَها بالوَجى [٥]

(١) - التعاقب: التداول، مرتعاً في عقب مرتع.

(٢) - الشارة: الحسن، وجمال الهيئة. اعصرت الجارية أدركت عصر شبابها فهي مُعصر. جمعها معاصر ومعاصير.

(٣) - أبو قابوس: النعمان بن المنذر.

(٤) - الصاهل والشاحج /١٦٣ و ٢٠١ و ٢١٥ - ٢١٧.

(٥) الديوان ١/١٣ .

وله أيضاً :

أنــعــتُ شَــدْ قَــمِـيّــاً ... تــمَّ كــمــا يــشــاءُ[1]
تَــنْــقــلُه أخْــفــافٌ ... كــأنَّــهــا دِلاءُ
نِــيــطَــتْ بهــا أشْــطانٌ ... قَــلِــيبُــهــا الــفَــضــاءُ
تــحْسَــبُــه مُــقِــيــمــاً ... وسَــيْــرُه نَــجــاءُ
كــأنَّــه شِــهــابٌ ... رَمَــتْ بــه الــسَّــمــاءُ[2]

وقال ذو الرمة :

ومُنخرَقٍ خاوي المَمَرِّ قَطَعْتُه ... بمُنْعَقِدٍ خَلْفَ الشَّراسِفِ حالِبُهْ[3]
يَكادُ من التَّصْدِيرِ يَنْسَلُّ كلَّما ... تَرنَّمَ أوْ مَسَّ العمامَةَ راكِبُه[4]
طَويلِ النَّسا والأخْدَعَيْنِ شَمَرْدَلٍ ... مُضَبَّرَةٍ أوْراكُــهُ ومَنــاكِبُــهْ[5]
طوَى بَطْنَهُ التَّرْجافُ حتى كأنَّه ... هِلالٌ بَدا وانْشَقَّ عنه سَحائِبُهْ
كأنَّ يَمامِيّاً طوَى فوقَ ظَهْرِهِ ... صَفِيحاً يُداني بَيْنَهُ ويُقارِبُهْ
إذا عُجْتُ منه أوْ رَأى فَوقَ رَحْلِهِ ... تَحَرُّكَ شيْءٍ ظَنَّ أنِّيَ ضارِبُهْ[6]

وقال ديك الجن (عبد السلام بن رغبان):

ما المَطايا إلاَّ المَنايا وما ... فَرَّقَ شَيءٌ تَفْرِيقَها الأحْبابا
ظَلَّ حادِيهُمْ يَسُوقُ بِقَلْبي ... ويَرَى أنَّه يَسُوقُ الرِكابا[7]

---

(١) الشدقمي : نسبة الى شدقم: فحل للنعمان بن المنذر. ومنه الإبل الشدقميات.
(٢) الديوان ٢/٤٩٤.
(٣) الشراسف: أطراف الضلوع.
(٤) التصدير: الحزام على صدر البعير، والترنم: ضرب من الغناء.
(٥) النُّسا: عرق يستبطن الفخذين حتى ينتهي الى الساقين: الأخدعان: عرقان في القفا. الشمردل: الطويل. يصف بعيره بالطول.
(٦) الديوان /٤٤
(٧) الديوان /١٤٩.

وقال الأخطل (غياث بن غوث):

ومَحبُوسَةٍ في الحيِّ ضامِنَةِ القِرَى	إذا اللَّيْلُ وافاها بأشْعَثَ ساغِبِ[١]
مُعفَّرةٍ لا تنكرُ السَّيْفَ وَسْطَها	إذا لم يَكنْ فيها مَعَسٌّ لِحالِبِ[٢]
مَرازِيحُ في المَأوَى إذا هَبَّت الصَّبا	تُطيفُ أوابيها بأكْلَفَ ثالِبِ[٣]
إذا اسْتَقْبَلَتْها الريحُ لم تَنْفِتِلْ لها	وإنْ أصْبَحَتْ شُهبُ الذُّرَى والغَوارِب
إذا ما الدَّمُ المُهراقُ أضْلعَ حَمْلُهُ	ونَابَ رَهَنَّاها بأغْلَى النَّوائِبِ[٤]
إذا ما بَد بالغَيْبِ منها عِصابَةٌ	أوَيْنَ لهُ مَشي النِّساءِ اللَّواغِبِ[٥]
يَطُفْنَ بِزَيَّافٍ كأنَّ هَدِيرَهُ	إذا جاوَزَ الحَيزُومَ تَرجِيعُ قاصِبِ[٦]
تَرِدُّ على الظِميءِ الطَّويلِ نِطافَها	إذا شَوَتِ الجَوْزاءُ وُرْقَ الجنادِبِ[٧]
كأنَّ لهاها في بَلاعِيم جِنَّةٍ	وأشْداقَها السُّفْلَى مَغارُ الثَعالِب
إذا لم يكُنْ إلَّا القَتادُ تجزَّعَتْ	مَناجِلُها أصْلَ القَتِادِ المُكالِبِ[٨]
تُحطِّمهُ تحتَ الجَليدِ فُؤُوسُها	إذا قَنَّعَ المَشْتَا أكفَّ الحَواطِبِ[٩]

---

(١) يريد الابل المحبوسة لقرى الضيف. المتعب الجائع.

(٢) المعسّ: المطلب.

(٣) المرازيح: الساقطة هزالاً. وقال محقّق الديوان: لعلها (مراديح) بالدال المهملة، وهي الثقيلة في مبركها. الأوابي: التي أبت الفحل. الأكلف من الابل: في حمرة لونه كلف. الثالب: البعير المسن.

(٤) كانوا يعدّون ابلهم للديات والرهائن في النوائب العظيمة، لان الخصوم لا يقبلون في الديات إلا كرائم الإبل.

(٥) الغيب هنا: الأرض الواطئة.

(٦) القاصب: الزامر.

(٧) نطافها: القليل من الماء الباقي في أجوافها. الجنادب: صغار الجراد. الورق: التي لونها لون الرماد.

(٨) التجزيع: التقطيع، والتكسير. يريد بمناجلها: أنيابها. المكالب: صفة للقتاد.

(٩) استعار الفؤوس للاضراس. قنّع، بمعنى غشّى.

كـأنَّ عَليها القَسْـطَلانيَّ مُخْمَـلاً إذا ما اتَّقَتْ شَفَّانَهُ بِالمَناكِبِ[1]

ولعبد الله بن المعتز:

لنـا وَفْـرةٌ مـا وَفَّـرَتْهـا دِمـاؤنـا ولا ذَعَرَتْها في الصَّباحِ الصَّوائحُ[2]
تَقَسَّـمهُنَّ الحَـمـدُ إلاَّ بَقِيَّـةً تُرَدُّ عَلينا حينَ تُخْشَى الجَوائِحُ
إذا غَـدرَتْ ألْبـانُهـا بِضُيُـوفِهـا وَفَتْ بالقِرَى خَيْراتُها والصَّفـائحُ
وقَيَّـدها بـالنَّصْـلِ خِـرقٌ كـأنَّـه إذا جَدَّ لَوْلا ما جَنَى السَّيْفُ مازِحُ
كـأنَّ أكفَّ القَـومِ في جَفَنـاتِـهِ قَطاً لَمْ يُنَفِّرْهُ عَنِ الماءِ سارِحُ[3]

وقال طرفة بن العبد :

وانيّ لأُمْضِي الهمَّ عند احْتِضارِه بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدي[4]
أمُـونٍ كألـواحِ الإرانِ نَصَـأْتُهـا عَلى لاحِبٍ كأنّه ظَهْرُ بُرْجُدِ[5]
جَمـالِيَّـةٍ وَجْنـاءَ تَـرْدي كـأنَّهـا سَفَنَّجَـةٌ تَبْري لأزْعَـرَ أرْبَـدِا[6]
تُبـاري عِتاقـاً نـاجِياتٍ وأتْبَعَتْ وظِيفاً وَظِيفاً فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[7]
تَـرَبَّعتِ القُفَّينِ بالشَّـوْلِ تَرْتَعي حَـدائِقَ مَـوليِّ الأسِـرَّةِ أغْيَـدِ[8]

---

(١) الديوان /٥٦ . القسطلاني : ثوب من القُطف منسوبة الى قسطلة : مدينة بالأندلس . الشفّان : برد مع ريح .
(٢) يريد بالوفرة: الإبل الكثيرة.
(٣) ديوان ابن المعتز ١/٧٦.
(٤) العوجاء: الناقة التي لا تستقيم في سيرها لنشاطها.
(٥) الأران: التابوت. نصأتها: ونسأتها: بمعنى زجرتها وحملتها على البرجد: كساء مخطط، شبّه به الطريق الواضح .
(٦) تردي: تعدو. السفنجة: النعامة تبري: تعرض. الأزعر: قليل الشعر.
(٧) العتاق: كرام الابل. الناجيات: المسرعات . يريد اتبعت الناقة وظيف يديها وهو ما بين الرسغين إلى الركبتين ـ وظيف رجليها ـ وهو ما بين الرسغين إلى العرقوبين ـ المور: الطريق.
(٨) تربعت : رعت الربيع . القفّ: ما ارتفع من الأرض. الشول: التي جفّت البانها. المولي : الممطور بالولي .

تَريعُ إلى صَوْتِ المُهيبِ وتَتَّقي ... بِذي خُصَلٍ رَوْعاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ[1]

كَأَنَّ جَناحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفا ... حِفافَيْهِ شُكَّا في العَسيبِ بِمِسْرَدِ[2]

فَطَوْراً به خَلْفَ الزَّميلِ وتارَةً ... على حَشِفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ[3]

لَها فَخِذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيهما ... كأنَّهما بابا مُنيفٍ مُمَرَّدِ[4]

وطَيٌّ مَحالٍ كالحَنِيِّ خُلُوفُه ... وأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنضَّدِ[5]

كأنَّ كِناسَيْ ضالَةٍ يَكْنُفانِها ... وأُطْرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ[6]

لَها مِرْفَقانِ أَفْتَلانِ كأنَّما ... تمرُّ بِسَلْمَيْ دالِجٍ مُتَشَدِّدِ[7]

كَقَنْطَرَةِ الرُّوميِّ أَقْسَمَ رَبُّها ... لَتُكْتَنَفَنْ حَتى تشادَ بِقَرْمَدِ[8]

صُهابِيَّةُ العُثْنونِ مُوجَدَةُ القَرا ... بَعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ[9]

أُمِرَّتْ يَداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ ... لَها عَضُداها في سَقيفٍ مُسَنَّدِ[10]

جَنُوحٌ دُفاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ ... لها كَتِفاها في مُعالىً مُصَعَّدِ[11]

---

(١) تريع : ترجع . المهيب : الذي يصيح بها وهو راعيها. الأكلف فحلها. الملبد: الفحل الذي يضرب بذنبه ظهره من الهياج.

(٢) المضرحي : النسر. الحفاف: الجانب. العسيب عظم الذنب. المسرد: المخصف.

(٣) الزميل: الرديف. الحشف: خِلف الناقة الذي جف لبنه. الشن: القربة. المجدّد: الذاهب اللبن .

(٤) النحض: اللحم. المنيف: يريد القصر العالي. الممرّد: المملّس.

(٥) المحال: فقار الظهر. الحني : القسي. الخلوف: الأضلاع. الأجرنة، جمع الجران: باطن العنق الدأي: خرز الظهر.

(٦) الكناس: بيت يتخذه الوحش. الضال: ضرب من الشجر. الأطر: العطف.

(٧) السلم : الدلو لها عروة واحدة. الدالج: الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض.

(٨) الاكتناف: الكون في أكناف الشيء، وهي نواحيه. القرمد: الآجر.

(٩) الصهابية : التي يضرب لونها الى الحمرة العثنون: شعرات تحت لحي الناقة الأسفل الموجدة: المقوّاة ، والايجاد: التقوية. القرا : الظهر. المّوارة: السريعة الخطو.

(١٠)أمرّت يداها : أحكم فتلهما. والفتل نوعان: شزر، وهو الفتل الى خارج ، ويسر وهو الفتل الى الصدر. السقيف: السقف . المسنّد: الذي اسند بعضه إلى بعض.

(١١) الجنوح : التي تجنح في سيرها لنشاطها. الدفاق: المتدفقة في سيرها. العندل: الضخمة الرأس.

كأنَّ عُلوبَ النِّسْعِ في دأياتِها ... مواردُ من خَلْقاءَ في ظَهْرِ قَرْدَدِ[1]

تَـلاقَى وأحْيانـاً تَبِينُ كـأنَّهـا ... بَنائِقُ غُرٌّ في قَميصٍ مُقَدَّدِ[2]

وأتْلَعُ نَهَّاضٌ إذا صَعَّدَتْ بِـهِ ... كسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ[3]

وجُمْجُمَـةٌ مثلُ العَـلاةِ كـأنَّمـا ... وَعَى المُلْتَقى منها إلى حَرْفِ مِبْرَدِ[4]

وخَدٌّ كقِرْطاسِ الشّآمي ومِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ اليَماني قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ[5]

وعَيْنـانِ كـالمـاوِيَّتَيْنِ آسْتَكَنَّتـا ... بكهفَيْ حجاجَيْ صَخْرةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ[6]

طَحُـورانِ عُوَّارَ القَـذَى فَتَراهُمـا ... كمكحولَتَيْ مَذْعُورَةٍ أمِّ فَرْقَدِ[7]

وصادِقَتا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى ... لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أوْ لِصَوْتٍ مُنَدِّدِ[8]

مُؤَلَّلتـانِ تَعْـرِفُ العِتْقَ فيهمـا ... كسامِعَتَيْ شاةٍ بحَـوْمَلَ مُفْـرَدِ[9]

وأرْوَعُ نَبَّـاضٌ أحَـذُّ مُـلَمْـلَمٌ ... كمِرْداتِ صَخْرٍ في صَفِيحٍ مُصَمَّدِ[10]

وأعْلَمُ مَخْرُوتٌ من الأنْفِ مارِنٌ ... عَتِيقٌ متى تَرجُمْ بهِ الأرْضَ تَزْدَدِ[11]

---

(١) العلوب: الآثار من ضرب أو شد حبل. الدأيات: ضلوع الصدر. الخلقاء: الملساء ويريد صخرة ملساء. القردد: الأرض الغليظة الصلبة.

(٢) البنائق، جمع البنيقة: دخرصة القميص وهي زيقه. المقدّد: المشقّق.

(٣) البوحي: ضرب من السفن.

(٤) العلاة: سندان الحدّاد. وعى العظم: اجتمع وتماسك واجتبر.

(٥) السِبت: جلود البقر المدبوغة. التجريد: اضطراب القطع وتفاوته.

(٦) الماوية: المرآة. الحجاج (بالكسر): العظم المشرف على العين. القلت: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

(٧) طحرت العين قذاها فهي طحورة. الفرقد: ولد البقرة الوحشية.

(٨) التوجّس: التسمع: الهجس: الحركة. التنديد: رفع الصوت.

(٩) مؤلّلتان: محدّدتان كتحديد الألّة وهي الحربة. العتق: الكرم والنجابة. الشاة هنا: الثور الوحشيّ. حومل: موضع بعينه.

(١٠) النّباض: الكثير الحركة. الأحذّ: الخفيف السريع الململم: المجتمع الخلق، والشديد الصلب. المرادة: الصخرة التي تكسّر بها الصخور. الصفيحة. الحجر العريض: المصمد: المحكم الموثق.

(١١) الأعلم: المشقوق الشفة العليا. المخروت: المثقوب. المارن: مالان من الأنف.

وإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وإنْ شِئتُ أرقلَتْ   مَخافَةَ مَلْوِيٍّ مِن القدِّ مُحصَدِ[1]
وانْ شِئْتُ سامَي واسِطَ الكُورِ رَأْسُها   وعامَتْ بِضَبْعَيْها نَجاءَ الخَفَيْدَدِ[2]
عَلى مِثْلِها أمْضي إذا قالصاحِبي   ألا لَيْتَني أفْدِيكَ مِنها وأفْتَدي [3]

وقال المثقب العبدي (عائذ بن محصن بن ثعلبة)

هَــل عنـدَ غــانٍ لفُؤادٍ صَــدِ   مِن نَهلةٍ في اليَوم أوْفي غَدِ[4]
يُجْـزى بها الجـازُونَ عنّي ولوْ   يُمْنَـع شِـرْبي لَسَقَتْـني يَــدي
قــالـت ألا لا يشتــري ذاكم   الاّ بمــا شئنــا ولـم يـوجـدِ
إلاّ بِــبَـدْرَيْ ذَهَــبٍ خــالِصٍ   كــلَّ صَباحٍ آخـرِ المُسْنـدِ[5]
من مالِ مَن يَجْبُو ويُجْبَى له   سَبْعُــونَ قِنـطاراً من العِسَجَـدِ
أو مــائــة تــجعــلُ أوْلادَهــا   لَغْواً وعُرْضُ المـائة الجَلْمدُ[6]
إذْ لَمَ أجِــدْ حَبْلاً لــه مِـرَّةٌ   إذْ أنـا بينَ الخَـلِّ والأوْبَــدِ[7]
حــتّــى تُــلوفِـيــتُ بــلُكّيّــةٍ   مَعْجمَـةِ الحــارِكِ والمَحْفِـدِ[8]
تُعــطِيــكَ مَشْيّــاً حَسَنــاً مـرّة   حثَّــك بــالمِــرْوَدِ والمُحْصَـدِ[9]

---

(١) الملويّ: يريد السوط. القد (بالكسر): السير يقدّ من جلد المحصد: المحكم.
(٢) الضَبع: العضد. النجاء: الاسراع، الخفيدد. الظليم وهو ذكر النعام.
(٣) ديوان طرفة ٢٢، وشرح القصائد السبع الطول للانباري /١٤٩.
(٤) يريد بـ (غان): غانية، فحذف.
(٥) بدري ذهب: يريد بدرتي ذهب، والبدرة كيس فيه بين ألف وعشرة آلاف المسند: الدهر.
(٦) يريد إلاّ ببدرتي ذهب، أو مائة من الإبل لا تحسب أولادها معها. عرض المائة (بضم العين): قوتها وصلابتها. في البيت اقواء.
(٧) الحبل (هنا): العهد. المدة: القوة. الخل (بالفتح) والأوبد: موضعان مخيفان.
(٨) تلوفيت: تدوركت. اللكيّة: الناقة المكتنزة اللحم. المعجم: الصلب. الحارك: موصل الظهر بالعنق. المحفد: أصل السنام.
(٩) المرود: حديدة تدور في اللجام. المحصد (بضم الميم): الحبل أحكم فتله، يريد السوط.

يُنْبي تجالِيدي وأقْتادَها ... ناوٍ كرأسِ الفَدَنِ المُؤيِدِ[1]
عَرْفاءَ وَجْناءَ جُماليَّةٍ ... مُكرَبةٍ أرساغُها جَلْعَدِ[2]
تَنْمي بِنُهّاضٍ إلى حارِكٍ ... ثُمَّ كرُكْنِ الحَجَرِ الأصْلَدِ[3]
كأنَّما أوْبُ يَدَيْها إلى ... حَيْزُومِها فوقَ حَصا الفَدْفَدِ[4]
نَوْحُ ابْنَةِ الجَوْنِ على هالِكٍ ... تَنْدُبُه رافعةَ المِجْلَدِ[5]
كَلَّفْتُها تَهْجيرَ داوِيَّةٍ ... مِن بَعدِ شَأوٍ لَيْلُها الأبْعَدِ[6]
في لاحِبٍ تَعزِفُ جِنّانُه ... مُنْفَهِقِ القَفْرَةِ كالبُرْجُدِ
تَكادُ إنْ حُرِّكَ مِجْدافُها ... تَنْسَلُّ من مَثْناتِها باليَدِ[7]
لا يَرفعُ الصَّوتَ لها راكِبٌ ... إذا المَهارَى خَوَّدَتْ في البَدي[8]
تَسمَعُ تَعْزافاً لهُ رَنَّةٌ ... في باطِنِ الوادي وفي القَرْدَدِ[9]
كأنَّها أسْفَعُ ذو جُدَّةٍ ... يَمسدُهُ البَقْلُ وليلٌ سَدي[10]
مُلمَّعُ الخَدَّينِ أرْدِفَتْ ... أكْرُعُهُ بالزَّمَعِ الأسْوَدِ[11]

(١) تجاليد الانسان: مجموع جسمه، لا واحد لها. ناو: سمين، ويريد: سنام ناو. الفدن: القصر المشيد. المؤيد (بكسر الياء) : العظيم، وروي (بفتح الياء) : المشدّد .

(٢) عرفاء: طويلة العرف، وهو شعر العنق. جمالية: تشبه الجمل في خلقها. مكربة: موثقة، مشدودة، جلعد: صلبة قوية .

(٣) بنهاض: يريد العنق، وقد شبهه بركن الحجر الأملس. الحارك: أعلى الكاهل، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٤) أوْب يديها: سرعة تقلّبهما، حيزومها: صدرها .

(٥) ابنة الجون: نائحة من كندة. المجلد (كمنبر): جلدة تمسكها النائحة بيدها.

(٦) التهجير: السير في الهاجدة: الداويّة: المغازة.

(٧) المجداف: مجداف السفينة، يريد به السوط على التشبيه. يريد بالمثناة: الزمام.

(٨) التخويد: اهتزاز البعير في السير. البديّ: ابتداء السير، وخفف الياء لاستقامة الوزن.

(٩) التعزاف (هنا) صوت الحجارة التي تقذفها بيديها. القردد: ما غلظ من الأرض وارتفع,

(١٠) الأسفع: الثور الوحشي في وجهه نقط سود تضرب إلى الحمرة. الجدّة (بالضم) : خطّة في ظهر الثور تخالف لونه. يمسده البقل: يجزئه عن الماء. ليل سِد: نَدٍ. شبّه ناقته بالثور الوحشي قوة وسرعة سير وأعطاها من صفاته الأخرى التي سيذكرها في الأبيات الآتية .

(١١) الملّمع: المنقّط بلون يخالف لونه . الزَّمَع: الشعر المدلّى خلف الضلف.

كـأنَّمـا يَنـظُرُ فـي بـرْقـعٍ مِن تَحتِ رَوْقٍ سَلِبٍ مِذْوَدِ[1]
يُصيـخُ لـلنَّـبْـأةِ أسْـمـاعَـهُ إصـاخَـةَ الـنـاشِـدِ لِلمُـنْشِـدِ
ضَمَّ صِماخَيْهِ لِنُكْـرِيَّةٍ [من] خَشْيَةِ القانِصِ والمُؤسَدِ
وانْـتَصَبَ القـلـبُ لِـتَـقْـسِـيمِـهِ أمْـراً فَـرِيقَيـنِ ولَـم يَـلْـبِـدِ
يَـتْـبَـعُـه فـي إثْـرِهِ واصِـلٌ مثلُ رِشاءِ الخُلُبِ الأجْـرَدِ[2]
تَنحسِـرُ الغَـمْـرَةُ عَنـهُ كـمـا يَنْحَسِـرُ النَّجْمُ عَـن الفَـرْقَـدِ
سـاطٍ إلى العَلْيا إلى المُنْتَهى مُسْتَعِرضُ المَغْرِبَ لم يَعضُدِ[3]
فـي بَـلْدَةٍ تَـعـزِفُ جِـنَّـانُـهـا فِيهـا خَناطِيـلٌ مِن الرُّوَّدِ[4]
فَـذاكُـم شَـبَّـهْـتُـهُ نـاقَـتِـي مُـرْتَجِـلاً فِيهـا ولَمْ أغْتَـدِ[5]

وقال عمر بن أبي ربيعة

وقمتُ إلى عَنْسٍ تخوَّنَ نيَّهـا سُرَى اللَّيلِ حتى لَحْمَها مُتَحسِّرُ[6]
وحَبْسِي عَلى الحاجاتِ وحتَّى كأنَّها بَقيَّـةُ لَوحٍ أوْ شِجـارُ مُؤسَّرِ[7]
ومـاءٍ . بمَـوْمـاةٍ قليـلٌ أنيسُـهُ بَسابِسَ لم يَحدُثْ بِهِ الصَّيْفَ مَحْضَرُ[8]
بـهِ مُبْتَنىً لِلعَنْكَبُـوتِ كـأنَّـه عَلى طَرَفِ الأرْجاءِ خامٌ مُنَشَّرُ[9]
وَرَدْتُ وما أدْري أما بَعْدَ مَوْرِدِي مِن اللَّيْلِ أمْ ما قَد مَضَى منه أكْثَرُ

---

(١) الروق : القرن. السَّلِب: الطويل، أو سريع الطعن. مِذود: آلة الذود يدفع به.
(٢) الخُلُب: حبل من ليف أو من قطن. الأجرد: الخَلَق.
(٣) ساطٍ: راكب رأسه في السير. وأصل ذلك في الفرس. العليا والمنتهى: لعلهما موضعان.
المستعرض: الذي يأتي الشيء من جانبه. عضد الركائب: أتاها مرّة عن يمينها ومرة عن يسارها.
(٤) الخناطيل، جمع خنطولة (بالضم): القطعة من سائر الدواب. الرود: التي تروح وتجيء الواحدة: رائدة.
(٥) القصيدة من كتاب رغبة الأمل للمرصفي ٢/٥٥.
(٦) العنس: الناقة القوية تخوّن نيّها: تنقّص شحمها. المتحسّر: المتكشّف.
(٧) اللوح: الصفيحة العريضة من الخشب. الشجار: مركب دون الهودج . مؤسّر: مشدود.
(٨) الموماة: الصحراء : البسابس: القفار، واحدها بسبس .
(٩) الخام: الجلد الذي لم يدبغ.

فقُمْتُ إلى مِغْلاةٍ أرْضٍ كأنَّها إذا التفَتَتْ مَجْنُونَةٌ حينَ تنظُرُ[1]
تُنازِعُني جِرْصاً عَلى الماءِ رأسَها ومِن دُونِ ما تَهْوَى قَليبٌ مُعَوَّرُ[2]
مُحاوِلَةً للماءِ لوْلا زمامُها وجَذْبي لَها كادَتْ مِراراً تَكَسَّرُ
فلمَّا رَأيْتُ الضرَّ منها وأنَّني بِبَلْدَةِ أرْضٍ ليسَ فيها مُعَصَّرُ[3]
قَصَرْتُ لها مِن جانِبِ الحَوْضِ مُنْشَأً جَدِيداً كَقابِ الشِّبْرِ أوْ هُو أصْغَرُ[4]
إذا شَرَعَتْ فيهِ فليسَ لمُلْتَقي مَشافِرِها منه قِدَى الكفِّ مُسْأرُ[5]
ولا دَلْوَ إلَّا القَعْبُ كانَ رِشاءَه إلى الماءِ نِسْعٌ والأدِيمُ المَضَفَّرُ[6]
فسافَتْ وما عافَتْ وما رَدَّ شُرْبَها عَنِ الرَيِّ مَطْرُوقٌ من الماءِ أكْدَرُ[7]

وقال الراعي النميري :

ولا تُعجِلُ المَرءَ قبلَ البُرُو كِ وهيَ بِرُكْبَتِهِ أبْصَرُ
وهيَ إذا قامَ في غَرْزِها كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أوْ أوْقَرُ
ومُصْغِيَةٌ خَدُّها بالزِّما مِ فالرأسُ فيها لهُ أصْعَرُ
حتَّى إذا ما آسْتَوىَ طبَّقَتْ كما طبَّقَ المِسْحَلُ الأغْبَرُ[8]

---

(١) المغلاة، من غلت الدابة في سيرها: أسرعت.
(٢) القليب المعوّر: البئر التي في حافاتها خلل، أو في مائها كدورة.
(٣) المعصّر: الملجأ، والمنجاة.
(٤) المنشأ: العلامة. كقاب الشبر: كمقدار الشبر.
(٥) شرعت الدابة في الماء: دخلت فيه. قدى الكفّ: قدره. المسأر من السؤر: البقيّة.
(٦) القعب (بالفتح): القدح الضخم، وقيل: الذي يروي الرجل. النسع: حبل من جلد. الأديم: الجلد، وفي رواية (والجديل المضفّر).
(٧) سافت الماء: شمّته. الماء المطروق: الكدر، والذي تبول فيه الإبل وتبعر. الأبيات من الديوان ١٠١.
(٨) طبقت الناقة الطريق: قطعته غير مائلة عن القصد. وطبق الفرس: قرّب في العدو. المسحل الأغبر؛ حمار الوحش. القطعة من الديوان /٧٢ و ٧٣.

وقال [ابن] شرشير (الناشيء الأكبر عبد الله بن محمد الأنباري):

عَلى جَسْرَةٍ لايُدْرِكُ الطَّرفُ شأوها إذا جَدَّ مِن نَصِّ الوَجِيفِ دُمُورُ[1]
مُوَثَّقَةٍ لم يَنحَصِ البِيدُ لَحْمَها قَوائِمُها فَوقَ الصُّخورِ صُخُورُ
تُفَتِّقُ عَن ذاتِ الوِخادِ جُرُومُها ولا يَبْلغُ الرُكبانُ حَيثُ تُغِيرُ
مُضَبَّرَةٍ جَلْسٍ فأمَّا عِظامُها فَرَصْفٌ وأمَّا لِيُطها فَخرِيرُ[2]
كأنّي إذا عاليتُ جَوزَةَ مَتْنِها عَلى عُلَوِيّاتِ الرِّياحِ أسِيرُ[3]

وقال أبو نواس:

ولَقَدْ تَجُوبُ بِنا الفَلاةَ إذا صامَ النَّهارُ وقالَتِ العُفْرُ[4]
شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فأتَتْ مِلْءَ الجِبالِ كأنَّها قَصْرُ
تَثْنِي عَلى الحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ تَعْمالُهُ الشُّذْرانُ والخَطْرُ[5]
أمّا إذا رَفَعَتْهُ شامِذَةً فَتَقولُ رَنَّقَ فَوقَها نَسْرُ[6]
أمّا إذا وضَعَتْهُ عارِضَةً فَتَقولُ أُرْخِيَ فَوقَها سِتْرُ
وتَسِفُّ أحْياناً فَتَحْسَبُها مُتَرَسِّماً يَقْتادُهُ أثْرُ
فإذا قَصَرْتَ لها الزِّمامَ سَما فَوقَ المَقادِمِ مِلْطَمٌ حُرُّ[7]
فكأنَّها مُصْغٍ لِتُسْمِعَه بَعضَ الحَدِيثِ بِأذْنِهِ وَقْرُ

---

(١) الجسرة : المقدامة على سلوك الأوعار. الذمور: الحث على الأمر .
(٢) المضبَّرة: المكتنزة اللحم. الجلس: الناقة الجسيمة. الليط ـ هنا : الجلد.
(٣) الأبيات من الأنوار ومحاسن الأشعار ١ / ٣٧٥، وفيه لقب الشاعر (شرشير) والتصويب من وفيات الأعيان ومصادر أخرى.
(٤) قالت: من القيلولة: النوم في القائلة أي نصف النهار. العفر: الظباء.
(٥) الحاذان تثنية الحاذ: ظاهر الفخذ. ذو الخصل: الذنب. يريد بالشذران. والخَطْر: ضرب الناقة بذنبها يميناً وشمالاً.
(٦) الشامذة التي تشيل ذنبها نشاطاً. رنَّق الطائر: خفق بجناحيه ولم يطر.
(٧) المقادم: مقادم الرجل الملطم: الخد.

تَنْفي الشذَّا عَنْها بِذي خُصَلٍ ... وَحْفِ السَّبيبِ يَزِينُه الضَفْر[1]
تَتْرَى لإنْفاضٍ أَخَرَّبَها ... جَذْبُ البُرى فَخُدودُها صِفْر[2]
يَرْمي إليكَ بِها بَنو أَمَلٍ ... عَتَبوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهرُ
أَنْتَ الخصيبُ وهذِه مِصْرُ ... فَتَدَفَّقا فكِلا كُما بَحْر[3]

وقال العباس بن مرداس، وقيل لكثيّر عزة، وقيل لغيرهما، وهي للأول أشهر:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَريهِ ... وفي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ[4]
ويُعْجِبُكَ الطَّريرُ فَتَبْتَليهِ ... فَيُخلفُ ظَنَّكَ الرَّجلُ الطَّريرُ
فَما عَظُمُ الرِّجالِ لهم بِفَخْرٍ ... ولكن فَخْرُهُم كَرَمٌ وخِيرُ
ضِعافُ الطَّيرِ أَطْوَلُها جُسُوماً ... ولم تَطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورُ
بُغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخاً ... وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاةٌ نَزُورُ
لقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بغيرِ لُبٍّ ... فلم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعِيرُ
يُصَرِّفُه الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهٍ ... ويَحْبِسُهُ عَلَى الخَسْفِ الجَرير[5]
وتَضْرِبُهُ الوَلِيدَةُ بالهَراوَى ... فَلا غِيَرٌ لَدَيْهِ ولا نَكِيرُ
فإنْ أَكُ في شِرارِكُم قَليلاً ... فإنِّي في خِيارِكُم كَثِير[6]

---

(١) الشذا : الذباب. وحف السبيب: غزير الشعر ويريد ذنب الناقة.

(٢) تترى: تتراخى. الأنفاض: الهزل. البرى، جمع البرة حلقة توضع في وترة أنف البعير يشد بها الزمام. صفر: خالية، ويريد خالية من اللحم لهزالها.

(٣) الديوان ١/٤٧٨ و ٤٧٩.

(٤) مع ان في مقدمة القطعة ابيات لا تخص موضوعنا فقد آثرت أثباتها كلها لطرافتها.

(٥) الجرير: حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة.

(٦) عن ديوان الحماسة لأبي تمام. القطعة (٤١٩) ص/ ١١٥٣، ووردت في أمالي القالي ١/٤٧ وزهر الآداب ١/٣٥٥ مع اختلاف في النسبة والرواية.

وقال الشريف البياضي[1]:

نُوقٌ تَراها كالسَّفِيـ ـنِ إذا رأيْتَ الآلَ بَحْرا
كَتَبَ الوَجا بِدِمائِها في مُهْرَقِ البَيْداءِ سَطْرا[2]
لا تَشْتَكِينُ من اللُّغُو بِ إذاً ولا يَعْرِفْنَ زَجْرا
وكأنَّ أرْجُلَهنَّ تطـ ـلبُ عند أيْدِيهنَّ وِترا[2]

وقال البحتري:

وإذا ما تَنكَّرَتْ لي بِلادٌ وخَلِيلٌ فإنَّني بالخِيارِ
وَخَدانُ القِلاصِ حُولاً إذا قا بَلْنَ حُولاً من أنجُمِ الأسْحارِ
يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرابِ وقد خُضْـ ـنَ غِماراً من السَّرابِ الجاري
كالقِسيِّ المُعَطَّفاتِ بل الأسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأوتارِ[3]

وقال ابن عبد ربّه (أحمد بن محمد) (٤).

نَعَبَ الغُرابُ فقلتُ أكذَبُ طائرٍ إنْ لم يُصدِّقْه رُغاءُ بَعِيرِ
رِدُّ الجِمالِ هو المحقِّقُ للنَّوى بلْ شرُّ أحْلاسٍ لهنَّ وكورِ[5]

وقال السيد محمد سعيد الحبوبي[6]:

يا راكباً ذاتَ لُوثٍ في مَناسِمِها رُقىً تَقِيها سُهامَ الأيْنِ والضَّجَرِ[7]

---

(١) نهاية الأرب ١١٧/١٠.
(٢) المهرق، والمهراق (بالضم): صحيفة بيضاء يكتب فيها (فارسي معرّب).
(٣) ديوان البحتري ٩٨٧/٢.
(٤) العقد الفريد ٣٤٨/٥.
(٥) الردّ (بكسر الراء): الظهر والحمولة للإبل.
(٦) ديوانه /٢٩١.
(٧) اللُّوث (بضم اللام): القوة، والاسترخاء (من الأضداد) والأول هو المقصود.

حَرْفٌ أبُوهـا ظَلِيمٌ في مَناسِبِهِ   وأمُّها الحَرْفُ لِلمَهْرِيَّة الصُّعُرِ[1]
فَخَلْقُها بَرْزَخٌ ما بَيْنَ ذَاكَ وذي   مثلُ الظَّلِيمِ ولكنْ ذاك لم يَطِرِ
واعْجَبْ لها ذاتَ أخْفافٍ وأجْنِحَةٍ   حَصَّاءَ من ريشها تَرْتاشُ بالوَبَرِ

وقال محمود سامي البارودي :

ورَوْعـاءِ المسـامِـعِ مـا تَمـطَّتْ   بِحَمْـلٍ بَيْنَ سائِمَـةٍ مَخَاضِ[2]
خَرَجْتُ بِها عَلى البَيْـداءِ وَهْنًا   خُرُوجَ اللَّيْثُ من سَدَفِ الغِياضِ
تُـقَـلِّبُ أيْـدِيـاً مُـتَـسـابِقـاتٍ   إلى الغاياتِ كـالنَّبْلِ المَـواضِي
مَـدَدْتُ زِمـامَهـا والصُّبْـحُ بـادٍ   فمـا كَفْكَفْتُها واللَّيْـلُ غاضِي[3]
فَما بَلَغَتْ مَغِيب الشَّمْسِ حتَّى   أضَـافَتْ آتِيـاً منـهُ بمـاضِـي
أحـالَ السَّيـرُ جِـرَّتَهـا رَمـاداً   فَراحَتْ وهيَ خاوِيَةُ الوِفاضِ[4]
ومـا كـانَتْ لِتَسْأمَ غَيْـرَ أنِّي   رَمَيْتُ بِهـا اعْتِزامِي واعْتِـراضِي
هَتَكْتُ بِهـا سُتُورَ اللَّيْـلِ حتَّى   خَرَجْتُ مِن السَّوادِ إلى البَياضِ[5]

وقال ابن حمديس (عبد الجبار بن أبي بكر الصقلي):

ومِـنْ سُفُـنِ القَـفْـرِ سَبَّـاحَـةٌ   مِن آلالِ بَحْراً إذا ما آعْتَرَضْ
لـهَـا شِـرَّةٌ لا تُبَـالـي بِـهـا   أطـالَ لَهـا سَبْسَبٌ أمْ عَـرُضْ
إذا خَـفَقَ البَـرْدُ بي خِـلْتَـني   عَلى كُـورِهـا طـائِـراً يَنْتَفِضْ
وإنْ يُعْرِضِ البَعْـض عن سيرها   تَرَ العِيسَ مِن خَلْفِها تَنْقَرِضْ

---

(١) الحرف: الناقة الضامرة الصلبة . الصعر (بالتحريك) ميل في الخدّ والعنق. والنعام صعر خلقة، والابل تصاعر في البُرى.
(٢) الروعاء: الناقة الحديدة الفؤاد. المخاض: الحوامل من الأبل.
(٣) غاضي: من غضا الليل يغضو غضواً: أظلم، أو ألبس ظلامه كلّ شيء.
(٤) الجرّة (بالكسر): ما يجترّه البعير. الرماد ـ هنا ـ كناية عن ذهاب الشيء وفنائه.
(٥) ديوان البارودي ٢/١٦٠.

فلَوْ عُـوِّضَ المَرْءُ مِنها الصِّبا   لَمـا رَضِيَتْ نَفْسُه بِـالعِـوَضْ
هِيَ القَـوْسُ إنِّي لَسَهْمٌ لَهـا   أُصِيـبُ بِكـلِّ فَـلاةٍ غَـرَضْ
إذا آنْبَسَـطَتْ لِلسُّرَى أيْـأسَتْ   سَنـا البَـرْق منِّيَ أوْ تَنْقَبِضْ[1]

وقال علي بن الجهم :

بِخَيْفـانَةٍ كـالقَصْـرِ وَجْنـاءَ حُـرَّةٍ   نَمَتْها مِن النُّوقِ الهجانِ الخَوانِفُ[2]
مُـذَكَّـرَةٍ خَـرْقـاءَ مُضْبَـرَةِ القَـرا   يَفوتُ يَدَ العادِيِّ مِنْها المَشارِفُ
كأنِّي ورَحْلي فَوْق أحْقَبَ لاحَهُ   طِـرادُ جِيادٍ وَقْعُهـا مُتَـراصِفُ[3]

وقال كعب بن زهير:

أمْسَتْ سُعاد بأرْضٍ لا يُبَلِّغُها   إلَّا العِتـاقُ النَّجِيباتُ المَـراسِيلُ
ولَـنْ يُبَـلِّغَهـا إلَّا عُـذافِـرَةٌ   فِيها عَلى الأيْنِ إرْقالٌ وتَبْغِيلُ[4]
مِن كلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفري إذا عَرِقَتْ   عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهولُ[5]
تَرْمي الغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ   إذا تَـوَقَّدَتِ الحُـزَّانُ والمِيـلُ[6]
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهـا فَعْمٌ مُقَيَّـدُهـا   في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ
يَمْشِي القَـرادُ عَلَيْها ثمَّ يُـزْلِقُه   مِنهـا لَبـانٌ وأقْـرابٌ زَهـالِيـلُ[7]
عَيْرانَةٌ قُذِفَتْ في اللَّحمِ عَن عُرُضٍ   مِرْفَقُها عَنْ بَناتِ الزَّوْرِ مَفْتُول[8]
كأنَّ ما فـاتَ عَيْنَيْها ومَـذْبَحَها   مِن خَطْمِها ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

---

(١) ديوان ابن حمديس الصقلي ٢٩٢/ و٢٩٣.
(٢) الخوانف، جمع الخانف: الناقة التي تلوي أنفها من الزمام نشاطاً.
(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧٢/١، وقد خلا ديوان الشاعر منها.
(٤) عذافرة : شديدة غليظة. التبغيل: مشي فيه اختلاط بين الهملجة والعنق.
(٥) الذفري: الرائحة الظاهرة طيّبة كانت أو غيرها. العرضة: الهمّة.
(٦) اللّهق : الشديد البياض ويريد الثور الوحشي. الميل جمع ميلاء: العقدة من الرمل.
(٧) اللبان: الصدر الأقراب: الخواصر، الزهاليل: الملس.
(٨) عيرانة: صلبة كحمار الوحش. الزور: عظام الصدر.

تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ في غارزٍ لَم تُخَوِّنْهُ الأحاليلُ[1]
قَنْواءُ في حُدَّتَيْها لِلبَصِيرِ بها عِتْقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّيْنِ تَسْهيلُ[2]
تَخْدِي عَلى يَسَراتٍ وهيَ لاحِقَةٌ ذَوابِلٌ وَقْعُهنَّ الأرْضَ تَحْليلُ[3]
سُمْرُ العُجاياتِ يَتْرُكنَ الحَصَىٰ زيماً لم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ[4]
يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الحِرْباءُ مُصْطَخِماً كأنَّ ضاحِيَهُ بِالنَّارِ مَمْلُولُ[5]
كأنَّ أوْبَ ذِراعَيْها وقَد عَرِقَتْ وقَدْ تَلَفَّعَ بالقُورِ العَساقِيلُ[6]

وقال القطامي (عُمير بن شُيَيْم):

إنا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ وإن بَلِيتَ وإنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[7]

ثم يقول بعد خمسة أبيات:

والعَيْشُ لا عَيْشَ إلّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ولا حالَةٌ إلَّا سَتَنْتَقِلُ
والناسُ مَن يَلْقَ خَيْراً قائِلُونَ لَهُ ما يَشْتَهي ولأُمِّ المُخْطِيءِ الهَبَلُ
قد يُدْرِكُ المُتَأنِّي بَعْضَ حاجَتِهِ وقَدْ يَكونُ مَع المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ
أمْسَتْ عُلَيَّةُ يَرْتاحُ الفُؤادُ لها ولِلرَّواسِم فيما دُونَها عَمَلُ
بِكلِّ مُخْتَرَقٍ يَجْري السَّرابُ بِهِ يُمْسِي وراكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجِلُ
يُنضِبى الهِجانُ التي كانَتْ تكونُ بِها عُرْضِيَّةٌ وهِبابٌ حينَ يَرْتَحِلُ[8]

---

(١) يريد بالغارز: ضرعها. لم تخوّنه: لم تنقصه، الأحاليل: مجاري اللبن.
(٢) قنواء: في أنفها حدب. حدّتاها: أذناها. العتق: الكرم.
(٣) تحذي: تسير مسرعة. اليسرات: القوائم الخفاف. لاحقة: ضامرة.
(٤) العجايات: عصب باطن اليدين، واحدها عجاية. زيم: متفرقة.
(٥) الحرباء: حيوان يستقبل الشمس ويدور معها. المصطخم: القائم. المملول، من الملّة، وهي بقية النار في الرماد.
(٦) ديوان كعب بن زهير / ٩ ـ ١٥، القور: الجبال. العساقيل جمع عسقل: السراب. كذا ورد البيت في الديوان، وينبغي تقديمه على الذي قبله.
(٧) الطِيل: والطول: الرسن الطويل، وطال طيلك وطولك، أي مكثك وعمرك.
(٨) الهجان: الكريم من الإبل. ناقة عرضية: فيها صعوبة. الهباب: النشاط.

حتّى تَرَى الحُرَّةَ الوَجْناءَ لاغِبَةً والأرْحَبِي الذي في خَطْوِهِ خَطَلُ[1]
خُوصاً تُدِيرُ عُيُوناً ماؤها سَرِبٌ على الخُدُودِ إذا ما اَغْرَوْرَقَ المُقَلُ[2]
لواغِبَ الطَّرْفِ مَنْقُوباً محاجرها كأنّها قُلُبٌ عادِيَّةٌ مُكُلُ[3]
يَرْمي الفِجاجَ بِها الركبانُ مُعْتَرِضاً أعْناقَ بُزَّلِها مُرْخىً لها الجُدُلُ[4]
يَمْشِينَ رَهْواً فلا الأعْجازُ خاذِلَةٌ
ولا الصُّدُورُ على الأعْجازِ تَتَّكِلُ
فَهُنَّ مُعْتَرِضاتٌ والحَصَى رَمِضٌ والرِّيحُ ساكِنَةٌ والظِّلُّ مُعْتَدِلُ
يَتْبَعْنَ سامِيَةَ العَيْنَيْنِ تَحْسَبُها مَجْنُونَةً أوْ تَرَى ما لا تَرَى الإبِلُ[5]

وقال علي بن الجهم :

وأخُو فَلاةٍ سَهْوَقٍ وَسَقَتْ لَهُ خُنُفٌ نَواحِلُ كالقِسِيِّ ذَوابِلُ[6]
أو كالإرانِ تَضاءَلَتْ أنْقاضُهُ وكذاكَ ظاهِرُ آلِها مُتَضائِلُ
أو كالقِداحِ أجالها ذُومَيْعَةٍ جَذْلانُ مِن نُجباءِ قارَةَ نابِلُ[7]
أفْنَى ثَمائِلَها الوَجِيفُ وسائِقٌ غَرِدٌ يُماطِلُها النَدي وتُماطِلُ

---

(١) اللاغبة: الكليلة المعيية. الأرحبي: منسوب الى أرحب، حيّ من همدان.

(٢) الخوص (محركة): ضيق العين وغؤورها ، وقيل: أن تكون احدى العينين أصغر من الأخرى.

(٣) منقوب محاجرها: غائرة العينين. القلب (بضمتين): الآبار، واحدها قليب. المكول: البئر يقل ماؤها فيستجم حتى يجتمع في أسفلها جمعها مكُل.

(٤) ديوان القطامي /٢٣: وجمهرة اشعار العرب /٢٨٨.

(٥) أخو الفلاة: البعير. السهوق: الطويل الساقين. وسقت له: عرضت له. الخنف (بضمتين) جمع الخنوف: الناقة التي تميل رأسها إلى راكبها في عدوها.

(٦) الإران (بالكسر) : تابوت خشب.

(٧) الميعة: أول الشباب . قارة: قبيلة اشتهر أفرادها بالرمي، وبهم ضرب المثل (وقد أنصف القارة من راماها).

يَقِصُ الإكامَ بِها مَشِيقٌ عَيْطَلٌ ... مُتَخَدِّدُ الخَدَّيْنِ أَقْلَحُ باسِلُ[١]

يَتْلُو شَوارِدَها عَلى عِلاّتِهِ ... مَرِحاً كما يَتْلُو السِّنانَ العامِلُ

فإذا اسْتَرابَ بِرَبْوَةٍ أَوْ رَهْوَةٍ ... فَلَهُنَّ عَنْهُ تَجانُفٌ وتَزايُلُ[٢]

ولَهُ عَلى أَثْباجِهِنَّ مَياسِمٌ ... شُخُبٌ كأفْواهِ الضِّبابِ سَوائِلُ[٣]

وقال ابن المعتز:

ولَرُبَّ مُهْلِكَةٍ يَحارُبها القَطَا ... مَسْجُورَةٍ بالشَّمْسِ خَرْقٍ مَجْهَلِ

خَلَّفْتُها بِشِمَلَّةٍ تَطَأُ الوَجا ... مُرْتاعَةِ الحَرَكاتِ جَلْسٍ عَيْطَلِ[٤]

تَرْنُو بِناظِرَةٍ كأَنَّ حِجاجَها ... وَقْبٌ أَنافَ بِشاهِقٍ لم يُحْلَلِ[٥]

وكأَنَّ مَسْقِطَها إذا ما عَرَّسَتْ ... آثارُ مَسْقِطِ ساجِدٍ مُتَبَتِّلِ

وكأَنَّ آثارَ النُسُوعِ بِدَفِّها ... مَسْرَى الأساوِدِ في هَيامٍ أَهْيَلِ[٦]

ويَشُدُّ حاذِيها بِحَبْلٍ كامِلٍ ... كعَسِيبِ نَخْلٍ خُوصُهُ لَمْ يَنْجَلِ

وكأَنَّها عَدْواً قَطاةٌ صَبَّحَتْ ... زُرْقَ المِياهِ وهَمُّها في المَنْزِلِ

مَلأَتْ دَلاةً تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِها ... قُدّامَ كَلْكَلِها كَصُغْرَى الحَنْظَلِ[٧]

---

(١) يقصُّ الأكام: يمشي عليها مسرعاً بين العنق والجنب، وقيل: القص: شدة الوطء في المشي كأنّه يقصُّ ما تحته، أي يكسره. المشيق: السريع في المشي، وكل سرعة: مشق، ومنه المشق في الكتابة. عيطل: طويل؛ أقلح: مُجرَّب.

(٢) الرهو (هنا): المكان المنخفض يجتمع فيه الماء.

(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ١ / ٣٧١، ولاوجود لهذه القطعة في ديوان الشاعر. الضِّباب، من ضَب لثاة الرجل: إذا اشتهى الحموضة فتحلَّب فوه. فهو ضبٌ وهم ضِباب.

(٤): الشملَّة: الشريعة. الوجا: الحفا. الجَلس: الناقة الوثيقة الجسيمة. عيطل: طويلة العنق في حسن.

(٥) الحجاج: عظم ينبت عليه الحاجب. الوقب، كالقلت: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

(٦) النسوع جمع النسع: سير عريض تشد به الرحال. الدف: الجنب. الأساود جمع الأسود: الحيّة العظيمة. الهيام (بالفتح): ما لا يتماسك من الرمل فهو ينهار أبداً.

(٧) الدلاة (بالفتح): الدلو الصغير. الكلكل: الصدر.

وغَدَتْ كَجَلْمُودِ القِذَافِ يقِلُّها ... وافٍ كمِثْلِ الطَّيْلِسانِ المُخْمَلِ [1]
حَمَّلْتُها ثِقْلَ الهُمُومِ فَقَطَّعَتْ ... أسْبابَهنَّ بِنا تَخُبُّ وتَعْتَلِي
عن عَزْمِ قَلْبٍ لَمْ أصِلْهُ بِغَيْرِهِ ... عَضْبِ المَضارِبِ صائِبٍ للمَفْصِلِ
حَتَّى إذا اعْتَدَلَتْ عَلَيْهِم لَيْلَةٌ ... سَقَطُوا إلى أيْدِي قَلائِصَ نُحَّلِ [2]

وقال علقمة الفحل:

مِن ذِكْرِ سَلْمَى وما ذِكْرِي الأوانَ بها ... إلَّا السَّفاهُ وظَنُّ الغَيْبِ تَرْجِيمُ
صِفْرُ الوشاحَيْنِ مِلءُ الدِّرعِ خَرْعَبَةٌ ... كأنَّها رَشَأٌ في البَيْتِ مَلْزُومُ
هَلْ تُلْحِقَنِّي بأخْرَى الحَيِّ اذْ شَحِطُوا ... جُلْذِيَّةٌ كأتانِ الضَّحْلِ عُلكُومُ [3]
كأنَّ غِسْلَةَ خِطْمِيٍّ بِمِشْفَرِها ... في الخَدِّ مِنها وفي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمُ [4]
بِمِثْلِها تُقطَعُ المَوْماةُ عَنْ عُرُضٍ ... إذا تَبَغَّمَ في ظَلْمائِهِ البُومُ
تُلاحِظُ السَّوْطَ شَذْراً وهي ضامِزَةٌ ... كما تَوَجَّسَ طاوِي الكَشْحِ مَوْشُومُ [5]
كأنَّها خاضِبٌ زُعْرٌ قَوادِمُهُ ... أجْنَى لَهُ باللَّوَى شَرْيٌ وتَنُّومُ [6]

وقال أبو تمام الطائي:

لَعلَّكَ ذاكِرَ الطَّلَلِ القَدِيمِ ... ومُوفٍ بالعُهُودِ عَلى الرُّسُومِ

---

(١) القذاف (بالضم) جمع قذفة: ما أشرف من رؤوس الجبال.

(٢) ديوان ابن المعتز ١٦٢/١ - ١٦٤.

(٣) الجلذيَّة: الناقة القوية. أتان الضحل: بعضها ظاهر وبعضها غامر. شبَّه الناقة بها لأنها اذا بقيت في الماء املاست وصلبت. العلكوم: الناقة الغليظة.

(٤) الغسلة: ما غسل به الرأس. الخطمي: نبات يغسل به. التلغيم: من اللغام، وهو زبد أفواه الإبل.

(٥) الضامزة: التي لا ترغو من ضجر. الموشوم: الذي في قوائمه نقط سود، ويريد به الثور الوحشي.

(٦) الخاضب: الظليم - وهو ذكر النعام - قد احمرّ جلده وساقاه. زعر الريش: قلَّ وتفرَّق. القوادم: ريشات في مقدم الجناح. أجنى النبات: آن أوان جنيه: الشري: شجر الحنظل والظليم يأكله. التُّنوم: شجر ورقه يشبه ورق الآس. الأبيات من قصيدة في المفضليات /٣٩٨ و ٣٩٩.

وواصِفَ نـاقَـةٍ تـذَرُ المَهـارَى ... مُـوكَّـلةً بِـوَخْـدٍ أوْ رَسِيـمِ
وقـد أمَّمْتُ بَيْتَ الـلَّهِ نُضْـواً ... عَلى عَيْرانَـةٍ حَـرْفٍ سَعُـوم (١)
أتَيْتُ القـادِسِيَّـةَ وَهْيَ تَـرْنُـو ... إلـيَّ بِعَيْـنِ شَـيْـطانٍ رَجِيـمِ
فَمـا بَلَغَتْ بنـا عُسْفـانَ حَتَّى ... رَنَتْ بِلحـاظِ لُقْمـانِ الحَكِيمِ
وبَـدَّلَها السُّـرَى بِالجَهْـلِ حِلْماً ... وقَـدَّ أديـمَـهـا قَـدَّ الأدِيـمِ
أذابَ سِنـامَهـا قَـطْعُ الفَيـافي ... ومَـزَّقَ جِلْدَها نَضْحُ العَصِيمِ (٢)
طَـواهـا طَيُّهـا المَـوْمـاةَ وَخْـداً ... إلى أجْبـالِ مَكَّـةَ والحَـطِيمِ
رَمَتْ خُـطُواتِهـا بِبَني خَـطايـا ... مُـواشِـكَـةً إلى رَبٍّ كَـرِيـمِ
بِـكُـلِّ بَعِيـدَةِ الأرْجاءِ رتـيـهِ ... كـأنَّ أوارَهـا وَهَـجُ الجَحِيمِ
أقُـولُ لهـا وقـد أوْحَتْ بِعَيْنٍ ... إليَّ تَشكِّيَ الـدَّنِـفِ السَّـقِيـمِ
بِكُـورِكِ أشْعرُ الثَّقَلَيْنِ طُـرّاً ... وأوْفَى النَّاسِ في حَسَبٍ صَمِيمِ
فَمـالَـكِ تَشْتَكِينَ وأنْتِ تَحْتي ... وتَحتَ مُحمَّـدٍ بَـدْرِ النُجُـومِ
مَتَى أظْمَتْـكِ هـاجِـرَةٌ فَشِيمي ... أنـامِـلَهُ تُـرَوِّكِ بـالـنَّسِـيـمِ
وإنْ غَـشِيَتْـكِ ظَلْمـاءُ تَـجَلَّى ... بِغُـرَّتِـهِ دُجَى اللَّيْـلِ البَهِيـمِ
فَمَـرَّتْ مِثْلَمـا يَمْشِي شَـهِيـدٌ ... سَـوِيّـاً في صِـراطٍ مُسْتَقِيمِ (٣)

وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

ظَلَّت تُشَـوِّقُني بِـرَجْـعِ حَنِينِهـا ... وأزِيـدُها شَـوْقـاً بِـرَجْـعِ حَنِيني
نِضْـوَيْنِ مُغْتَرِ بَيْنَ بَيْنَ مَهـامِـةٍ ... طَوَيا الضُّلُوعَ عَلى هَوىً مَكْنُونِ
لَوْ سُوئِلَتْ عَنِّي القُلُوصُ لأخْبَرتْ ... عَنْ مُسْتَقَرِّ صَبابَـةِ المَحْزُونِ (٤)

---

(١) العيرانة : الناقة الصلبة تشبيها بعير الوحش . الحرف: الضامرة. السعوم: التي تسير السعم، وهو ضرب من سير الابل.
(٢) العصيم: العرق، ووسخ، وبول يبس على فخذ الابل.
(٣) الديوان ٤/٥٣٣ و ٥٣٤.
(٤) الحماسة البصرية ٢/١٥٢، ووردت الأبيات في الزهرة ١/٢٥٤ و الأنوار ومحاسن الأشعار بدون عزو.

الأسد

أسماؤه وصفاته [1]

أسامة: علم جنس على الأسد، لا ينصرف

أسد: والجمع آساد، وأسُود، وأُسُد.

بَيْهس: مأخوذ من البهس وهو الجرأة.

حبيل براح: أي كأنَّه قد شدَّ بالحبال فلا يبرح، وبه سميّ الرجل الشجاع.

حَلْبس، وحُلابس، وحُلَبْس، وحِلْبِيس، وبه سميّ الشجاع والملازم للشيء.

حَيْدَرَة: في لسان العرب عن ابن الاعرابي (الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس) وبه سمي الامام علي (ع) وقال راجزاً في وقعة خيبر (أنا الذي سمتني أمّي حيدرة).

الخادِر: المقيم في خدره، وخدره: أجمته.

---

(١) ـ ديوان جرير /٥٤٩ . نقائض جرير والفرزدق /١١٩ . بعض معاجم اللغة. المخصص ٢/٨/٥٨ ـ ٦٤. حياة الحيوان للدميري ١/٢.

الخَبَعْثَنة، والخَبَعْثَن: العظيم الشديد. يقال: اخبَعْثن الرجل: مشى مشية الأسد.

خُنابِس، وخَبُوس، وخابِس، وخبَّاس، وخَوابِس. مأخوذ من خبس الشيء وتخبَّسه، واخْتبسه: أخذه وغنمه. وقيل الخُنابس: الكريه المنظر

الدِّرْباس: الغليظ العظيم.

الدِّرْواس: الضَّخْم الرأس.

الدَّلَهْمَس: لجرأته ومضائه

الدَوَّاس: وبه سميّ الماهر، والشجاع.

الدُّوْسَك: كجوهر: الأسد.

الدَّوْكَس: كجوهر: أيضاً.

الرِّئْبال: والرِّيبال (يهمز ولا يهمز)، وقال السكّري (الرئبال من الأسد كالقارح من الخيل). جمع الرئبال: رآبل ورآبيل، وجمع الريبال: ريابل وريابيل.

زُفَر: والزُّفر: الجمل، وبه سميّ الرجل الشجاع: زُفر، والرجل الكريم: زفر.

ساعِدَة: عَلم لا ينصرف، وبه سُمِّي ساعدة الأيادي، أبو قيس الذي يضرب به المثل بالفصاحة

السَبُع: والجمع سِباع: وأسْبُع، والأنثى سبعة

الشابِك: وهو الذي اختلفت أنيابه واشتبكت .

الشَّيْظَم، والشَّيْظَمِّي.

الصِمة، والصِمُّ، الجمع صمم (بالكسر): ورجل صِمَّة: شجاع، وبه سمّي الصِمَّة أبو دريد الشاعر. قال جرير:

سعرنا عليك الحرب تغلي قدورها
فهلاَّ غداة الصِمَّتين تديمُها

أراد بالصِمّتين: أبا دريد وعمه.

الضُباث: مأخوذ من قولهم: ضبث على الشيء ضبثاً: قبض عليه.

ويقال لمخالبه: المضابث.

الضُبارِم: الشديد الخَلْق.

الضَّبْثم: والضُّباثم، كالضُباث.

ضُراك: وهو الغليظ الشديد عصب الخلق.

ضِرغام، وضَرغم، وضِرغامة، والجمع ضراغم وضراغمة.

الضَماضِم، والضَمْضم.

الضَّيْثَم: كحيدر.

الضَّيْغم: وهو الشديد الضغم، والضغم: العضُّ، وقيل: الواسع الشدقين

الطَّيْثار، ومنه رجل طيثارة: لا يبالى على من أقدم.

العَثَمْثَم: وهو العظيم الشديد.

العِرْباض: وهو الثقيل العظيم، وفي اللسان: رحب الكلكل.

العِفْراس، والعَفَرْنَس: الشديد العنق الغليظة.

العَفَرْنَى: الغليظُ العنق، ومنه اشتقاق العفرناة من النوق.

العَنْبَس: من العبوس، وعنبسة وبه سمّي الرجل.

عَوْف: مأخوذ من تعوَّف الأسد: التمس العرِّيسة بالليل، وبه سمّي الرجل.

والعوف، والعوافة: ما ظفرت به ليلاً.

غَضَنْفَر: الغليظ الجثة، والنون زائدة.

الفَرافِرَة: لأنَّه يفرفر فريسته، أي يكسرها.

الفُرافِصَة: والفُرافصة: الشديد الغليظ

الفِرناس، والفرانس، قال سيبويه: هو ثلاثي

القَسْوَر، والقَسْوَرَة. قال السيراقي: هو مشتق من القسر وهو القهر

القَشْعَم، ويطلق على غيره من سباع الطير.

قُصاقِص، وقَصْقاص: الغليظ، وقيل القصير.

القِصْمِل: الشديد، والمخدَّر وهو الذي اتخذ الأجمة خدراً له.

القُضاقِض، والقُضْقاض، أي يحطِّم كلّ شيء.

الكَهْمَس: وهو الكريه المنظر.

اللَّيث: والجمع ليوث، والانثى ليثة.

المِهْزَع: والهزَّاع، لأنّه يكثر كسر الفرائس.

الهَرَّاس: لأنّه يهرس كلَّ شيء، والهَرِس، والأهْرَس: الشديد المِراس.

الهِرْماس: وهو الشديد.

الهِزَبْر: والهِزْبَر، والجمع هَزابر، والأنثى هِزَبْرَة.

الهَصَمْصَم: لشدَّته وصولته

الهَصُور: مأخوذ من هصر الشيء: كسره، وثناه، وجذبه، وغمزه.

الهَمَّاس، والهَمُوس: الخفيُّ الوَطْىء، والشديد الغمز بالضرس.

الهُمام: لانه إذا همَّ فعل.

الهَوَّاس: وهو الطوَّاف بالليل مع جرأة في الطلب.

الهَيْصَم: لأنه يكسر كلَّ شيء، والهصم: الكسر.

الوَرْدُ، أي الجريء.

هذه بعض أسماء الأسد وصفاته، ومنها ما توصف بها حيوانات أخرى كالابل والخيل وغيرهما. وفي حياة الحيوان للدميري (قال ابن خالويه: للأسد خمسمائة اسم وصفة، وزاد عليه عليّ بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسماً). وفي تاج العروس للزبيدي (قال شيخنا: ورأيت من قال: للأسد ألف اسم).

واسم أنثى الأسد: أسدة ولبوة، ويقال لولده: جرو (بالكسر ويفتح) وجمعه أجراء، وشِبل وجمعه أشبال وأشبُل وشُبول، وشِبال، وشَيْع، وحَفْص، وفُرْهُد.

ويكنى أبا الحارث، وأبا الأشبال، وأبا الأبطال، وأبا حفص، وأبا الزعفران، وأبا العباس، وأبا فِراس.

وصوته الزئير، والنهيم فوق الزئير، والهمهمة، يقال أسد هِمْهيم، أي يأزر (ويزئر) ويهمهم. والزّمْجَرة: صوت يردّده في صدره، والقبقبة وهي قعقعة أنيابه.

بعض طبائع الأسد [1]

حريص واسع الشحو[2]، يبلع البضعة التي لو رآها الإنسان لم يظن أنَّ حلقه يتسِعٌ لمرور ذلك، ويقال إنَّ عنقه عظم واحد، واللُّقم لا تجول فيه، وهو في ذلك قليل الريق، فلا يسلس في حلقه ما يمرُّ فيه، بل يبتلع لفرط نهمه، وشحو لحييه ضعفي ذلك المقدار. وزعم ناس: أنَّ الذي يدلُّ على أنَّ عنق الأسد عظم واحد: ضعفه عن تصريف عنقه فلا يلتفت الاَّ معاً، ولذلك سمّي الأصْيد.

وقال أسامة بن منقذ: الأسُد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان، وقال إنه شاهد أسداً لأحد السبّاعين يهرب من خروف، والخروف يركض خلفه وينطحه. والناس يضحكون منه، فأمر الأمير معين الدين بذبحه، فذبحوه وسلخوا جلده وجاؤا به، وأعتق الخروف من الذبح. وأنه رأى كلباً يخلّص صاحبه من الأسد. ثم قال: وأنَّ الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله ما لم يُجرح، فإذا جرح فهو الأسد الذي يخاف منه، وإذا خرج من غاب أو أجمة وأغار على الخيل فلا بد له من الرجوع إلى الأجمة التي خرج منها ولو أن النيران في طريقه.

---

(١) ـ الحيوان للجاحظ ٢١٣/٢، وكتاب الاعتبار لأسامة /١٠٦ ـ ١٠٩.

(٢) الشحو: الجوف.

ذكره في القرآن الكريم

ورد ذكر الأسد في القرآن مرة واحدة، في الآية /٥١ من سورة المدثر ﴿ كأنّهم حمر مستنفرة. فرَّت من قسورة ﴾. وذكر مرة أخرى مع بقيّة السباع ﴿وما اكل السبع﴾، / سورة المائدة /٣

ذكره في الحديث النبوي [1]

ومما ورد في الحديث الشريف، قول النبي عليه الصلاة والسلام (فرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد)، وقوله في حديث أمِّ زرع: (وقالت ـ المرأة ـ الخامسة: زوجي إنْ دخل فَهِدَ، وإنْ خرج أسِدَ).

ممّا ورد عنه في الأمثال السائرة [2] .

* كمبتغي الصيد في عرّيسة الأسد *
* ولا قرار على زأر من الأسد *
* النهر يشرب منه الكلب والأسد *
* الجوع يرضي الأسود بالجيف *
* والليث ليس يسيغ الاّ ما افترس *
* من يتبع الأسد لم يعدم لحماً *
* ما استبقاك من عرّضك للأسد *
* فلان يسلب القطعة من شدق الأسد *

---

(١) ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ١٢٢/٢، و١٣٥.

(٢) ـ التمثيل والمحاضرة/٣٤٩، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٣٨١ ـ ٣٨٤، وجمهرة الأمثال ١٦٧/١و ٣٢٩ و ٤٠٨ و٥٣٨ و ٥٦٢ و٥٦٨ و٢٢٧/٢.

*ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا *
* ومن يحاول شيئاً من فم الأسد؟ *
* أجرأ من قسورة *
* أجرأ من ليث بخفّان *
* أجرأ من ذي لبدة *
* أجرأ من أسامة *
* أحمى من أنف الأسد *
*أشجع من ليث عرّيسة *
* أشجع من ليث عفرّين *
* أشدّ اقداماً من الأسد *
* أشره من الأسد *
* أصيد من ليث عفرّين *
* أمنع من أنف الأسد *
* خاصي الأسد *
* راكب الأسد *
* ليث عرّيسة *
* ليث غاب *
* ليث عفرّين *
* نكهة الأسد *

الأسد والصقر معروفان بالبخر، قال شاعر يهجو أحد الولاة في فارس والأهواز:

قد وَلي فارسَ والأهْـ ـوازَ داواد بن بشرِ
وله لحية تيسٍ وله منقار نَسر
وله نكهةُ ليثٍ خالطت نكهة صقر

بعض ما قيل في وصفه نثراً [1]

أنشد أبو زبيد الطائي قصيدة في مجلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وصف فيها الأسد، فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله اني لأحسبك جباناً هِداناً. قال: كلّا يا أمير المؤمنين، ولكنّي رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردّد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم، فقال له عثمان، وأنّى كان ذلك؟ قال:

خرجت في صُيَّابة أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المهاري بأكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام فاخرَوَّط بنا السير في حَمارَّة القيظ. حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المَعْزاء، وذاب الصَّيْهد، وصرَّ الجُندَب، وضاف العصفورُ الضبَّ وجاوره في جحره، قال قائل: أيُّها الركب غوِّروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدَّغل دائم الغلل، شجراؤه مُغنَّة، وأطياره مُرِنَّةً. فحططنا رحالنا بأصول دوحاتٍ كنهبلات، فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد.

فانَّا لَنَصف حرَّ يومنا ومماطلته إذ صرَّ أقصى الخيل أُذنيه، وفحص الأرض بيديه. فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الابل، وتقهقرت البغال، فمن نافر بشِكالِه [2]، وناهض بعقاله، فعلمنا أنْ قد أتينا وأنّه السَّبُع، ففزع كلُّ رجل منا إلى سيفه فاستلّه من جُرُبَّانه [3]، ثم وقفنا له رزدقاً (أي صفاً) وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنّه مجنوب، أو في هجارٍ معصوب. لصدره نحيط.

---

(١) - الأغاني لأبي الفرج ١١٨/١٢، ونهاية الارب ٢٣٥/٩.

(٢) - الشكال: حبل تشدّ به قوائم الدابة.

(٣) - جدُبّان السيف: غمده.

ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض[١]، كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ صريماً، واذا هامة كالمجنّ، وخدّ كالمسنّ، وعينان سجراوان كأنّهما سراجان يَقِدان، وقصرة رَبلة [٢]، ولِهـزمة رهِلة [٣]، وكتدٌ مغبط[٤]، وزَور [٥] مُفرط، وساعد مجدول وعضد مفتول، وكفٌّ شثنة البراثن [٦]، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيده فأرهج، وكشّر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطّى فأسرع بيديه، وحفز وَرِكيه برجليه، حتى صار ظلُّه مثليه، ثم أقعى[٧] فاقشعرَّ ثم مثل فاكفهرَّ، ثم تجهَّم فازْبَأرَّ[٨]. فلا وذو[٩] بيتُهُ في السماء ما اتَّقيناه إلاّ بأوّل أخ لنا من فَزارة كان ضخم الجزارة، فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يَلَغ في دمه.

فذمرتُ أصحابي [١٠]، فبعد لأي ما استقدموا. فهجهجنا به، فكرَّ مقشعرّاً بزُبرته [١١]، كأنَّ به شيهماً حوليّاً[١٢]، فاختلج رجُلاً أعجر ذاحوايا [١٣] فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله، ثم نهم ففرفر، ثم زفر فبربر[١٤] ثم زأر فجرجر، ثم

---

(١)- نقيض الأرساغ: صوتها.

(٢)- القصرة: أصل العنق إذا غلظت، والربلة: كل لحمة غليظة

(٣) - اللهزمة: عظم ناتىء، أو مضغة عليّة تحت الأذن. رهلة: منتفخة.

(٤) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. مغبط: مرتفع.

(٥) - الزور: الصدر.

(٦) - البراثن من السباع بمنزلة الأصابع من الانسان. الشثن: الخشن.

(٧) - أقعى: جلس على استه.

(٨) - ازبأرّ: تنفّش حتى ظهرت أصول وبر شعره.

(٩) - ذو- هنا-: بمعنى الذي في لغة طيء.

(١٠) - ذمر أصحابه: لامهم وحثهم.

(١١) - الزبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.

(١٢) الشيهم: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ. الحولي: ما أتى عليه الحول.

(١٣) - اختلج رجلاً: انتزعه. أعجر: ممتلى جداً. الحوايا: الأمعاء

(١٤)- نهم: أخرج صوتاً كالأنين. فرفر: صاح، وبربر مثلها وزناً ومعنى.

لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي، واصطكّت الأرجل، وأطّت[1] الأضلاع، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحقّقت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان رضي الله عنه: اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين.

ووصفه بعض الأعراب فقال:

له عينان حمراوان مثل وهج الشرر، كأنّما نقرتا بالمناقير في عرض حجر، لونه وَرْد، وزئيره رعد. هامته عظيمة، وجبهته شتيمة[2]، نابُه شديد، وشرُّه عتيد. إذا استقبلته قلت: أقرع، وإذا استدبرته قلت أفرع[3] لايهاب إذا الليل عسعس، ولا يجبن إذا الصبح تنفّس.

بعض ما ورد عنه في القِصص[4]

١ - إباء وشمم:

عمي أسد من عوامّ الأُسْد فأضّر ذلك به، فقيل له: لو جئت ملك الأُسْد فسألته أن يصلك لكان ذلك رأياً لك.

فذهب إليه وسرد قصّته عليه، فقال لخازنه يُجرى له في كلّ يوم عضواً مؤرّباً. فقال الأسد الذي التمس الجِراية: أصلح الله الملك، أنّي كنت اصطاد الوعل، أو البقرة الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشبع فأين مني هذا العضو يقع؟.

فقال الملك: من اتّكل على كسب غيره وجب أن يقتنع بقليل خيره.

قال الأسد: صدق الملك، ولا حاجة لي بهذا العضو.

---

(١) - أطّت الأضلاع: صوّتت.

(٢) - الشتيمة: الكريه المنظر.

(٣) - الأفرع: الكثير الشعر.

(٤) - الصاهل والشاحج /٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ١/ ٧٠، والشريشي ١/ ٢٥ (شرح مقامات الحريري)

قال الملك: فماذا تصنع؟

قال: أجتزىء بنبت السحاب، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب.

٢- فرِّق تسُدْ:

قيل إنَّ ثورين أسود وأبيض كانا في بعض المروج، فكان الأسد إذا قصدهما تعاونا عليه فردّاه، فخلا يوماً بالأبيض وقال له: إن خلَّيتني فأكلت الأسود خلالك مرعاك، وأعطيك عهداً ألَّا أطور بك [١]، فخلَّاه والأسود فأكله، ثم عطف عليه فافترسه، فقال: انما أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأسود [٢].

٣ - منطق القويّ

خرج أسد وذئب وثعلب يتصيَّدون فاصْطادوا حمار وحش، و غزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: إقسم بيننا هذا الصيد، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب. فرفع الأسد يده فضربه ضربة فإذا هو مجدَّل بين يديه ثم قال للثعلب: اقسمها، فقال: الحمار يتغدَّى به الملك، والغزال يتعشَّى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علَّمك هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب.

بعض ما ورد في الشعر عن الأسد

قال ابن الأبّار محمد بن عبد الله القضاعي [٣]: حضرت ملعباً للأسود في تونس سنة (٦٣٦) هـ يدحرج اللاعب إليها كرة متصلبة من خشب محكمة الصنعة تحجبه من بأسها وهي رابضة، وبيده حدائد طوال في نهاية الإرهاف معدّة لها،

(١) ـ لا أطور بك: لا أحوم حولك ولا أدنو منك

(٢) ـ رواية المثل في كتاب الميداني ٢٥/١ تختلف عن هذه بعض الاختلاف.

(٣) الحلة السيراء ٢٦٢/٢ .

فإذا أحسّت به وثبت على الكرة فألقم أفواهها تلك الحدائد، ودحرج الكرة فتباعدت عنه تمجُّ الدم، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديتها، وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تسع جثثهم ولها أبواب صغيرة يطبقونها عليهم، فإذا ربضت على بُعدٍ صيح بأحدهم، ففتح باب تلك الهوة وهجهج بها، وربّما ألمع لها بما يكون في يده. فما هو إلّا أن تراه فيكاد وثوبها إليه يعجله عن إطباق الباب عليه، ثم تنصرف عنه يائسة منه، وقد اشتد حنقها وعظم زئيرها، فيعاين من ذلك آنق منظر وأبدع مرأى، ولي في ذلك من كلمة قلتها:

تحنُّ إلى مَلْعبٍ لِلظِّباءِ ... بكُثْبانِ رامَةَ أو غُرَّبِ[1]
فهلّا إلى مَلْعب للأسُودِ ... سَعِدْتَ بِمَنْظَرِهِ المُعْجِبِ
يُقامُ الجِهادُ بهِ والجِلادُ ... لِكلِّ فَتًى مِدْرَهٍ مِحْرَبِ
ويُضْرَى عَلى الفَتْكِ بالضّاريات ... فإنْ غالَبَ القِرْنَ لم يُغْلَبِ
ضَوارٍ ضَوارِبُ أظْفارِها ... تُعِيرُ الظُّبَى رِقَّةَ المضربِ
فمِنْ أسَدٍ شَرِسٍ مُحنَقٍ ... ومِنْ نَمِرٍ حَرِدٍ مُغْضَبِ
أثِيرَتْ حَفَائِظُها فانْبَرَتْ ... تُسابِقُ في شَأوِها الأرْحَبِ
تُصِمُّ المَسَامِعَ مِنْ زَأرِها ... عَوادِيَ كالضُّمَّرِ الشُّزَّبِ
وتَنْبُو العُيونُ لإقْدامِها ... مُذَرَّبَةَ النّابِ والمِخْلَبِ
كَواشِرُ عَنْ مُرْهَفاتٍ حِدادٍ ... مَتَى تَصْدَعُ الهامَ لا تَنْشَبِ
نُيُوبٌ نَبَتْنَ مِن النائِباتِ ... وأزْرَيْنَ بالصّارِمِ المِقْضَبِ
تَنُوءُ ثِقالاً ولكِنَّها ... أخَفُّ وثُوباً مِن الجُنْدُبِ
ومُقْتَحِمٍ غَمَراتِ الرَّدَى ... إذا ما ادَّعى البَأسَ لم يَكْذِبِ
يُلاعِبُها حيثُ جَدَّ الحِما ... مُ فَتَفْزَعُ منه إلى مَهْرَبِ
يَكُرُّ عَليها ولا جُنَّةٌ ... سِوَى كُرَةٍ سَهْلَةَ المجذَبِ

(١) غُرَّب: جبل دون الشام في ديار كلب.

يُـدَحْـرِجُهـا مـاشِيـاً ثِـنْيَهـا عَـلى حَـذَرٍ مِشْيَـةَ الأَنْـكَبِ
عَجِبْتُ لهـا أحْـجَمَـتْ رَهْبَـةً وأَقْـدَمَ بـأسـاً ولـم يَـرْهَـبِ
وَقَـتْـهُ الأواقـي عَـلى أنَّـه تَـسَنَّمهـا صَـعْـبَـةَ الـمَـرْكَـبِ
وثـاوٍ بِـمَـطْبَـقَـةٍ فَـوْقَـهُ مَتى تَـطْفُ هـامَتُـه تَـرْسُبِ
يُهَجْهِـجُ بـاللَّيْثِ كيْمـا يَهِيجُ ويَـأوِي إلى الكَهْفِ كـالثَّعْلَبِ
كـذلِكَ حتّى هَـوَتْ نَحْوَهـا عُـقـابُ المَـنِيَّـةِ مِـن مَـرْقَبِ
وعـاجَتْ عَليهـا قَـواسي القِسِيِّ فَعَبَّت مِن الحَيْنِ في مَشْرَبِ
وشـالَـتْ هُـنـاكَ بـأذنـابِـهـا لِيـاذاً من العَقْـرِ كـالعَقْـرَبِ
فيَـا لِقسـاوِرَ قَـد صُيِّـرَتْ فَـرائِس لِـلأَسْـهُـمِ الـصُـيَّـبِ

وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكليّ[1] :

يا جُملُ إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ كَرِيهَتي في يَوْمِ هَوْلٍ مُسْدِفٍ وعَجاجِ
وتَقَـدُّمي لِلَّيْثِ أرْسُفُ مُـوثَقـاً كيْمـا أكـابِـرُهُ عَلى الإِحْـراجِ
جَهْمٌ كـأَنَّ جَبِينَهُ طَبَقُ الـرَّحَى لمَّـا بَـدا مُتَـعَجِّـرَ الأثْبـاجِ
شُـثْنٌ بَـراثـنُـهُ كـأَنَّ نُيُـوبَـه زُرْقُ المَعَابِلِ أَوْ شَبـاةُ زِجاجِ
وكـأنَّمـا خِيـطَـتْ عَليـهِ عبـاءَةٌ بـرقـاء أو خَلَقٌ مِن الـدِّيبـاجِ
يَسْمُـو بناظِـرَتَيْنِ تحسبُ فيهمـا لمَّـا أجـالَهمـا شُعـاعَ سِـراجِ
ولَـه إذا وَطِىءَ المِهـادَ تَنَقُّضٌ ولِثْني طِفْطِفِـهِ نَقِيقُ دَجـاجِ[2]
أقْبَلْتُ أرْسفُ في الحَدِيدِ مكبَّلاً لِلمَوْتِ نَفْسي عندَ ذاكَ أناجي
والنـاسُ مِنهُمْ شامِتٌ وعصـابَـةٌ عَبَراتُهمْ لي في الحُلُوقِ شَواجي

---

(١) الحماسة البصرية ٢ / ٣٣٧ ، وبعض أبيات القصيدة في حياة الحيوان للدميري ٢ / ٣٢١ ، وفيه أسم الشاعر جحدر بن مالك العجلي .

(٢) التنقض: صوت البناء المنقـضّ. الطفطفة (بالفتح وتكسر): الخاصرة، وقيل أطراف الجنب المتّصلة بالأضلاع .

قِرْنانِ مُحْتَضِرانِ قد مَحَضْتُهُما ... أمُّ المَنِيَّةِ غيرَ ذاتِ نِتاجِ

لمَّا نَزَلْتُ بحِصْنِ أَزْبَرَ مُهْصِرٍ ... للقِرْنِ أَرْواحَ العِدى مجّاجِ

نازَلْتُه إنَّ النِّزالَ سَجِيَّتي ... إنّي لمن سَلَفي عَلى مِنْهاجِ

وعَلمتُ أنّي لو أَبَيْتُ نِزالَهُ ... إنّي مِن الحجّاجِ لَسْتُ بناجي[1]

فَفَلَقْتُ هامَتَه فخرَّ كأنَّهُ ... أُطمٌ هَوَى مُتَقوِّضَ الأَبْراجِ

ثم انْثَنَيْتُ وفي قَميصي شاهِدٌ ... ممّا جَرَى من شاخِبِ الأَوْداجِ

ولَبَأسكَ ابن أبي عَقيلٍ فَوقَهُ ... وفَضَّلْتَه بِخَلائقِ أزْواجِ

ولئِنْ قَذَفْتَ بيَ المنيَّةَ عامداً ... إنّي لخَيرِكَ بعدَ ذاكَ لراجي

عَلمَ النِّساءُ بأنّني ذُو صَوْلَةٍ ... في ساعَةِ الإلْجامِ والإسْراجِ

وقال آخر[2] :

تَوَقَّ - وقاكَ ربُّ النّاسِ - لَيْثاً ... حَديدَ النّابِ والأظْفارِ وَرْدا

كأنَّ بِمُلْتَقى اللَّحيَيْنِ مِنهُ ... مُذرَّبَةَ الأسِنَّةِ أوْ أحَدَّا

وتحْسَبُ لمحَ عَيْنَيْهِ هُدُوءاً ... ورَجْعَ زَئِيرِهِ بَرْقاً ورَعْداً

---

(١) الحجاج : ابن يوسف الثقفي والي العراق، وقد روى الدميري في حياة الحيوان ٢ / ٣٢٠ أن الشاعر تغلَّب على بلاد حجر وما يليها. وبأمر من الحجاج احتال عامل اليمامة على جحدر فقيَّده وأرسله إلى العراق. ولما مثل أمام الوالي سأله: ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال: جرأة الجنان وكَلَبُ الزمان وجفوة السلطان . قال: وما الذي بلغ من أمرك فيجرأ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك ؟ قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان وأهم الفرسان. أما جرأة جناني فإنّي لم ألق فارساً قط إلاّ كنت عليه في نفسي مقتدراً. فقال له الحجاج: إنّا قاذفون بك في جبٍّ ليث فإن هو قتلك كفانا مؤنتك، وإنْ أنت قتلته خلَّينا عنك وأحسنا جائزتك. قال: نعم أصلح الله الأمير، قرَّبت المحنة، وأعظمت المنَّة وأنت أهل ذلك إذا شئت. فأمر بتقييده وحبسه حتى هيَّا له أسداً ضارياً. وبعد أن أجيع الأسد ثلاثة أيام أُدخل عليه جحدر وهو يرسف في قيوده وبيده سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما. فوثب الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بضربة من سيفه على هامته ففلقها حتى خالط السيف لهاته. وفي ذلك قال جحدر قصيدته هذه .

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٣٧/٩ .

تَهـابُ الأُسْـدُ حِينَ تَـراهُ مِنْـهُ   إذا لاقَيْنَـه في الغـابِ فَـرْدا[١]
تَصُدُّ عَن الفَرائِسِ حِينَ يَبْـدُو   وكـانَتْ قَبـلُ تَـأنفُ أَنْ تَصُـدّا

وقال أبو زبيد الطائي[٢] :

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِـدٌّ مُكابِـرٌ   جَرِيءٌ عَلى الأَقْرَانِ للقِرْنِ قاهِرٌ[٣]
مَنِيـعٌ ويَحْمي كُلَّ وادٍ يَـرُومُـهُ   شَدِيدُ أُصُولِ الماضِغَيْنِ مُكـابِرُ
بَراثِنُهُ شُثْنٌ وعَيْنَـاهُ في الدُّجَى   كَجَمرِ الغَضَى في وَجْهِهِ الشَّرُّ ظاهِرُ
يُـدِلُّ بِـأَنْيـابٍ حِـدادٍ كَـأَنَّهـا   إذا قَلَّصَ الأَشْداقَ عَنها خَناجِرُ

وقال أيضاً[٤] :

فلا يَعلِقَنْكُمْ مِهْصَرُ النَّابِ عَنْبَسٌ   عَبُوسٌ له خَلْقٌ غَلِيظٌ غَضَنْفَرُ[٥]
مُبِنٌّ بـأَعْلَى خَلِّ رَمَّـانَ مُخْـدِرٌ   عَفَرْنَى مَذاكي الأُسْد مِنهُ تَحَجَّرُ[٦]
لهُ زُبَرٌ كـاللِّبْدِ طـارَتْ رَعابِـلاً   وكَتْفانِ كالشَّرْخَيْنِ عَبْلٌ مُضَبَّرُ[٧]
كـأَنَّ غضُونـاً من لُهـاهُ وحَلْقِـهِ   مَغـارُ هَيـامٍ عُـدْمُلِيٍّ مُنَهْـوَرُ[٨]
يُعرِّدُ منه ذو الحِفـاظِ مُدَجَّجـاً   ويَحْبِقُ منه الأَحْمَرِيُّ المُدَوَّرُ[٩]

---

(١) (تهاب) ـ هنا ـ بمعنى تفزع، ولو أراد الشاعر (الهيبة) لقال: (تهابه) ولم يقل (تهاب منه) .
(٢) الديوان/٦٥ ، والأبيات في نهاية الأرب ٢٣٦/٩ منسوبة لبعض الاعراب.
(٣) المُصْلَخِدّ المنتصب قائماً، والمراد أنه متهيء للشرّ.
(٤) الديوان/٥٨ .
(٥) المهصر: الأسد، ويريد (لا يعلقنكم ناب المهصر) فلم يستقم له الوزن فقلب اللفظ، والقلب شائع في الشعر العربي. انظر (أنوار الربيع ٢٢٧/٦) .
(٦) المبنّ : المقيم في المكان. الخل: الطريق ينفذ في الرمل. رمّان: جبل في بلاد طيّء .
(٧) الرعابل: القطع الممزقة من الثوب. الشرخ: ـ هنا ـ الحرف الناتىء من الشيء .
(٨) الهَيام : ما لا يتماسك من الرمل. العُدمليّ : القديم. المنهـور: الواسع. وفي أساس البلاغة (أمام داره منهرة، أي فضاء) .
(٩) يعرِّد: يفرُّ. ذو الحفاظ: الذابّ عن المحارم والمانع لها عند الحرب. يحبق: يضرط. الأحمري: الأحمر، وياؤه زائدة للمبالغة على حدِّ زيادة التاء في نحو (علاّمة) والأحمر ـ هنا ـ : من لا سلاح معه، وهو نقيض المدجج. المدوّر: خلاف المستطيل، ولعله يريد الرجل السمين، وهو عادة لا يقدر على الهرب. والمدوّر أيضاً: المصاب بدوّار الرأس من الخوف أو غيره.

رَحِيــبُ مَشَقِّ الشِدْقِ أغْضَفُ ضَيْغَمٌ   له لَحظَاتٌ مُشْرِفاتٌ ومَحْجِرُ[1]
وعَيْنانِ كالوَقْبَيْنِ في قُبْلِ صَخْرَةٍ   يُرَى فيهما كالجَمْرَتَيْنِ التَّبَصُّرُ[2]
من الأُسْدِ عادِيٌّ يَكادُ لِصَوْتِـه   رُؤوسُ الجِبالِ العادِياتِ تَقَعَّرُ[3]
كأنَّ آهْتِزامَ الرَّعْدِ خالَطَ جَوْفَهُ   إذا حَنَّ فيهِ الخَيْزَرانُ المُثَجَّرُ[4]
يَـظَلُّ مُغِبّاً عِنْـدَهُ مِن فَـرائِسٍ   رُفاتُ عِظامٍ أوْ غَرِيضٌ مُشَرْشَرُ[5]
وخُلْقـانُ دِرْسانٍ حَـوالي عَرِينِـه   ورَفْضُ سِلاحٍ أو قُنانٍ مُقَتَّرُ[6]
أَقَـلَّ فأقْـوَى ذات يَومٍ وخَيْبَـةٌ   لأَوَّلَ مَـن يَلْقَـى وغَيٌّ مُـيَسَّـرُ
فـأبْصَـرَ رَكْبـاً رائحِينَ عَشِيَّـةً   فقالُوا: أبَغْلٌ مائِلُ الجلِّ أشْقَرُ
بَل السَّبْعُ فَاسْتَنْجُوا وأيْنَ نَجاؤكُمْ   فهذا ورَبِّ الرَّاقِصَاتِ المُزَعْفَرُ[7]
فَـوَلَّوْا سِـراعاً يَنْـدَهُـونَ مَـطِيَّهُمْ   وراحَ عَلى آثـارِهِمْ يَتَقَـمَّـرُ[8]
فساراهُمُ ما أنْ (لحسَّ) حَسِيسُهُ   مَدَّى الصَّوتِ لا يَدْنُو ولا يَتَأَخَّرُ[9]
فَلَمَّا رأوْا أنْ لَيسَ شَيْءٌ يَرِيبُهم   وقَدْ أدْلَجُوا اللَّيلَ التَّمام وأبْكَروا

---

(١) الأغضف : المسترخي الأذن .

(٢) الوقبان، تثنية الوقب: نقرة في الجبل أو في صخرة يجتمع فيها الماء .

(٣) العادي: الظالم المفترس. تَقَعَّر: تنقلع، وتنقلب .

(٤) اهتزام الرعد: صوته. الخيزران ـ هنا ـ القصب، والخيزران المثجّر: ذو الأنابيب، ويريد به المزمار المزدوج .

(٥) المغب: الذي يأتي بعد غياب، ومنه الحديث: زر غبّاً تزدد حبّاً، واللحم الغابّ: البائت، والمجفف. الغريض: اللحم الطريّ. المشرشر: المقطّع، والمشقّق.

(٦) الخلقان: الأثواب البالية والممزقة. رفض السلاح: ما تحطّم منه وتفرق. القنان (بالضم) : كم القميص، ويريد به الدرع. المقتّر: المزيّن بالقتير وهي رؤوس المسامير في الدرع .

(٧) الراقصات: الإبل. يريد بالمزعفر: الأسد، تشبيهاً له بلون الزعفران .

(٨) تقمّر الأسد: خرج في القمراء يطلب الصيد .

(٩) (لحسّ) كذا ورد في الديوان، وشعراء النصرانية بعد الإسلام/٧٢ ولم أجد لها معنى، ولعلها تحريف (يحسّ) .

وقد بَرَّدَ الليلُ الطَّويلُ عَليهِمُ ... ومرَّ بهِمْ لَفْحٌ مِن القرِّ أعْسَر[1]
تنادَوا بأنْ حُلُّوا قَلِيلاً وعَرِّسُوا ... وحفُّوا الرِكابَ حَوْلَكم وتَيَسَّروا
بعَيْنيهِ لمّا عَرَّسُوا ورِحالُهُمْ ... ومَسْقطِهِمْ والصُّبْحُ قد كادَ يُسْفِرُ
فَفاجأهُمْ يَسْتَنُّ ثانِيَ عِطْفِهِ ... لَه غَبَبٌ كأنَّما باتَ يَمْكُرُ[2]
فَنادَوْا جَميعاً بالسِّلاحِ مُيسَّراً ... وأصْبَحَ في حافاتهم يَتَنَمَّرُ
ونَدَّتْ مَطاياهُمْ فمِنْ بين عاتِقٍ ... ومِن بينِ مُودٍ بِالبَسِيطَةِ يَعْجِرُ[3]
وطارُوا بأسْيافٍ لهم وقَطائِفٍ ... وكلُّهم يُخْفي الوَعِيدَ ويَزْجُرُ
فأوَّلُ مَن لاقَى يَجُولُ بِسَيْفِهِ ... عَظِيم الحَوايا قَد شتا وهو أعْجَرُ[4]
فقَضْقَضَ بالنَّابَيْنِ قُلَّةَ رَأسِهِ ... ودَقَّ صَلِيفَ العُنْقِ والعُنْقِ أصْعَرُ[5]
ووافَى به مَن كانَ يَرْجُو إيابَه ... فصادَفَ منه بَعْضَ ما كانَ يَحْذَرُ[6]

وقال ابن الرومي[7]

فَما أسدٌ جَهْمُ المُحيَّا شَتِيمُهُ ... قُصاقِصَةٌ وَرْدُ السِّبال غَضَنْفَرُ[8]
مُسَمَّى بأسْماءٍ فمنهنَّ ضَيْغَمٌ ... ومنهنَّ ضِرْغامٌ ومنهنَّ قَسْوَرُ

---

(١) يقول: مرّ بهم لفح من الحرّ أعسر من برد الشتاء.

(٢) يستنّ: يقمص، ويعدو. الغبب: اللحم المتدلي تحت الحنك. المكر (هنا): صوت نفخ الأسد.

(٣) ندّت الإبل: نفرت. العاتق: السابق عند الهرب. المودي: الهالك. عجر البعير بصاحبه: اتّجه به إلى غير الجهة التي يريدها.

(٤) الحوايا: ما تحوي من الأمعاء ويريد البطن. الأعجر العظيم البطن والممتلىء جداً.

(٥) قضقض الأسد فريسته: كسرها. الصليف: عُرض العنق، وهما صليفان من الجانبين. الأصعر: المائل العنق.

(٦) في الديوان (ما كاد يحذر) والتصويب من شعراء النصرانية بعد الاسلام /٧٣.

(٧) الديوان ٣/١٠٤٤.

(٨) شتيم الأسد: وجهه العابس، أو الكريه: أسد قصاقصة: غليظ، وقيل قصير. السبال: مجتمع الشاربين.

لـه جُنَّـةٌ لا تُسْتَعـارُ و شِكَّـة هو الدَّهْرُ في هذي وهذي مُكفَّرُ
إهابٌ كتَجْفافِ الكَمِيِّ حَصانَةً وعُوجٌ كأطْرافِ الشَّباجِينَ يَفْغَر[1]
وحُجْنٌ كـأنْصـافِ الأهِلَّةِ لا يَني بهنَّ خِضابٌ من دَم الجَوْفِ أحْمَرُ [2]
تَظَلُّ لَه غُلْبُ الأسْودِ خَواضِعاً ضَـوارِبَ بالأذْقـانِ حينَ يُزَمْجِـرُ
لـه ذَمَراتٌ حِينَ يُـوعِـدُ قِرْنَـه تَكادُ لَهُ صُمُّ السِّلامِ تَفَطَّرُ [3]
يَـراهُ سُـراةُ اللَّيْـلِ والـدُّودُونَـهُ قَرِيباً بأدْنَى مَسْمَعٍ حِينَ يزأرُ [4]
يُدِيرُ إذا جَنَّ الـظَّلامُ حِجاجَـهُ شِهـابَ لَظًى يَعْشَى لـهُ المُتَنَوِّرُ
خُبَعْثِنَةٌ جـأبُ البَضِيـعِ كـأنَّـهُ مكسَّرُ أجْوازِ العِظامِ مُجَبَّرُ [5]
لَه كَلْكَلٌ رَحْبُ اللَّبانِ وكاهِـلٌ مُـظاهَـرُ ألْبـادِ الـرِّحـالـةِ أوْبَـرُ
شَـدِيـدُ القُـوَى عبْـلُ الشَّـوَى مُؤْجَـدُ القَرا مُـلاحِـقُ أطْبـاقِ الـفِـقـارِ مُـضَـبَّـرُ [6]
إذا ما عَلا مَتْنَ الطَّرِيقِ بِبَرْكِهِ حَمى ظَهْرَهُ الركْبانَ فالسَّفْرُ أزْوَرُ
أخُو وَحْدةٍ تُغْنيه عن كلِّ مُنْجِدٍ لَـه نَجْـدَةٌ مِنهـا ونَصْـرٌ مُؤَزَّرُ
مَخُوفُ الشَّذا يَمْشِي الضَّراء لِصَيْدِه ويَبْرُزُ للقِرْنِ المُناوِي فَيُصْحِرُ[7]

وقال بديع الزمان الهمداني [8].

أفـاطِمُ لـو شَهِـدْتِ بِبَـطْنِ خَبْتٍ وقَـد لاقَـى الـهِـزَبْـرُ أخـاكِ بِشْـرا

---

(١) التجفاف: ما يلبسه الانسان، ويجلل به الفرس لوقايته في الحرب.
(٢) الحجن (بالضم): العوج ويريد بها أنياب الأسد.
(٣) ذمر الأسد: زأر. السلام (بالكسر): الأحجار.
(٤) الدوّ: المغازة.
(٥) الخبعثنة: العظيم الشديد. جأب البضيع: غليظ اللحم، جوز الشيء: وسطه.
(٦) مؤجدة القرا: موثقة الظهر.
(٧) الشذا: الشر، والأذى، والجوع، الضَّراء: الاستخفاء، أصحر: برز إلى الصحراء لا يواريه شيء.
(٨) أورد الشاعر هذه القصيدة في المقامة الواحدة والخمسين من مقاماته ص/٤٤٩. ونسبها ابن الأثير =

إذاً لَـرَأَيْـتِ لَيْـثـاً زارَ لَيْـثـاً هِـزَبْـراً أغْلَبـاً لاقَى هِـزَبْـرا
تَبَهْنَسَ إذْ تَقـاعَسَ عَنهُ مُهْـري مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهْرا [1]
أنِـلْ قَدَمَيَّ ظهـرَ الأرْضِ إنيِّ رَأيْتُ الأرْضَ أثْبَتَ مِنْك ظَهْرا
وقُلتُ لـهُ وقَـدْ أبْـدَى نِصالاً مُـحـدَّدَةً وَوَجْـهـاً مُكْـفَـهِـرّاً
يُكَفْكِفُ غِيلَةً إحْـدَى يَـدَيْـهِ ويَبْسُطُ لِـلوثُـوبِ عَليَّ أخْـرَى
يُـدِلُّ بِـمِخْـلَبٍ وبِحَـدِّ نـابٍ وبـاللَّحَـظاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَـمْـرا
وَفي يُمْنايَ ماضِي الحَدِّ أبْقَى بِمَضْرِبِـهِ قِراعُ المَوْتِ أُثْـرا [2]
أَلَمْ يَبلُغْـكَ مـا فَعَلَتْ ظُبـاهُ بِكـاظِمَةٍ غَـداةَ لَقِيتُ عَمْرا [3]
وقَلْبِي مِثْـلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى مُصـاوَلَـةً فَكَيْفَ يَخـافُ ذُعْـرا
وَأنْتَ تَـرومُ لِـلأشْبـالِ قُـوتـاً وأطْلُبُ لأبْنَـةِ الأعْمـامِ مَهْـرا
فَفِيمَ تَسُـومُ مِثْلي أنْ يُـوَلِّـي ويَجْعَلَ في يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرا
نَصَحْتُكَ فالْتَمِسْ يا لَيْثُ غَيْرِي طَعـامـاً إنَّ لَحْمِي كـانَ مُـرّاً
فَلمّـا ظَنَّ إنَّ الـغِشَّ نُصْـحِي وخـالَفَنِي كـأنِّي قُلْتُ هُجْـرا
مَشَى ومَشَيْتُ مِن أسَـدَيْن راما مَـرامـاً كـانَ إذْ طَلَبـاهُ وَعْـرا
هَزَزْتُ لهُ الحُسـامَ فخِلْتُ أنِّي سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الـظَّلْماءِ فَجْـرا
وجُـدْتُ لـه بِجـائِشَـةٍ أرَتْـهُ بـأنْ كَـذَبَتْـهُ مـا مَنَّتْـهُ غَـدْرا
وأطْلَقْتُ الـمُهَـنَّـدَ مِن يَـمِينِي فَقَـدَّ لَـهُ مِنَ الأضْـلاعِ عَشْـرا
فَـخَـرَّ مُجَـدَّلاً بِـدَمٍ كَـأنِّـي هَـدَمْتُ بِـهِ بِنـاءً مُشْمَـخِـرّاً

= في المثل السائر ٣/٢٨٤ إلى بشر بن عوانة، وما بشر بن عوانة إلّا شخص اخترعه البديع لبطولة مقامته المذكورة. والقصيدة كما قال ابن الأثير (من النمط العالي الذي لم يأتِ أحد بمثله: وكلّ الشعراء لم تسمُ ـ قرائحهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها).

(١) تبهنس: تبختر واختال.

(٢) الأثر (بالضم): أثر الجرح بعد البرء.

(٣) كاظمة: موضع في الكويت بينه وبين البصرة مرحلتان.

وقُلْتُ لَـهُ يَعِـزُّ عَلَيَّ أنِّي قَتَلْتُ مُنَـاسِبي جَلَداً وفَخْـرًا
ولكِنْ رُمْتَ شَيْئـاً لم يَـرُمْـهُ سِواكَ فَلَمْ أُطِقْ يا لَيْثُ صَبْـرا
تُحـاوِلُ أنْ تُـعلِّمَـنِي فِـراراً لَعَمْرُ أبِيكَ قَدْ حاوَلْتَ نُكـرا
فَـلا تَجْـزَعْ فَقَـد لاقَيْتَ حُـرّاً يُحاذِرُ أنْ يُعابَ فَمِتْ حُـرًّا[1]
فَإنْ تَكُ قَد قُتِلْتَ فَلَيْسَ عاراً فَقَدْ لاقَيْتَ ذا طَرَفَيْنِ حُرّا[2]

وقال ابن حمديـس (عبد الجبار): [3]

ولَيْثٍ مُقِيمٍ في غِيـاضٍ مَنِيعَةٍ أمِيرٍ عَلَى الوَحْشِ المُقِيمَةِ في القَفْرِ
يُـوَسِّـدُ شِبْلَيْـهِ لحُـومَ فَـوارِسٍ ويَقْطَعُ كاللِّصِّ السَّبِيلَ عَلى السَّفْرِ
هَـزَبْرٌ لَـهُ في فِيهِ نـارٌ وشَفْرَةٌ فَما يَشْتَوِي لَحمَ القَتِيلِ عَلَى الجَمْرِ
سِراجاهُ عَيْناهُ إذا أظْلَمَ الدُّجى فإنْ باتَ يَسْري باتَتِ الوَحْشُ لا تسْري
لهُ جَبْهَةٌ مِثْـلُ المِجَنِّ ومَعْطِسٌ كأنَّ عَلى أرْجائِهِ صِبْغَةَ الحِبْـرِ
يُصَلْصِلُ رَعْدٌ مِن عَظِيمِ زَئِيرِهِ ويَلْمَعُ بَرْقٌ مِن حَمالِيقِهِ الحُمْرِ
لَـهُ ذَنَبٌ مُستَنْبِطٌ مِنهُ سَـوْطَـه تَرَى الأرْضَ منهُ وهيَ مَضْرُوبَة الظهْرِ
ويَضْـرِبُ جَنْبَيْـهِ بـهِ فكـأنَّمـا لهُ فيهما طَبْلٌ يَحُضُّ عَلى الكَرِّ
ويُضْحِكُ في التَّعْبِيسِ فَكَّيهِ عن مُدَى نُيُوبٍ صِلابٍ لَيْسَ تُهْتَمُ بالفِهْر[4]
يَصُولُ بِكَفٍّ عَرْضُ شِبْرَيْن عَرْضُها خَناجِرُها أمْضَى من القُضُبِ البُتْرِ
يُجَـرِّدُ مِنهـا كـلَّ ظُفْـرٍ كَـأنَّـه هِلالٌ بَدا لِلْعَينِ في أوَّلِ الشَّهْرِ

وقال ابن المعتز: [5]

ومالَيْثُ غابٍ يَهْزِمُ الجَيْشَ خَوْفُه بِمِشْيَةِ وثَّابٍ عَلَى النَّهْيِ والزَّجْرِ

---

(١) الحرّ: الخالص من العبودية.
(٢) الحرّ هنا: الكريم النسب.
(٣) الديوان/٥٤٩.
(٤) هتم أسنانه: كسرها من اصلها.
(٥) الديوان ٤٣٧/١.

يَجُـرُّ إلى أشْبالِـهِ كـلَّ لَيْلَةٍ   عَقِيرَةَ وَحْشٍ أوْ قَتِيلاً من السَّفْرِ
إذا ما رَأوْهُ طارَ جَمْعُهُمْ مَعاً   كَما طَيَّرَ النَّفْخُ الرَّمادَ عَنِ الجَمْرِ
جَرِيٌّ أبِيٌّ يَحْسِبُ الألْفَ واحِداً   بَعِيدٌ إذا ما كَرَّ يَوْماً مِن الفَرِّ
يُـزَعْـزِعُ أحْشـاءَ البِـلادِ زَئِيـرُهُ   ويُبْطِلُ أبْطالَ الرِّجالِ مِن الذُّعْرِ
إذا ضَمَّ قِرْناً بَينَ كَفَّيْهِ خِلْتَهُ   يعانِقُ عِرْساً في غَلائِلِها الحُمْرِ
فحـرَّمَ أرْضَ الحائِـرَيْنِ وماءَهـا   فَهَيْهاتَ مَن يَغْدو عَليها ومَن يَسْري
بـأجْرَأَ مِنـه حَدَّ بَـأسٍ وعَزْمـةٍ   إذا ما نَزا قَلْبُ الجَبانِ إلى النحْرِ

ومن التهويلات في وصف الأسد قول الشاعر [1].

إيَّـاكَ لا تَسْتَوْشِ لَيْثاً مُخْـدِراً   لِلهَوْلِ في غَسَقِ الدُّجَى دَوَّاسا[2]
مَرِساً كـأمْراسِ القَلِيبِ جُـدُولُه   لا يَسْتَطِيعُ لـهُ الأنامُ مِـراسا[3]
شَثْنَ البَراثِنِ كالمَحاجِنِ عُطِّفَتْ   أظْفـارُهُ فتخـالُهـا أقْـواسـا[4]
لانَ الحَـديـدُ لجِلْدِهِ فـإهـابُـهُ   يَكْفِيهِ مِن دُونِ الحَدِيـدِ لِباسـا
مُصْـطَكَّـةٍ أرْسـاغُـهُ بِعِـظامِـه   فكـأنَّ بَيْنَ فُصُولِهـا أجْـراسا[5]
وإذا نَظَرْتَ إلى وَمِيضِ جُفُونِه   أبْصَـرْتَ بَينَ شُفُورِهـا مِقْبـاسـا

وقال أبو زبيد الطائي: [6]

وآسْتَحْـدَثُ القَـومُ أمْـراً غيـر مـا وَهِمُـوا
وطـارَ أنْـصـارُهُـم شَـتَّـى ومـا جَـمـعُـوا

---

(١) نهاية الارب ٢٣٦/٩.
(٢) لا تستوش الأسد: لا تحرك ساكنه. يقال: استوشى فرسه: حرّكه لاستخراج ما عنده من الجري.
(٣) المرس (بكسر الراء) الشديد المراس. الأمراس: الحبال الجدول: قصب اليدين والرجلين، أو هي الأعضاء، واحده جدل.
(٤) الشثن: الخشن، والغليظ. البراثن، جمع البرثن، وهو بمنزلة الأصابع من الانسان.
(٥) الارساغ، جمع الرسغ: مفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم. الفصول: المفاصل.
(٦) الديوان ١١٠/.

كـأنّمـا يَتَفـادَى أهْـلُ بَعْضِهِمُ ... مِن ذي زَوائِدَ في أرْساغِهِ فَدَعُ[1]

ضِرْغامةٍ أهْرَتِ الشدْقَيْنِ ذي لِبَدٍ ... كأنَّه بُرْنساً في الغاب ملتفِعُ[2]

بالثِّنْي أسْفلَ من جَمَّاء لَيْسَ لهُ ... إلَّا بَنيـهِ وإلَّا عِـرْسَـه شِيَـعُ[3]

أَبَنَّ عِـرِّيسَـةً عُنّـابُهـا أشِـبٌ ... ودُونَ غـايَتِها مُسْتَـوْرَدٌ شَرَعُ[4]

شَأسُ الهَبُوطِ زَناءُ الحامِيَيْنِ مَتَى ... يَبْشَعْ بواردةٍ يَحْدُثْ لهَا فزَعُ[5]

أَبُو شَتِيمَيْنِ من حَصَّاءَ قد أفِلَتْ ... كأنَّ أطْباءَها في رُفْغها رُقَعُ[6]

أعْطَتهُما جُهدَها حتى إذا وَجِمَتْ ... صَدَّتْ وصَدَّ فلا غَيْلٌ ولا جَدَعُ[7]

ثم آسْتَفاها فَلَم تَقْطَعْ فِطامَهما ... عن التَّضَبُّبِ لاشَعْبٌ ولا قَدَعُ[8]

وَرْدَيْنِ قد أخَذا أخْلاقَ شَيْخِهما ... فَفِيهما عَزْمَةُ الظُّلْماءِ والجَشَعُ[9]

غَذاهُما بِلحامِ القَوْمِ مُـذْشَدَنـا ... فَما يَزالُ بوَصْلَيْ راكبٍ يضَعُ[10]

عَلى جَنـاجِنِهِ من ثَـوْبِـهِ هِبَبٌ ... ومِن دمٍ صائِكٍ مُسْتَكرَهٌ دُفَعُ[11]

---

(١) ذو الزوائد: الأسد. القدع (محركه): الاعوجاج،

(٢) الأهرت: الواسع الشدقين.

(٣) الثني، والجماء: موضعان ذكرهما ياقوت في معجم البلدان.

(٤) أبنّ: أقام. العرِّيسة: مأوى الأسد. العناب: شجر حبُّه أحر حلو. أشب الشجر: التفّ، المستورد: موضع الورود. الشرع: الذي يشرع فيه.

(٥) الشأس: الغليظ يعني بزناء الحاميين، انه ضيق جانبي الوادي، يبشع: يضيق (عن أمالي المرتضى ٢/٢٨٦) في الديوان (ينشغ)

(٦) الشتيم: الكريه الوجه. الحصّاء: القليلة الشعر. الأطباء. حلمات الضرع. الرفغ: أصل الفخذ.

(٧) الغيل: اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل. الجدع: سوء الغذاء.

(٨) الاستفاهة: شدة الأكل. التضبب: السمن وكثرة اللحم. الشعب: التفريق. القدع: دفع المرأ عن أمر يريده.

(٩) (أخلاق شيخهما) عن شعراء النصرانية بعد الاسلام /٦٨، في الديوان (أخلاق شحمهما).

(١٠) شدن الظبي وغيره شدوناً: قوي وترعرع واستغنى عن أمِّه. الوصل: كلّ عضو على حدة لا يوصل به غيره، ويريد بالوصلين: الرجلين. وضع الرجل: أسرع في سيره.

(١١) الجناجن: عظام الصدر. الهبب: المتقطع. الصائك: اللازق.

كأنما هُو في أهْدابِ أرْمَلَةٍ مُسَرْوَلٌ وإلى الإبْطينِ مُدَّرِعُ [1]

وقال المتنبّي : [2].

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرةَ شارِباً وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنِّيلا
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا
ما قُوبِلَتْ عَيناهُ إلاَّ ظُنَّتا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا
في وَحْدَةِ الرُّهْبانِ إلاَّ أنَّهُ لا يَعْرِفُ التحْرِيمَ والتَّحْلِيلا
يَطَأُ البَرَى مُتَرَفِّقاً مِن تِيهِهِ فكأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا
ويَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يافُوخِهِ حتَّى تَصِيرَ لِرَأسِهِ إكْلِيلا [3]
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ عَنْها لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا
قَصَرَتْ مَخافَتُهُ الخُطَى فكأنَّما رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولا [4]
ألْقَى فَرِيسَتَهُ وبَرْبَرَ دُونَها وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطْفِيلا [5]
فتشابَهَ الخُلُقانِ في إقْدامِهِ وتَخالَفا في بَذْلِكَ المَأكُولا
أسَدٌ يَرى عُضْوَيْهِ فيكَ كِلَيْهِما مَتْناً أزَلَّ وساعِداً مَفْتُولا
في سَرْجِ ظامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ يَأبَى تَفَرُّدُها لَها التَّمْثِيلا [6]
نَيَّالَةِ الطَّلِباتِ لَوْلا أنَّها تُعْطِي مكانَ لِجامِها ما نِيلا
تَنْدَى سَوالِفُها إذا اسْتَحْضَرْتَها وتَظُنُّ عَقْدَ عِنانِها مَحْلُولا
ما زالَ يَجْمعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ حتَّى حَسِبْتَ العَرْضَ مِنه الطُّولا

(١) في رواية (الكعبين) مكان (الابطين).
(٢) الديوان شرح العكبري ٣/٢٣٨.
(٣) الغفرة: ما يغطّى به الشيء، ويريد بها: الشعر اجتمع على قفاه ويافوخه.
(٤) المشكول: المقيد بالشكال، وهو الحبل الذي تشد به قوائم الدابة.
(٥) الضمير من (قربت) يعود إلى الممدوح وهو سيف الدولة الحمداني.
(٦) الفصوص: المفاصل، وظامئة الفصوص، أي ليست برهلة كثيرة اللحم. الطمرَّة: الفرس الوثَّابة.

وَيَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كَأَنَّهُ ... يَبْغي إِلى ما في الحَضِيضِ سَبِيلا
فَكَأَنَّه غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَلِيلَ جَليلا
أَنَفُ الكَرِيم مِن الدَّنِيَّةِ تارِكٌ ... في عَيْنِهِ العَدَدَ الكَثِيرَ قَلِيلا
والعارُ مَضَّاضٌ وليسَ بخائِفٍ ... مِن حَتفِهِ مَن خافَ مِمَّا قِيلا
سَبَقَ التِقاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصادِمْهُ لجَازَكَ مِيلا
خذَلَتْهُ قُوَّتُه وقَد كافَحْتَهُ ... فَاسْتَنْصَرَ التَّسلِيمَ والتَّجْدِيلا [1]،
قَبَضَتْ مَنِيَّتَهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ ... فكأنَّما صادَفْتَهُ مَغْلُولا
سَمِعَ ابنُ عمَّتِهِ بهِ وبِحالِهِ ... فَنَجا يُهَرْوِلُ منكَ أَمْسِ مَهُولا [2]

وقال الوزير أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوَقْشي [3] ـ وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر ـ يصفه من قصيدة:

جَهْمُ المُحيَّا إن تَبسَّمَ هِبتَه ... ومِن العَجائِبِ هَيْبَةُ المُتَبَسِّمِ
ويُقالُ: كلُّ الصَّيدِ في جَوفِ الفَرا ... وأرَى الفَراءُ لَدَيْه بَعْض المطْعَمِ
وكأنَّما هو ناظِرٌ عَن زِئبَقٍ ... وكأنَّما هو كاشِرٌ عَن مِخْذَمِ
وكأنَّ لِبْدَتَه بقِيَّةُ فَرْوَةٍ ... قصُرَتْ عَلى طُولِ الزَّمانِ الأقْدَمِ
لمَّا تمرَّدَ في العَرِينَةِ فُتِّحَتْ ... أبْوابُها فانْسابَ مثلَ الأرْقَمِ
وعَلا زَئيرٌ منهُ حَتَّى خِلْتُهُ ... كالفَحْلِ يَهدُرُ عِندَ شَوْلٍ هُيَّمِ [4]
وظَنَنْتُ أنَّ الرَّعْدَ مِن حيثُ الحَيَا ... حَتَّى سَمِعْتُ اليومَ رَعْداً مِن فَمِ
وتَناوَلَتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ زَرْقَهُ ... حَتَّى بَدا في شَكْلِهِ كالشَّيْهَمِ [5]

---

(١) التجديل: من قولهم جدّله: إذا صرعه.
(٢) ابن عمته: اسد مِن جنسه. المهول: المخوف.
(٣) الحلة السيراء ٢//٢٦١.
(٤) الشول: النوق التي ترفع أذنابها للقاح واحدتها شائل.
(٥) الشيهم: ذكر القنافذ.

وقال الشريف الرضي[1] يصف الأسد :

دَعِي جَنباتِ الوادِيَيْنِ فَدُونَها ... أشمُّ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ ضُبارِمُ
إذا هَمَّ لم تَقْعُدْ به عَزَماتُه ... وإنْ ثارَ لا تَعْيا عَلَيهِ المَطاعِمُ
كأنَّ عَلى شِدْقَيْهِ ثغْراً وَراءَهُ ... ذَوابِلُ مِن أنْيابِهِ وصَوارِمُ
فما جَذَبَ الأقْرانُ مِنه فَرِيسَةً ... ولا عادَ يَوْماً أنْفُهُ وهوَ راغِمُ
يَرَى راكِبَ الظَّلْماءِ في مُسْتَقَرِّهِ ... وتَسْتَنُّ مِنهُ في العَرِينِ الغَماغِمُ
نَمُرُّ وراءَ اللَّيلِ نَكتُمُهُ السُّرَى ... وقَد فَضَحَتْنا بالبُغامِ الرَّواسِمُ
له كلَّ يَوْمٍ غارَةٌ في عَدُوِّهِ ... تُشارِكُهُ فيها النُّسُورُ القَشاعِمُ
كأنَّ المَنايا إنْ توَسَّدَ باعَهُ ... تَيَقَّظُ في أنْيابِهِ وهو نائمُ
ومَا اللَّيْثُ إلاَّ مَن يُدِلُّ بنَفْسِه ... ويَمْضي إذا ما بادَهَتْهُ العَظائِمُ
وما كلُّ لَيْثٍ يَغْنَمُ القَوْمُ زادَهُ ... إذا خَفَقَتْ تَحتَ الظَّلامِ الضَّراغِمُ

وقال المتوكل الليثي[2] من قصيدة :

فهَابُوا وِقاعِي كالَّذِي هابَ خادِراً ... شتيمَ المُحيَّا خَطْوُهُ مُتَداني[3]
تُشبِّهُ عَيْنَيهِ إذا ما فَجِئْتَهُ ... سِراجَيْنِ في دَيْجُورَةٍ تَقِدانِ
كأنَّ ذِراعَيْهِ وبَلْدَةَ نَحْرِه ... خُضِبْنَ بِحِنَّاءٍ فهُنَّ قَواني[4]
عَفَرْنَى يَضُمُّ القِرْنَ مِنهُ بساعِدٍ ... إلى كاهِلٍ عارِي القَرا ولَبانِ[5]
أزَبُّ هَرِيتُ الشِّدْقِ وَرْدٌ كأنَّما ... يُعَلُّ أعالي لَوْنِه بِدِهانِ[6]

---

(١) ديوانه ٢/٣٦٥ . دار صادر.
(٢) ديوانه/٢٠١ .
(٣) شتيم: كريه، وقبيح .
(٤) البلدة - هنا - : الصدر.
(٥) العفرني والعفرناة: الأسد الشديد. القرا : الظهر. اللبان: الصدر.
(٦) الأزبّ: الطويل الشعر كثيره. هريت الشدق: واسع الفم. الورد لون الأسد وهو ما بين الكميت والأشقر.

مُضاعَفُ لَوْنِ السَّاعِدَيْنِ مُضَبَّرٌ   هَمُوسُ دُجَى الظَّلْماءِ غَيرُ جَبانِ[1]

وقال الناشىء الأكبر عبد الله بن محمد[2] .

وعَفَرْناةٍ ضُبارِمَةٍ   ضَبٍّ مُضِبٍّ عَلى إحَنِهْ[3]
وارِدِ الأكْبادِ ذي لِبَدٍ   خادِرٍ يَسْتَنُّ في أَرَنِهْ[4]
هَرِتٍ عُصْلٍ خَواصِمُه   سَهِكٍ والعَرْفُ في أَسَنِهْ[5]
تُصْبِحُ الآسادُ نابِيَةً   عن مَغانيهِ وعن فِطَنِهْ
أُوثِقَتْ لِلبَطْشِ آلَتُهُ   فكَفَتْهُ السَّعْيَ في مَهَنِهْ
حَرَبُ الأبْطالِ عادَتُهُ   واغْتِيالُ الشُّوسِ من سُنَنِهْ
وإذا غَطَّتْ بَلاعِمُهُ   واسْتَحَرَّ الزَّأرُ عَن دِمَنِهْ[6]
غالَ قلبُ المَرْءِ يَبْعدُ عَن   أرْضِهِ ما جالَ في أُذُنِهْ
مِخْطَفُ الأعْجازِ جَوْشَنُه   صادقٌ أوْفى على قُنَنِهْ[7]

---

(١) المضبّر: الموثق الخلق. الهموس: الخفي الوطء.

(٢) المصائد والمطارد/١٨٠ ، وسأشير إلى هذا الكتاب عند تقويم بعض أبيات القصيدة بكلمة (الأصل) لأني لم أعثر عليها في مصدر آخر.

(٣) الضبارمة: المجتمع الخلق موثقه. الضبّ ـ هنا ـ: الغيظ. المضبّ، من ضبّ على الشيء: احتواه. الأحن: الأحقاد. ورد البيت في الأصل مصحفاً هكذا:

وعـفرنـاة   صـعـيـارمـة   صـب مـصـب عـلى أحـنـه

(٤) الوارد: الجريء والشجاع. الخادر: الأسد المقيم في خدره. يستن: يقمص ويعدو. الأرن: النشاط.

(٥) الهرت: الواسع الشدقين. العصل جمع الأعصل: الأعوج. خواضم الأسد: أنيابه. في الأصل (خواصمه) وهو تصحيف. السهك: ذو الرائحة الكريهة. العَرف ـ هنا ـ الرائحة المنتنة وهي من الأضداد. الأسن، من أسن الماء أسناً: تغير طعمه وريحه. والأُسُن (بضمتين): بقية الشحم. في الأصل (سهك في عرفه أسنه) ولا تستقيم معه القافية.

(٦) غطّت بلاعمه، من الغطيط وهو غطيط النائم، وغطيط البعير عندما يهدر في شقشقته. الدمن، جمع الدمنة، وهي ـ هنا ـ الحقد القديم.

(٧) المخطف (بالكسر): الخطاف: وهو حديدة معوجّة يختطف بها الشيء، وخطاطيف السباع: مخالبها. الجوشن: الصدر. في الأصل (خوشنه) و (صدق) مكان (جوشنه) و (صادق).

تَقْصِفُ المُرَّانَ شِكَّتُهُ ... ويَكِلُّ السَّيفُ عَن جُنَنِهْ(١)

وإذا أجْفَانُهُ ومَضَتْ ... كوَمِيضِ البَرْقِ في مُزُنِهْ

لَمْ تَرُغْ عَن عَينِ لامِحِها ... دُونَ سَلِّ الرُّوحِ من بَدَنِها(٢)

كُلُّ ذي رُوحٍ يَدينُ لَهُ ... ويَخافُ القُربَ من سَنَنِهْ

حِينَ تَمَّتْ مِنهُ مُدَّتُهُ ... وانْقَضَى ما امتَدَّ مِن زَمَنِهْ

غالَهُ خِرْقٌ تَوسَّطَهُ ... نَشِزاً أوْفَى على شَزَنِهِ(٣)

جُعِلَتْ فيهِ فَرِيسَتُهُ ... كجُثُومِ الطَّيرِ في مَكِنِهْ(٤)

فَسَرَى والحَيْنُ يَقدمُه ... غيرَ مَطويٍّ على ظِنَنِهْ

وأتَى يَبْغي فَرِيسَتَهُ ... فَوَهَى وانْهَدَّ من رُكُنِهْ

وغَدا القُنَّاصُ فانْتَظَمُوا ... بينَ مَتنَيْهِ إلى ذَقَنِهْ

بسِهامٍ ألحَفَتْهُ كما ... يُدْرَجُ المقبورُ في كفَنِهْ(٥)

فثَوَى والتُّربُ مَسْكَنُهُ ... نائِيَ الأوْطانِ عن وَطَنِهْ(٦)

وقال ابن الهبارية أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي في حكاية أسدين(٧):

فقال كان أسدٌ بالحاجِرِ ... فَظّاً على الأصْحابِ والعشائِرِ(٨)

---

(١) المران : الرماح . الشكّة: السلاح، في الأصل (حننه) مكان (جننه) .

(٢) في الأصل (لم ترع)- مكان (لم ترغ) .

(٣) الخرق ، والخرّيق: الفتى السخي، والحسن الكريم الخليقة. النشِز: الذي يحتمل قرنه فيصرعه. الشزَن : النشاط .

(٤) مكنات الطير: مقارّها وأعشاشها، في الأصل (كحتوم) مكان (كجثوم) وهو تصحيف .

(٥) في الأصل (تدرج) مكان (يدرج) .

(٦) قال محقق الكتاب الدكتور محمد أسعد طلس في فهرس التصويبات ما نصّه (في قصيدة الناشىء اضطراب فليحقق) لذلك التزمت بتقويم ما فيها من خلل .

(٧) ديوانه (الصادح والباغم)/٣٨ .

(٨) حاجر: موضع في ديار بني تميم، وقيل: لمزينة.

يـأكـلُ مـا يَصيدُهُ ويُـطعِمُـهْ ... جماعـةً من الكـلاب تخـدمُـهْ

والنَّمِـرُ المسكينُ ثـاوٍ جـائِـعُ ... وكـلُّ ساداتِ السِّباع ضـائِـعُ

فـإن شَكوا أنكـرَ ذاكَ قـائـلاً ... مـا تستحقُّـونَ علـيَّ طـائـلا

وهُم يَعضُّـونَ البَنـانَ عَضّـا ... ويُضْمِـرُونَ حَنَـقـا مُـمِضّـا

وفي زَرُود شبلُ لَيثٍ في أجَمْ ... لا يَدفعُ الخصْمَ إذا الخصمُ هَجَم (1)

مـاتَ أبوهُ وهـو طفلٌ يـرضـعُ ... لكن لـه جنـدٌ قليـلٌ طَيِّـعُ

كـانَ أبـوهُ لـهـمْ يُـراعـي ... والحِفظُ من مَكـارِمِ الـطِّبـاعِ

ثـم أقـامَـتْ أمُّـهُ تُـرْضِـعُـهُ ... وتُـطعِمُ الجُندَ الـذي يَتْبَعُـهُ

تَصْـطادُ ما تَصْطادُهُ بعَجْـزِهـا ... ثمَّ تُجيـعُ نَفْسَهـا لِعِـزِّهـا

وكَبُـرَ الشِّبـلُ وشَبَّ ونَـهَضْ ... واصْطادَ ما عَزَّ ودَقَّ وبَهَضْ (2)

وعـلَّمـتـهُ أمُّـهُ أخْـلاقَـهـا ... سَخـاءَهـا الطَّبْعيَّ أوْ نفـاقَهـا

فـملكَ القُـلوبَ بـالـمحـبَّـهْ ... والحبُّ لا يَخلُصُ إلَّا رَغْـبَـهْ

ثمَّ غَـزاهُ ذلـكَ اللَّيثُ الـذي ... كانَ به الجُنـدُ زَمانـاً قد أُذي

في جَحفَـلٍ من قَوْمِـهِ جَـدَّارِ ... يَـقُـودُ كـلَّ بَـطلٍ كَـرَّارِ

فَـرِيعَ منه الشبـلُ واسْتُـطِيرا ... لـمـا رأى عسكـره الكثيـرا

وهَمَّ أن يَهـربَ من مَكـانِـهِ ... وعَـرَضَ الـرَّأيَ عَلى أعْـوانِـهِ

قـالـوا لـه عَـديـدُنـا قَليـلُ ... لـكـنَّـنـا غَـنـاؤنـا جَـليـلُ

وواحـدٌ يَـصْـدقُ في الـلِّقـاءِ ... خيـرٌ من الألفِ بِـلا غَنـاءِ (3)

فـاصْبِـر لـهُ فـإنَّنـا سَنَهْـزِمُـهْ ... بِصَـدْقِنـا وجُـنـدُهُ سَيُسْلِمُـهْ

حتى إذا مـا زَحَفـا واصْـطَفَّـا ... أحْـجَـمَ عنـهُ جُـنـدُهُ وكَـفَّـا

فـظلَّ بينَ العَسْكَـرَيْنِ وَحْـدَه ... كـذاكَ حالُ مَن يُضِيعُ جُنْدَهْ

---

(1) زرود : موضع بالحجاز في طريق مكة للقادم إليها من الكوفة .

(2) بهضه الأمر ، وأبهضه: أثقله فعجز عن حمله .

(3) في الديوان (عناء) مكان (غناء) وهو تصحيف .

لأنَّهمْ قَضَوْهُ ما أسْلَفَهُمْ ... وأخْلَفُوهُ الوَعْدَ إذْ أخْلَفَهُمْ

وفازَ بالملكِ الشُّبَيْلُ وغَلَبْ ... ولم يُطِقْ ذاكَ الفِرارُ والهَرَبْ

وجاءَهُ في يَوْمِه جَماعَهْ ... فأوْثَقُوا في عُنْقِهِ ذِراعَهْ

وحَمَلُوهُ قُرْبَةً إليهِ ... وأوْجَبُوا الحقَّ بهِ عليهِ



ابـن آوى

حيوان وحشيٌّ مفسد . قلَّما يُرى في النهار، وإن رؤي فلا يُسمع له حسٌّ أو عواء ، ولا يعوي في الليل إلاَّ إذا استوحش لابتعاده عن رفاقه .

يعيش مع جماعة من فصيلته، ويقود الجماعة أكبرهم سناً وأكثرهم خبرة .

يخشى الإنسان ويهرب منه، ولكنَّه يهاجمه عند الإضطرار للدفاع عن نفسه .

يغير على القرى وأطراف المدن ليلاً، فيفتك بالدجاج، ويتلف ثمار المزارع .

ولبعده عن الإنسان، وعدم حاجة الإنسان إليه كانت أخباره في الأدب العربي قليلة جداً، بل تكاد تكون معدومة، فلم يرد ذكره في القرآن، ولا في الحديث النبوي، ولا في الأمثال العربية، ولم يتعرض له الشعراء بمدح أو ذم إلاَّ في أبيات معدودات، وهي على الأكثر غير معزوّة لأحد .

وها إننا ذاكرون ما تيسَّر لنا من أخباره وأحواله ممَّا يدخل ضمن منهج هذا الكتاب :

أسماؤه وكنـاه(1)

أشهر أسمائه (ابن آوى) ، وجمعه : بنات آوى، وسبب التسمية لأنه يأوي إلى عواء أبناء جنسه، وهو معرفة لا ينصرف، لوزن الفعل، ولأنّه علم يطلق على الذكر والأنثى، وتركيبه إضافي. فابن غير منفصل من (آوى) وآوى غير منفصل من (ابن) ، ومن أسمائه :

- الوَعْوَعُ والوَعْواع، ويشترك في هذه التسمية: الكلب والذئب.
- لَعْوَص (كجدول) وفي أقرب الموارد بالصاد المهملة.
- عِلَوَّص، وهو من عَلَص الشيء عَلْصاً: حرَّكه لينتزعه.
- شَعْبَر (بالعين المهملة) وفي رواية: شغبر (بالغين المعجمة).
- عِلَّوْش، وهو الخفيف الحريص، ويشترك معه الذئب.
- شَوْطُ بَراح.
- الذُّؤلَبان (يهمز ولا يهمز).

ومن كناه : أبو أيوب، وأبو ذؤيب، وأبو كعب، وأبو وائل.

ذكره في الشعر

قال أبو نواس الحسن بن هاني من قطعة يهجو بها إسماعيل بن سهل بن نوبخت(2).

على خُبْزِ إسْماعِيلَ واقِيةُ البُخْلِ   فقَدْ حَلَّ في دارِ الأمانِ من الأكْلِ
وما خُبْزُهُ إلَّا كآوَى يُرَى ابْنُـه   ولم يُرَ آوَى في حُزُونٍ ولا سَهْلِ

---

(1) المخصّص/2/8/73 ، عجائب المخلوقات/228، حياة الحيوان الكبرى 1/108. المعجم الزوولوجي الحديث 1/40 ، وبعض معاجم اللغة.

(2) ديوان أبي نواس/515.

وقال آخر في صعوبة صيده ورخص ثمنه[1] :

كَـإبْنِ آوَى وهو صَعْبٌ صَيـدُهُ فَـإذا صِيـدَ يُسـاوِي خَـرْدَلَـهْ

وقال آخر[2] .

إنَّ ابنَ آوَى لَشـدِيدُ المُقْتَنَصْ وهوَ إذا ما صِيدَ ريحٌ في قَفَصْ

بعض ما ورد عنه في القصص[3]

١ ـ زعموا أنّ غراباً كان له وكر في شجرة على جبل، وكان قريباً منه حجر ثعبان أسود، فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها. فبلغ ذلك من الغراب فأحْزنه، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له: أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه. قال: وما هو؟

قال الغراب: قد عزمت على أن أذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لعلّي أستريح منه. قال ابن آوى: بئس الحيلة التي احتلت. فالتمس أمراً تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغدِّر بنفسك وتخاطر بها، وإيَّاك أن يكون مثلك مَثَل العلجوم[4] الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه[5] . ولكنّي أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك، وتكون فيه سلامتك .

قال الغراب: وما ذاك ؟

قال ابن آوى: تنطلق فتتبصّر في طيرانك لعلّك تظفر بشيء من حليّ النساء

---

(١) و (٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٢٦٦ .

(٣) كليلة ودمنة/١٤٧ و ١٥٠ ، و ٣١٢ ـ ٣١٦ .

(٤) العلجوم يطلق في اللغة على عدة حيوانات تتصف بكثرة اللحم،ولا ينطبق هنا ـ إلاّ على ذكر البط .

(٥) انظر قصة العلجوم والسرطان في كليلة ودمنة/١٤٨ .

فتخطفه ولا تزال طائراً واقعاً بحيث لا تفوت العيون. فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحليّ عنده فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليّهم وأراحوك من الأسود.

فانطلق الغراب محلّقاً في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطىء نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليّها ناحية، فانقضّ واختطف من حليّها عقداً وطار به، فتبعه الناس، ولم يزل طائراً واقعاً بحيث يراه كلُّ أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود، فألقى العقد عليه والناس ينظرون إليه. فلما أتوا أخذوا العقد وقتلوا الأسود.

٢ ـ وزعموا أنّه كان أسد في أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه. فأصاب الأسد جرب وضعف شديداً وجُهد فلم يستطع الصيد، فقال له ابن آوى:

ما بالك يا سيد السباع قد تغيّرت أحوالك؟ قال: هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلّا قلب حمار وأذناه. قال ابن آوى: ما أيسر هذا، وقد عرفت بمكان كذا حماراً مع قصّار[1] يحمل عليه الثياب وأنا آتيك به، ثم دلف إلى الحمار فأتاه وسلم عليه وقال له: ما لي أراك مهزولاً؟ قال: لسوء تدبير صاحبي، فإنّه لا يزال يجيع بطني، ويثقل ظهري، وما تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلّا أنحلتاه وأسقمتاه. فقال له: كيف ترضى المقام معه على هذا؟ قال: ما لي حيلة للهرب منه فلست أتوجّه إلى جهة إلّا أضرَّ بي إنسان فكدّني وأجاعني.

قال ابن آوى فأنا أدلّك على مكان معزول عن الناس لا يمرُّ به إنسان، خصيب المرعى فيه عانة[2] من الحُمُر ترعى آمنة مطمئنّة.

---

(١) القصّار: مبيِّض الثياب.

(٢) العانة: القطيع من حمر الوحش.

قال الحمار: وما يحبسنا عنها فانطلق بنا إليها. فانطلق به نحو الأسد، وتقدّم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه، وتخلّص الحمار منه فأفلت هَلِعاً على وجهه. فلمّا رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له: يا سيّد السباع أعجزت إلى هذه الغاية ؟ فقال له : إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجو منّي أبداً. فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له: ما الذي جرى عليك ؟ إنَّ أحد الحُمر رآك غريباً فخرج يتلقَّاك مرحِّباً بك، ولو ثبتَّ لآنسك ومضى بك إلى أصحابه .

فلمَّا سمع الحمار ذلك، ولم يكن رأى أسداً قط صدَّق ما قاله ابن آوى وأخذ طريقه إلى الأسد، فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له: استعدَّ له فقد خدعته لك فلا يدركنَّك الضعف في هذه النَّوبة، فإنَّه إن أفلت لن يعود معي أبداً، والفرص لا تصاب في كلِّ وقت .

فجاش جأش الأسد لتحريض ابن آوى له، وخرج إلى موضع الحمار، فلمَّا بصر به عاجله بوثبة افترَسَهُ بِها ثم قال: قد ذكرت الأطباءُ أنَّه لا يؤكل إلَّا بعد الإغتسال والطهور، فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه، وأترك ما سوى ذلك قوتاً لك .

فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطيّر الأسد منه فلا يأكل منه شيئاً. ثم إنَّ الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم أنه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفْلِتَ ونجا من الهلكة ؟ .



الأرنب

أسماؤها والصفات التي تجري مجرى الأسماء[1]

الأرنب: اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويميّز باسم الإشارة فيقال للذكر: هذا أرنب، وللأنثى: هذه أرنب، ونقل عن الخليل بن أحمد قوله: للأنثى، أرنبة. والجمع أرانب، وربما قالوا أراني، كثعالب، وثعالي. ومن أسمائها الأخرى:

- الخِرْنِقُ: ولد الأرنب، للذكر والأنثى، ثم سخلة، ثم أرنب.
- الخُزَز: للذكر، جمعه خِزّان، وأخزّة.
- الدَرَّامة، والدَّرِمَة، ويشترك معها القنفذ.
- الزَّمُوع: للذكر والأنثى. لتقارب خطوها كأنّها تعدو على زمعاتها وهي الشعرات في مؤخَّر رجلها.
- عِكْرِشَة: للأنثى.
- القُواع: للذكر، والأنثى: قُواعة.

مما ورد عنها في اللغة[2]

أرض مُؤَرْنَبة، ومُرْنِبَة: كثيرة الأرانب.

---

(١) و (٢) المخصّص ٧٦/٨/٢ و ٧٧، وبعض معاجم اللغة، وحياة الحيوان ٢٠/١.

أرض مُخَرْنِقَة: تكثر فيها الخرانق، وهي الأرانب.

أرنب مُحَشِّيَة الكلاب، أي تعدو الكلاب خلفها حتى تنبهر. أخذه من (الحشا) وهو الربو.

أرنب مُقطِّعة النياط، لسرعتها.

أرنب حُذَمَة لُذَمَة، تسبق الجمع بالأكمة، والحذمة: السريعة المشي والبطيئة (من الأضداد) واللذمة: ثابتة العدو، وقيل اتباع حذمة.

التوبير: مشي الأرنب التي تخفُّ وطأها وتمشي على وبر قوائمها لئلا تقصّ.

تَنَفَّجت الأرنب: اقشعرَّت (يمانية).

الجَحْمَرِش: الأرنب المرضع، جمعها جحامر، والتصغير جُحيمر

دَرَمَت الأرنب: قاربت الخَطْو.

دَمَجَت الأرنب في العدو: أسرعت، وهو سرعة تقارب القوائم على الأرض.

دَمَكَت الأرنب، وهو أسرع ما يكون من عدوها.

ضَغِبَت الأرنب تَضْغَب ضَغِيباً: صوَّتت، وفي الأساس (سمعت ضَغِيب الأرنب وضُغابها، وهو تضوُّرها إذا أُخذت).

العانقاء: جحر مملوء تراباً يكون للأرنب تدخل فيه عنقها.

المَخَزَّة: موضع الخزَّان وهي الأرانب.

نفجَ الأرنبُ: إذا ثار، والأنثى: نفجت، وأنفجها الصيَّاد.

ممّا ورد عنها في الأمثال[1]

(اطعم أخاك من كلية الأرنب) يضرب للمواساة .

(أقْطفُ من أرنب) يضرب للمبالغة والتناهي .

(بئس الرميَّة الأرنب) يريدون: بئس الشيء مما يُرمى .

(حذفته بالعصا كما تحذف الأرنب) .

(كراع الأرنب) يضرب مثلاً فيما قلَّ وذلَّ .

(لو كانت الضَّبَّة دجاجة. لكانت الأرنب درَّاجة) يضرب لمن يعجب من شيء لا يستحق الإعجاب .

(ما الدنيا في الآخرة إلاَّ كنفجة أرنب) يضرب لتقليل المدَّة .

ممّا ورد عنها في القصص[2]

١ ـ زعم العرب على ألسنة البهائم أن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها .

فانطلقا يختصمان إلى الضبّ .

فقالت الأرنب: يا أبا حسل، قال: سميعاً دعوت .

قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حكَّمْتُما .

قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يُؤتى الحكم .

قالت: إنّي وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها .

قالت : فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير .

قالت : فلطمته، قال : بحقِّك أخذتِ .

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣٥٢/٦ و ٣٥٣. جمهرة الأمثال ١١٥/٢. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٤٠٧ . المخصص لابن سيده ٧٧/٨/٢ ، حياة الحيوان الكبرى٢١/١ .

(٢) كليلة ودمنة/١٥٢و ٢٧٢ . رسالة الصاهل والشاحج/٢٧٩ و ٢٨٠ . حياة الحيوان الكبرى ٢١/١ .

قالت : فلطمني، قال: حرٌّ انتصر لنفسه .

قالت : فاقض بيننا، قال : قد قضيت .

فذهبت أقواله كلُّها أمثالاً .

٢ ـ استبّت الوَبْرَة والأرنب، فقالت الوبرةُ: أران أرانِ[١] رأس وأُذُنانِ، وسائرك أُكْلَتَان .

وقالت الأرنب: يا وَبْر يا وَبْر، منكبانِ وصدر، وسائرك حفرٌ، نقرٌ .

٣ ـ الأرنب فيروز مع ملك الفيلة :

زعموا أنَّ أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون، وأجدبت وقلَّ ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد، فَشكَوْن ذلك إلى ملكهنَّ، فأرسل الملك رسله وروَّاده في طلب الماء في كلِّ ناحية، فرجع إليه بعض الرسل فقال له: إنِّي قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها: عين القمر كثيرة الماء . فتوجَّه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته، وكانت العين في أرض للأرانب، فوطئن الأرانب في أجحارهن فأهلكن منهنَّ كثيراً .

فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة؟ فقال: ليُحضِر منكنَّ كلُّ ذي رأي رأيَه . فتقدمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز، وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة، ويرسلْ معي أميناً ليسمع ويرى ما أقول ويرفعه إلى الملك. فقال لها الملك: أنت أمينة ونرضى بقولك، فانطلقي إلى الفيلة وبلِّغي عنِّي ما تريدين، واعلمي أنَّ الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللِّين

---

(١) استبّت الوبرة والأرنب: تسابتا، والوبرة: دويبة على هيئة السنور. أران : مأخوذ من أرنب .

والرفق والحلم والتأنّي فإنَّ الرسول هو الذي يليِّن الصدور إذا رَفَق، ويخشِّن الصدور إذا خَرِقَ .

ثم أنَّ الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة وكرهت أن تدنو منهنَّ مخافة أن يطأنها بأرجلهنَّ فيقتلنها وإن كنَّ غير متعمِّدات، فأشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له إنَّ القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم يبلِّغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة ؟ قالت: يقول لك إنَّه من عرف فضل قوَّته على الضعفاء فاغترَّ في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوَّته وبالاً عليه، وأنت قد عرفت فضل قوَّتك على الدوابِّ فغرَّك ذلك فعمدت إلى العين التي تسمَّى باسمي فشربت منها ورنَّقْتَها، فأرسلني إليك فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وأنَّه إن فعلت يُغشِّي على بصرك ويتلف نفسك، وإن كنت في شكٍّ من رسالتي فهلمَّ إلى العين من ساعتك فإنَّه موافيك بها .

فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع الرسول فيروز ، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرَّك فخُيِّل إلى الفيل أنَّ القمر ارتعد، فقال: ما شأن القمر ارتعد ؟ أترينه غضب من إدخالي خرطومي في الماء ؟ قالت فيروز : نعم، فسجد الفيل للقمر مرَّة أخرى وتاب إليه ممَّا صنع وشرط ألَّا يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته .

٤ ـ الأرنب والأسد :

زعموا أنَّ أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلَّا أنَّه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إنَّك لتصيبُ منَّا الدابَّة بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمنٌ لنا، فإن أنت أمَّنتنا

ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك. فرضي الأسد بذلك وصالح الوحش عليه، ووَفَّيْنَ له به.

ثم إنَّ أرنباً أصابتها القرعة وصارت غداء الأسد. فقالت للوحوش: إنْ أنتنَّ رفقتُنَّ بي فيما لا يضركنَّ رجوت أن أريحكنَّ من الأسد. فقالت الوحوش: وما الذي تكلِّفينا من الأمور؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني ريثما أبطىء عليه بعض الإبطاء. فقلن لها: ذلك لك. فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدَّى فيه الأسد، ثم تقدَّمت إليه وحدها رويداً وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك، وقد بعثتني ومعي أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها منِّي وقال: أنا أوْلى بهذه الأرض وما فيها من الوحش. فقلت له: إنَّ هذا غداء الملك أرسلت به الوحوش إليه، فلا تغضبنَّه، فسبَّك وشتمك، فأقبلت مسرعة لأخبرك. فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جبٍّ فيه ماء غامر صافٍ، فاطَّلعت فيه وقالت: هذا المكان. فاطَّلع الأسد فرأى ظلَّه وظلَّ الأرنب في الماء، فلم يشك في قولها ووثب على الأسد ليقاتله فغرق في الجبِّ. فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فاعلمتهنَّ صنيعها بالأسد.

ممّا ورد عنها في الشعر

- قال أحد الشعراء يهجو قوماً بأنَّهم لا كسب لهم إلَّا صيد الأرانب وبيع جلودها(١):

إذا ابْتَدَر الناسُ المعالي رأيتَهم   قِياماً بأيْدِيهم مُسُوكُ الأرانبِ(٢)

---

(١) الحيوان ٦/٣٦٠.

(٢) المسوك: الجلود.

ـ كان بعض الأعراب إذا دخل قرية، يقف على بابها فيعشّر كما يعشّر الحمار[1] ويعلّق عليه كعب أرنب ليدفع عنه الجنَّ والوباء، وفي ذلك يقول قائلهم[2] :

ولا ينفعُ التَّعْشِيرُ في جَنبِ جِرْمَةٍ ولا دَعْدَعٌ يُغني ولا كعبُ أرْنبِ[3]

ـ وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الخيل[4] :

كأنَّ حَماتَيْهما أرْنبا نِ غِيضَتا خِيفةَ الأذْؤبِ[5]

ـ وقال الأبَيْرد الرياحي يهجو حارثة بن بدر الغداني[6] :

زَعَمَتْ غُدانةُ أنَّ فيها سَيِّداً ضَخْماً يُوازِنُه جَناحُ الجُنْدبِ[7]
يُرْوِيه ما يُرْوي الذُباب فَيَنْتَشي شُكْراً ويُشْبِعُه كِراعُ الأرْنَبِ

ـ وقال امرؤ القيس[8] :

يا هندُ لا تنكحي بُوهَةً عليه عَقِيقَتُه أحْسَبا[9]
مُرسَّعةٌ بين أرْساغِهِ به عَسَمٌ يَبتَغي أرْنَبا[10]

---

(١) عشَّر الحمار: نهق عشرة أصوات في طلق واحد.

(٢) الحيوان ٦/٣٥٨ .

(٣) الجرمة (بالكسر) : القوم الذين يصرمون النخل، وما صرم من البسر، وقيل: القطعة من النخل. دعدع: كلمة يقولونها عند العثار.

(٤) الحيوان ٦/٣٥٤ ولا وجود للبيت بين أشعار عبد الرحمن بن حسان جمع الدكتور سامي مكي العاني.

(٥) الحماة: عضلة الساق، وفي ساق الفرس حماتان.

(٦) الحيوان ٦/٣٥١ . وثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٤٠٧ .

(٧) في رواية ـ (يواريه) مكان (يوازنه) . الجندب: الصغير من الجراد.

(٨) ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/١٢٨ .

(٩) البوهة: البومة. العقيقة: شعر الإنسان الذي ولد به. الشعر الأحسب: الأشقر.

(١٠) التقدير (بين أرساغه مرسَّعة) ، والمرسَّعة: العوذة، من خرز وغيره لدفع الشر ـ حسب اعتقادهم ـ . العسم: الاعوجاج، واليبس.

ليجعـلَ في كفِّـهِ كَعْبَهـا   حَـذارَ المنيَّـة أنْ يَعْـطبا

ـ وقال الأعشى[1] وقيل للمدار العدوي[2] يصف جواداً .

وإذا تَصَفَّحـهُ الفَوارِسُ مُعـرِضـاً   فتَقُولُ سِرْحانُ الغَضا المتنصِّبُ[3]

أمَّـا إذا اسْتَدبَـرْتَـهُ فتسُـوقُـه   ساقٌ يُقمِّصُها وظيفٌ أحْـدَبُ[4]

مِنـه وجـاعِـرةٌ كـأنَّ حَمـاتَها   كشَطَتْ مكانَ الجَلِّ عَنها أرْنَب[5]

ـ وقال عمرو بن قميئة[6] :

ليسَ بـالمُطْعِم الأرانبِ اذْ قلَّـ   ـصَ دَرُّ اللِّقاح في الصِّنَّبْرِ[7]

ورأيت الإمـاء كـالجِعْثَن البـا   لي عُكـوفاً على قُـرارَة قِـدْرِ

ورأيتَ الـدُّخـانَ كـالـوَدْع الأهـ   ـجَنِ يَنْبـاعُ من وَراءِ السِّتـرِ

حـاضـرٌ شـرُّكم وخَيْـرُكُـمُ دَ   رُّ خَـروسٍ من الأرانِبِ بِـكْـرِ

وقال الشمَّاخ بن ضرار[8] :

فمَـا تَنفـكُّ بينَ عُـوَيْـرِضـاتٍ   تَجـرُّ برأسِ عِكْـرِشَةٍ زَمُـوعِ[9]

---

(١) لم أجد الأبيات في ديوان الأعشى شرح الدكتور م. محمد حسين.

(٢) الحيوان ٦/٣٥٤ .

(٣) السرحان: الذئب. المتنصِّب: المنتصب أي القائم .

(٤) الوظيف لكلِّ ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. يقمصها، من القمص وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويطرحهما معاً .

(٥) الجاعدة: حرف الورك المشرف على الفخذ. الحماة: مرَّ تفسيرها.

(٦) الحيوان ٦/٣٥٦ ، ورسائل الجاحظ ٢/٣٥٧ ، وديوان عمرو بن قميئة (الذيل)/٧٨ .

(٧) في رواية البيت اختلاف بين المصادر المذكورة، والمثبت عن كتاب الحيوان. الصنَّبر: شدة البرد .

(٨) الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٢ .

(٩) عويرضات: اسم موضع. العكرشة: أنثى الأرنب . الزموع: التي تمشي على زمعاتها، والزمعة مؤخر رجلها .

تُطارِدُ سِيدَ صاراتٍ ويَوماً ... عَلى خِزّانِ قاراتِ الجُمُوعِ [1]

(١) صارات: اسم جبل. الخزّان: ذكور الأرانب. القارات، جمع قارة: الجبل الصغير. الجموع: الجماعات.



الأوَزُّ

الأوزُّ (بالفتح ويكسر) طير مائيٌّ واحدته إوزَّة، وقد جمعوه بالواو والنون فقالوا: إوزُّون .

ويسمَّى أيْضاً، البط (أعجمي معرَّب ، بَتْ) ، والبطَّة إسم للأنثى والذِكر جميعاً، وليست الهاء للتأنيث وإنَّما هي لواحد الجنس، تقول : بطَّة أنثى ، وبطَّة ذكر. قال ابن جنِّي: إنَّها سمِّيت بذلك حكاية لأصواتها .

مما ورد عنه في الأمثال[1]

(أوَ لِلبطِّ تهدِّدين بالشطِّ) .

ورد هذا المثل في رسالة لأبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد صاحب قلاع الإسماعيلية أرسلها إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي يردُّ بها على تهديدات السلطان .

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/١٢٤ .

مما ورد عنه في القصص(١)

ـ زعموا أنَّ غديراً كان عنده عشب، وكان فيه بطَّتان، وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطَّتين مودَّة وصداقة. فاتَّفق أن غِيض ذلك الماء، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا: السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه. فقالت: إنما يبين نقصان الماء على مثلي التي كأنِّي السفينة لا أقدر على العيش إلَّا بالماء، فأمَّا أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما، فاذهبا بي معكما. قالتا: نعم. قالت: كيف السبيل إلى حملي؟

قالتا: نأخذ بطرفي عود وتقبضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجوِّ. وإيَّاك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي.

ثم أخذتاها فطارتا بها في الجوِّ. فقال الناس: عجبٌ، سلحفاة بين بطَّتين قد حملتاها. فلما سمعت ذلك قالت: فقأ الله أعينكم أيُّها الناس. فلمَّا فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت.

ـ ويحدِّثنا ابن شهيد الأندلسي في التوابع والزوابع أنَّه بينما كان واقفاً في وادي الجن مع بغلة من بغالها إذْ رأى إوزَّة جنيَّة في بركة ماءٍ قريبة منه ومن صاحبه زهير بن نمير من أشجع الجن.

(إوزة بيضاء شهلاء في مثل جثمان النعامة، كأنَّما ذرَّ عليها الكافور، أو لبست غلالة من دمقس الحرير... في ظهرها صفاء، تثني سالفتها وتكسر حدقتها، وتتلولب قَمَحْدُوَتَها(٢) فترى الحسن مستعاراً منها والشكل مأخوذ عنها).

---

(١) كليلة ودمنة/١٨١، والنثر الفني للدكتور زكي مبارك ١/٢٦٤، ورسالة التوابع والزوابع/٢٠٦ ـ تحقيق بطرس البستاني ـ دار صادر ١٩٥١.

(٢) القمحدوة: الهنة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال، ومؤخر القذال جمعها قماحد.

وقد صاحت تلك الإوزة بالبغلة (لقد حكمتم بالهوى ورضيتم من صاحبكم بغير الرضى)[1].

فيسأل ابن شهيد صاحبه: ما شأن هذه الإوزَّة؟ فيجيبه:

(هي تابعة شيخ من مشيختكم تسمَّى العاقلة، وتسمَّى أم عفيف، وهي ذات خط من الأدب فاستعدَّ لها).

فيقول ابن شهيد: (أيتها الإوزَّة الجميلة، العريضة الطويلة: لجَمال صفتك باعتدال منكبيك، واستقامة جناحيك، وطول جيدك، وصفر رأسك. تقابلين الضيف بمثل هذا الكلام، وتلقين الطائر الغريب بشبه هذا المقال، وأنا الذي همتُ بالأوزِّ صبابة، واحتملت في الكتاب بها غضَّ كلِّ مقالة، وأنا الذي استرجعتها للوطن المألوف، وحبَّبتها إلى كلِّ غطريف، فاتخذتها السادة بأرضنا، واستهلك عليها الظرفاء منا، ورضيتها بدلاً من العصافير، ومتكلمات الزرازير، ونُسِيَتْ لذَّة الحمام، ونقار الديوك، ونطاح الكباش).

عند ذلك داخلها العجب من كلام ابن شهيد ثم تدفَّعت وقد اعترتها خفَّة شديدة في مائها، فمرَّة سابحة، ومرَّة طائرة، تغطس هنا وتخرج هناك، ثم سكنت وأقامت عنقها وعرضت صدرها وقالت لابن شهيد:

(أيُّها الغار المغرور، كيف تَحكم في الفروع وأنت لا تُحكم الأصول؟ ما الذي تحسن؟).

ثم يلاحيها وتلاحيه حول الشعر والخطابة والنحو والغريب إلى أن يسألها: يا أم عفيف، بالذي جعل رداءك ماء، وحشا رأسك هواء، أيُّهما أفضل؟ الأدب أم العقل؟ فتجيب: بل العقل. فيقول ابن شهيد: وهل تعرفين في الخلائق أحمق من إوزَّة؟ فتجيب: لا.

---

(١) تشير إلى مناظرة شعرية جرت بين بغل وحمار.

فيقول: تطلّبي عقل التجربة إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة . . .

مما ورد عنه في الشعر

قال الدكتور أكرم فاضل تحت عنوان (البطّة العرجاء)[1] .

جاؤوا بها من جنوب القِطْرِ عَرْجاءَ ... تَشْكو إلى اللهِ ظُلْمَ النَّاسِ خَرساءَ
فعَالَجَتْها يدٌ مِن مَرْأةٍ كَلِفَتْ ... بالخَيرِ تُسْدِيهِ مَعْروفاً لِمنْ شاءَ
كانَتْ تذرُّ عليها كلَّ آونةٍ ... مِنَ المَساحِيقِ ما تَشْفي بهِ الدَّاءَ
كانَتْ تُضَمِّدُها كانَتْ تُمَرِّضُها ... تَحْنُو عَلى جُرْحِها صُبْحاً وإمْساءَ

* * *

وكانَتِ البطَّةُ العَرْجاءُ تَرْفُسُها ... بأظْفُرٍ تَشْبَهُ الأشْواكَ إيذاءَ
ولا تَنِي نَقْرَ كَفَّيْها مُدافَعَةً ... عَن نَفْسِها مِن طَبيبٍ رامَ إشْفَاءَ
أدْمَتْ يَدَيْها عَلى صُنْعِ الجَميلِ لهَا ... فَزادَتِ المَرْأةَ المُؤذاةَ سَرَّاءَ
عِلْماً بأنَّ يَدَ الإنسانِ قد ظَلَمَتْ ... والظُّلمُ لا بُدَّ أنْ يَرْتَدَّ بغضاء
فَالبَطَّةُ اليَوْمَ في ذُعْرٍ وفي قَلَقٍ ... تَخْشَى البَرِيَّة أشْراراً وأعْداءَ
والرَّفْسُ والنَّقْرُ تَعْبِيرٌ لِمُنْتَقِمٍ ... مِن ابْنِ آدَمَ مِمَّنْ طابَ أوْ ساءَ
وهَا هِيَ الآنَ في البُستانِ سائحةٌ ... سِباحةً حيثُ ألْفَتْ دُونَها ماءَ
فَهَلْ تَراها تَناسَتْ ظُلْمَ ظالِمها ... وأسْدَلَتْ فَوْقَهُ عَفْواً وإغْضاءَ

وقال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني يصف فحل إوزّ[2]:

نَظرتُ إلى فَحْلِ الإوَزّ فخِلْتُهُ ... مِنَ الثِّقْلِ في وَحْلٍ وما هُو بالوَحْلِ
يُنَقِّلُ رِجْلَيْهِ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ ... كَمُنْتَعِلٍ لا يُحْسِنُ المَشْيَ في النَّعلِ

---

(١) ديوان (في المقاهي والملاهي/١٣) .

(٢) نهاية الأرب للنويري ١٠/٢٣٦ ، وديوان ابن رشيق القيرواني جمع الدكتور عبد الرحمن باغي/١٦٢ .

لـه عُنُقٌ كالصَّوْلَجانِ ومَخْطِمٌ حَكَى طَرَفَ العُرْجُونِ مِن يانِعِ النَّخْلِ
يُداخِلُهُ زَهْوٌ فَيَلْحَظُ مِن عَلٍ جَوانِبَه أَلْحاظَ مُتَّهمِ العَقْلِ
يَضُمُّ جَناحَيْهِ إليهِ كما آرْتَدَى رِداءً جَدِيداً مِن بَني البَدْوِ ذُو جَهْلِ



إبـنُ عِـرْس

ابن عِرس (بالكسر) وجمعه بنات عرس للذكر والأنثى - المعرفة النكرة - وحكى الأخفش : بنات عرس، وبنو عرس .

تقول هذا ابن عرس مقبلاً، وهذا ابن عرس آخر مقبلٌ. ويجوز في المعرفة الرفع، كما يجوز في النكرة النصب، وهو في ذلك كآبن آوى وآبن مخاض وآبن لَبون .

هو حيوان نشط أكبر من الجرذ، في جسمه وذيله طول. ومن أسمائه السُّرْعُوب لطول جسمه. كنيته أبو الحكم، وأبو الوثّاب .

ممّا ورد عنه في القصص[1]

- زعموا أنَّ عُلْجوماً[2] جاور حيَّة فكان كلَّما أفرخ جاءت إلى عشّه، وأكلت فراخه، ففزع في ذلك إلى السَّرَطان، فقال له السرطان: إنَّ بقربك جحراً يسكنه ابن عرس وهو يأكل الحيَّات، فآجمع سمكاً كثيراً وفَرِّقه من جحر

(١) كليلة ودمنة/١٩١ و ٣٢١ .
(٢) يطلق اسم العلجوم على عدد من الحيوانات، وهو هنا: نوع كبير من الضفادع .

آبن عرس إلى جحر الحيَّة، فإنَّه إذا بدأ في أكل السَّمك انتهى إلى جحر الحيَّة فأكلها .

ففعل وكان كذلك .

ثم تدرَّج آبن عرس إلى جحر الحيَّة في طلب غيرها حتى بلغ إلى جحر العُلْجُوم فأكله أيضاً وفِراخه جميعاً .

ـ وزعموا أنَّ ناسكاً رُزق غلاماً بعد يأس، ولما حان لزوجته أن تغتسل قالت له: أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود .

ثم إنَّها آنطلقت إلى الحمَّام وخلَّفت زوجها والغلام، فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه، ولم يجد من يُخلِّفه عند آبنه غير آبن عرسٍ داجنٍ عنده كان قد ربَّاه صغيراً، فهو عنده عديل ولده. فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول. فخرج من بعض أجحار البيت حيَّة سوداء فدنت من الغلام، فضربها آبن عرس فوثبت عليه فقتلها ثم قطَّعها وامتلأ فمه من دمها. ثم جاء الناسك وفتحُ الباب فالتقاه ابن عرس كالمشير له بما صنع من قتل الحيَّة. فلمَّا رآه ملوَّثاً بالدم وهو مذعور، طار عقله وظنَّ أنَّه قد خنق ولده ولم يتثبَّت في أمره ولم يتروَّ فيه حتَّى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظنَّ من ذلك، ولكن عجَّل على آبن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه فمات .

ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حيّاً وعنده أسود مقطَّع، فلما عرف القصَّة وتبيَّن له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال: ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر. ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحالة فقالت له: ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له، فقالت: هذه ثمرة العجلة لأنَّ الأمر إذا فَرَطَ مثل الكلام إذا خرج والسَّهم إذا مَرَق، لا مردَّ له .

ممّا ورد عنه في الشعر

قال الناشي الأكبر (عبد الله بن محمد)[1] في صيده الثعلب :

لـو أنَّ حيّاً واثِقـاً بعُمْره ... أوْ عـائذاً من نَكَبـاتِ دَهْرِهِ
بِمِقْصَـلٍ يَحْصِنُه مِن غَـدْره ... أفْلَتَ من خَتْلِ الرَّدَى وخَتْره
أبُو الحُصَيْنِ كامِناً في جُحْرِه ... مُـقَـدِّراً في ظَـنِّـهِ وفِكْـرِهِ
أنّ الـوِجـارَ ضـامِنٌ لِنَصْـره ... وحِفْـظِـهِ مِن قـانِصٍ وسَتْـره
عَن حِيلَةٍ يُعْـمِلُها بِـفِكْـره ... إذا غَـدا بِـكَلْبِـه وصَـقْـرِه
ولَيسَ يَجْرِي في بَناتِ صَدرِه ... أنَّ ابنَ عِرْسٍ قاصِمٌ لِظَهْرِه
وهـاجِـمٌ عَليـهِ فـي مَقَـرِّه ... أعْجِبْ به مُقْتَحِماً في وَكْرِه
وخَيْـطُهُ مُعَـلَّقٌ في نَـحْـرِهِ ... حَتى إذا أمـرتـهم بـجـرِّهِ
جَـرُّوهُ فاسْتَخْـرَجَهُ من قَعْـرِه ... لله مـا أعْـظَمَـهُ بِـهَصْـرِه
وقـدِّهِ أوْ قَـطِّهِ مِن خَصْـرِهِ ... وذَبْـحِـهِ بِـنـابِـهِ وظُـفْـرِهِ
لـكـنّـه بِـعَـصْـرِهِ وقَـسْـره ... أحْسَنَ في آسْتِحْيائِهِ وأسْرِهِ[2]

وقال أبو الشمقمق[3] :

إبـنُ عِـرْسٍ رَأسَ بَيْـتـي ... صـاعِـداً في رَأسِ نَبْـقَـهْ
سَـيْـفُـهُ سَـيْـفٌ حَـدِيـدٌ ... شَـقَّـهُ مِن ظِـلْعِ سِلْقَـهْ[4]
جـاءَنـا يَـطْـرُقُ بالـلَّـيْـلِ ... فَـدَقَّ الـبـابَ دَقَّـهْ

---

(١) المصائد والمصارد/٢٢٧ .
(٢) استحياه: تركه حياً .
(٣) الحيوان للجاحظ ٥/٢٦٨ .
(٤) حديد: حاد. السِلقة (بالكسر) أنثى السلق وهو الذئب، وقيل: السلقة: الذئبة خاصة، ولا يقال للذكر سلق.

دَخَلَ البَيْتَ جِهاراً   لَمْ يَدَعْ في البَيْتِ فِلْقَه[1]
وأتى يَصْفِقُ مِنِّي   عَيْنَ بابِ الدَّارِ صَفْقَهْ[2]
صَفْقَةً أبْصَرْتُ مِنها   في سَوادِ العَيْنِ زُرْقَهْ
زُرْقَه مثلَ ابْنِ عِرْسٍ   أغْبَشٌ تَعْلُوهُ بُلْقَه[3]

(١) يريد بالفلقة: الكسرة من الخبز.
(٢) الصفقة: الضربة يسمع لها صوت. البيت المثبت في متن المصدر المذكور:
وتترَّسْ برغيف   وصفق نازويه صفقه
أما البيت الذي أثبتّه بمكانه فهو عن رواية أخرى أوردها المحقق في الحاشية.
(٣) الغبش: الظلمة. البلقة: سواد يخالطه بياض.

الأَيِّـــل

الأيِّل (كسِّيد) والجمع إيِّل، وأُيَّل، وأيائل، والأنثى أيِّلة وإنَّما سمِّي بذلك لأنَّه يؤول إلى الجبال ويعتصم بها .

وهو حيوان لبون من ذوات الأظلاف متشعِّب القرون أنواعه متعدِّدة ولكنَّها لا تختلف عن بعضها كثيراً، وكلُّ نوع ينسب إلى لونه أو المنطقة التي يعيش فيها، ومنها اليحمور، والوعل والأروى .

ممّا ورد عنه في الشعر

ـ قال الزجاجي[1] أخبرني بعض أصحابنا، قال: حضرت مجلس أبي بكر ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر :

هجَـرْتُـكِ لا قِلىً منِّي ولكنْ رأيتُ بقـاءَ ودِّك في الصُّـدُودِ
كهَجْـرِ الحـائمـاتِ الـوِرْدَ لمَّـا رأتْ أنَّ المنِيَّـةَ في الـوُرُود
تَفِيضُ نُفُـوسُهـا ظَمَـأً وتَخْشَى حِمـامـاً فهيَ تَنْظُـرُ مِن بَعِيـدِ
تَصُـدُّ بِوَجْـهِ ذي البَغْضَاءِ عَنْـهُ وتَـرْمُـقُـهُ بِـأَلْـحـاظِ الـوَدُودِ

(١) أمالي الزجاجي/٢٤٧ وحياة الحيوان١/١٠٧ .

قال : إنَّ الأيائِل تأكل الأفاعي في الصيف فَتحمَى وتلهب لحرارتها، فتطلب الماء، فإذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حوله تتنسَّمه، لأنَّها إنْ شربته في تلك الحال وصادف الماء السَّم الذي في أجوافها تلفت، فلا تزال تدافع شرب الماء حتى يطول الزمان فيسكن فوران السمِّ، ثم تشربه فلا يضرُّها .

فيقول هذا الشاعر: أنا في تركي وصالك مع شدَّة حاجتي إليه إبقاءً على ودِّك، بمنزلة هذه الحائمات التي تدع شرب الماء مع شدَّة حاجتها إليه إبقاءً على حياتها .

ـ وقال المتنبي[1] من أرجوزة يذكر فيها خروج عضد الدولة للصيد :

فَقِيدَتِ الايِّلُ في الجِبالِ ... طَوْعَ وُهُوقِ الخَيْلِ والرِّجالِ[2]

تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الأرْسالِ ... مُعْتَمَّةً بِيَبَسِ الأَجْذالِ[3]

وُلِدْنَ تحتَ أثْقَلِ الأحْمالِ ... قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفالي[4]

لا تَشْرَكُ الأجْسامَ في الهُزالِ ... إذا تَلَفَّتْنَ إلى الأظْلالِ

أرَيْنَهُنَّ أشْنَعَ الأمْثالِ ... كأنَّما خُلِقْنَ لِلإذْلالِ[5]

زِيادَةً في سُبَّةِ الجُهَّالِ ... والعُضْوُ لَيْسَ نافِعاً في حالِ[6]

---

(١) ديوان المتنبي شرح اليازجي/٦١٤ .

(٢) الوهوق جمع وهق: الحبل تؤخذ به الدابة وغيرها . يريد بالخيل: الفرسان.

(٣) الارسال: القطعان. الأجذال: أصول الشجر. يقول كان قرونها أعواد يابسة من أصول الشجر .

(٤) يريد بقوله،ولدن : خلقن كذلك، وبقوله أثقل الأحمال: القرون لغلظها وتشعُّبها وثقلها، وأنَّها تمنعهن أن يفلين رؤوسهن لاعوجاجها .

(٥) أشنع الأمثال: أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، ويشير بقوله: خلقن للإذلال، إلى قول العامة في الشتم : يا قرنان، وهو الذي لا غيرة له .

(٦) السبَّة: العار. أراد بالعضو: القرن، وقد أطلقه عليه مجازاً .

لِسـائـر الجِسْمِ مِـن الخَبـالِ   وَأوْفَتِ الفُـدْرُ مِـن الأَوعَالِ[1]
مُـرْتَـدِياتٍ بِـقسـيٍّ الـضَّالِ   نَـواخِسَ الأَطْـرافِ لِلأكْفَـالِ[2]
يَـكَـدْنَ يَنْفُـذنَ مِـن الآطـالِ   لَهـا لِحَىً سُودٌ بِـلا سِبالِ[3]
يَصْلُحْنَ لِلإضْحَاكِ لا الإجْلالِ

وقال شاعر ينعت كلب صيد[4] :

ذا هِمَّةٍ في الصَّيْدِ في أعْلَى العُلا   يَسْتَصْغِـر الـظَّبِي فَيَبْغي الأَيِّـلا
لا يَجِدُ الأَيِّـلُ مـنـه مَـوْئِلا   تَخـالُـهُ من خَـوْفِـهِ مُـعَقَّـلا

---

(١) الخبال : شلل الأعضاء. الفدر (بضم فسكون) ، جمع الفادر، وهو الوعل المسن، وقيل: الشاب التام منه .
(٢) الضال: شجر السدر البرِّي. نواخس، حال من القسيِّ.
(٣) الآطال جمع إطل وهو الخاصرة. السبال: الشوارب.
(٤) المصائد والمطارد/١٤٢ .



الببغـاء

طيرمشهور، دمث الخلق ثاقب الفهم، له قابليَّة على محاكات الأصوات وقبول التلقين.

قال ابن معصوم المدني[1]: (رأينا في بندر جيتابور بالهند من الباغي الخضر ما لا يحصى. واحدتها بَبْبَغا - بثلاث باآت موحَّدات أُولاهنَّ وثالثتهنَّ مفتوحتان، والثانية ساكنة، وبالغين المعجمة - وهي هذا الطائر المعروف بالدُرَّة - بدال مهملة مضمومة - كذا ضبطها [الصاغاني] في العباب، وضبطها السمعاني في الأنساب بباءَ ين - بفتح الأولى وإسكان الثانية.

واللفظة هندية الأصل أغفلها عدد من أصحاب معاجم اللُّغة منهم الجوهري في الصحاح، وابن منظور في لسان العرب، والفيروز أبادي في القاموس.

وقال الزبيدي في تاج العروس: (الببغاء بفتح فسكون وقد تشدَّد الباء الثانية).

(١) في رحلته المسماة سلوة الغريب وأسوة الأريب: انظر مجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/٣٤١ و ٣٤٢.

وقال الشيخ محمد رضا في معجم متن اللّغة: (الببغاء: دخيلة هندية، جمعه ببغاوات ويعرف بالدُرَّة) .

وقال الشرتوتي في أقرب الموارد: (الببغاء، وتفتح الباء وتشدّد مفتوحة: طائر من أشهر أوصافه أنَّه يسمع كلام الناس فيعيده، ويشبَّه به من حفظ كلاماً لا يدري معناه. يقع على الذكر والأنثى فيقال: ببغاء ذكر، وببغاء أنثى والجمع ببغاوات).

وقال النويري[1]: (الببغاء: طائر هندي، وحبشي. . . في لونه: الأخضر والأغبر والأسود والأحمر والأصفر والأبيض، وهذه الألوان كلُّها قليلة نادرة الوجود الّا الأخضر والأغبر. وقد شاهدت أنا بالقاهرة المعزيَّة درَّة بيضاء. وحُكي أنَّه أهديَ إلى معز الدولة ابن بويه ببغداد هديَّة من اليمن كان فيها ببغاء بيضاء، سوداء المنقار والرجلين، وعلى رأسها ذؤابة فستقية.

ممَّا ورد عنها في الشعر

كتب أبو إسحاق الصابي إلى أبي الفرج الببغاء هذه الأرجوزة في صفة الببغاء[2]:

أنْعتُها صَبيحَةً مَليحَهْ ... ناطِقَةً باللُّغَةِ الفَصِيحَهْ

غدَتْ مِن الأطْيارِ واللِّسانُ ... يُوهِمُني بأنَّها إنسانُ

تُنْهِي إلى صاحِبِها الأخْبارا ... وتكْشِفُ الأسْرارَ والأسْتارا

سَكَّاءُ إلاّ أنَّها سَميعَهْ ... تُعيدُ ما تَسْمَعُه طَبيعَهْ[3]

و [رُ] بَّما لُقِّنتِ العَضِيهَهْ ... فتَغْتَدي بَذِيئَةً سَفِيهَهْ[4]

---

(١) نهاية الأرب ١٠/٢٨٠.

(٢) يتيمة الدهر ١/٢٦٩، ومجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/٣٤٢.

(٣) السكَّاء: الصغيرة الأذن، والصلماء التي لاأذن لها أصلاً، والصَّماء.

(٤) العضيهة: الإفك والبهتان.

زارَتْـكَ من بِـلادِهـا البَعِيـدَهْ وآسْتَـوْطَنَتْ عِنـدَكَ كـالقَعِيـدَهْ[1]
ضَـيْـفٌ قِـراهُ الـجَـوْزُ والأُرُزُّ والـضَّيْـفُ في أبْـيـاتِـنـا يُـعَـزُّ
تَـراهُ في مِنْقـارِهـا الخَـلُوقي كـلُؤلُـوءٍ يُـلقَطُ بـالـعَـقِـيـقِ
تَنْـظُرُ من عَـيْنَينِ كـالـفُصَّيْنِ في النُـور والـظُّلْمـةِ بَصَّـاصَيْنِ
تَميسُ في حُلَّتِـهـا الخَـضْـراءِ مِثْـلَ الفَتـاةِ الغـادَةِ العَـذْراءِ
خِـرَيـدَةٌ خُـدُورُهـا الأقْفـاصُ لَيْسَ لهـا من حَبْسها خَـلاصُ
نَحْبِسُهـا ومـا لَهـا من ذَنْبِ وإنَّـمـا نَـحْـبِسُـهـا لِـلْحُـبِّ
تلكَ الَّتي قلبِي بهـا مَشْغـوفُ كَنَيْتُ عَنْهـا وآسْمُهـا مَعـروفُ
نُشْـرِكُ فيها شـاعِرَ الـزَّمـانِ والكـاتِبَ المَعْـرُوف بـالبَيَـانِ
ذلِـكَ عَبـدُ الـواحِدِ بن نَصْـرِ تَقِيـهِ نَفْسي عـادِيـاتِ الـدَّهْـرِ

فأجابه أبو الفرج بأرجوزة نأخذ منها وصفه للببغاء استهلها بقوله :

مَن مُنصِفي من حَكمِ الكُتَّابِ شَـمْسِ الـعُلوم قَـمَـرِ الآدابِ

ثم يقول بعد سبعة أبيات منها[2]:

وصَــحَّ أنَّ البَبَّـغـاء مقـصِـدُهُ بكـلِّ مـا كـانَ قَـديمـاً يُـورِدُهْ
فـلَمْ يَـدَعْ لِقـائِـلٍ مَـقـالاً فـيهـا ولا لِـخـاطِـرٍ مَـجـالا
أهْدَى لَها من كلِّ نَعْتٍ أحْسَنَه وصاغَ مِن حَلْيِ المعَاني أزْيَنَهْ
أحالَ بالـرِّيشِ الأشِيبِ الأخْضَرِ وبـآحْمِـرارِ طَـوْقِهـا والمَنْسِـرِ[3]
عَلى اخْتِلاطِ الرَّوْضِ بـالشَّقِيقِ وأخْـضَـرِ المـينـاءِ بـالـعَـقِـيـقِ
تُـزْهَـى بِـدُوَّاجٍ مِن الـزُّمـرُّدْ ومُقْلَةٍ كَسَبَـجٍ في عَسْجَـدِ[4]

(١) القعيدة: المرأة لقعودها في البيت.
(٢) يتيمة الدهر ١/ ٢٧٠.
(٣) الأشِيب: المختلط.
(٤) الدّواج: لحاف يلبس. السبج : خرز أسود (فارسي معرب) .

وحُسْنِ مِنْقارٍ أشَمَّ قانِي   كأنَّما صِيغَ مِن المَرْجانِ
صَيَّرَها آنْفِرادُها في الحَبْسِ   بِنُطْقِها مِن فُصَحاءِ الإنْسِ
تميَّزَتْ في الطَّيْرِ بالبَيانِ   عَنْ كلِّ مَخْلُوقٍ سِوى الإنْسانِ
تحكي الذي تَسْمَعُهُ بلا كَذِبْ   مِن غيرِ تَغْيِيرٍ لِجِدٍّ أوْ لَعِبْ
غِذاؤها أزْكَى طَعامَ رَغَدا   لا تَشْرَبُ الماءَ ولا تَخْشى الصَّدا
ذاتِ شَغىً تحسَبُه ياقُوتا   لا تَرتَضِي غَيرَ الأرُزِّ قُوتا[1]
كأنَّما الحبَّةُ في مِنْقارِها   حَبابَةٌ تَطْفُو عَلى عُقارِها
إقْدامُها بِبَأسِها الشَّدِيدِ   أسْكَنَها في قَفَصِ الحَدِيدِ
فَهِيَ كخَوْدٍ في لِباسٍ أخْضرِ   تأوِي إلى خركاهَةٍ لَم تَسْتَرِ[2]
وَوَصْفُها المُعْجِزُ مالا يُدْرَك   ومثلُهُ في غَيْرِها لا يُمْلَكُ
لَوْلَم تَكنْ لي لَقَباً لَمْ أخْتَصِرْ   لكنْ خَشِيتُ أنْ يُقال مُنْتَصِرْ
وإنَّما تُنْعَتُ بآسْتِحقاق   لِوَصْفِها حِذْقَ أبي إسْحاقِ
شَرَّفَها وزادَ في تَشْرِيفِها   بِحِكَمٍ أبْدَعَ في تَفْوِيفِها[3]
فكيفَ أجْزِي بالثَّناءِ المنتَخَبْ   مَنْ صَرَفَ المدحَ إلى اسْمي واللَّقَبْ

ولما غلب وصيفٌ وبُغا على أمر المستعين حتى كان لا يصدر الاّ عن رأيهما قال في ذلك جنبذ الكاتب[4]:

خِلافَةٌ جائِرَةٌ   فاسِدَةٌ ما تُبْتَغى
صاحِبُها مُحْتَجِبٌ   يَفْرَقُ من حَرِّ الوَغى

---

(١) الشغى: اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج.
(٢) الخركاة: تطلق بالعموم على المحل الواسع وبالأخص على الخيمة الكبيرة التي يستعملها أمراء الأكراد، ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء (معربة، فارسيتها خركاه بالكاف الفارسية).
(٣) بُردمفوَّف: مخطَّط، أو موشَّى.
(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٤٨٨.

مُـقـتَـسَـمٌ مُـعْـتَـبَـدٌ بَـيـنَ وَصِـيـفٍ وبُـغـا
يَقُـولُ ما قـالا لَـهُ كـمـا تَقُـولُ الـبَبَّـغـا

وكتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى بعض اخوانه وقد ماتت له ببغاء، وله أخ كثير التخلُّف يسمَّى عبد الحميد:[1]

أنتَ تبقَى ونحنُ طُـرّاً فِـداكـا أحْسَنَ اللّهُ ذُو الجَلالِ عَزاكـا
فلَقَـدْ جَلَّ خَـطْبُ دَهْرٍ أتـاكـا بِـمَـقـادِيـر أتْـلفَـتْ بَـبَّـغـاكـا
عَجَبـاً لِـلْمَنُـونِ كـيفَ أتَـتْهـا وتَخَـطَّتْ عَبْدَ الحَمِيـدِ أخـاكـا
كانَ عَبدُ الحَمِيـدِ أصْلَحَ لِلمَوْ تِ مِن البَبَّغـا وأوْلَى بـذاكـا
شملَتْنـا المُـصِـيـبَتَـانِ جَـمِيعـاً فَـقْـدُنـا هـذِهِ ورُؤيَـةُ ذاكـا

وقال مطيع بن إياس مخاطباً جارية له كانت تُسمَّى رُوقَة معدّداً بعض ما خصَّ الله به بلاد الهند:[2].

رُوقُ يا رُوقُ لو تَـرينَ مَحلِّي بِـبـلادٍ مَـعْـرُوفُـهـا مَـجْـهـولُ
بِـبـلادٍ بِـهـا تَـبِيضُ الـطَّواوِيـ ـسُ وفيهـا يُزاوِجُ الـزَّنْـدَبيـلُ[3]
وبِهـا البَبَّـغـاءُ والصُّـفْـرُ والعُـو دُ له في ذرى الأراكِ مَقيلُ[4]
والخَمُـوعُ العَرْجـاءُ والأيِّلُ الأقْـ ـرَنُ واللَّيثُ في الغِياضِ النَّسُولُ[5]

وقال تاج الدين عبد الباقي اليماني فيها ملغزاً:[6]

يـا سَيِّداً أبْـدَعَ في المَقالِ ويا رئِيساً فـاقَ في المَعالي

---

(١) وفيات الأعيان ٢٠٨/٣.

(٢) الحيوان للجاحظ ١٧١/٧ .

(٣) الزندبيل : تعريب (زنده) الفارسية، بمعنى ضخم. (وبيل) بمعنى فيل، أي الفيل العظيم.

(٤) الصفر (بالضم): النحاس الأصفر. العود: ضرب من البخور. الأراك: شجر طيّب الرائحة يتبخر ويستاك بقضبه.

(٥) الخَموع العرجاء: الضبع . الليث النسول: الأسد المشبل.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٨١/١٠.

مـا حَيَوانٌ مُشبِـهُ الإنسـانِ مُـرتِّـلُ الآيـاتِ في القُـرآنِ
ذو مَبْسمٍ صِيغَ مِن النُّضارِ ومُقْلَةٍ قَـد رُكِّبَتْ مِن قـارِ
ومِـخْلبٍ يُكسِّـرُ الصَّـلِيبـا ومَنْـطِقٍ يُفـاخـرُ الخَـطِيبـا
ذو حُـلَّةٍ بَنْـدِيـةِ البُـرودِ مَنْسُوجَةٍ مِن أخْضَرِ البُنُـودَ
كـرَوْضَةٍ قَـد أيْنعَتْ أزْهارها أدْهَشَتْنـا بـالغِنـا أطْيـارُهـا
قـد جُمِعَتْ في ذاتِهِ ألْـوانُ كـأنَّـه في خَلْقِـهِ بُسْتـانُ
فَـذاتُه من نـاصِعِ الـزَّبَرجـدِ ونَـوْرُهُ مُـركَّبٌ من عَسْجَـدِ
وتـارَةً يُبصِـرُ مِـن أقـاحي خِلقَتَـه في سـائِـر النَّـواحيْ
وعُـرْفُه من خـالِصِ المِـدادِ ونُـطْقُـهُ مُسْتَحكِـم الإيـرادِ
يـأكلُ بـالكفِّ خِلافَ الـطَّيْرِ وتَغْتَدي وهـو قـدير السَّيْـرِ
إنْ لَقطَ الحبَّ لدى تَفْريقهِ رأيتَ دُرّاً جـالَ في عقِيقِـه
يَحْفظُ بَيْتَ المَرْء في المَغِيبِ ويَغْتَدي كالحارِسِ المَرْهُـوبِ
سَمِيُّـهُ في أسْفَلِ البِحـارِ مُستَـوْدَعٌ في آخِـرِ التَيَّـارِ
إليـه يُعزَى الشـاعر المَجِيـدُ والكـاتبُ النِّحـريرُ والمُجيـدُ

وقال الشريف المرتضى في ببغاء قنصها ابن عرس ليَلاً[1]

فجعَـةٌ ما آحتسبتُهـا في زَماني نـادَمَتْ بي غـرائِبَ الأحْـزانِ
وأشـدُّ الخُطُوبِ عُنْفـاً بنَفسٍ مـا أتَـى بَغْتَـةً بغَيـرِ أوانِ
أيُّهـا الآخـذِي بَشـأنِ التَّسَلِّي جلَّ ما بي عن طاعَةِ السُّلْوانِ
رُمْتَ عَذْلي وأنتَ تَجْهلُ ما بي وفُؤادي مُسْتيقِنٌ مـا عَنـاني
خَلَجَتْ في بَبْغـاءَ نَبْوَةُ دَهْـرٍ مُـولـعٍ بـالنَّفسِ مِن أثْمـانِي
بَعثَ الدَّهرُ نحوَها يدَ شخصٍ مُـزعـجِ الكيـدِ ثـائِـرِ الأضْغـانِ
غالَها فُرصةً وما الغافِـلُ الوَسْـ ـنـانُ كُفْـواً للراصـدِ اليَقْـظانِ

---

(١) ديوان ٣/٣١٦.

لَــوْ أتَى مُعْلِناً بيــومٍ رَداهــا ... لأنْثنَى غــانِماً من الحِــرْمــانِ

أمكَنَتْهُ حُشـاشــةً طـالمــا خـا ... بَتْ لـديهـا وســائِـلُ الإمكــانِ

صَدَّها الحَيْنُ عن تَعاطي جِذارٍ ... مـنــهُ والحَـيْنُ عُـقْلَةُ الأذهــانِ

إن تكُنْ عُوجِلَتْ فما مُهْلَةُ المُرْ ... جَا على سُنَّةِ الـرَّدَى بأمـانِ(١)

ذاتُ جسمٍ يَحكَي الزَّبَرْجَدَ قد نِيـ ... ـطَتْ ذُراهُ بِمِنْســرٍ مــرْجُــاني

غَضَّــةُ اللَّونِ تُبصرُ العَينُ منها ... رَوْضَةً أخْملَتْ بلا بُستـانِ

وخَــوافٍ قد فــارَقَتْ لَوْنَهــا الأ ... (م) ظهرَ فيها بمَنْـظَرٍ أُرْجُواني

تُرْجِعُ القَولَ كالصَّدَى في أقاصِي ... دَرَجَــاتِ الإفْـصــاحِ والتِّبْيــانِ

تَمْحَضَ الصِّدقَ إنْ أجابَتْ سُؤالاً ... وهي خِلْوٌ مِن فَهمِ تِلكَ المعَاني

لا آسْتَقَلَّتْ مِن بَعدِ فَقدِكِ وَرْقا ... ءُ تُبَكِّي الدُّجَى عَلى الأغْصانِ

---

(١) المرجا: المرجأ. أي المؤخر.



البُرْغُوث

البرغوث واحد البراغيث، وضمّ بائِه أشهر من كسرها أو فتحها. وقولهم : أكلوني البراغيث لغة طيء وهي لغة ثابتة خّرجوا عليها قوله تعالى **﴿وأسرُّوا النَّجوى الذين ظلموا﴾**[1] على أحد المذاهب، وقوله عزَّ وجلَّ **﴿خشَّعاً أبصارهم﴾**[2] وأشباهه كثيرة معروفة غير أنَّ سيبويه أنكر ذلك وقال: لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن، واحتج بان الضمير في (أسرُّوا النجوى) فاعل، و (الذين) بدل منه.

ومن أسماء البرغوث (القُذَذ) والجمع القِذَّان. وكنيته أبو ظافر، وأبو عدي، وأبو الوثَّاب. ويقال له طامر بن طامر[3]

مما ورد عنه في الأمثال[4]

(أطفر من برغوث) يضرب مثلاً للمبالغة والتناهي.

---

(١) سورة الأنبياء /٣.

(٢) سورة القمر /٧.

(٣) طامر بن طامر، فاعل من الطمر وهو الوثوب والاختباء .

(٤) جمهرة الأمثال ٢/١٣، وحياة الحيوان ١/١٢٣.

(أطمر من برغوث)[1] وهذا المثل كسابقه في المعنى.

مما ورد عنه في القصص[2]

زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهراً فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدبُّ دبيباً رفيقاً. فمكثت كذلك حيناً حتى استضافها ليلة من اللّيالي بُرغوث، فقالت له: بتِ الليلة عندنا في دمٍ طيِّب وفراش ليِّن. فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوَى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه. فقام الرجل وأمر ان يفتّش فراشُه فنظر فلم يَرَ الاَّ القملة فأخذت فقصعت، وفر البرغوث.

مما ورد في وصفه نثراً

قال ابن شُهيد[3].

أسود زنجيّ، وأهليٌّ وحشيٌّ، ليس بوانٍ ولا زُمَّيْل[4]، وكأنّه جزء لا يتجزَّأ من ليل، أو شونيزة، أو بنتها عزيزة[5] أو نقطة مداد، أو سويداء فؤاد[6]. شربه عَبٌّ، ومشيه وَثْبٌ. يكمن نهاره ويسير ليله. يدارك بطعن مؤلم، ويستحلُّ دم كلِّ كافر ومسلم. مساور للأساورة[7] ومجرد له على الجبابرة[8]. يتكفَّن بارفع الثياب، ويهتك كلَّ حجاب، ولا يحفل ببوَّاب. يرد مناهل العيش العذبة،

---

(١) تقدم تفسير الطمر..

(٢) كليلة ودمنة /١٦٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٢/٤٦.

(٤) الزمّيل: الضعيف الجبان.

(٥) الشونيزة: الحبة السوداء، والكلمة فارسية الأصل، وهو نبات عشبي فيه رائحة عطرية.

(٦) في يتيمة الدهر (أو سويداء قلب فؤاد) وهو وهم.

(٧) مساور: مواثب. الأساورة جمع الإسْوار: قائد الفرس، والرامي بالسهام، والأساورة أيضاً: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً كالاحامره في الكوفة.

(٨) جدد القوم: سألهم فأعطوه كارهين.

ويصل إلى الأحراج الرطبة. لا يمنع منه أمير، ولا ينفع فيه غيره غيور، وهو أحقر حقير. شرّه مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كلُّ برغوث. كفى بهذا نقصاناً للإنسان ودلالة على قدرة الرحمن.

ووصف أعرابي البراغيث فقال:[1].

ما آذى صغارُها وأطفر كبارُها، وأخْفى آنْطمارُها[2]، وأقبح آثارها.

وقال بعضهم: [3].

دبيبها من تحتي أشدُّ عليَّ من عضِّها. وليس ذلك بدبيب وكيف يمكنه الدبيب وهو ملزق على النطع[4] بجلد جنب النائم، ولكن البرغوث خبيث فمتى أراد الإنسان أن ينقلب من جنب إلى جنب انقلب البرغوث واستلقى على ظهره ورفع قوائمه فدغدغه بها.

مما ورد عنه في الشعر

قال خلف الأحمر[5]:

يا عَجَباً لِلدَّهْـرِ ذي الإعْجابِ   لِلأحْدَبِ البُرْغُوثِ ذي الأنْيـابِ
يَلْسـعُ لَسْـعَ العَقْـرب الـدبَّـابِ   يَـقْفِـزُ بـينَ الـجِلْدِ والـثِّيـابِ

وقال ابن شهيد الأندلسي في وصفه[6]:

وَمُـنَفِّـرٍ لـلنَّـومِ مَـسْـكـنُـهُ إذا   نـامَ المُمَلَّكُ بينَ أثْنَاءِ الثِّيـابْ

(١) محاضرات الأدباء ٤/٦٨٨.
(٢) الإنطمار: الإختباء.
(٣) الحيوان للجاحظ ٥/٣٨٤.
(٤) يريد بالنطع: الجلد.
(٥) نور القبس /٧٩.
(٦) ديوان ابن شهيد/٣٨.

يَسْري إلى الأَجْسَامِ يَهْتِكُ عَدْوُه ... عَنْ كُلِّ جِسْمٍ صِيغَ بالنُّعْمَى حِجَابْ
ويَعضُّ أرْدَافَ الحِسانِ ومالَه ... كَفٌّ ولكنْ فُوهُ مِن أَعْدَى الحِرابْ
مُتَحكِّمٌ في كُلِّ جِسْمٍ ناعِمٍ ... مُتَدلِّلٌ ما بينَ أَلْحَاظِ الكَعابْ
فإذا هَمَمْتَ بزَجْرِهِ ولَّى ولا ... يَثْنِيهِ عمَّا قد تَعوَّدَهُ طِلابْ
وتَرَى مَواضِعَ عَضِّهِ مَخْضُوبَةً ... بِدَمِ القُلُوبِ وما تَعَاوَرها خِضابْ
قَرْمٌ مِن اللَّيْلِ البَهِيمِ مُكَوَّرٌ ... يَمْشِي البَرازَ وما تُوارِيهِ ثِيابْ
عظُمَتْ رَزِيَّتُهُ ولكِنْ قَدْرُهُ ... أَخْزَى وأَهْوَنُ مِن ذُبابٍ في تُرابْ

وقال أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن السوادي الواسطي ملغزاً بالبرغوث[1] :

ما نائِمٌ إذا وَثَبْ ... يَرْقُصُ من غيرِ طَرَبْ
وإنَّما رِقْصَتُه ... تُظْهِرُ للغَيْرِ الحَرَبْ
مُعاشِرٌ لكنَّه ... يُكثِرُ من سُوءِ الأَدَبْ
يُؤخَذُ في تُهْمَتِهِ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الطَّلَبْ
وعَيْنُهُ إذا أصَا ... بَ قِرْنَهُ يَنْوِي الهَرَبْ
يُقْدِمُ والشَّمسُ لها ... صُبابَةٌ مِن اللَّهَبْ
يَرْحَلُ والكَيَّالُ يَهْـ ... ـدِي والقَفِيزُ يَنقلِبْ[2]

وقال أبو الشمقمق[3] :

يا طُولَ يَوْمي وطُولَ لَيْلَتِهِ ... فلْيَهْنَ بُرْغُوثُهُ بِجَذْلَتِهِ
قد عَقَدَتْ بَنْدَها عَلَى جَسَدي ... واجْتَهَدَتْ في اقْتِسامِ جُمْلَتِهِ

---

(١) خريدة القصر - قسم العراق - ٤/٣٨٥ .
(٢) القفيز - بالزاي المعجمة - : مكيال ثمانية مكاكيك، وقيل مكيال تتواضع الناس عليه .
(٣) محاضرات الأدباء ٤/٦٨٧ .

وقال محبوب ابن أبي العِشنَّط النهشلي[1] :

لرَوْضَة مِن رِياضِ الحَزْنِ أو طَرَفٌ ... من القُرَيَّةِ جَرْدٌ غيرُ مَحْرُوثِ
للنَّوْرِ فيهِ إذا مَجَّ النَّدى أرَجٌ ... يَشْفِي الصُّدَاعَ ويَشْفي كلَّ مَمْغُوثِ[2]
أمْلَا وأَحْلَى لعَيْني إنْ مَرَرْتُ بِهِ ... من كَرْخِ بَغدَاد ذي الرُّمَّان والتُّوثِ[3]
اللَّيلُ نِصْفانِ نِصْفٌ للهموم فَما ... أقْضِي الرُّقادَ ونِصْفٌ لِلبَراغيثِ
أبِيتُ حينَ تُسامِيني أوائِلُها ... أنْزو وأخْلِطُ تَسْبيحاً بتَغْويثِ
سُودٌ مَداليجُ في الظَّلماءِ مُؤذِيَةٌ ... وَلَيْسَ مُلتَمسٌ منها بمَشْبُوثِ[4]

وقال عبد المؤمن بن هبةِ الله الأصبهاني[5] :

باتَ البَراغيثُ في الفِراشِ مَعي ... تَقْسِمُني قِسمةَ المَوارِيثِ
أكَلْنَني بَعدمَا شَرِبنَ دَمي ... فَمَنْ مُغِيثي من البَراغِيثِ

وقال بعض الأعراب[6] :

لَيلُ البَراغِيثِ أعْياني وأنْصَبَني ... لا بَارَكَ اللَّهُ في لَيلِ البَراغِيثِ
كأنَّهُنَّ وجِلْدِي إذْ خَلَوْنَ به ... قُضاةُ سُوءٍ أغاروا في مَواريثِ

وقال آخر[7] :

هَنِيئاً لأَهْلِ الرَّيِّ طِيبُ بِلادِهِم ... وأنَّ أميرَ الرَّيِّ يَحيَى بنُ خالِدِ

---

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٣٨٦ .
(٢) الممغوث: المحموم .
(٣) أملا: تسهيل أملأ، يقال فلان مالىء العين إذا كان فخماً حسن المنظر. التوث؛ لغة في التوت (بتاءين) وهو شجر ذو ثمر معروف باسمه .
(٤) المداليج، جمع مدلاج، وهو الذي يكثر السفر في الليل بطوله. المشبوث، مأخوذ من شبث الشيء: علقه وأخذه بيده.
(٥) نهاية الأرب للنويري ١٠/٣٠٤ .
(٦) الحيوان للجاحظ ٥/٣٨٥، والأعرابيات /٢٦٢ .
(٧) الحيوان للجاحظ ٥/٣٩٠ .

تَطَاوَلَ في بَغدَادَ لَيْلي ومَن يَكنْ ببغداد يَلْبَثْ لَيْلَه غيرَ رَاقِدِ
بِلادٌ إذا جُنَّ الظَّلامُ تَقَافَزَتْ بَراغِيثُها من بين مَثْنَى وواحِدِ
دِيازِجَةٌ سُودُ الجُلُودِ كأنَّها بِغالُ بَرِيدٍ أُرْسِلَتْ في مذاوِدِ[1]

وقال السريُّ الرفَّاء[2] :

وليلةٍ من نَقَماتِ الدَّهرِ قطَعْتُها نَزْرَ الكَرى والصَّبْرِ
مُكَلَّمَ الصَّدرِ جَريحَ النَّحْرِ مقسَّماً بينَ أعادٍ خُذْرِ
كُمْتٍ إذا عايَنتُها وشُقْرِ كأنَّها آثارُها في الأُزْرِ

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني[3] :

إنَّ البَراغيثَ إذا ساوَرَتْ من كنِّها تَرْقُصُ أو تَقْرُصُ
وكُلَّما غنَّتْ بَعوضٌ لَها فهيَ على شُرْبِ دَمي أحْرَصُ
تَقْفِزُ مِن ثَمَّ إلى ها هُنا كأنَّها زِنجيَّةٌ تَرْقُصُ

وقال أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي[4] :

لا أعْذُلُ اللَّيْلَ في تَطاوُلِهِ لو كَانَ يَدْري ما نحنُ فيهِ نَقَصْ
لي في البَراغِيثِ والبَعُوضِ إذا يُلْحِفُنا حِنْدِسُ الظَّلامِ قَصَصْ
إذا تَغَنَّى بَعُوضُه طَرَباً ساعَدَ بَرْغوثُهُ الغِنَا فَرَقَصْ

وقال آخر[5] :

قَبيلةٌ في طُولِها وعَرْضِها لم يُطْبِقُوا عَيْناً لهُم بِغُمْضِها

---

(١) ديازجة، جمع الديزج معرّب (ديزه) بالفارسية ومعناه: الدَّغم، وقيل الأخضر، المذاود: معالف الدواب.

(٢) ديوان السري الرفاء/١٤٢ .

(٣) نهاية الأرب ١٠/٣٠٤ .

(٤) نهاية الأرب للنويري ١٠/٣٠٤ .

(٥) الحيوان للجاحظ ٥/٣٩٢ .

خَوْفَ البَراغِيثِ وخوفَ عَضِّها كأنَّ في جُلُودِها مِن مَضِّها
عَقارِباً تَرْفَضُّ من مُرْفَضِّها إنْ دامَ هذا هرَبْتُ من أرْضِها
يا ربِّ فاقْتُلْ بَعْضَها بِبَعْضِها

وقال الصنوبري[1] :

حَمَتْنِي البَراغِيثُ طِيبَ الكَرَى فَلَيْسَ يَطُوفُ الكَرَى بالمآقي
طَفِقْنَ يَرِدْنَ رِفاقاً دَمي ومِن أطْوَلِ الوِرْدِ وِرْدُ الرِّفاقِ
تَفُوقُ الهَماليجَ في مَشْيِها إليَّ وتَقْفِزُ قَفْزَ العِتاقِ[2]
ذواتُ شِفارٍ رِقاقٍ تَفُو قُ في القَطْعِ حَدَّ الشِّفارِ الرِّقاقِ
وكالرُّقَباءِ على العاشِقِينَ فتُفْسِدُ بالقَرْصِ طِيبَ العِناقِ
تُباشِرُ جِلدَ الفَتَى كالهَباءِ ويَصْدُرْنَ عَن جِلْدِهِ الزِّقاقِ

وقال أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي[3] :

ولَيْلَةٍ دائِمَةِ الغُسوقِ بَعِيدَةِ المَمْسَى عَنِ الشُّرُوقِ
كلَيْلَةِ المُتَيَّمِ المَشُوقِ أطالَ في ظَلْمائِها تَشْريقي[4]
أحَبُّ خَلْقٍ لأذَى مَخْلُوقِ يَرَى دَمي أشْهَى من الرَّحيقِ
يَعُبُّ فِيهِ غيرَ مُسْتَفِيقِ لا يَتْرُكُ الصَّبُوحَ لِلغَبُوقِ
لو بتُّ فوقَ قِمَّةِ العَيُّوقِ ما عاقَهُ ذلِكَ عَن طُرُوقي
كَعاشِقٍ أسْرَى إلى مَعْشُوقِ أعْلَمُ من بقْراطَ بِالعُرُوقِ

---

(١) ديوان الصنوبري/٤٣٥ .
(٢) الهماليج، جمع الهملاج: البرذون (فارسي معرب) . العتاق، جمع العتيق: الفرس الكريم الرائع وهو خلاف البرذون .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/٥١١ .
(٤) التشريق: تقديد اللحم .

من أكحلٍ منها وبـاسَليقِ يَفْصُـدهـا بِمبْضَـع دَقِيقِ[1]
مِن خَـطْمِهِ المُـذَرَّبِ الذَّليقِ فَصْدَ الطَّبيبِ الحاذقِ الرَّفيقِ[2]

وقال أبو الرماح الأسدي[3] :

تَطَاوَلَ بالفسْطاطِ لَيلِي ولم يَكُنْ بِحِنْوِ الغَضا لَيْلٌ عَلَيَّ يَطُولُ
يُؤَرِّقُني حُـدْبٌ صِغـارٌ أذِلَّـةٌ وإنَّ الَّـذي يُؤْذِينَـهُ لَـذَلِيـلُ
إذا جُلتُ بَعضَ اللَّيلِ مِنْهُنَّ جَوْلَةً تَعَلَّقنَ بي أوْ جُلْنَ حَيثُ أجُولُ
إذا مـا قَتَلْنَـاهُنَّ أضْعَفْنَ كَثْرَةً عَلينـا ولا يُنْعَى لهُـنَّ قَتِيـلُ
ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبيتَنَّ لَيْلَةً ولَيْسَ لِبُـرْغـوثٍ عَلَيَّ سَبِيـلُ

وقال أبو المحاسن الكربلائي: محمد الحسن بن حَمَّادي آل قاطع الجناجي في ليلة أضجرته فيها البراغيث[4] :

بِتُّ مِن البُرْغُوثِ طُولَ الدُّجَى مُسهَّـدُ الجَفْنِ بِلَيْـلِ السَّلِيمْ
وراحَتِي في شُغُـلٍ شـاغِـلٍ ونـاظِـري سـاهٍ وجَفْني كَلِيمْ
لمَّـا غَـدا فِـرعَـوْنَ في سَـطْوَةٍ خَشِيتُـهُ خَشْيَةَ مُـوسَى الكَليمْ
وهـو إذا نادَمَـني مِـن دَمي يَشـربُ أرْطـالاً فَبِئْسَ النَّـدِيمْ
أفـرُّ منه خِيـفَـةً هـارِبـاً وهُـوَ عَلى إثْري بِنَهْجٍ قَـوِيمْ

---

(١) الأكحل: عرق في الذراع يفصد ويسمى عرق الحياة. الباسليق، لم أجدها في معاجم اللغة، ولكن ورد في المساعد الكرملي ١/٢٤٣ ما يفيد ان كلمة الباسليق يونانية تعني الملكي. وجاء في تكملة المعاجم ١/٢٣٢: ان الكمّون الكرماني يسمى: الباسليقون أي الكمّون الملوكي. واذا أخذنا بهذا التخريج يكون الباسليق في قول الشاعر عرق ملكي - أي رئيسي - في البدن يفصد وله أهمية كبيرة كالأكحل.
(٢) الخطم: منقار الطائر، وفم الدابة.
(٣) الحيوان للجاحظ ٥/٣٨٩.
(٤) ديوان أبي المحاسن/٢٣٤.

فــلا تَــلُومَــنَّ تَــمِــيــمــاً إذا رَأتْــهُ في زَحْفٍ فوَلَّت تمِيمْ[1]

وقال مجد الدين أبو الميمون الكناني مِلغزاً في البراغيث[2] :

ومَعْشَـرٍ يَسْتَحِـلُّ النَّــاسُ قَتْلَهُمُ كما آسْتحلُّوا دَمَ الحُجّاجِ في الحَرَمِ
إذا سَفَكْتُ دَماً مِنْهُم فَمَا سَفَكَتْ يَداي مِن دمِهِ المَسْفُوكِ غيرَ دَمي

وقال أبو هلال العسكري[3] :

ومِن بَراغِيثَ تَنْفِي النَّومَ عَنْ بَصَري كـأنَّ جَفْنَيَّ عَنْ عَيْني قَصِيرانِ
يَـطْلُبنَ منِّيَ ثَأراً لَسْتُ أعْـرِفُـهُ إلَّا عَــداوةُ سُــودانٍ لِـبـيـضــانِ

وقال ابن سكّرة الهاشمي في مليح يعرف بابن برغوث[4] :

بُـليتُ ولا أقُــولُ بِـمَنْ لأنِّـي مَتَى ما قُلتُ مَن هُو يَعشَقُوهُ
حَبِيبٌ قــد نَفَى عَنِّي رُقــادِي فَــإنْ أغْمَضْتُ أيْقَـظَنـي أبُــوهُ

وقال أبو الشمقمق[5] :

يـا طُـولَ يَـومي وطُـولَ لَيْلَتِيْـه إنَّ البَــراغَيثَ قَــدْ عَبِثْنَ بِيَــهْ
فِـيـهِــنَّ بُــرْغُــوثَــةٌ مُـجـوَّعَــةٌ قَــد عَقَـدَتْ بَنْـدَهـا بَفَقْحَتِيَــهْ

---

(١) يشير الى البيت المشهور :
ولـو أن برغـوثاً على ظهـر قملة يكـرّ على صَـفَّيْ تـميم لـولَّتِ
(٢) حياة الحيوان للدميري ١٢٣/١ .
(٣) ديوان المعاني ١٥٠/٢ .
(٤) حياة الحيوان الكبرى ١٢٣/١ .
(٥) الحيوان للجاحظ ٣٩٠/٥ .



البعــوض

البَعُوض، واحدته بعوضة. قال ابن منظور (هو ضرب من الذباب) .

ومنه النَّامُوس، والجِرْجِس، ويسميه البعض: قِرْقِس. ومنه البَقُّ كما في الصحاح، وعرَّف بعضهم البقَّ بأنَّه حيوان عدسيٌّ مفرطح أحمر الجثة أسود الرأس، خبيث الرائحة لذَّاع، يتولَّد في الخشب والحُصُر، واحدته بقَّة، وقد جلب الأتراك كميَّة من هذا الحيوان المؤذي ووزَّعوها على بعض سجون العراق فتكاثر وكان أشدَّ على السجناء من كلِّ العقوبات .

لم يتعرَّض الأدباء والشعراء العرب لهذا الحيوان، وأيْنما ورد اسم البقِّ في نظمهم ونثرهم فالمقصود به البعوض. لذلك اقتفيت أثرهم فاعتبرت البعوض والبقَّ إسمين لمسمًّى واحد .

ما ورد عنه في القرآن الكريم

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها**﴾ سورة البقرة/٢٦ .

ممَّا ورد عنه في الحديث

قال النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلم (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح

بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء)[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام (إنَّ العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب، ولا يزن عند الله جناح بعوضة)[2] .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم (ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)[3] .

مما ورد عنه في الأمثال[4]

(أضعف من بعوضة) يضرب للمبالغة والتناهي .

(كلَّفْتَني مخّ البعوضة) يضرب لمنْ يكلفك الأمر الشاق، ومنه قولهم :

كلَّفْتَني مخَّ البَعوضِ فقد أقْصرتَ لا نُجحٌ ولا عذرُ

مما ورد عنه في القصص[5] :

قالت البعوضة للنخلة: استمسكي فإنِّي عنكِ ناهضة، فقالت : ما أحسَسْتُ وقوعك فكيف نهوضك .

مما ورد عنه في الكلام المنثور[6] :

قال الجاحظ في التأمل في جناح بعوضة :

ولو وقفتَ على جَناح بعوضةٍ وقوفَ معتبر، وتأمَّلته تأمُّلَ متفكِّر بعد أن تكونَ ثاقبَ النَّظر سليم الآلة غوَّاصاً على المعاني ، لا يعتريك من الخواطر إلاَّ

---

(١) حية الحيوان للدميري ١/١٢٩ .
(٢) و(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ١/٨٩ .
(٤) جمهرة الأمثال ٢/٣، وأساس البلاغة للزمخشري مادة (ب ع ض).
(٥) التمثيل والمحاضرة/٣٧٦ .
(٦) الحيوان للجاحظ ١/٢٠٨ ويتيمة الدهر ٢/٤٧ .

على حسب صحّة عقلك، ولا من الشواغل إلاّ ما زاد في نشاطك، لملأت مما توجدك العِبرة من غرائب الطوامير الطوال، والجلود الواسعة الكبار، ولرأيت أنَّ له من كثرة التصرُّف في الأعاجيب، ومن تقلّبه في طبقات الحكمة، ولرأيتَ له من الغَزْر والرَّيع، ومن الحلب والدَّرِّ ولتبجَّسَ عليك من كوامن المعاني ودفائنها، ومن خفيَّات الحِكم وينابيع العلم ما لا يشتدُّ معه تعجُّبُك .

وقال ابن شهيد في صفة بعوضة :

مالكة لا حسّ لها سواها. تحقرها عينُ من رآها. تمشي إلى الملك بندبها، وتضرب بحبوحة داره بطلبها. تؤذيه باقبالها، وتعرّفه باراقة دمه ما لها، فتعجز كفَّه وترغم أنْفَه، وتضرِّج خدَّه، وتفري لحمه وجلده. زجرتها تسليمها، ورمحها خرطومها. تذلِّل صعبك إن كنت ذا قوَّة وعزم، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلقة وعسكر ضخم. تنقض العزائم وهي منقوضة، وتعجز القوي وهي بعوضة ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

مما ورد عنه في الشعر

قال أبو هلال العسكري[1] :

غِنـاءٌ يُسْخِنُ العَيـنَ	ويَنْفي فَـرَحَ القَلْبِ
ولا يَأتي عَلى الزَّمْرِ	ولا يَجْري مَع الضَّرْبِ
غِنـاءُ البَقِّ بـاللَّيـل	يُنافي طَرَبَ الشَّرْبِ
إذا مـا طَرَقَ المَـرْءَ	جَرَى في طَلَقِ الكَرْبِ
نَحِيفٌ راحَ كـالشَّنِّ	ولكنْ باتَ كالـوَطْبِ
إذا مـا نَقَبَ الجِلْدَ	ةَ أخْفَى مَوضِعَ النَّقْبِ
سِـوَى حُمْرٍ خَفِيَّـاتٍ	تُحـاكي نُقَطَ الكُتْبِ

(١) ديوان المعاني ٢/١٤٨ .

وقال أبو بكر الخوارزمي[1] :

ضَنِيتُ فَلَوْ أُدْخِلْتُ في حَلْقِ بَقَّةٍ   خَرِيفيَّةٍ مِن دِقَّتي لَم تَغُصَّ بي
وأَصْبَحَ قَلْبي في يَدِ الهمِّ واغْتَدَتْ   أمانِيَّ في أظْفارِ عَنْقاءَ مُغْرِبِ

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح[2] :

قَد مُنِينا بِهَناتٍ   هُنَّ مِن شَرِّ الهَناتِ
نافِراتٍ آمِراتٍ   قَلِقاتٍ مُقْلِقاتِ
سافِكاتٍ لِدماءِ الـ   ـنَّاسِ مِنْها شارِبَاتِ
مَعَنَا في الفُرْشِ والقُمْـ   ـصِ عَلَينا واثِباتِ
تَخْضُبُ الإِصْبَعَ والثَّوْ   بَ دَماً مِنْ دامِياتِ
ثُمَّ لا يُخْرِجُه الغَسْـ   ـلُ بماءِ الراحِضاتِ
ومُنِينا بِهَناتٍ   واقِعاتٍ طائِراتِ
جارِحاتٍ داخلاتٍ   مُسْهِراتٍ ساهِراتِ
زامِراتٍ لَكَ بالتَّسْـ   ـهيدِ في وَقْتِ السُّباتِ
مِن لُحُومٍ في دِماءٍ   وارِداتٍ شارِعاتِ
بِخَراطِيمَ مُدَلَّا   ةٍ طِوالٍ جارِحاتِ
طَعْنُها أنْفَذُ في الأبْـ   ـدانِ مِن طَعْنِ الكُمَاةِ
كَمْ لَها في الجِسْمِ من آ   ثارِ سُوءٍ فاحِشاتِ
وكُلومٍ مُؤْلِماتٍ   ونُدُوبٍ قَرِحَاتِ
ولَدِيغٍ لاطِمٍ وَجْـ   ـهاً طَلُوبٍ لِلتِّراتِ
فَنَصِيبُ الفَذِّ مِنْها   بَعْدَ ألفٍ فائِتاتِ
نازِلاتٍ صاعِداتٍ   بادِياتٍ عارِياتِ

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٥٠٥ .

(٢) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق /١٧١ .

وقال آخر[1] :

لا تَحْقرنَّ صَغِيراً في مُخَاصَمَةٍ إِنَّ البَعُوضَةَ تُدْمي جَبْهَةَ الأسَدِ
وفي الشَّرارَةِ ضَعْفٌ وهي مُؤلمةٌ ورُبَّما أضْرَمَتْ ناراً عَلى بَلَدِ

وقال ابن أحمر الباهلي [2] :

ما كنتُ عَن قَومي بِمُهتَضمٍ لَوْ أنَّ مَعْصِيّاً لَهُ أمْرُ
كَلَّفْتَني مُخَّ البَعُوضِ فَقَدْ أقْصَرْتَ لا نُجْحٌ ولا عُذْرُ

وقال رجل من بني رحّمان [3]

أأنْصُرُ أهْلَ الشَّامِ ممَّن يَكيدُهُمْ وأهْلي بنَجْدٍ ساءَ ذلكَ مِن نَصْرِ
بَراغِيثُ تُؤْذِيني إذا الناسُ نَوَّمُوا وبَقٌّ أقاسيهِ عَلى ساحِلِ البَحْرِ
فإنْ يَكُ فَرْضٌ بَعْدَها لا أعُدْ لَهُ وإنْ بَذَلُوا حُمْرَ الدَّنانِيرِ كالجَمْرِ

وقال الأسعد بن مماتي [4] :

تكادُ بِقَرْصِ البَقِّ تَتْلفُ مُهجَتي إذا لم أجِدْ من ثَوْبِ جِلْدِي التَّخَلُّصا
ومِن أعْجَبِ الأشْياءِ في البَقِّ أنَّها عَلى الجِسْمِ سُمَّاقٌ وتُنبِتُ حِمَّصا

وقال ابن عروس [5] :

ولَوْ أيْقَنْتُ أنْ سَيَمُوتُ قَلْبي صَغِيرَ السنِّ كالرَّشأ الغَضِيضِ

---

(١) المعجم الزوولوجي ٢/١١٠ .
(٢) الحيوان للجاحظ ٣/٣١٨ .
(٣) الحيوان للجاحظ ٥/٤٠٨.
(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/١٠٢.
(٥) ثمار القلوب /٥٠٥.

ابحَثْكَ* كلَّ ما يَحْويهِ كفِّي ... ولَوْ كلَّفْتني مُخَّ البَعُوضِ

وقال ابن حمديس الصقلي(1):

يا لَيْلُ هَلْ لِصَباحِي فيكَ إشْراقُ ... فقَدْ نَفَى النَّومَ عَن عَيْنَيَّ إيراقُ
عَساكِرُ البَقِّ نَحْوي فِيكَ زاحِفَةٌ ... كأنَّما بُثَّ وَسْطَ البَيْتِ سُمَّاقُ
من كلِّ طاعِنَةٍ الخرطُومِ سارِيَةٍ ... كأنَّ لَسْعَتَها بالنَّارِ إحْراقُ

وقال شاعر في رجل اسمه ليث(2):

أيا مَنْ إسمُهُ لَيْثٌ ... وَهُوْ أضْعَفُ من بَقَّهْ
لقَد باعَدَ ربُّ النَّا ... سِ بَينَ الإسْمِ والخِلْقَهْ

وقال أبو اسحاق الصابي (3):

ولَيْلَةٍ لَمْ أذُقْ مِن حَدِّها وَسَناً ... كأنَّ من جَوِّها النِّيرانَ تَشْتَعِلُ
أحاطَ بي عَسْكَرٌ لِلبَقِّ ذُو لَجَبٍ ... ما فِيه إلَّا شجاعٌ فاتِكٌ بَطَلُ
من كلِّ سائِلَة الخُرْطُوم طاعِنَةٍ ... لا تَحجُبُ السُّجْفُ مَسْراها ولا الكِلَلُ
طافُوا عَلينا وحَرُّ الصَّيْفِ يَطبخُنا ... حَتى إذا طُبِخَتْ أجْسامُنا أكَلوا

وقال أبو الفتح البُستي (4):

لا يَسْتَخِفَّنَّ الفَتَى بعَدوِّهِ ... أبَداً وإنْ كانَ العَدُوُّ ضَئِيلا
إنَّ القَذَى يُؤذِي العُيُونَ قَلِيلُهُ ... ولَرُبَّما جَرَحَ البَعُوضُ الفِيلا

---

(1) ديوانه /335.
(2) ثمار القلوب /504.
(3) يتيمة الدهر 2/268.
(4) يتيمة الدهر 4/333.

وقال الزمخشري [1] :

يا مَن يَرَى مَدَّ البَعُوض جناحَها   في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ
ويَرَى مَناطَ عُروُقِها في نَحْرِها   والمخَّ في تِلكَ العِظامِ النُحَّلِ
أمْنُنْ عَليَّ بتَـوْبـةٍ تَمْحُـو بِهـا   ما كانَ مِنِّي في الزَّمانِ الأَوَّلِ

وقال أبو بكر الخوارزمي [2] :

لا تَعْجَبُوا مِن صَيْدِ صَعْوٍ بازِياً   إنَّ الأَسُودَ تُصادُ بـالخِـرْفـانِ [3]
قَـد غَرَّقَتْ أمْلاكَ حِمْيَرَ فَـأرَةٌ   وبَعُـوضَـةٌ قتلَتْ بَني كَنْعـانِ

وقال فرج بن خلف الأندلسي الملقَّب بالسمسير [4] :

بَعُـوضٌ شَـرَبْنَ دمي قَهْوَةً   وغَنَّيْنَنـي بِضُـرُوبِ الأغـانْ
كـأنَّ عُـرُوقـيِ أوْتـارَهُـنَّ   وجِسْمي الـرَّبـابُ وهُنَّ القِيـانْ

وقال راجز [5] :

إذا البَعُـوضُ زَجَلَتْ أصْـواتُهـا   وأخَـذَ الـلَّحْنَ مُـغَـنِّـيـاتُـهـا
لم تُـطْرِبِ السامِعَ خافِضـاتُها   وأرَّقَ الـعَـيْنَـيْـن رافِـعـاتُـهـا
كـلُّ زَجُـولٍ تَتَّقِي شَـذاتُهـا   صَغيرَةٌ عَـظِيـمَـةٌ أذاتُـهـا [6]
تَنْقُصُ عَن بُغْيَتِهـا بُغـاتُهـا   ولا تُصِيـبُ أبَـداً رُمـاتُـهـا
رامِحَةٌ خُرْطُومُها قَناتُها

---

(١) حياة الحيوان ١/١٢٩ ووفيات الأعيان ٤/٢٥٩.
(٢) يتيمة الدهر ٤/٢٣٦.
(٣) الصعو: عصفور صغير.
(٤) نفح الطيب ٣/٣٢٩، ونهاية الأرب ١٠/٣٠٢.
(٥) الحيوان للجاحظ ٥/٤٠٧
(٦) الشذاة: الأذى والشر.

وقال آخر في وصف حاله وحال البعوض (١) :

لَمْ أرَ كاليَوْمِ ولا مُذْقَطِّ   أطْوَلَ مِن لَيْلي بِنَهْرِ بَطِّ[٢]
كأنَّما نُجُومُهُ في رُبْطِ   أبيتُ بَينَ خِطَّتَيْ مُشْتَطِّ
مِن البعُوضِ ومِن التغَطِّي   إذا تَغنَّيْنَ غناءَ الزُّطِّ
وهُنَّ مِنِّي بِمكانِ القُرْطِ   فثِقْ بوَقْعٍ مثلِ وَقْعِ الشَّرْطِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي (٣) .

وبعُوضةٍ حطَّت عَلى قَدمي   وغَدَتْ تمصُّ دِمايَ مَصَّ ضَمِ
أمْهَلتُها حتى ارْتَوَتْ فَهوَتْ   كفِّي عليها فِعلَ مُنْتَقِمِ
كلُّ شَفَى مِن جسْمِ صاحِبِهِ   غِلَّا وأطْفَأَ لَوْعَةَ الضَّرَمِ
أغَنِيُّ إنَّكَ كالبَعُوضِ دَمي   يَجْري بِجسْمِكَ فانْتَظِرَ نقَمي
واعْذُرْ إذا عَذرَ البَعُوضُ فَلَمْ   أسْفِكْ دَماً لكَ بَلْ سَفكْت دَمي

وقال عبد الله بن المعتز (٤) :

بتُّ بجهدٍ ساهرَ الأجْفانِ   تلذعُ جِلدي شَرَرُ النِّيرانِ
من طائرٍ يَزْمُرُ في الآذانِ   من الدماءِ مُتْرَعٍ ملآنِ
كأنَّه فريدَةُ المَرْجانِ

وقال السيد جعفر الحلِّي معرِّضاً ببعض الأدباء على طريقة الهزل (٥) :

ألا مَنْ يقتُلُ البَقَّ   فانَّ البقَّ آذاني

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤٠٦/٥
(٢) نهربطّ: نهر بالأهواز.
(٣) ديوانه (هواجس /٤٩ .
(٤) ديوانه ٦٤٩/٢.
(٥) ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل /٤٣١ .

لقد طَنْطَنَ في القَلْبِ فصُمَّتْ منه آذاني

وقال آخر (1) :

وليْلَةٍ لم أدْرِ ما كَراها أمارِسُ البَعُوضَ في دُجاها
كلُّ زجُولٍ خَفِقٍ حَشاها سِتٌّ لَدَى إيفائِها شَواها(2)

---

(1) الحيوان للجاحظ ٥/٤٠٥.
(2) الشوى: اليدان والرجلان، ويريد بكلمة (إيفائها): إيفاء عدّها.



البغال (١)

الذكر بغل، والأنثى بغلة، والجمع بغال، ومبغولاء اسم للجمع، والبغَّال: صاحب البغال.

وقيل: البغلة اسم جنس، والهاء فيها للإفراد، وهاء الإفراد تقع على الذكر والأنثى.

وكنية البغل: أبو الأشحج، وأبو الحرون، وأبو الصقر، وأبو قضاعة، وأبو قموص، وأبو كعب، وأبو مختار، وأبو ملعون. ويقال له: ابن ناهق.

ما ورد عنها في القرآن الكريم

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ سورة النحل /٨

مما ورد عنها في الأمثال (٢)

(أعقم من بغلة). يضرب للمبالغة والتنهاهي.

(١) حياة الحيوان للدميري ١/١٣٨.
(٢) جمهرة الأمثال ٢/٣٤ و١٠٠ والتمثيل والمحاضرة/٣٤٢، والمخصّص ٢/٦/٢٠٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(قيل للبغل: من أبوك؟ قال: خالي الفرس). يضرب مثلاً للرجل يفخر بشي لغيره خير منه

(البغل نغل وهو لذلك أهل) يضرب لمن لا يرجى خيره لخسَّة أصله.

(البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل) [١]: يضرب لمن كابد عظائم الأمور فلا تزعزعه الصغائر.

(فلان بغلة أبي دلامة) يضرب للكثير العيوب. وقد هجا أبو دلامة بغلته فلم يترك عيباً الاّ والصقه بها وسنورد قصيدته في فصل الشعر.

(نكح فيهم فبغَّلهم) أي هجَّن أولاده.

مما ورد عنها في القصص [٢]

قال ابن شهيد: ومشيتُ يوماً أنا وزهير[٣] بأرض الجنِّ نتقرَّى[٤] الفوائد، ونعتمد أندية أهل الآداب منهم إذْ أشرفنا على قرارة غنَّاء [٥] تفترُّ عن بركة ماء وفيها عانة [٦] من حُمُر الجنِّ وبغالهم، قد أصابها أولقٌ [٧] فهي تصطكُّ بالحوافز، وتنفخ من المناخر، وقد اشتدَّ ضراطُها، وعلا شحيجُها[٨] ونهاقُها. فلمَّا بصُرَتْ بنا أجْفلت إلينا وهي تقول: جاءكم على رجليه.

---

(١) الجلجل: جرس صغير جمعه جلاجل.
(٢) التوابع والزوابع لابن شهيد /١٤٧.
(٣) هو زهير بن نمير من الجنِّ ورفيق ابن شهيد في قرى الجنِّ.
(٤) تقرَّى الفوائد: تتبَّعها.
(٥) القرارة: المطمئن من الأرض. غنَّاء: كثيرة العشب.
(٦) العانة: القطيع من حمر الوحش.
(٧) الأولق: الجنون أو شبهه.
(٨) الشحيج: صوت البغل.

فارتعتُ لذلك، فتبسَّم زهير وقد عرف القصد وقال لي: تهيَّأ للحُكْم. فلمّا لحقت بنا بَدَأَتْني بالتفدية، وحيَّتني بالتنكية، فقلتُ: ما الخطب حُمِيَ حِماك، أيتها العانة، وأخصب مرعاكِ؟ قالت: شِعْران لحمار وبغل من عشّاقنا اختلفنا فيهما، وقد رضيناك حكماً. قلت: حتى أسمع. فتقدمت اليَّ بغلة شهباء، عليها جلُّها وبرقعها، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة وسُخف الحركة فقالت: أحد الشعرين لبغل من بغالنا وهو:

على كلِّ صَبٍّ من هواهُ دَليلُ ... سَقام عَلى حرِّ الجَوى ونُحوُلُ
وما زالَ هذا الحبُّ داءً مبرِّحاً ... إذا ما اعْتَرَى بَغْلاً فليسَ يَزُولُ
بِنَفْسي التي أمَّا مَلاحِظُ طَرْفِها ... فسِحْرٌ وأمَّا خدُّها فأسِيلُ
تَعِبْتُ بما حُمِّلتُ من ثقلِ حُبِّها ... وإنِّي لَبَغْلٌ لِلثِّقالِ حَمُولُ
وما نِلْتُ مِنها نائِلاً غيرَ أنَّني ... إذا هِيَ بالَتْ بلْتُ حيثُ تَبُولُ

والشعر الآخر لِدُكَيْن الحمار وهو:

دُهِيتُ بهذا الحُبِّ منذُ هَوِيتُ ... وراثَتْ إراداتي فلَسْتُ أرِيثُ[1]
كلِفْتُ بإلفي مُنذُ عِشْرينَ حِجَّة ... يَجُولُ هَواها في الحَشا ويَعِيثُ
ومالِيَ مِنَ بَرْحِ الصَّبابَةِ مَخْلَصٌ ... ولا لِيَ مِن فَيْضِ السَّقامِ مُغِيثُ
وغَيَّر مِنها قَلْبَها لي نَمِيمَةٌ ... نمَاها أحَمُّ الخِصْيَتَيْنِ خَبِيثُ
وما نِلْتُ مِنها نائِلاً غيرَ أنَّني ... إذا هيَ راثَتْ رُثْتُ حيثُ تَروثُ

فضحك زهير، وتماسكتُ وقلت للمنشدة: ماهويثُ؟ قالت: هو (هويثُ) بلغة الحمير. فقلت: والله إنَّ للروث رائحةً كريهة، وقد كان أنْف الناقة [2] أجدر أنْ يحكم في الشعر. فقالت: فهمت عنك وأشارت إلى العانة ـ

---

(١) راثت: أبطأت.

(٢) من شعراء الجنّ في الرسالة.

أنّ دُكَيْناً مغلوب ثم انصرفت[1] قانعة راضية .

وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر؟ قلت: لو كانت ثمَّ علامة، فأماطت لثامها، فإذا هيَ بغلة أبي عيسى، والخال على خدِّها، فتباكينا طويلا، وأخذنا في ذكر أيامنا، فقالت: ما أبقت الأيَّام منك؟ قلت: ما تَرَيْن، قالت: شبَّ عمرو عن الطوق، فما فعل الأحبَّة بعدي، أهم على العهد؟ قلتُ: شبَّ الغلمان، وشاخ الفتيان، وتنكَّرت الخلّان، ومن إخوانكِ من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة. فتنفَّستِ الصُّعداء وقالت: سقاهم الله سَبَل العَهْد[2] وإنْ حالوا عن العهد ونسوا أيَّام الودِّ. بحرمة الأدب الَّا ما أقرأتَهم مني السلام، قلتُ: كما تأمرين وأكثر.

ممَّا ورد عنها في الكلام المنثور (٣)

صنَّف الجاحظ كتاباً عن البغال مستقلاً عن كتابه (الحيوان) ضمنه الكثير من الأخبار. وطرائف المنظوم والمنثور، وقال في مقدِّمته:

نبدأ إن شاء الله بما وصف الأشراف من شأن البغلة في حسن سيرتها وتمام خلقها، والأمور الدالَّة على السرِّ الذي في جوهرها، وعلى وجوه الاتِّفاق بها وعلى تصرِّفها. . . الخ.

وقال مسلمة بن عبد الملك: ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان قصيرة العذار، سفواء[4] العرف، حصَّاء الذنب.

وكتب روح بن عبد الملك بن مروان إلى وكيل له: أبغني بغلة حصَّاء

---

(١) الضمير يعود إلى العانة.

(٢) السبل (بفتحتين): المطر. العهد: أول مطر الوسمي.

(٣) رسائل الجاحظ ٢١٦/٢، ونهاية الأرب للنويري ٨٦/١٠ و٨٧.

(٤) سفواء العرف: خفيفة شعر الناصية .

الذَّنَب، عِظيمة المحزم، طويلة العنق، سوطها عنانها، وهوها أمامها.

وقيل لعبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: مالك ولمركب البغلة الذي لا يدرك عليه الثأر، ولا ينجِّيك يوم الفرار؟ فقال: إنَّها نزلت عن خيُلَاء الخيل، وآرْتفعت عن ذلَّة العَيْر وخير الأمور أوساطها.

وقال ابن كتامة: سمعت رجلاً يقول: إذا أشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق، تجده في نجائِها، مشرفة الهادي، تجده في طباعها، ضخمة الجوف، تجده في صبرها.

وحكي أنَّ عبد الحميد الكاتب ساير مروان بن محمد المعروف بالجعديِّ ربالحمار، على بغلة، فقال له: لقد طالت صحبة هذه الدابَّة لك، فقال: يا أمير المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها، فقال: صفها، فقال: همُّها إمامُها، وسوطهـا زمامها، وما ضُرِبت قطُّ الَّا ظلماً

وقال بعض الكتاب من رسالة: قد اخترتُ لسيِّدي بغلة وثيقة الخَلق لطيفة الخَرْط [1] رشيقة القدِّ، موصوفة السير، ميمونة الطير، مشرفة العنق، كريمة النجّار، حميدة الآثار.

إن أدْبَـرتْ قُلتَ لا تَليلَ لهـا أو أقبلَتْ قُلتَ ما لها كَفلُ[2]

قد جمعت إلى حسن القميص سلامة الفصوص [3] فسمِّيت قيد الأوابد وقرَّة عين الساهد، تزري في انطلاقها بالبروق في ائتلاقها.

---

(١) الخرط: الجماح، والدابة الخروط: التي تجذب رسنها من يد ممسكها لتستأنف السير.

(٢) التليل: العنق.

(٣) الفصوص من الدابة: مفاصل ركبتيها وأرساغها.

ممّا ورد عنها في الشعر

قال ابن رشيق في هجائها[١] :

فَأوصِيكُمْ بِالبَغْلِ شَرّاً فَإنَّهُ ... مِن العَيْر في سُوءِ الطِّباع قَرِيبُ
وكيفَ يَجِيءُ البَغلُ يَوْماً بحاجَةٍ ... تَسُرُّ وفيهِ للحِمارِ نَصِيبُ

وقال أبو خنيس يهجو بغلته[٢] :

أُبْعِدتِ من بَغلةٍ مُواكِلَةٍ ... تَرمَحُني تارةً وتَقْمِصُ بي
تكادُ عندَ المسِيرِ تَقْطَعُني ... راكِبُها راكبٌ على قَتَبِ
إنْ قمتُ عند الإسْراجِ أُثْفِرُها ... تطرِفُ مِنِّي العَيْنَيْنِ بالذَّنبِ[٣]
وعِندَ شَدِّ الحِزام تَنْهَشُنِي ... مانِعةً لِلِّجامِ واللَّبَبِ[٤]
لَيْسَ لَها سِيرَةٌ سِوَى الوَثْبى ... كَرَقْصِ زِنْجٍ يَنْزُون لِلطَّرَبِ
وهيَ إذا ما عَلفْتُها جَهَدَتْ ... لا تَأتَلي في الجِهادِ عَن حَرَبِ
قد أكَلَتْ كُلَّ ما اشتَرَيْتُ لَها ... من رِزْقِ شَعْبانَ أمسِ في رَجَبِ
تَمرُّ فيما نَمَى لعَلْفَتِها ... إنْ لم تُعَلَّلْ بالشَّوْكِ والقَصَبِ[٥]

وقال آخر، وقد جعل ركوب البغلة من وسائل الترف الداعية إلى الاحترام والتبجيل[٦] :

---

(١) ديوانه/٣٨.
(٢) رسائل الجاحظ ٢/٣٣٩.
(٣) أثفر الدابة: جعل لها ثفراً، وهو سير مربوط في مؤخّر السرج من الجانبين ويجعل تحت ذنب الدابة ليمسك السرج عن التحرُّك الى الأمام. طَرَّف عينه: أصابها بشيء فدمعت واحمرَّت فهي مطروفة.
(٤) اللَّبب: ما يشدُّ على صدر الدابة يمنع السرج من الاستئخار.
(٥) نما ينمو: زاد.
(٦) رسائل الجاحظ ٢/٢٥٠ .

يا فَتْحُ لوْ كُنْتُ ذا خَزٍّ أجرِّرُهُ تَحْتي سَليمُ الشَّظَا من نَسْلِ حَلَّابِ[1]
أوْ كُنْتُ ذا بَغْلةٍ سَفْواءَ نَاجِيةٍ وشاكِريِّنِ لم أُحْبِسْ عَن البابِ[2]
أزْرَى بِنا أنَّنا قلَّتْ دَراهِمُنا والفَقْرُ يُزْرِي بآدابٍ وأحْسابِ

وقال البحتري من قصيدة استهدى فيها من محمد بن حُميد بن عبد الحميد الطوسي فرساً أوْ بَغْلاً[3] :

وأقبَّ نَهْدٍ للصَّواهلِ شَطرُه يومَ الفَخار وشطرُهُ للشُّحَّجِ[4]
خِرْقٌ يتِيهُ على أبِيهِ ويدَّعي عصبيَّةً لبني الضَّبيبِ وأعْوَجِ[5]
مثل المذرِّع جاءَ بينَ عُمُومَةٍ في غافِقٍ وخُولَةٍ في الخَزْرَجِ[6]
لا ديزَجٌ يَضِفُ الرَّمادَ ولم أجِدْ حالًا تحسِّنُ من رواء الدَّيزجِ[7]
وعريضُ أعْلَى المَتْنِ لو علَّيْتَهُ بالزِّئبَقِ المُنْهَالِ لم يَتَرجْرَجِ
خاضَتْ قوائِمُهُ الوَثِيقُ بِناؤها أمْواجَ تَحْنيبٍ بهنَّ مدَرَّجِ[8]

وقال أبو الفرج الوأواء[9] من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قد جاءَت البغلَةُ السَّفْوَاءُ يَجْنُبُها لِلبَرْقِ غيثٌ بَدا يَنْهَلُّ ماطِرُهُ[10]

---

(١) حلَّاب: فرس لبني تغلب من نتاج أعوج وهو فرس لبني هلال .
(٢) الشاكريّ: معرَّب (جاكر) بالفارسية ومعناه المستخدم الأجير .
(٣) ديوانه ١/٤٠٤ .
(٤) الشُّحَّج: البغال .
(٥) الضبيب: فرس حسَّان بن حنظلة الطائي .
(٦) المذرِّع: الذي أمه أشرف من أبيه . غافق: قبيلة من الأزد، وهي دون الخزرج شرفاً .
(٧) الديزج: لون بين لونين، معرَّب (ديزه) بالفارسية .
(٨) التحنيب: احديداب في وضيفي يدي الفرس، ويقال: انه بُعد ما بين الرجلين من غير فحج .
(٩) نهاية الأرب للنويري ١٠/٨٨،
(١٠) بغلة سفواء: سريعة المرِّ كالريح .

عَـريقَـةٌ نـاسَبَتْ أخْـوَالَهـا فَلَهـا   بالعِتْقِ من أكرَم الجِنْسَين فاخرُهُ
ملءُ الحِزام وملءُ العَينِ مُسْفِرَةٌ   يُريكَ غائِبَها في الحُسنِ حاضِرُهُ
أهْدَى لها الرَّوضُ أوْصافِهِ شِيَةً   خَضْرَاءَ ناضِرةً إنْ زالَ ناضِـرُهُ
ليسَتْ بأوَّل حُمْلانٍ شَـرَيْتَ به   حَمْدي ولا هيَ يا ذا الجُودِ آخِرُه[1]
كم قَد تقدَّمَها من سابحٍ بيدي   عِنـانُـه وعَلى الجَـوْزا حَـوافِـرُهُ

وقال ابن رشيق القيرواني[2] في ذمِّ البغل:

أوصِيـكَ بـالبَغْـلِ شَـرّاً   فـإنَّـهُ ابـنُ الـحِـمـارِ
لا يـصْـلُحُ الـبَـغْـلُ إلاَّ   لِـلْـكَـدِّ والأسْـفـارِ

وقال أيضاً[3] في مدح بغلة :

كـأنِّي بعضُ نُجـوم السَّمـاءِ   تَصعَّـدَ في الجـوِّ ثُمَّ انْحَـدَرْ
عَلى رِسْلةٍ مـن هِبـاتِ الـملُو   كِ سَفْـواءَ مَلْمُـومَـةٍ كـالحَجَـرْ
تعـاوَنَ في جَـدْلِ أعْضـائِهـا   بَنـو أخْـدَرٍ وبَنـاتُ الأغَـرْ[4]

وقال سبط ابن التعاويذي محمد بن عبيد الله[5] :

مُجـاهـدَ الـدِّين عشتَ ذُخْـراً   لِـكُـلِّ ذِي حـاجَـةٍ وكَـنْـزا
بـعـثـتَ لـي بَـغْـلةً ولَـكِـنْ   قـد مُسِخَتْ في الطَّريقِ عَنْـزا

وقال البهاء زهير يهجو بغلة وصاحبها[6] :

لَـكَ يـا صَـديـقـي بَـغْـلَةٌ   لَـيْـسَـتْ تُـسـاوي خِـرْدَلَـهْ

---

(١) الحُملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.
(٢) ديوانه ٨١.
(٣) ديوانه أيضاً/٨٦ .
(٤) الخدري: الحمار الأسود، والأخدريُّ: الحمار الوحشي . الأغر من الخيل: ما كان بجبهته غرَّة .
(٥) ديوانه /٢٣٦ .
(٦) ديوانه٢٩٤ .

تَمشي فَتَحْسَبُها العَيُو ... نُ على الطَّريقِ مُشَكَّلَهْ
وتُخالُ مُدْبِرَةً إذا ... ما أقْبَلَتْ مُسْتَعْجِلَهْ
مِقْدارُ خَطْوَتِها الطَّويـ ... ـلَةِ حينَ تُسْرِعُ أنْمُلَهْ
تَهْتَزُّ وهيَ مَكانَها ... فكأنَّما هيَ زَلْزَلَهْ
أشْبَهْتَها بَلْ أشْبَهَتْـ ... ـكَ كأنَّ بَيْنَكُما صِلَهْ
تحكي صِفاتكَ في الثَّقا ... لَةِ والمَهانَةِ والبَلَهْ

وقال أبو المكارم بن عبد السلام يمدح بغلة له[1]:

كأنَّها النارُ في الحَلْفاءِ إنْ رَكَضَتْ ... كأنَّها السَّيْلُ إنْ وافَتْكَ مِن جَبَلِ
كأنَّها الأرضُ إنْ قامَتْ لمُعْتَلفٍ ... كأنَّها الرِّيحُ إنْ مرَّتْ على القُلَلِ
ما يَعرفُ الفِكرُ منها مُنْتَهى حُضُرٍ ... ما صَوَّر الوَهْمُ فيها وصْمَةَ الكَسَلِ
إذا اقتَعَدْتَ مَطاها وهي ماشِيَةٌ ... ثهلانُ تُبصِرُهُ في زِيِّ مُنْتَقِلِ

وقال أبو دلامة يصف بغلته[2] :

أبعدَ الخَيلَ أرْكَبُها وِراداً ... وشُقْراً في الرَّعِيلِ إلى القِتالِ[3]
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فيها وِكالٌ ... وخيرُ خِصالها فَرْطُ الوِكالِ[4]
رأيتُ عيُوبَها كثُرَتْ وعالَتْ ... ولَوْ أفْنَيْتُ مُجتَهِداً مقالي[5]
تقومُ فما تَريمُ إذا اسْتُحِثَّتْ ... وتَرْمَحُ باليَمينِ وبِالشِّمالِ[6]

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٨٨/١٠ .
(٢) رسائل الجاحظ ٣٣٢/٢ .
(٣) الوراد (بالكسر) جمع الورد (بالفتح) وهو من الخيل بين الكميت والأشقر، أو الأحمر الضارب الى الصفرة .
(٤) الوكال (بكسر الواو وتفتح) : الفتور .
(٥) عالت: من العول، وهو زيادة الفريضة في المواريث .
(٦) ما تريم: ما تبرح .

رِياضَةُ جاهلٍ وعُلَيْجِ سُوءٍ ... من الأكْرادِ أحْبَنَ ذي سُعالِ [(١)]
شَتِيمِ الوَجْهِ هِلْبَاجٍ هِدانٍ ... نَعُوسٍ يومَ حَلٍّ وارْتحالِ [(٢)]
فأدَّبَها بأخْلاقٍ سِماجٍ ... جَزاهُ اللّهُ شرّاً عَن عِيالي
فلمَّا هَدَّني ونفَى رُقادِي ... وطالَ لذاكَ همِّي واشْتِغالي
أتيتُ بِها الكُناسَةِ مُسْتَبِيعاً ... أفكِّرُ دائِباً كيفَ احْتِيالي [(٣)]
لعُهْدَة سِلْعةٍ رُدَّتْ قَديماً ... أطُمُّ بها على الدَّاءِ العُضالِ [(٤)]
فبَينا فكرَتي في القَوْمِ تَسْري ... إذا ما سِمْتُ أرْخِصُ أمْ أغالِي [(٥)]
أتاني خائِبٌ حَمِقٌ شَقِيٌّ ... قَديمٌ في الخَسارَةِ والضَّلالِ
وراوَغَني لِيَخْلُو بي خِداعاً ... ولا يَدري الشَّقِيُّ بِمَنْ يُخالي [(٦)]
فقلتُ بأرْبَعينَ فقالَ أحْسِنْ ... فإنَّ البَيْعَ مُرتَخَصٌ وغالي
فلمَّا ابْتاعَها منِّي وبُتَّتْ ... لهُ في البَيْعِ غَيْرِ المُسْتَقالِ
أخذتُ بثَوْبِهِ وبَرِئْتُ مِمَّا ... أعدُّ عَليكَ من شَنِعِ الخِصالِ
بَرِئْتُ إليكَ مِن مَشَشٍ قَديمٍ ... ومن جَرَذٍ وتَخْريقِ الجِلالِ [(٧)]
ومِن فَرْطِ الحِرانِ ومِنْ جِماحٍ ... ومن ضَعْفِ الأسافلِ والأعالي
ومِن عَقَدِ اللِّسانِ ومن بَياضٍ ... بناظِرِها ومن حَلِّ الحِبالِ [(٨)]
وعُقَّالٍ يُلازِمُها شَديدٍ ... ومِن هَدْمِ المَعالفِ والرِّكالِ [(٩)]

---

(١) عُليج، تصغير علج، وهو القوي الفخم من كفّار الأعاجم، ومن العرب من يطلق العلج على الكافر مطلقاً. الأحبن: مَن عظم بطنه، خلقة أو من داء.

(٢) الشتيم: الكريه الوجه. الهلباج: الأحمق. الهِدان: الجافي الوخم الثقيل.

(٣) الكناسة: محلة بالكوفة.

(٤) العهدة: العيب. السلعة: الغدَّة، أو شبيه بها.

(٥) قوَّم الشيء: جعل له قيمة معلومة.

(٦) خالاه مخالاة: صارعه، وخادعه.

(٧) المشش: ورم في مقدم عظم الوظيف. الجرذ: كل ورم في عرقوب الدابة.

(٨) العقد (بالتحريك): الإعوجاج والإلتواء.

(٩) العقَّال (كرمَّان): انقباض في بعض العضلات.

ومن شدِّ العِضاضِ ومن شِباب ... إذا ما هَمَّ صَحْبُكِ بالزِّيالِ [1]

تُقطِّعُ جِلْدَها جَرَباً وحَكّاً ... إذا هُزِلَتْ وفي غَيرِ الهُزالِ

وأقْطَفُ مِن دَبِيبِ الذَرِّ مَشْياً ... وتَنْحِطُ من مُتابَعةِ السُّعالِ [2]

وتكسرُ سَرْجَها أبَداً شِماساً ... وتَسْقِطُ في الوُحُولِ وفي الرِّمالِ

ويُهْزِلُها الجِمَامُ إذا خَصِبْنا ... ويُدْبِرُ ظَهْرَها مَسُّ الجِلالِ

تظلُّ لِرَكْبَةٍ منها وَقِيذاً ... يُخافُ عليكَ من وَرَمِ الطِّحالِ [3]

وتَضْرِطُ أرْبَعينَ إذا وَقَفْنا ... عَلى أهْلِ المجالِسِ لِلسُّؤالِ

فتُخرِسُ مَنْطِقي وتحُولُ بَيْني ... وبَيْنَ كلامِهِمْ مِمّا تُوالي

وقد أعْيَتْ سِياسَتُها المُكاري ... وبَيْطاراً يُعقِّلُ بالشِّكالِ [4]

حَرُونٌ حينَ تركبُها لحُضْرٍ ... جَمُوحٌ حينَ تَعْزِمُ لِلنِّزالِ

وذِئْبٌ حينَ تُدنِيها لسَرْجٍ ... ولَيثٌ عند خَشْخَشَةِ المخالي [5]

وفَسْلٌ إنْ أرَدْتَ بِها بُكوراً ... خَذُولٌ عندَ حاجاتِ الرِّحالِ [6]

وألفُ عَصاً وسَوْطٍ أصْبَحيٍّ ... ألذُّ لها من الشُّرْبِ الزُّلالِ [7]

وتُصْعَقُ من صُقاعِ الدِّيكِ شَهْراً ... وتُذْعَرُ للصَّفِيرِ وللخَيالِ [8]

إذا اسْتَعْجَلْتَها عَثَرَتْ وبالَتْ ... وقامَتْ ساعةً عندَ المبَالِ

ومِثْفارٌ تُقَدِّمُ كلَّ سَرْجٍ ... تُصَيِّرُ دَفَّتَيْهِ عَلى القَذالِ [9]

---

(١) الشِباب (بالكسر): من شبَّ الفرس شباباً: رفع يديه ونشط. الزيال: المفارقة.

(٢) أقطف، من القطف، وهو تقارب الخطو الذرُّ: صغار النمل. النحيط: الزفير من الجهد.

(٣) الوقيذ: المريض المشرف على الموت.

(٤) الشكال (بالكسر): حبل تشدُّ به قوائم الدابة.

(٥) المخالي، جمع المخلاة (بالكسر) وهي ما يوضع فيها الخَلى: الحشيش الذي يحتشُّ.

(٦) الفسل (بالفتح): كلُّ مسترذل رديء.

(٧) السوط الأصبحي: منسوب الى ذي أصبح من أذواء حمير.

(٨) صقع الديك: صاح ورفع صوته.

(٩) المثفار: التي ترمي بسرجها الى مؤخرها.

وتَحْفَى في الوقُوفِ إذا أقَمْنَا ... كما تَحفَى البِغالُ من الكَلالِ
ولو جمَّعْتَ من هَنَّا وهَنَّا ... من الأتْبانِ أمْثالَ الجِبالِ
فإنَّكَ لستَ عالِفَها ثَلاثاً ... وعِندَكَ منه عُودٌ لِلْخِلالِ
وكانَتْ قارحاً أيَّامَ كِسْرَى ... وتَذكرُ تُبَّعاً قبلَ الفِصالِ[1]
وقَد قَرِحَتْ ولُقمانٌ فَطِيمٌ ... وذُو الأكْتافِ في الحِجج الخَوَالي[2]
وقَدْ أبْلي بها قَرْنٌ وقَرْنٌ ... وأُخِّرَ يَوْمُها لِهلاكِ مالي
فأبْدِلني بها يا رَبِّ بَغْلاً ... يَزِينُ جَمالُ مَرْكَبِهِ جَمالي
كَريماً حِينَ يُنْسَبُ والِداهُ ... إلى كَرمِ المَناسِبِ في البِغَالِ

وقال آخر يمدح البغال، ويفضِّلها على كُلِّ مركوب سواها[3]:

عَزَمْتُ عَلى ذَمِّ البَعِيرِ مُوَفَّقاً ... وأنْ ليسَ في المرْكُوبِ أجْمَعُ من بَغْلِ
وأنَّ اقْتِنَاءَ الإبْلِ مُوقٌ وحُرْفَةٌ ... يَبِيتُ عَلى يُسْرٍ ويَغْدُو عَلَى ثُكْلِ[4]
وبَيْنَ المَنَايا والبَراذِينِ نِسْبَةٌ ... وكُلُّ نِتاجِ النَّاسِ خيرٌ من الإبْلِ
وقُلتُ وشاهَدْتُ البَغَالَ وغيرَها ... فأحْمَدْتُها في العُمْرِ والهَرَم المُبْلي
وليسَ لها بَذْخُ الخُيُولِ وكِبْرُها ... ولا ذِلَّةُ العَيْرِ الضَّعِيفِ عن الرَّحْلِ
ومُؤْنَتُهُ في الصَّيْفِ والشَّتْوِ واحِدٌ ... ولا خَيْرَ في المُؤناتِ مِن حامِلِ الكلِّ[5]
ولا تُرْكَبُ الأرْماكُ والحِجْرُ دُونَها ... لَدَى المِصْرِ والبَغْلاتُ تُركبُ كالبَغْلِ
وقد فَرَّقَ الرَّحمنُ بَيْنَ شُكُولِها ... كما بَيْنَ عَيْرِ الوَحْشِ والآخِرِ الأهْلي
وفي البَغْلِ في كُلِّ الأُمُورِ مَرافِقٌ ... ومَرْكَبُ قاضٍ أو شُيُوخٍ ذَوي فَضْلِ
فَيَرْكَبُها والخَيلُ مُحْدِقَةٌ بِهِ ... ويُؤْثِرُها يومَ المُباهاةِ والحفْلِ

---

(١) القارح: الذي شق نابه وبلغ الخامسة.
(٢) ذو الأكتاف: سابور ملك الفرس.
(٣) رسائل الجاحظ ٢/٣٠٥.
(٤) الموق: الحمق. الحرفة (بالضم): الحرمان. الكلُّ (بالفتح): الثقل.

وقد جلوَزَتْ في السَّومِ كلَّ مُثمَّنٍ   مِن الرائعِ المَنْسُوبِ والجامِلِ البُزْلِ[1]
يفُوتُ هَماليجَ البَراذينِ سَيْرُها   عَلَى قحَةِ الأعْيَارِ من شَبَهِ النَّجْلِ[2]

وقال العُكْليُّ غالب بن الحارث يذمُّ البغلةِ[3]:

قد يُلْقِحُ البَغْلَةَ غيرُ البَغْلِ   لكنَّهـا تعْجَـلُ قبـلَ المَهْـلِ
. . . . ـة مَشغُـولَـةٌ بـالحَمْـلِ   عَنْ مَرْفَقِ الطَّحْنِ وحَمْلِ الرِّجْلِ[4]
وثَقَـلِ السَّفْـرِ ومَيْـرِ الأهْـلِ   ولا تُسـاوي حَفْنَـةً من زِبْـلِ
ما كانَ فيها من كِرام الفَحْلِ   دُودَةُ خَـلٍّ خُـلِقَتْ مـن خَـلِّ
وكُـلُّ أُنْثى غَيرِهـا في الحَمْلِ   تَزْدَادُ في القِيمَةِ عند السَّحْلِ[5]
مَـلعُـونَـةٌ بِنتُ لَعِيـنٍ نَـذْلِ   قَـتَّـالَـةٌ لِـلفـارِسِ الإِبَـلِّ[6]
لم يَعْتَدِلْ مَنْصِبُها في الأصْـلِ   مِنْ غَيرِ شَكْلٍ خُلِقَتْ وشَكْلِ
في أدَبِ الخِنْزِيرِ يَـوْمَ الحَفْلِ   ومُـوقُهـا مُـوقُ رَضيـع طِفْـلِ[7]
أوْ عَقْـلُ أفْعَى وهُجَفٌّ هِقْـلِ   أوْ حُوتُ بَحْرٍ قُذِفَتْ في سَهْلِ[8]
أو جَيْـألٍ يَكْـتِفُـهـا بِحَبْـلِ   كُـلُّ حُمْيِميقٍ وكـلُّ فَسْـلِ[9]
وكُـلُّ غَـرٍّ جـاهِـلٍ وغُفْـلِ   لَيْسَ لها في الكَيْسِ رِفْق النَّمْلِ[10]

---

(١) الجامل: القطيع من الابل. البزل جمع البازل: البعير في السنة الثامنة .
(٢) القحة: صلابة الحافر، النجل: النسل .
(٣) رسائل الجاحظ ٢/٣٤٨ .
(٤) (. . .ـة) كذا ورد في المصدر المذكور .
(٥) السحل: النقد من الدراهم، يقال: سحله مائة درهم سحلاً .
(٦) الإبلّ: الذي لا يستحي والشديد الخصومة .
(٧) الموق: الحمق والغباوة .
(٨) الهجفّ من النعام: الجافي الثقيل . والهقْل: الظليم وهو ذكر النعام. الحوت: السمكة، وهو مذكّر، وقد أنّث ضميره لمعناه .
(٩) جيأل: إسم للضبع. الفسل: الضعيف الرذل .
(١٠) الرفق: لطافة الفعل.

أو ذِئْبٍ قَفْرٍ مُجْمِعٍ للخَتْلِ ... أَوْ تَتْفُلٍ راوَغَ كَلْبَ المُشْلي[١]

أو خُـزَزٍ وثَّبَ خَـوفَ القَتْـلِ ... أما تَراهـا غايَـةً في الجَهْلِ[٢]

والشُّؤْمُ منها في ذَواتِ الحَجْلِ ... وغُــرَّةٍ تَصْـدَعُ جَمـعَ الشَّمْـلِ

فَهِيَ خِـلافُ الفَـرَسِ الهِبَـلِّ ... وكُـلِّ طِـرْفٍ ذائِـلٍ رِفَـلِّ[٣]

قَـد حَـذِرَ النَّـاسُ أذاهـا قَبْلي ... وعَـدُّوا كُـلَّ قَـتيـلِ بَـغْـلِ

فقال أخوه ناقضاً عليه، ومقدِّماً البغلة على البغل[٤]:

عَلَيْـكَ بـالبَغْلَةِ دُونَ البَغْـلِ ... فـإنَّهـا جـامِعَـةٌ لـلشَّمْـلِ

مَـرْكَبُ قـاضٍ وإمـامٍ عَـدْلِ ... وتـاجِـرٍ وسَـيِّـدٍ وكَـهْـلِ

وهـاشِـميٍّ ذي بَـهـاً وفَـضْـلِ ... تَصْلُح في الوَحْـلِ وغَيرِ الوَحْلِ

والسَّقْي والطَّحْنِ وحَمْلِ الرِّجلِ ... وَهْيَ في المشْي وتَحتَ الرَّحْلِ

أوْطا وأنْجَى من مطايا الإبْلِ ... وكُـلِّ جمَّـازٍ وذاتِ رَحْـلِ[٥]

وطُـولُ عُمْرٍ غيـرَ قِيلِ البُـطْلِ ... تَقْـدُمُ في ذلـكَ غَيْـرَ الأَهْـلِ

والخَيـلَ والإبْـلَ وكُـلَّ فَحْـلِ ... قد قَتَلَ العُصْفُورَ فَرْطُ الجَهْلِ

ولـو دَرَى كـانَ قَلِيـلَ الشُّغْـلِ ... بـلِذَّةٍ تُـسْـلِمُـهُ لـلقَـتْـلِ[٦]

فَـدَعْ مَـديحي وهِجـاءَ بَغْـلي ... فَلَوْ ذَمَمْـتَ القَـمَـرَ المُجَـلِّي

وجَدْتَ فيه بعضَ ما قَدْ يَقْلي[٧]

---

(١) السّفل: بضم التاء الأولى والفاء، وفتحهما وكسرهما، وبفتح التاء مع ضم الفاء، وبكسرها مع فتح الفاء: الثعلب.

(٢) الخزز: الذكر من الأرانب.

(٣) الطرف (بالكسر): الفرس الكريم الأبوين. الذائل الرفل: الطويل الذيل.

(٤) رسائل الجاحظ ٢/٣٥٠.

(٥) جمز البعير: عدا وأسرع فهو جمّاز.

(٦) يعني كثرة سفاده لأنثاه، وذلك سبب لقصر عمره.

(٧) أي بعض ما قد يقليه القمر.

وقال محمد بن حازم بن عمرو الباهلي[١] يضرب المثل في ذمِّ أخلاق البغال :

ما لي رَأيتُكَ لا تَدُو مُ عَلى المودَّةِ لِلرِّجالِ
متبرِّماً أبَداً بِمَنْ آخَيْتَ وُدُّكَ في سَفالِ
خُلقٌ جَديدٌ كلَّ يَوْ مٍ مثلُ أخْلاقِ البِغالِ

وكان الفيَّاض عكرمة بن ربعي التميمي يعجب ببغلة عنده ويمدحها، وكان لا يأتي الحجاج ـ وهو صاحب شرطته ـ إلَّا عليها، فكتب إليه بعض بني عمِّه يخوِّفه بالحجاج إن ارتفع إليه في الخبر، أن صاحب أشراطه يأتي بابه في فرسان أهل العراق والشام ووجوهم على بغل، وقال في كلمة له[٢] :

مَتى كانَ ذو الأشْراطِ يَركبُ بَغْلَةً ويَترِكُ طِرْفاً ذا تَمامٍ وذا نُبْلِ
عَذيري مِن الحَجّاجِ إن ذاكرٌ نَعى عَليكَ رُكوبَ البَغْلِ في ساعَةِ الحَفْلِ
فما لَكَ تَجْتابُ الهُوَيْنَى مُهَمْلِجاً إلى بابِ حَجَّاجٍ عَلى المَرْكبِ الرَّذْلِ
أعِيذُكَ بالرَّحْمنِ مِن زِيِّ تاجِرٍ شَقِيٍّ لئيم الكَسْبِ ذي خُلُقٍ نَذْلِ
وأَنت امْرُؤٌ تَنْدَى بَنانُكَ باللُّهى إذا ساءَ ظَنُّ النَّاسِ في الزَّمَنِ المَحْلِ[٣]

وقال الشاعر المعاصر خاشع الراوي على طريقة الرَّمز ينعى على البغل تنكُّره لنسبه[٤] :

قيلَ لِلبَغْلِ من أبُوكَ فأبْدَى خُيَلاءً وقالَ: خالي الحِصانُ
وأبَى أنْ يَقولَ إنَّ أباهُ حَنْتَمِيٌّ وذا لَعَمْري هَوانُ
مُنكِراً أصْلَهُ ولَيسَ عَجيباً حينَ يَنْسَى ما أصْلهُ الحَيوانُ

---

(١) رسائل الجاحظ ٢/٢٥٦ .
(٢) المصدر السابق ٢/٣٠٠ .
(٣) اللُّهى (بالضم) جمع لهوة وهي أفضل العطايا وأجزلها .
(٤) ديوانه ٤١ .

زَيَّنَتْ رأسَهُ ـ وقد راح يَزْهُو ـ رَشْمَةٌ من قَطِيفَةٍ وعنانُ[1]

فَعلَى الظَّهرِ منه سَرْجٌ أنيقٌ أيْنَ منه الدِّمقْسُ والأُرْجُوانُ[2]
وحَبَوْهُ بِمَعْلَفٍ وَسْطَ رَوْضٍ تَتَثَنَّى به القُدُودُ الحِسانُ
وأقامُوا له على الشَّطِّ داراً عَنْ مَداها بالوَصْفِ يَعْيا البَيانُ
وازدَهاهُ الغُرورُ فاخْتالَ تِيهاً في غرورٍ كأنَّه السُّلْطانُ
فَتَراهُ طَوْراً مع الرِّيح يَجْري بحُبُورٍ وخَلْفَهُ الرُّكْبانُ
ناشِراً ذَيْلَه وطَوْراً تَراهُ ناهقاً منه تَرْقُصُ الآذانُ[3]
وهو في مَعْرِضِ الجَمالِ رَشِيقٌ ليسَ يَزْهُو الَّا بهِ (المَيْدانُ)
لا تَلُمْهُ إذا تَناسَى أباهُ إنَّ دَأبَ البَهائِمِ النِّسْيانُ
إنَّ هذا من البَنِينَ عُقُوقٌ وهو مِمَّا جَناهُ هذا الزَّمانُ

وقال محمد بن يسير الرياشي طالباً من مُوَيْس بن عمران بغلة لِرِحْلةٍ[4] :

أضْمُمْ عَليَّ مآرِباً قد أصْبَحَتْ شَتَّى بَدادِ شَتِيتَةِ الأوطانِ[5]
بِزَفُوفٍ ساعاتِ الكَلالِ دَليقَةٍ سَفْواءَ أبْدَعَ خَلْقَها أبَوانِ[6]
لَم يَعْتَدِلْ في المَنْصِبَيْنِ كِلاهُما عِنْدَ التَّناسُبِ مِنْهما الجِنْسانِ
إلَّا تكُنْ لأبٍ أغَرَّ فإنَّها تَنْمي إلى خالٍ أغرَّ هِجانِ

---

(١) الرشمة، قال صاحب تاج العروس: ما يوضع على فم الفرس، عامي، ولم يذكر مأخذها، والرشمة على ما هو معروف في العراق: زنجير من حديد مربوط الطرفين يوضع فوق أنف الدابة، أما الشاعر فقد وصف الرشمة بأنها من قطيفة، فهو إذن يريد العذار.

(٢) الدمقس : الإبرسيم، وقيل الحرير الأبيض. الأرجوان (فارسي معرب): ثياب حمر.

(٣) ناهقاً، كذا ورد في الديوان، والصواب، شاحجاً لأن الناهق الحمار، أما البغل فشاحج.

(٤) رسائل الجاحظ ٢/٢٩٦.

(٥) المآرب: الحاجات . بداد (بالبناء على الكسر) أي متبددة، متفرقة.

(٦) الزفوف (بالفتح): السريعة السير، الدليقة: الشديدة الدفعة. السفواء : السريعة.

نَزَعَتْ عَن الخَيْلِ العِتاقِ نَجاءَها مِنهـا وعِتْقَ سَـوالِفٍ ولبَـانِ[1]
ولها مِن الأعْيارِ عِنـدَ مَسِيـرِهـا جِـدٌّ وطُـولُ صَبـارَةٍ ومِـرانُ

وأهدى أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل الى بعض إخوانه بغلة معها هذه الأبيات على طريق المجون لأنه يعرف بابن أبي البغل:[2]

تَـخَيَّـرْتُـهـا لَـك مِـن نَـسْـلِنـا وكـنـتُ لَـهـا والِيـاً كـافِـيـا
فَهُنِّيتَهـا راكبـاً فـي المَـلا ومُـتِّعْـتَ خَـلْوتَـهـا خـالِـيـا
لَـعلَّكَ تُـرْزَقُ مِـنهـا فَـتىً يَكُـونُ لنـا سَيِّـداً كـالِيـا
فَيُكْسِبُ أعْـمـامَـه مَفْـخَـراً وأخْـوالَـهُ شَـرَفـاً عـالِـيـا

---

(١) النجاء: السرعة. السوالف، جمع سالفة، وهي ما تقدم من العنق، اللَّبان (بالفتح): الصدر من ذي الحافر.
(٢) التحف والهدايا /٣٩.



البَقَرُ الأهْليّ والوَحْشيّ[1]

البقرة: إسم جنس يقع على الذكر والأنثى، وانّما دخلته الهاء على أنّه واحد من جنس ، وإذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر، وهذه بقرة للأنثى. والجمع بَقَرات وبَقَر، وجمع البقر أبْقُر. أمّا بواقر، وبَقِير، وبيقور، وباقور فأسماء للجمع. وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة. وكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الصدقة لأهل اليمن (في ثلاثين باقورة بقرة).

والباقر: جماعة البقر مع رعاتها، وفاعل من بقر الشيء : شقّه، والتبقُّر: التوسُّع في العلم، ومنه قيل للإمام محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط عليهم السلام : الباقر ، لأنّه بقر العلم ، أي شقّه ودخل إليه مدخلاً بليغاً ، فعرف أصله، واستنبط فرعه ، وقال صاحب تاج العروس: ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال له (يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمَّد يبقر العلم بقراً، فإذا لقيته فاقْرِئه منّي السلام) خرَّجه أئمّة النسب .

ويسمى ذكر البقر ثَوْراً، والجمع أثْوار وثِيران، وثُوَرَة وثِيَرَة.

---

(١) المخصص ٢/٨/٣٢ - ٤٢، وحياة الحيوان الكبرى ١/١٤٧، والعديد من معاجم اللغة .

ومن أسماء البقر :

الأرْخ، والإرْخ: الذكر، والأُرْخيُّ: الفتيُّ منه ، والأنثى : أرْخَة، وإرخة، والجمع إراخ وآراخ.

الأطوم: البقر، وكذلك الحَوَر، والحَيْرم، الواحدة حيرمة.

الخَزُوَمة: البقرة، وجمعها خَزُم ، وخُزُم.

الخنساء: البقرة الوحشية، والثور أخْنَس .

الغَيْطَلَة: البقرة، وجمعها غياطل.

المهاة: البقرة الوحشية، وجمعها مها ، وقالوا : مَهَيات.

نعاج الرمل: بقر الوحش خاصة، واحدتها نعجة، ولا يقال للبقرة الأهلية نعجة.

من صفات البقر وألوانها:

الأبْرَد: ثور فيه لُمَعُ سواد وبياض.

الأبْلَق : الأبيض .

الأسْفَع: الثور الأسود، والثور الوحشي الذي في وجهه خطوط سود .

الأغْصَن : الثور الذي في ذنبه بياض.

الجَلْحاء ، والجَمَّاء : بقرة لم يكن لها قرنان.

حَضارِ (معرفة مبنية على الكسر): الثور الأبيض.

الرامِح : ثور ذو قرنين طويلين.

الرُّمَل: خطوط في يدي البقرة ورجليها.

الضَّاعِف : البقرة الحامل.

العَوان: النصف من البقر وغيرها. وقيل: هي التي نتجت بعد بطنها البكر، والجمع عُون.

العِين : اسم جامع لإناث بقر الوحش خاصة ، كالعيس للإبل، الواحدة

سيناء ، والثور أعْين.

العَوْهَق: ثورٌ لونه إلى السواد.

العَيَس : بياض مشرَّب في ظلمة خفيَّة.

الغَضْب : الثور الأبيض .

الفارِض : البقرة العظيمة الصحيحة، والمسنَّة.

القَرْهَب : الثور المسنُّ الضخم .

القَهْب : الأبيض من أولاد البقر ويوصف به المعز، وألوان الناس.

اللَّهَق، واللَّهِق، واللَّهاق: الثور الأبيض.

المذرَّع: الثور الملمَّع الذراع بلُمع سود.

المُوَلَّعَة: البقرة التي فيها لُمع ألوان من غير بَلَق، وتوصف به أيضاً: الخيل والشاء والظباء .

النَّوار : البقرة التي تنفر من الفحل، وتوصف به المرأة النفورة من الريبة.

أسنان أولاد البقر:

الطَّلا : ولد البقرة حين تلقيه، والجمع أطْلاء، ويطلق أيضاً على ولد الغنم والظباء.

التبيع والتبع : ولد البقرة في السنة الأولى، والجمع أَتْبِعة وأتباع وجمع الجمع أتابع، والأنثى تبعة، والبقرة متبع ، ثم: الجذَع، وهو ما قبل الثني. وجمعه جذاع، وجذعان (بضم الجيم وكسرها) والأنثى جَذَعة وجمعها جَذَعَات. ثم:

الثّني، وهو الذي يلقي ثنِّيته في السنة الثالثة، ثم:

الرّباع: في السنة الخامسة للذكر، والأنثى رباعِيَة، ثم:

السَّدَس (محرَّكة): السنُّ قبل الصالغ للبقر، وقبل البازل للابل ثم بعده: الصالغ، وهو أقصى أسنانه، وليس بعد الصالغ في ذي الظلف سنٌّ،

ولكن يقال: صالغ سنة، وصالغ سنتين وكذلك ما زاد. وقال ابن السكِّيت: ويقال له إذا تمَّت أسنانه: شبب، ومشبٌّ، وشبوب.

الكُحْكُح، والكِخكِح: المسنُّ، والذي تكسَّرت أسنانه وتحاتَّتْ.

العِجْل: ولد البقرة، والأنثى عجلة، والجمع عجول وعِجَلة، ويقال: بقرة مُعْجِل: ذات عجل.

الحَسِيل: ولد البقرة، والأنثى حسيلة، والجمع حسِيل أيضاً.

أصوات البقر:

ثأَجَتْ البقرة تَثْأَج، وتثُؤج ثُؤاجاً: صاحت.

جَأَرَت البقرة تجأر جُؤاراً: صاحت، ومنه جأر فلان إلى الله بالدعاء، أي تضرَّع وآسْتَغاث.

خارت البقرة خُواراً: صاحت.

صَعِقَ الثور يصعق صُعاقاً: خار خواراً شديداً.

طَغَتَ البقرة تطغي: صاحت.

الغمغمة: أصوات الثيران عند الذعر.

أسماء أقاطيع البقر:

الأجْلِ: جماعة البقر، والجمع آجال، ويطلق على جماعة الظباء أيضاً.

الحَنْظَلَة: قطعة من البقر، وتطلق أيضاً على الخيل والغنم والإبل.

الرَبْرَب: جماعة بقر الوحش.

السِّرْب: القطيع من البقر، والظباء، والطير، والنساء والجمع أسراب.

الصِّوار، والصُّوار: جماعة البقر، والجمع صِيران وصِيار.

القَطِيع: الطائفة من البقر، والغنم والإبل، جمعه أقطاع وقِطعان وأقاطيع.

الكَوْر: القطيع من البقر.

أسماء ما في أجسام البقر من الطوائف[1]:

الثُّعْل، والثُّعَل: الشيء الزائد في ضرع البقرة.
الجِمْلاج: قرن الثور.
الأزْلام: أظلاف البقرة واحدها زَلَم.
غَبْغَب البقرة، وغَبَبُها: ماتثَنّى من لحم ذقنها من أسفل، والجمع أغْباب.
النُّغْنُغ: الغبغب.

مواضع البقر ومرابضها:

البُهْو: كناس واسع يتّخذه الثور، والجمع أبْهاء وبُهِيّ وبُهُوّ.
إجْتافَ الثور الكِناس: دخل في جوفه.
الرُّبض: مرابض البقر، واحدها: مَرْبِض.
المَكْنِس، والكِناس: مولج البقرة، والظباء والجمع أكْنسَة وكُنُس.
هَكَعَت البقرة تحت الشجرة تَهْكَع فهي هَكُوع: استظلّت تحته من شدَّة الحرّ.

إرادة البقرة وحملها:

اسْتَحْرَمَت البقرة، وكلُّ ذات ظِلفٍ: أرادت الفحل.
بقرة ضاعِف: حامل.
أغَزَّت البقرة وهي مُغِزٌّ: عَسُرَ حملها.
استَقْرَعَت البقرة: إذا أرادت الفحل. وقد مرَّ أنَّ الاستحرام لها ولكلِّ ذات ظلف إذا أرادت الفحل، وقد يكون الاستحرام للمخلب.
القَفْخَة: البقرة المستَقْرِعَة أي التي تطلب الفحل، ويقال: أقْفَخَت البقرة.

---

(١) الطوائف جمع الطائفة، وهي هنا: القطعة من الشيء.

ما ورد في القرآن الكريم

﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة / ٥١ و٩٣).

﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل﴾ (سورة البقرة / ٥٤).

﴿وإذْ قال موسى لقومه إنَّ الله يأمركم أنْ تذبحوا بقرة﴾ (سورة البقرة /٦٧).

﴿قال إنه يقول إنَّها بقرة لا فارض ولا بكرٌ عَوان بين ذلك﴾ (سورة البقرة /٦٨).

﴿قال إنه يقول إنَّها بقرة صفراء فاقع لونها تسرُّ الناضرين﴾ (سورة البقرة /٦٩).

﴿قالوا ادْعُ لنا ربَّك يبيِّن لنا ما هي إنَّ البقر تشابه علينا﴾ (سورة البقرة /٧٠).

﴿قال إنَّه يقول إنَّها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقى الحرث﴾ (سورة البقرة /٧١).

﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (سورة البقرة /٩٣).

﴿ثم اتَّخذتم العجل من بعد ما جائتهم البيِّنات ﴾ (سورة النساء /١٥٣).

ومن البقرة اثنين (سورة الأنعام / ١٤٤).

﴿ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومهما إلَّا ما حملت ظهورهما﴾ (سورة الأنعام /١٤٦).

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليِّهم عجلًا جسداً له خوار﴾ (سورة الأعراف /١٤٨).

﴿إنَّ الذين اتَّخذوا العجل سينالهم نصب من ربِّهم ﴾ (سورة الأعراف /١٥٢).



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ (سورة هود /٦٩).
﴿وقال الملك إنِّي أرى سبع بقرات سمان﴾ (سورة يوسف /٤٣).
﴿يوسف أيُّها الصدِّيق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبع عجاف﴾ (سورة يوسف /٤٦).
﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (سورة طه /٨٨).
﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ (سورة الذاريات /٢٦).

مّما ورد في الحديث الشريف:[1]

عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: « إن طالت بك حياة يوشك ان ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر يضربون بها الناس » .

وفي حديث أنَّه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر يشبه بعضها بعضاً.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخّلل البقرة». قال الترمذي: هو الذي يتشدَّق في الكلام ويفخم به لسانه، ويلفّه كما تلفُّ البقرة الكلأ بلسانها لّفاً.

عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذلاًّ لا ينزعه عنكم حتّى ترجعوا إلى دينكم».

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١٤٧/١ و ١٤٨، والنهاية في غريب الحديث ٧٣/٢.

ممّا ورد في الأمثال[1]

(أبلد من الثور).

(باءت عَرارِ بكحل) يضرب لكلّ مستويين يقع أحدهما بازاء الآخر. وعرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً، وقال كثير بن شهاب الحارثي:

باءت عرارِ بكحلَ فيما بيننا والحقُّ يعرفُه أولو الألباب

(بقرة بني إسرائيل) يضرب بها المثل في الشيء يأمر به السيد فيجنح فيه المسود، ويسدُّ الأمر فيه على نفسه.

(كعب البقر). كان داود بن عيسى بن موسى يلقّب باترجّة، وعبد السميع ابن محمد يلقّب بشحم الحزين، ومحمد بن أحمد بن عيسى الهاشمي يلقَّب بكعب البقر، وكانوا كلُّهم مع المستعين العباسي. فلما صاروا إلى المعتزّ قال المعتز:

أتانيَ أترُجَّةٌ في الأمانِ وشَحْمُ الحَزينِ وكَعْبُ البَقَرْ
فأهْلاً وسَهْلاً بمن جاءَنا ويا ليت من لم يَجِيء في سَقَرْ

(الكلابَ على البَقر) يضرب عند قلة المبالاة بالشيء. ونصب الكلاب على تقدير: أرسل الكلاب:

(السان الثور) يشبَّه به اللِّسان الطويل العريض،

(ليس لاثارة الأرض كالثيران).

(من طلى نفسه بالنخالة أكلته البقر).

(نادى عليه كما ينادَي على لحم البقر).

---

(١) التمثيل والمحاضرة /٣٤٦، وثمار القلوب /٣٧٤، والأمثال للميداني ٩١/١، و جمهرة الامثال ٢٢٦/١ و ٢٥٠، والمعجم الزوولوجي ١٣٢/٢ .

(وجدت البقرةُ ظلفَها) يضرب لمن وجد ما يوافقه.
(وما عليّ إذا لم تفهم البقرُ).

مما ورد في الكلام المنثور:

تعزية في ثور:[1]

كتب أبو إسحاق الصابي (عن ابن بقية في أيام وزارته) إلى أبي بكر ابن قريعة يعزّيه عن ثور أبيض جلس للعزاء عليه تراقعاً وتحامقاً: التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضي إنّما يكون بحسب محلّه من فاقده، من غير أن تُراعى قيمتُه ولا قدرهُ، ولا ذاتُه ولا عينُه، إذْ كان الغرض فيها تبريدُ الغُلَّة، وإخمادُ اللّوعة، وتسكين الزّفْرة وتنفيس الكربة، فربَّ ولدٍ عاق، وشقيق مشاق، وذي رحم أصبح لها قاطعاً، ولأهله فاجعاً، وقريب قوم قد قلّدهم عاراً، وناط بهم شناراً، فلا لوم على ترك التعزية عنه، وأحْرِ بها أن تستحيل تهنئة بالراحة منه، وربَّ مال صامت غير ناطق قد كان صاحبه به مُستَظْهراً، وله مستثمراً، فالفجيعة به إذا فُقد موضوعةٌ موضعها، والتعزية عنه واقعة منه موقعها.

وقد بلغني أنَّ القاضي أصيب بثور كان له ، فجلس للعزاء عنه شاكياً ، وأَجْهَشَ عليه باكياً، والْتَدَم عليه وَلِهاً، وحُكيت عنه حكاياتٌ في التأبين له ، وإقامة الندبة عليه، وتعديد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرَّقت في غيره، اجتمعت فيه وَحْدَه، فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس.

لـيسَ عَلى الـلّهِ بـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ أن يَجْمعَ العالَم في واحِـدِ

لأنّه يكربُ الأرض مغمورة[2] ويثيرها مزروعة، ويرقص في الدواليب

---

(١) زهر الآداب /٩٦٢- ٩٦٤.
(٢) الكرب: اثارة الأرض للزرع، الأرض المغمورة: الخراب .

ساقياً[1] وفي الأرْحاء طاحناً، ويحمل الغَلاَّت مستقلاً، والأثقال مستخفّاً، فلا يؤودُه عظيم، ولا يعجزه جسيم، ولا يجري في الحائط[2] مع شقيقه، ولا في الطريق مع رفيقه إلاَّ كان جَلْداً لا يُسبق، ومُبِّرزاً لا يُلْحق، وفائتاً لا يُنال شأوُه وغايتُه، ولا يبلغ مَداه ونهايتُه، ويشهد الله أنَّ ما ساءه سائني، وما آلمه آلمني، ولم يَجُزْ عندي في حقِّ ودِّه استصغار خطب جلَّ عنده فأرَّقه وأمضَّه وأقْلقَه، ولا تهوين صعبٍ بلغ منه وأرمضه وشفَّه وأمْرضه، فكتب هذه الرقعة قاضياً بها من الحقِّ في مصابه هذا بقدر ما أظهر من إكباره إيَّاه، وأبان من إعظامه له، وأسأل الله تعالى أنْ يخصَّه من المعوضة بأفضل ما خصَّ به البشر عن البقر، وأن يُفرد هذه البهيمة العجماء بأثرة من الثواب، يضيفها الى المكلَّفين من أهل الألباب، فانَّها وانْ لم تكن منهم فقد استحقَّت ألاَّ تُفردَ عنهم، بأن مسَّ القاضي سبَبُها، وصار إليه مُنْتَسَبُها، حتَّى إذا أنجز الله ما وَعَدَ به عباده المؤمنين من تمحيص سيِّئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنَّة التي رَضِيها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قراراً، وأوْرد القاضي - أيَّده الله تعالى - موارد أهل النعيم مع أهل الصراط المستقيم، جاء وثوره هذا مجنوبٌ معه، مسموحٌ له به، وكما أنَّ الجنَّة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنَّه عِرق يجري من أعراضهم، كذلك يجعل الله ثور القاضي مركباً من العنبر الشِّحْريِّ[3]، وماء الورد الجوريِّ، فيصير ثوراً له جونة عطر ونوراً، وليس ذلك بِمُسْتَبعدٍ ولا مستنكر، ولا مستصْعب ولا متعذِّر، إذ كانت قدرة الله بذلك محيطة، ومواعيده لأمثاله ضامنة بما أعدَّه الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائِه الصالحين من شهوات أنفسهم وملاذِّ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع مصالح مساعيه ومحمود شيمه، وقلبي متعلِّق بمعرفة خبره أدام الله عزَّه فيما

---

(1) يرقص: يخبُّ في مشيه، والرقص لايكون إلاَّ للابل، ولعل أصل الكلمة (يدور) مكان (يرقص).

(2) الحائط - هنا - : البستان.

(3) الشحر صقع على ساحل اليمن وإليه ينسب العنبر. جور: مدينة ينسب إليها نوع من الورد.

أدَّرعه من شعار الصبر، وآحتفظ به من إيثار الأجر، ورفع إليه من السكون لأمر الله تعالى في الذي طرقه، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه، فليعَرِّفْني القاضي من ذلك ما أكون ضارباً معه بسَهْم المساعدة عليه ، وآخذاً بقسط المشاركة فيه.

(ردُّ التعزية)

وهذا فصل من جواب أبي بكر بن قريعة يردُّ فيه على التعزية في الثور: وصل توقيع سيدنا الوزير أطال الله بقاه، وأدام تأييده ونعماه، وأكمل رفعته وعلاه، وحرس مهجته ووقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض الذي كان للحرث مثيراً، وللدواليب مديراً، وبالسَّبْق الى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مساعداً وظهيراً.

لعمرك لقد كان بعمله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً ، وأنَّى لنا بمثله وشَرْواه ولا شروَى[1] له، فإنَّه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خَلاَّتٍ لولا خوفي من تجدُّد الحزن عليه وتهييج الجزع وآنصرافه إليه لعدَدْتُها، ليعلم ـ أدام الله عزّه ـ أنَّ الحزين عليه غير ملوم. وكيف يلام آمرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة ومن خدم معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد آحتذيت ما مثَّله الوزير من جميل الإحتساب والصبر على المصاب، فقلت: إنـا لله وانَّا إليه راجعون، قولَ من علم أنَّه أملك لنفسه وماله وأهله، وأنَّه لا يملك شيئاً دونه، وإذْ كان جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، هو الملك الوهَّاب، المُرْتَجِع ما ارتجع مَّما يعوض عليه نفيس الثواب، وقد وجدت ـ أيَّد الله الوزير ـ للبقر خاصَّة فضيلة على سائر بهيمة الأنعام تشهد بها العقول والأفهام . . . (وذكر جملة من فضائل البقر)[1].

---

(١) كذا في زهر الآداب، وياليت المؤلف قد استرسل فذكر باقي الرسالة. الشروى: المثل.

ممّا ورد في الشعر

قال أحمد بن علّويه الأصبهاني يصف بقرة (١):

يا حبّذا مَحْضُها ورائِبُها وحبّذا في الرِّجال صاحِبُها
عجّوْلةٌ سَمْحة مُباركةٌ مَيْمونة طُفّحٌ مَحالِبُها (٢)
تُقبلُ للحَلْب كلّما دُعِيَتْ ورامَها للحِلاب حالبُها
فتيّةٌ سِنُّها مُهذّبةٌ مُعَنفٌ في النّديِّ عائِبُها
كأنّها لُعْبَةٌ مُزيَّنَةٌ يَطيرُ عُجْباً بها مُلاعِبُها
كأنَّ ألبانَها جَنَى عَسَلٍ يَلَذُّها في الإناءِ شارِبُها
عَرُوسُ باقُورَةٍ إذا بَرزَتْ من بَين أحْبالها تَرائِبُها (٣)
كأنَّها هَضْبَةٌ إذا انتَسَبَتْ أو بَكْرَةٌ قد أنافَ غارِبُها
تُزْهَى بِرَوْقَيْنِ كاللُّجَيْن إذا مسَّهما بالبَنانِ طالِبُها (٤)
لو أنَّها مُهْرَةٌ لما عَدِمَتْ من أن يَضُمَّ السُّرُورَ راكِبُها

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري)(٥):

حامِلَ النِّيرِ منذُ بَدْءِ الوُجودِ خاضِعاً صابراً وديعاً كَريما (٦)
تقبلُ الوَخْذَ والعَذابَ الأليما
غير شاكٍ ظُلماً وغير حَقودِ
ثارَتِ الأرضُ تحتَ رجليكَ ثَوْراً وقَلبتَ الحُقُولَ بَطناً لِظَهْرِ

---

(١) نهاية الأرب للنويري ١٢٢/١٠.

(٢) عجّوْلة: انثى العجّوْل: ولد البقرة كالعجل.

(٣) الباقورة والباقور: اسم جمع للبقر، وقد مرَّ ايضاً أن أهل اليمن يسمون البقرة باقورة. الترائب: عظام الصدر.

(٣) الروقان، تثنيه الروق: القرن.

(٥) ديوانه /٢٠٨.

(٦) النير : الخشبة المعترضة عنقي الثورين بأداتها

فعَلَى كَفِّ عَزْمِكَ الرِّزْقُ يَجري
وأنا بالخُشُوعِ أدْعُوكَ ثَوْرا
عَبَدتْكَ الوَرَى عُصوراً طِوالا وأقامُوا لَكَ التَّماثِيلَ تَتْرَى

يَنحرُون الدُّمَى بِبابِكَ نَحْرا
ويُصَلُّونَ رَهْبَةً وجَلالا
أيُّها الثَّورُ كيْفَ حالُكَ أصْبَحْ بعدَ ذاكَ التَّمْجِيدِ والإكْرامِ

سَرَقَ المجْدَ منكَ بعضُ الأنام
فهوَ ثوْرٌ لكنْ لَهُ النَّاسُ تَفْلِحْ

وقال أبو ذؤيب الهذلي من قصيدة في رثاء أولاده [1].

والدهرُ لا يَبْقَى على حَدَثانِه شَبَبٌ أفزَّتْه الكلابُ مُرَوَّعُ [2]
شَعَبَ الكلابُ الضارياتُ فؤادَهُ فإذا يَرَى الصُّبْحَ المصدَّقَ يَفزَعُ [3]
ويَعُوذُ بالأرْطَى إذا ما شَفَّهُ قَطْرٌ وراحَتْهُ بَلِيلٌ زَعْزَعُ [4]
يَرمي بعَيْنَيْه الغيُوبَ وطَرْفُه مُغْضٍ يُصدِّقُ طَرفُهُ ما يَسْمَعُ [5]
فغَدا يُشرِّقُ مَتْنَه فبَدا لَهُ أُولَى سَوابِقِها قَريباً تُوزَعُ [6]
فآهْتاجَ من فَزَعٍ وسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرٌ ضَوارٍ وافِيانِ وأجْدَعُ [7]

---

(١) ديوان الهذليين ١/١٠، ورسالة الصاهل والشاحج /١٣٢
(٢) الشبب: الثور الوحشي. أفزَّته: أفزعته وطردته.
(٣) الشعب تهييج الشرِّ، وقيل كثرة الجلبة واللَّغط المؤديِّ إلى الشر. الصبح المصدَّق: المضيء.
(٤) الأرطى: شجر ينبت بالرمل. راحته: أصابته ريح. بَلِيل: شمال باردة تنضح الماء. زعزع: شديدة تحرِّك كلَّ شيء.
(٥) قيل في تعليل أن نظر الثور يصدق سمعه: أنَّ سمع الحيوانات الوحشية أقوى من بصرها.
(٦) شرَّق الثور متنه: أبداه للشمس المشرقة ليجفَّ ما عليه من الندى. الوزع: الطرد.
(٧) الفروج: ما بين القوائم. الغبر: كلاب الصيد تضرب إلى الغبرة. وافيان: لم تقطع آذانهما. أجدع: قطعت أذنه، وهي علامة تعلَّم بها الكلاب.

يَنْهَشْنَهُ ويَذُبُّهنَّ ويَحْتَمي عَبْلُ الشَّوَى بالطرَّتَيْنِ مُوَلَّعُ [1]
فَنَحالَها بِمُذَلَّقَيْنِ كَأنَّما بِهِما من النَّضْحِ المُجَدَّحِ أيْدَعُ [2]
فكأنَّ سَفُّودَيْنِ لمَّا يُقْتَرا عَجِلا له بِشِواءِ شَرْبٍ يُنْزَعُ [3]
فصَرَعْنَه تحتَ الغُبارِ وجَنْبُهُ مُتَتَرِّبٌ ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
حتَّى اذا ٱرْتَدَّتْ وأقْصَد عُصْبَةً منها وقامَ شَرِيدُها يتضرَّعُ
فبَدا له رَبُّ الكِلابِ بكفِّهِ بِيضٌ رِهافٌ رِيشُهنَّ مُقَزَّعُ [4]
فرَمَى لِيُنْقِذَ فَرَّها فهَوَى له سَهْمٌ فأنْفَذَ طُرَّتَيْهِ المِنْزَعُ [5]
فكَبا كما يَكْبُو فَنِيقٌ تارِزٌ بالخبت إلَّا أنَّه هو أبْرَعُ [6]

وقال الكميت بن زيد الأسدي يصف بقرة وحشيَّة [7] :

تَعاطَى فِراخَ المكْرِ طَوْراً وتارَةً تُثيرُ رُخاماها وتَعْلَقُ ضالَها [8]
كعَذْراء في مَجْنَى السَّيالِ تَخيَّرَتْ أنابِيبَ رَخْصاتِ الفُرُوعِ سَيالَها [9]

---

(١) عبل الشوى: غليظ القوائم. الطُّرتان. خطَّان يفصلان بين الجنب والبطن. مولَّع: فيه ألوان مختلفة.

(٢) نحا الثور للكلاب: تحرَّف ليطعنها. يريد بمذلَّقين: بقرنين محددين. النضح المجدَّح: الدم الذي حرَّكه الثور بقرنه في أجواف الكلاب كما يجدَّح السويق. الأيدع: دم الأخوين، وقيل: الزعفران.

(٣) السفُّود: حديدة معقَّفة يشوى بها اللحم. يُقترا، من القتار وهو ريح الشواء.

(٤) يريد بالبيض الرهاف: السهام. المقزع: المحذَّف وهو الذي قد حذف ما فيه من الفضول.

(٥) فرَّها: فرارها، أي ما فرَّ من الكلاب، المنزع: السهم

(٦) الفنيق: فحل الإبل. تارز: يابس، أي ميِّت. هو أبرع: يريد أن الفنيق أعظم من الثور.

(٧) ديوانه ٢/٨٢.

(٨) المكر: شجر نبتته غبراء لها ورق وليس لها زهر كأنَّ فيها حمضاً حين تمضغ. فراخ المكر: ثمره. الرخامى: نبت تجذبه السائمة، وهي حلوة شبيهة بشجر الضال.

(٩) السَّيال: نبات له شوك، وقيل هو ما طال من السَّمُر. الفروع الرخصة: الناعمة اللَّينة.

عَلى رِسْلَةٍ من هـذهِ وتَكمُّش بهاتيكَ انْ هاجَ الرُّواعُ امْتِلالَها[1]
وانَّ اخْتِـلافاً مِنهُمـا وتفَـرُّقـاً لما خالَفَتْ منها الحِماش خِدالَها[2]

وقال الأخطل يصف ثوراً [3] :

فمـا بـهِ غيـرُ مَـوْشِيٍّ أكـارعُـهُ اذا أحَسَّ بشَخصٍ نابىءٍ مَثُلا[4]
كـأنَّ عَطَّارةً بـاتَتْ تُـطيفُ بـهِ حتَّى تَسَرْبَلَ ماءَ الوَرْسِ وانْتعَلا[5]
كـأنَّه سـاجِدٌ مِن نَضْـخِ دِيمَتِهِ مُسَبِّحٌ قامَ نِصْفَ اللَّيلِ فابْتهَلا[6]
يَنْفِي الـتُّرابَ بـرَوْقَيْـهِ وكَلْكَلِهِ كما آستَمازَ رئيسُ المِقْنَبِ النَّفَلا[7]

وقال شمس الدين بن دانيال [8] يصف عِجْلة:

لـلَّهِ عِـجْـلَةُ خِـيسٍ صَـفْـراءُ ذاتُ دَلالِ[9]
تُـريـكَ عَـينَـيْ مَـهـاةٍ مِن تحتِ قَـرْنَيْ غَـزالِ
قَـد سُـرْبِلَتْ بـأصِيـلِ وتُـوِّجَـتْ بِـهِـلالِ

وقال الأعشى ميمون بن قيس يصف ثوراً وحشيّاً [10]:

كـأنَّـهـا طـاوٍ تَـضَـيَّـفَـهُ ضَـرْبُ قِطارٍ تَحْتَـه شَمْأَلْ[11]

---

(١) الرِّسْلة: الترسـل، أي الترفق والتَّمهُّـل. من هذه: يـريد الجـارية العـذراء في البيت السابق. والتكمُّش: يريد الإنكماش من البقرة. الرواع: الفزع .

(٢) الحماش: دقَّة القوائم ويريد قوائم البقرة، والخدال: الغلاظ، ويريد قوائم الجارية العذراء، وذلك موضع اختلافهما.

(٣) ديوانه /١٣٨.

(٤) نابىء: فاعل من نبأ على القوم: طلع عليهم.

(٥) يصف ريح بعر هذا الثور لأنَّه رعى الشِيح والقيصوم. قوله: تسرْبل ماء الورس، لأنه قد اصفرَّ مما رعى من هذا الزهر، وقد اختضبت به قوائمه فكأنَّه منتعل.

(٦) الديمة: المطر الدائم السّح.

(٧) استماز: تميز عن غيره. النفل: الغنيمة. المقنب من الخيل: دون المائة..

(٨) نهاية الارب ١٠/١٢٣.

(٩) الخيس: موضع تنسب إليه البقر الخيسية.

(١٠) ديوانه /٢٧٩.

(١١)كأنَّها: يريد ناقته التي شبهها في نشاطها وصلابتها بثور وحشي قاسي ألوان المتاعب والمشاق. =

بـاتَ يَقـولُ بـالكثيبِ مِن الـ ... ـغَبْيَةِ: أصْبحْ ليـلُ لَوْ يَفْعَـلُ (١)

مُنكَـرِسـاً تحتَ الغصُـونِ كَمـا ... أحْنَى عَلى شمالِه الصَّـيْقَلُ (٢)

حتّى إذا انْجَلَى الصَّبـاحُ ومـا ... إنْ كـادَ عنـه لَيْلُهُ يَنْجَـلُ

أطْلَسَ طَـلاَّعَ النِّجادِ عَلى الْـ ... وَحْشِ غَباً مِثلَ القَناةِ أزَلْ (٣)

في إثرِهِ غُـضْفٌ مُقَلَّـدَةٌ ... يَسْعَى بِها مُغاوِرٌ أطْحَلُ (٤)

كـالسِّيدِ لا يُنْمِي طَـرِيـدَتَـهُ ... ليسَ لـه مِمّا يُحـانُ حِـوَلُ (٥)

هِجْنَ بـهِ فـانْصـاعَ مُنْصَلِتـاً ... كـالنَّجْمِ يَخْتارُ الكَثِيبَ أبَـلُ (٦)

حـتّى إذا نـالَتْ نَحـاسَلِبـاً ... وقَـدْ عَلَتْـهُ رَوْعَـةٌ وَوَهَـلُ (٧)

لا طـائِشٌ عِنْدَ الهِيـاجِ وَلا ... رَثُّ السِّلاحِ مُغـادِرٌ أعْـزَلُ (٨)

يَـطْعَنُهـا شَـزْراً عَـلى حَنَقٍ ... ذُو جُرْأةٍ في الوَجْهِ منه بَسَلُ (٩)

---

* تضيَّفه: نزل به ضيف. القطار: المطر.

(١) الغبية (بالفتح): الدفعة الشديدة من المطر.

(٢) منكرساً: مندساً. أحنى: انحنى. يلي هذا البيت في الديوان بيت سقط عجزه، ويظهر من باقيه ان الشاعر يقول: ما كاد الليل ينجلي الاّ وصبَّح الثور صيَّاد.

(٣) أطلس: في لونه غبرة إلى السواد، ويعني به الصياد الذي فجأ الثور في الصباح الباكر. غَباً: مصدر غبي (كعلم) أي خفي عن الوحوش وجاء يدبُّ اليها خفية. الأزل: الخفيف لحم الوركين، وقيل: هو الأرسح، أي الذي قلَّ لحم عجزه.

(٤) كلاب غضف: مسترخية الآذان. مقلَّدة: في أعناقها أطواق. الأطحل: الأغبر في مثل لون الرماد.

(٥) السيد (بالكسر): الذئب. أنمى الصيد: رماه فأصابه، ولكنَّه ذهب وفيه بقيَّة من روح فمات بعيداً. أحانه: أهلكه.

(٦) هِجْنَ، أي الكلاب. به، الضمير يعود إلى الثور. انصاع: مرَّ مسرعاً. انصلت في عدوه: مضى جاداً. كالنجم، أي كالشهاب المنقض. الأبلُّ: المصمِّم، والممتنع، والجَدِل الألد.

(٧) ثور سلب: خفيف الطعن بقرنه. الروعة: الخوف. الوهل: الفزع.

(٨) الطائش: الذي لا يصيب إذا رمى. مغادر: يفرُّ من المعركة.

(٩) طعنه شزراً، أي عن اليمين والشمال طعناً متلاحقاً. البَسَل (بالتحريك): العُبُوس.

البُلْبُل (١)

البلبل من فصيلة العصافير، ويقال له: الكُميت، والجُميل ـ مصغَّران ـ وهو من الطيور المغِّردة الحسنة الصوت، ومن شأنه إذا كان غير حاذق أنْ يطارحه إنسان قادر على تقليد صوت البلبل فيتدرَّب ويحسن صوته. ومن أسمائه الشائعة: العندليب، ويسمَّى على طريقة القلب: العندليل، والعندبيل وكلٌّ صواب. جمعها عنادل، والعرب تقول: البلبل يعندل إذا صوَّت.

الهزار: تهريب هزاراستان بالفارسية، أي يتكلم بألف حكاية من باب المبالغة، واقتصروا في التعريب على لفظه هزار، وأدخلوا عليها الألف واللام فقالوا (الهزار).

الشحرور: جمعه شحارير، قيل: إنَّ له أنواعاً عديدة تختلف ألوانها وأحجامها من تأثير المناطق التي تعيش فيها.

الكناري: نسبة إلى جزر الكناري، ويسمَّى نُغَر الكناري وأهل الحجاز

---

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٩ و ٧/٧٨. نهاية الارب ١٠/٢٥٢. حياة الحيوان ١/١٥٥. لسان العرب، ومعجم متن اللغة.

يطلقون على البلبل اسم (نُغَر).

البلبل في الأمثال [1]

(تـظلُّ الطَّيـرُ تصفـرُ آمنـات ... وللتَّغـريـدِ مـا حُبِسَ الهَـزارُ)

(يصيد ما بين الكركيّ إلى العندليب) يضرب لمن يقول بالصغار والكبار.

ممّا ورد عنه في القصص [2]

(قصة النسر والبلبل)

للمهذب الدمشقي محمد بن حسان بن أحمد:

طار طائرٌ عن بعض الشجر، وقد هبَّ نسيم السَّحر، وانفلق عمود الفَلَق، وانخرق قميص الغَسَق، مشهور بالقَسْر، موسوم بالنَّسْر واللَّيل قد شابت ذؤابتُه وابيضَّت قمَّتُه، وانهزم زنج الظلماء من صَوْلة روم الضياء.

والفجرُ مثلُ عِذار مَنْ صارَتْ لهُ ... ستُّون عامـاً بعد حُسْنِ سَـوادِه
أو ثَغرِ محبُوبٍ تَبسَّمَ في الدُّجى ... إذ زارَ مَن يَهْـواهُ بَعـدَ بِعـادِه

وعَلا حتى صار روحاً لأجساد السُّحُب، ونديم لدراري الشُّهب وعديلاً للأفلاك، ونزيلاً للأملاك.

فكـأنَّـه للشَّمسِ جِسْمٌ والسُّهَى ... عَـينٌ لـلمـرِّيـخ قَلبٌ يَـخْفِـقُ
ولكلِّ نجمٍ في السَّماءِ شَرارَةٌ ... تُرْدي شَياطينَ الـرُّجوم وتحـرُقُ
غـابُوا لمـطْلَعِـه اليهم وآختفَـوْا ... ورَأوْه يَجْمـعُ نَفسَـه ويُـفـرِّقُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة /٢٧٣ و٢٧٤.
(٢) خريدة القصر قسم الشام ٣٤٠/١.

منفرداً في طريق طلبه آنفراد البدر مُتوحِّداً في مضيق أَرَبه توحُّد ليلة القدر، كأنَّه سهم رُشق عن قوس القضاء، أو نجمٌ أشرق في أفق السماء. والأرض تحته دُخانيَّة اللَّون، مائيَّة الكون، مُستبحرة الأكناف، متمَّوجةُ الأطراف، كأنَّه صرح مُمرَّدٌ من قوارير، أو سطحُ الفلك الكُريّ في التدوير.

أو لجَّة البَحر إثر عاصِفةٍ صافَحتِ المتنَ منه فَاصْطَفقا
فطارَ عقلُ النوتيِّ من فَرَقٍ وخرَّ مُوسَى جَنانه صَعِقا

يقبض أجنحتَه ويبسُط، ويصعد إلى السَّماءِ تارةً ويَهبطُ، يجرح بأسنَّة قوادمه أعطاف القَبول وأطراف الصَّبا، ويقدُّ الشمأَل بخوالفَ كأنَّها غروبُ الظُّبَى، ويفتق بخوافيه جيوب الجنوب، ويخرق بصدره صدر الرياح في الهبوب.

فكأنَّ لمعَ البَرْق خطفُ هُويِّه وكأنَّ رشقَ السَّهْم نفضُ سُمُوِّهِ
وكأنَّما جعلَ الرِّياح خَوافياً لجَناحِهِ في خَفْضِهِ وعُلُوِّه

حتّى أشْرف من شُرَف مدائِن الهواء، واطَّلع من رواشن أبراج السماء على روضٍ أرِيض، وظلٍ عريض، وأنهارٍ مُتدفِّقة، وأشجارٍ مُونِقَة وظَلٍ منثور، وورد منشور، ومكن بَهِج، وزَهْرٍ أرِج، وحديقة نديَّة النبات، وبقعة مِسْكيَّة النَّفحات، عنبريَّة الأرجاء. كافوريَّة الهواء، قد صقلت بمصاقل القَطر مَرايا أزهارها، وعُقدت لرؤوس أغصانها تيجانُ نُوّارها، وأكاليلُ جُلَّنارها، ونشرت النسائِم مطويات حُلَلِها من أسفاطها، ورقصت حورُ نباتها على سَعة بساطها.

كلَيالي الوِصال بعدَ صُدودٍ من حَبيبٍ كالبَدر بَلْ هو أبْهَى
إن رأيتَ الغِنى ونيلَ المُنى جَمْـ ـعاً وقابلْتَه بها فهيَ أشْهَى

ذات نباتٍ خَضِرٍ وماءٍ خَصِرٍ، ضاحكة القرار، مُشرقه الأنوار، وكأنَّ

شجَراتِها عرائِس أُبرزت للجلاء، أو قِبابُ زبَرْجَدٍ نُصبت في الرَّوضة الخضراء. وكأنَّ الفَلَك دَنا إليها فتناثرت نجومُه عليها.

رَوْضٌ أرِيضٌ وصَوْب صائِبٌ وحَياً ... مُحْيي وغَيْثٌ مُغيثٌ دائِمُ الدِّيَمِ
تباركَ اللّهُ ذو الآلاءِ كم سَفَرتْ ... وُجُوهُ أحْكامِه للخَلْقِ عَنْ حِكَمِ

فمِنْ وردٍ فضِّيِّ الأوراق، ذهبيِّ الأحْداق، كافوريِّ الصِّبْغة، مِسْكيِّ الصِّيغَة، مائيِّ الجسم، هوائيِّ الرَّسم، حاكت الصَّبا أهابَه، وخاطت الشَّمالُ أثوابَه، وفتَّحت الجَنوب أكمامَه، وحسَّرت الدَّبورُ عن وجه جماله لثامه، فظهرت في أفق الشجر، كأنَّه شُهُب السَّحَر، أو خدود الحُور في القُصور، ظهرت في غلائِل من الكافور، أو أعشار المصاحف ذُهِّبَتْ أوساطُها، أو غرر الوصائِف عَظُم اغتاطُها.

أوْ وَجنة الحِبِّ قرَّت في مَلاحَتها ... عَينُ المحبِّ فأبْدَتْ حُمرةَ الخَجَلِ
رَقَّتْ فأيْسرُ وَهْمِ الفِكر يَجرحُها ... فكيفَ إنْ لمسَتْها راحةُ القُبَلِ

ومن آسٍ زمُرُّدِيِّ الإهاب، زَبَرْجَديِّ الجلباب ذي وَرقٍ كأسنَّة الصِّعاد، أو كالصِّفاح جرِّدت للجِلاد من الأغماد، قد أخذ خضرة الفلك لوناً، وحلة جبل قاق كوناً، أشبه في آخْضِراره مرائر قلوب العشَّاق عُقَيْب الإنشقاق، لروعة يوم الفراق.

كـأنَّـه ودُّ من تمَّتْ مـودَّتُـه ... باقٍ مع الدَّهر لا يَبْلَى مدَى الأمَدِ
يُهدَى إلى مَن له حُسْنٌ يَضنُّ به ... أي قد غسلتُ بماءِ اليَأس منكَ يَدي

ومن نرجس كأجْفان المِلاح، أو كإشراق تبلُّج الصباح، منكَّس الأعراق، مطرق الأحداق، قائم على ساق خَضِرةٍ، ألِفِيَّةٍ نَضِرةٍ كأنَّه مَدافات فضَّة قد رُصِّعت خَشية الإنفطار، بمسامير من نُضار.

متشـوِّفٌ كـالصبِّ خـوفَ رَقيبِـهِ ... إذ حـانَ وقتُ زِيـارةٍ لحِبيبِـهِ
فله إلى جـانبيـه نـظرةُ خـائِفٍ ... منـه وشَكْـوَى مُـدنفٍ لـطَبيبِـهِ

ومن بنفسج استعير لونه من زرق اليواقيت، وأخذ من أوائل النار في أطراف الكبريت، أو ثاكلات الأولاد، أظهرن الحزنَ في ثياب الحِداد، أو بقايا قَرْصٍ في خدّ وردي، أو أثر عضٍ في عضُدٍ فِضّيّ، ذي أوراق خمريَّة، وأعراق عِطْريَّة، صاغت الأنداء من الزمُرُّد قوامَه، ونسجت الأهواءُ من الطلِّ أكامَه، وأخذت من نسمات المسك نسمته، ومن أنفاس العنبر رائحته.

وكَم في الرَّوْض من بِدَعٍ وصُنْعٍ وآيــاتٍ تــدلُّ عـلى القَــديـمِ
وأسْــرارٍ يَحــارُ العَقْــلُ فيـهــا فليسَ تكــونُ إلَّا مِـن حَكِيـم

ومن غصون تجتمع وتفترق، وتترنَّح وتعتنق، والنسائم تحلُّ عقد أزار الزهر، والأهوية تفتح أقفال أبواب الحصر، والشمس تسْفُر وتنتقب، وحاجب الغزالة يبدو ويحتجب، والعِهاد يتعاهد بالقِطار أكنافها، والسحب تطرِّز بالبروق عَذَبَها وأطرافها، وهي آية من آيات الربيع أظهرها للعِيان، ومُعجزة من مُعجزات القدير أقامها على الزمان.

تُجلَى عـرائِسُهـا بكـلِّ مُصَبَّغٍ وتَميسُ تحتَ غَـلائِـل الأزْهــارِ
فكـأنَّمـا فتقَ الـرَّبيعُ لأرْضِهـا بيـدِ النَّسِيم نَـوافـجَ العَـطَّارِ

فوقف [1] في الهواء حين رآها، وقال: هذه غاية النفس ومناها، هاهنا ويُلقي المسافر عصاه، وتستقرُّ بالغريب نَواه، وفي قرار هذا الوادي يثبت سيلي، ولمثله شمَّرتُ عن ساق الجدِّ ذيلي، أين المذهب، وقد حصل المطلب، وأين الرواح وقد أسفر الصباح. ومن بلغ غاية مُراده، لم يلتفت إلى حُسَّادِه، ومن نال الأماني، لم يُبالِ بالمباني، ماءٌ مُصْطخِب الأوتار، وظلٌّ ممدود الإزار، وروضٌ يمرح فيه الطَّرْف، ولا يقطعه الطَّرْف، وأزهار كقُراضة الذهب، تناثرت من حرارة اللَّهب، أو كالفضَّة أخلصها سَبْكُ الكِير، ونُثرت في زوايا المقاصير، أو مُصبَّغات أصناف الحُلل، نشرت للناظرين بعد اتقان العمل. وخلوةٌ من واشٍ

---

(١) الواقف: النسر.

ورقيب، وبعيدٍ يُخشى أو قريب.

عَلى مِثلِهــا ظَلْتُ فَــرْداً أهِيـ ـمُ وَجْداً وأُمْعِنُ وَحْدي المَطارا
فــأسْتَخْبِــرُ الشُّهُــبَ النَّيِّــرا تِ عَنهــا وأقطَعُ داراً فَــدارا

فبينا هو صافُّ الأجنحة عليها، ينظر من الأُفق بعين التعجُّب إليها، إذْ سمع صوتاً من بلبلٍ سحريّ، على وكرٍ شَجَريّ، يناغي النَّسائم بنغمة مِزماره، ورنَّة أوتاره، ودساتين[1] حناجر كالخناجر، وألْحانٍ أعذب من نقرات المزاهر، ينثر درّاً من عقود ألحانه، ولؤلؤاً من أصداف افتنانه بين أفنانه، ويرجِّع قراءة مكتوبِ غرامه، ويتلو آيات حزنه من مصحف آلامِه.

ويهتفُ طَــوْراً بـذكـر الفِـراق وطَــوْراً بـذكــرِ بِعــادِ الحَبيبْ
ويَغتنِمُ الــوقتَ وقتَ الــوصــا لِ حينَ خَلا من حُضور الرَّقيبْ

فقال هٰذه غريبة أخرى من غرائب القدر، وعجيبة ثانية لم ترها العين ولا هجست في الفكر، وكاسات خَمْرٍ تدار في الخَمَر[2]. وعقود سحرٍ تُحَلُّ في السَّحر، ونغمة لم أسْمعها من ذي منقار، وألحان ما رُئِيَ مثلها لسارٍ ولا قار، كأنَّها ما قيل عن مزامير آل داوود، وتسابيحهم في الركوع والسجود، أو معبدٌ والغريض يتباريان في الطويل والعريض، أو إسحاق الفريد، يعدِّل عوده عند الرشيد أو هزج شُداةِ العجم، أو رجَّة حُداة العرب في الظُّلم، أو أصوات رُهبان الصوامع، أو تلاوة مَنْ تتجافى جُنوبُهم عن المضاجع.

نَغمــةٌ تَجلُبُ السُّــرورَ وتُحْيِي ميِّتَ القَلْبْ من ثَــرى الأحْزانِ
وتَــردُّ الشبــابَ بَعــدَ ثَمــانِيـ ـنَ وتُــزْري بِــرَنَّــة الـعِيــدانِ

---

(١) دساتين، جمع دستان، وهي من اصطلاحات أصحاب الموسيقى، ومعناها بالفارسية : النغمة (الألفاظ الفارسية المعربة/٦٤).

(٢) الخَمَر (محركة) : ما واراك من شجر وغيره.

ما أُدِيرَتْ إلَّا وقيلَ اسْمَعُوا دا ۔ وُودَ يَتْلُو زَبُـورَه في الجِنـانِ

ثمَّ هوى إلى القرار لينظرَ مَن النافخ في المزمار، فرأس البلبل يتلو سُوَرَ بلباله في محراب وبَالِهِ، ويرجِّع سَجْع ألحانه في ربع أحزانه .

فكـأنَّـه ثَكْـلَى عَـلى وَلَـدٍ ۔ فَقَدَتْـهُ بعدَ الضَّعْفِ والكِبَـرِ
فَلَهـا انْتِحـابٌ حينَ تَـذْكُرُه ۔ يُنْسِيـكَ لـذَّةَ نَغْمـةِ الـوَتَـرِ

فقال : السلام عليك من طائر صغير حقير، يَظهر في صورة كبير خطير، وشادٍ ظريف طريف، بغير أليف ولا حليف، ذي جسم كأنَّه سواد خالٍ في بياض خدِّ الحبيب، أو ظلمة حال المحبِّ شاهد وجه الرقيب، أنت صاحب هذا اللَّحن المطرب، والصوت المعجب ؟ ما أراك إلَّا صغير الحبَّة، بادي المحبَّة، ضئيل الجسم، نحيل الرسم، ليليَّ الإهاب، ظلمائيَّ الجلباب، تقتحمك العين لحقارتك، وتنبو عنك لصغرك ودمامتك، وقد آصفرَّ منقارك لأحزانك، ولبست حداد أشجانك، وصوتك والمسرَّةُ فرسا رِهان، ونغمتك والطرب رضيعا لِبان .

يُثيـرُ صَـوْتُـك في القَلْـ ۔ ـبِ إن تـرنَّمتَ حُـزْنـا
وتُـخْجِـلُ النـايَ حُسْنـاً ۔ وتـعـجـزُ العُـودَ لَـحْـنـا

وأنا مع عِظَم صورتي التي حازت خِلال الكمال، وأحرزت خصال الجمال، صُبْحيُّ الريش، لا أتغذَّى بالحشيش، ذوالعمر الذي أفنى لُبَد، واستنفد الأبد، وقد تعجَّب منه لقمان، واحتاج إليه فرعون وهامان، ليس للطيور مطاري، عند طارىء أو طاري . أنا ملك الطيور، وسلطان ذوات الأجنحة على مرِّ الدهور، وما لي حلاوة هذه النغمات، ولا لذاذة هذه الأصوات .

ولَعَمْري كذلِكَ الدَّهْرُ لاَ يَرْ ۔ فَـعُ إلَّا مَن كَانَ بالخَفْضِ أوْلَى
ينـظرُ العـاقِـلُ اللَّبيبُ بعَيْنٍ ۔ هيَ لا شكَّ حِين تَنْظرُ حَوْلَى

وَيْحك من أيْن لك هذه المُلَحُ المِسْكيَّة النَّشْر، والمِنَح العنبريَّة العطر ؟

جِلَّتك عنصر هذه الفضائل، أم استمليتَ طُرَف أخبارها مِنْ قائل ؟ فقال له البلبل :

يا من سَبَحَ في بحر التَّخليط وعام، وظنَّ أنَّ القدر يعطي ويمنع بالأجسام، فيعرض عن الصِّغار ويقبل على العِظام، أمَّا صِغري فلا أقدر على تغييره ، والأمر للصانع الحكيم في تدبيره، أما علمت أن الأرواح لطائف، وهي أشرف من الأجسام، والأجسام كثائف والمعتبر فيها جودة الأفهام، وإنسان العين صغير ويدرك الأكوان والألوان، والإنسان عظيم والمعتبر منه الأصغران: القلب واللِّسان، ما يكون الدر بقدر الصدف، وشَتَّان ما بينهما في القيمة والشرف، ولا الآدميُّ كالفيل، وبينهما بَوْنٌ في التفضيل، واللؤلؤ قطر يقع في أعماق البحور، ويعلَّق بعد ذلك على الترائب والنحور، وليس الاختصاص بظواهر المباني، وإنَّما هو بلطائف المعاني، وكم من صغير وهو في عين ذي النُّهى كبير، وفي فكر اللبيب أخي الفضل خطير .

وما نَطقَ الفِيلُ الكبيرُ بعُظْمِهِ وقَد نطَقَتْ قِدْماً مُقدَّمةُ النَّمْلِ
كذلِكَ ما أوْحَى إلى النَّسْر رَبُّنا وإنْ كانَ ذا عُظْمٍ وأوْحَى إلى النَّحْلِ

وأمَّا النغمة التي قرع طرف سمعك سوط لذَّتها، ورشق هدف قلبك نَبْلُ طيبتها، فإنني رصَّعْت شَذْرها في عِقد ألحاني، على نغم بعض الأغاني . وذلك أنَّ هذه الروضة فجِرَت أنهارُها، وغُرست أشجارها، وفُتِقت نَوافج عِطْرها، وأشرقت مباهج زهرها، وأقيمت عَمَدُ قِبابها، وعُلِّقت أستار أبوابها، وهُيِّئت على أمرٍ مُقدَّر لبعض ملوك البشر، فهو يأتيها كلَّ ليلة إذا وَلَّى النهار، وأظلمت الأقطار، وصبغ اللَّيلُ ثوب الكون بظلمته، فأشبه لباس العبَّاسيِّ في خلافته، مع من يختار من نُدمائه، ويؤثر من أصفيائه، وقد أُشعلت له فيها الشموع ، واتَّقدت بأشعَّتها الربوع، ونُصبت ستائر القِيان، واصطفَّت صنوف الحور والولدان، وأُفرغت شموس الخندريس في أفلاك الكؤوس، بأيدي بدور الرهبان ونجوم

القُسُوس، وعُقدت الزنانير على الخصور، وأُسبلت طرر الشعور على غرر البدور، ورُجِّعت أناجيل الألحان، وقُبِّلت صُلْبان الصور بأفواه الأشجان، ونُقِرَتْ أوتار المثالث والمثاني، وقامت العقول ترقص في قصور الصور والمباني .

وينقضي ليلهم في لهوٍ وطرب، وجِدٍّ ولَعب، وهزج ورَمَل، واعتناقٍ وقُبَل، وأحاديث كقطع الرياض، ومحادثات كبلوغ الأغراض، حتى يخرج الليل من إهابه، ويعرِّج على ذهابه، ويسفِر الصباح، وقد هزَّ عِطفي ذلك الإرتياح، وأنا خبير بشدِّ دساتين عيدان الألحان، بصير بحلِّ عُرى النغمات الحِسان، فمنهم تعلَّمتُ طُرَفَها، وشددت وسطها وطَرَفها، وصرت فيها إلى ما ترى، وعند الصَّباح يَحمَد القومُ السرى .

فقال النَّسر: إنَّك سقيتني بحديثك أسْكرَ شراب، وفتحت لي بأخْبارك أغرب باب، كيف السبيل إلى المبيت لِتَعَلُّمِ هذه النَّغم الشهيَّة، والفوز بحفظ هذه الأصوات الأُرغُنيَّة[1] .

فقال البلبل: بالجِدِّ والإجتهاد تُدرك غايةُ المراد، وبالعزمات الصحاح يشرق صباح الصلاح، وما حصلت الأماني بالتواني ؛ ولا ظفر بالأمل من استوطن فراش الكسل، وأمُّ العجز أبداً عقيم، والخمول لا يرضى به إلاَّ مُليم، وبالحركات تكون البركات، وثمار السعود لا تطلع في أغصان القعود، وبالهزِّ تسقط الثمار، وبالقَدْح توجد النار، والحياء توأم الحِرمان، والهيبة والخيبة أخَوان .

ومَن هابَ أمْراً ثم لم يَكُ مُقْدِماً عليه بصدْقِ العَزْمِ والقَول والفِعلِ

(١) الأرغن من آلات الطرب (أعجمية) . في خريدة القصر (الأرغلية) وهو من تحريف النساخ، وقد تنبَّه له المحقق ونوَّه عنه .

يفوتَ ولا يُعْطِيهِ منه مُرادَه الـ ـزَّمانُ وبَعد المَقْر يُجْنَى جَنَى النَّحْلِ[1]

إذا تقوَّست قامةُ النهار، وجُعِلت رِجْل الشمس في قيد الإصفرار، وولَّت مواكب النور لقدوم سلطان الدَّيجور، وأنارت روضة السماء بزهر الكواكب وطلعت الشُّهب فيها من كلِّ أفق وجانب، فَأْتِ إلى هذا المكان عسى أنْ تسعدك بمطلوبك عناية الزمان! وآخْتفِ عن رامقٍ يراك، فإنَّه عَـوْن على مبتغاك، وإيَّاك أنْ تقول: إنْ قُدِّر شيء وصل، وإنْ كان في الغيب مَقْضِيٌّ حصل، فكم قد غرَّ سرابُ هذا المقال من العُقَّال، وما حصلوا إلَّا على الآمال.

ومُـدْمِن القَرْع لِـلأَبْـواب مُنْـتـظِرٌ بكَثْرَةِ القَرْع للأبْوابِ أنْ يَلِجا
فانْهَض إذا ضِقْتَ ذَرْعاً بالأمُور وَلا تَقعُدْ وقُم مُسْتَشيراً وانتظِرْ فَرَجا

فلما سمع النَّسْرُ مقاله ودَّعه وطار، وقال: لعلَّ في الإنتظار بلُوغَ الأوطار، وأثبت في نفسه الرجوع، وقال: أمنع عيني هذه الليلة لذَّة الهجوع، وقال: أصبر على العذاب الأليم، ومن طلب عظيماً خاطر بعظيم، وبالصَّبر يحلو صاب المصاب، وبالجَلَد تصاب أغراض الصواب، ومن لم يتحمَّل أعباء الأثقال، ولم يصبر لصعاب الأهوال، تكدَّر صفاء مسرَّته، وقَعَدَ قائم سعادته، وخذله الزمان، وقتله الحرمان.

ثم سقط على بعض الأشجار متوخِّياً بزعمه مضيَّ النهار، وأدركه الليل فنام، وغرق في بحر الكرى وعام، وكلَّما حرَّكت سواكنَه داعياتُ الطَّلب، وأقامت قاعده مزعجاتُ الأرب. قال: اللَّيلُ بَعدُ في إبَّان شبابه ولعلَّه ما جاء الملك مع أصحابه، وساعة تكفي العاقل، ولمحة تشفي الفاضل، وكثرة الحرص تسبب الحرمان، وربَّما أفضت فوارط الطلب إلى الهوان، واغتنام راحةِ ساعةٍ من العُمر، فرصة جاد بها بخيلُ الدَّهر، وكم نائم حَصَل مرادُه، وساهرٍ

(١) المَقْر، والمَقِر: الحامض، أو المرّ.

أخطأه إسعادُه .

ولم يزل في رؤيا أحْلام الأباطيل، وإقامة المعاريض الفاسدة التأويل، حتى وَضَح فَلَق الصُّبح من مَشْرِقه، وتمزَّقت عنه جلابيب غسَقِه، وبَدا حاجب أمِّ النجوم، وامتدَّت أشعَّتها على التُّخوم، فتنبَّه من رقدة غفلته، وطار من وَكْرِ جَهالته، وأمَّ روضة البلبل طائراً، ونزل عليها دَهِشاً حائراً، وقد تفرَّق جمع المُلك في السِّلك تفرُّق الشُّهب في الفلك، وغُلِّقت أبوابُها، وتفرَّقت أصحابها .

فقال له البلبل: يا هذا، ما الذي شغلك حتَّى أشغلك، وما الذي مَنَّاك حتى عدمت مُناك ؟ أما علمت أنَّ من استلذَّ المنام، واستطاب الأحْلام، عَدِم المرام، ووُجِّهَ عليه الملام، وأنَّ من شدَّ وسط اجتهاده، وصل إلى بلوغ مراده، وبصدق الطلب، تدرك قاصية الأرب، ومن ركن إلى إطالة البِطالة، استحالت منه صورة الحالة. والليل مطايا الأحرار إلى بلوغ الأوْطار، ونجائب ذوي الألباب إلى بلوغ المحاب .

فلمّا أكثر البلبل على النسر العتاب، وانغلقت عنه أبواب الصواب، ودَّعه وطار، وقد عدم الأوطار، وكذلك حال ذوي الأحوال، ومن له دعوى الصِّدق في المقال، والعُقَّال يؤاخذون بخطراتهم، ويطالبون بعثراتهم . . .[1] .

ممّا جاء في الكلام المنثور[2]

من رسالة لبعض فضلاء أصفهان. ذكر فيها وصف الرياض ومفاخرة الرياحين، وفضّل فيها الورد، وانتهى بعد ذلك إلى وصف البلبل فقال :

فلما ارتفع صدرُ النهار، وانقطع جدال الأزهار، سُمِع من خلل الحديقة

(١) أقول كما قال العماد في خريدته: وأتمَّ الرسالة بفصل وعظيّ ليس من شرط الكتاب .
(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥٢/١٠ .

زقزقة عندليب، قد اتّخذ وَكْراً على حاشية قَلِيب، كان يستتر به عن الجمع، ويجعله دَرِيئَةً لاسْتراق السمع، وحين أتقن ما وعاه، وأودعه سمعه وأرْعاه، انتحى غصناً رطيباً، فأوْفى عليه خطيباً، ثم قال:

يا فتنة الخَليقة، لقد جئتَ بالشَّنْعاء الفَليقة[1]، وربَّ بَسْمٍ آستحال آحتداما، ولن تعدم الحسناءُ ذاما، إلامَ ترفُل في دلال زَهْوك وتغفل عن رذائل سهوك، وحتّامَ تَتِيه على الأكفاء والأقران كأنَّك أنت صاحب القرآن، ألستَ من عُجْبك بنفسك، واسترابتك بأبناء جنسك، لا تزال مشتملاً شَوْكَ الغصون، معتصماً منها بأشباه المعاقل والحصون، لكنك متى انقضى مهبُّ الشَّمال، وعدل عن اليمين إلى الشِّمال خيف عليك نفح الإحراق، وتعرَّيت من حُلل الأوراق، وأصبحت للأرض فِراشا وتَلَعَّبَ بك الهواءُ فعُدت فَراشا. ثم ما قدرُ جَوْرتك حتّى تجور، وهل ينتج حضورك إلاّ الفجور؟ هذا إذا كنتم على الأصْل الثابت، وعُرفتم في أكرم المغارس والمنابت، فكيف وأنتم بين رَمْليٍّ وجَبليٍّ، ونُهْبُوريٍّ أو تَيْهُوريٍّ[2]، وهَبْ أنَّك ورَهْطك تفرَّدْتم بِمُمايلة القُدود، وتوحَّدْتم بمشابهة الخدود، وصِرْتم درر البحور، وعُلِّقتم على الجباه والنُّحور، وتحوَّلتم جُماناً ومَرْجانا وحُلِّيتم مناطق وتيجانا، أقدرتم على، مباراة الشَّحارير، ومجاراة القماري النحارير؟ أم ملكتم تهييج البلابل[3] قبل أصوات البلابل، أم وجدتم سبيلاً إلى ولوج القلوب والأسماع، واتّخاذ الطَّرب والسَّماع؟ هيهات هيهات، بعُد عنكم ما فات، بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الغصون والأوراق، إنَّما يكمُل صيتكم بنغمات أصواتنا، وتزهو غَنَّاؤكم بصحَّةِ غنائنا، ويحسن تمايُل

---

(١) الفليقة: الأمر العجب، والداهية.

(٢) النهبور: ما أشرف من الأرض والرمل، وقيل: الحُفرة بين الأكام، والجمع نهابير. التيهور من الرمل: ما له جرف، وقيل: ما اطمأن من الأرض.

(٣) البلابل: الأشجان.

دوحكم بترنُّمنا ونَوْحنا، ويروق غديرُكم بهديرنا، ويشوق تهدُّلكم بهديلنا، لم تزالوا حَمَلة أثقالنا، ومهود أطفالنا، وجياد شُجْعاننا، ومنابر خطبائنا، فروعُكم محطُّ أرْحُلنا، ورؤوسكم مساقط أرجلنا. إذا أوْفَى مُطربُنا على عُوده، وعبث بِمَلْوَى عُوده، وشدَّ المثالث والمثاني، شدَّ الثقيلين الأوَّل والثاني، فقد أحيا باللَّحن الأيْكيِّ، وبذَّ يحيى المكي[1] وأعاد إبراهيم[2]، كحاطب الليل البهيم، وخرق له الأثوابَ مخارقُ[3] طرباً وحَسَدا، ولم يسلم منه سُليم[4] غيظاً وكمدا، وأخذ قلب ابن جامع[5] بمجامعه، وطوَّقه من الاقرار غلاًّ بمجامعه، حتَّى كأنَّه بصحَّة ضربه وإتقان أوتاره، يطلب عندهم قديم أحقاده وأوتاره.

ممّا قيل فيه شعراً

قال شاعر يصف الشحرور[6]:

ورَوْضةٍ ظَهَرتْ أغْصانُها وشَدتْ	أطْيارُها وتولَّتْ سقيَها السُّحُبُ
وظلَّ شحْرُورُها الغرِّيدُ تحْسَبُه	أُسَيْوِداً زامِراً مِزْمارُه ذَهَبُ

وقال ابن النقيب عبد الرحمن بن محمد الحسيني[7]:

لهفي لشُحْرُورٍ ألِفْتُ بسُحْرَةٍ	تَرْنامَه هَزَجاً بصَوتٍ جارحِ
حُوٍّ قَوائِمُهُ دَجُوجيِّ الكِسا	حُمْرٍ ملاثمُهُ طَرُوبٍ فادِحِ[8]

---

(١) هو يحيى بن مرزوق المغني. انظر ترجمته في الأغاني ٦/١٦٣.

(٢) هو إبراهيم الموصلي المغني العالم. ترجمته في الأغاني ٥/١٤٢.

(٣) هو مخارق بن يحيى المغني المشهور وكانت له عند هارون الرشيد منزلة عظيمة. ترجمته في الاعلام للزركلي ٨/٦٨.

(٤) هو سليم بن سلام الكوفي تلميذ إبراهيم الموصلي في الغناء. ترجمته في الأغاني ٦/١٥٤.

(٥) هو إسماعيل بن جامع القرشي، ترجمته في الأغاني ٦/٢٧٣.

(٦) حياة الحيوان للدميري ٢/٥١.

(٧) ديوانه/٦٩.

(٨) الحوَّة: سواد إلى الخضرة. دجوجيّ الكسا: أسود الريش.

يُشْجِي القلوبَ برنَّة تُذكي الجَوى ... وتُثيرُ نارَ الـوَجْدِ بينَ جَـوانِحي
يَـرْتَادُ كـلَّ حَـدِيقـةٍ غنَّـاء قَـدْ ... حُفَّتْ جَـوانبُها بنَهْـرٍ سـارِحِ
فَيَحـلُّ في فَنَنٍ ويَعْـلُو آخَـراً ... دانٍ ويَسْتَـوْلـي بِـآخَـر نـازِحِ
مُتَنقِّلاً في الدَّوْحِ فوقَ غصُونِهِ ... كتَنقُّـلِ الأَفْيـاءِ فَـوْقَ مَسـارِحِ
يَنْـدَى بمُنْتَحلِ الـرَّذاذِ جَنـاحُـهُ ... فَيَـظَلُّ مُـرْتَعِشـاً بِـطَلٍّ راشِـحِ
عاهَدْتُـه أنْ لا يَزال مُسـاجِلي ... شَكوَى عَقَابيلِ الجَوَى ومُناوِحي[1]
يَشْكُو فأسْمَـعُ ما يَقُـولُ وأنْثني ... أشْكُو فيَسْمعُ لي مَقالةَ طـافحِ

وقال أحمد الصافي النجفي[2] :

ألَا يا بُلْبُلاً في الصُّبحِ يَشْدُو ... فَيَسْكبُ في المسامِع كأسَ راحِ
تُصَلِّي في غِنـائِكَ كـلَّ صُبْـح ... فما أحْلَى صَلاتكَ في الصَّباح
أتَيْتَ لتُـطرِبَ الـدُّنْيـا بلَحْنٍ ... بِـلا أجْـرٍ ولا أمَـلِ آمْتـداحِ
رأيتُـكَ شـاعِـرَ الـدُّنيـا جَميعـاً ... بـأوْزانٍ وأسْـجـاعٍ مِـلاحِ
نـظرتَ الكـوْنَ في هَـمٍّ وغَـمٍّ ... فجِئتَ رسُـولَ بِشْـرٍ وآنْشِـراحِ
حَـرِيٌّ بـالـطيُـورِ غَـداةَ تشْـدُو ... سُكُـوتٌ لا وُلـوعٌ بـالـصِّيـاحِ
ألَسْتَ خِـطيبَهـا الفَـذَّ المُجَلِّي ... بمَيْـدانِ الفَصـاحَـةِ والـصُّداحِ
فليتَ النـاسَ مثلُ الـطَّيرِ صُبْحاً ... تُـرتِّـلُ في أغـانِيهـا الفِصـاحِ

وله أيضاً[3] :

لحنَـكَ يـا صَـدَّاحُ يـا غِـرِّيـدُ ... فـأنتَ أنتَ العـاقـلُ الـوَحيـدُ
رَدِّدْ عَسى أنْ يَنفـعَ التَّـرْدِيـدُ ... عَسى يُفيقُ النَّـائِـمُ الـوُجُـودُ
ويَـشْـتَـفِـيـقُ أهْلُه الـهُـجـودُ ... نـاسٌ عَلى شَوْكِ الأَسَى رُقُـودُ

---

(١) العقابيل: الشدائد، وبقايا العلَّة، والعشق.
(٢) ديوانه الموسوم بـ (شرر)/١٦ .
(٣) ديوانه (شرر)/١١٧

هُـمْ بُلَداءُ عَـيْشُـهـمْ بَـليـدُ   لا يَسْمَعُونَ القَولَ مَهْما نُودُوا
غـرِّدْ فَـرُوحي منكَ تَسْتَـزيـدُ   وبَعْـدَهـا طِرْ أيْـنَما تُـريـدُ
في الصُّبْح تَأتي والوَرَى هُمودُ   تُلقي لهُمْ دَرْسـاً ولا تُـزِيـدُ
لَـوْ نـالَ مِنهم دَرْسُكَ المُفِيدُ   ثـم إليهـمْ في غَـدٍ تَـعُـودُ
يـا طِيبَ ما تُبْدي وما تُعِيدُ   دَرْسُـكَ حـلْوٌ كـلُّهُ نَـشِـيـدُ
قَـديمُـهُ في سَمْعِنـا جَـدِيـدُ   أنـتَ لـنـا مُـلَقِّـنٌ مُـجِيـدُ
مُـعـلِّمٌ ودَرْسُـه مَجِيدُ   لـيسَ لـهُ أجْرٌ ولَـوْ زَهِيـدُ
تـقـول فِيـمَ الـهَـمِّ والتَنكِيـدُ   لأنْـعُـم اللهِ بِـكُـمْ جُـحُـودُ
عن دَعْوَةِ الحَقِّ لكم ظمِيدُ   هـذا أنـا وعَـيْشـيَ الـرَّغِيـدُ
وأنْـتُـمُ والـهَـمُّ والـقُـيُـودُ   ألـيسَ فِيـكُـمْ رَجـلٌ رَشِيـدُ

وقال ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (أحمد بن علي) في البلبل[1] :

ووَرْدِيَّـةِ الجِلْبابِ أعْجَبَهـا الوَرْدُ   فَغنَّتْ ومَا بالغانيـاتِ لهَا عَهْـدُ
تُريكَ اضْطِرَابَ الرَّاقِصاتِ إذا انْثَنَتْ   وتُسمِعُ لَحنَ المُسْمِعاتِ إذا تَشْدُو
أتَتْ وبِطاحُ الأَرْضِ تُجْلَى عَرائِساً   وفي كلِّ غُصْنٍ مِن أزاهِره عِقْدُ
وقد أبْدَتِ الدُّنْيا مَحاسِنَ وَجْهِها   فمن زَهْرَةٍ ثغْرٌ ومن وردة خدٌّ
وسـاعَدَهـا طِيبُ الهَـواءِ وفَضْلُهُ   وفصلُ الرَّبيعِ الغَضُّ والمَنْزِلُ السَّعْدُ
فَغَنَّتْ غِناءَ الشَّرْبِ أنْشَتْهُم الطِّلا   وحَنَّتْ حَنِينَ الصَّبِّ باحَ به الوَجْدُ
أكُلًّا يثيرُ الـوَجْدُ كـامِنَ حُزْنِـهِ   لقد جازَ في حُكمِ الغَرام بنا الحَدُّ

وقال بعض فضلاء أصبهان[2]

أعْجَميُّ اللِّسانِ مُسْتَعْرِبُ اللَّحْـ   ـنِ يُعيـدُ الخَليَّ صَبّـاً عَميـدا

---

(١) ديوان ابن خاتمة الأنصاري/٩٨ .

(٢) نهاية الأرب ١٠/٢٥٥ .

كُلَّ وَقْتٍ تَراهُ مِنْ فَرْطِ شَجْوٍ مُظْهِراً في الغِنَاءِ لَحْناً جَدِيدا
تَارة يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطاً ويُعيدُ البَسِيط طَوْراً نَشِيدا
مَعْبَدٌ لَوْ رآهُ أصْبَحَ عَبْداً ولَبِيدٌ أمْسَى لَدَيْهِ بَلِيدا[1]
ظَلَّ عَن إلْفِهِ وأقْلَقَهُ الوَجْـ ـدُ فأمْسَى بُكَاؤُهُ تَغْرِيدا

وقال جميل صدقي الزهاوي[2] :

لَقَدْ سَمِعْتُ هَزاراً في الرَّوْضِ يَدْعُو هَزارا
تَجَاوبا فَوْقَ غُصْنَيْـ ـنِ سَاعَةً ثُمَّ طارا

وقال السيد أحمد الصافي النجفي[3]:

ماذا تُثَرْثِرُ في الصَّباحِ الباكرِ يا خَيْرَ فَنَّانٍ وأبْلَغَ شاعِرِ
غَرِّدْ فَدَيْتُكَ بالغِنَاءِ السَّاحِرِ فلأنْتَ قُدْوَةُ ناظِمٍ أوْ ناثِرِ
لِلطَّيْرِ أسْمَعُ جَوْقَةً لكِنْ بها أنْتَ المُعَلِّمُ رَغْمَ كُلِّ مُكابِرِ[4]
أبَداً تُخَاطِبُها بلَحْنٍ ثائرٍ فتُجيبُ فاتِرَةً بلحْنٍ فاتِرِ
ماذا تَعَلَّمَ غيرُ جنْسِكَ جاهِداً عَلِّمْ صِغارَكَ لا صِغارَ أكابِرِ
هَيْهات يُجْدي الطَّيْرَ تَعْليمُ الغِنا إنْ كُنْتَ لا تَسْتَطِيعُ خَلْقَ حَناجِرِ
كرِّرْ غِناكَ فليسَ غَيْري سامِعاً فالعَبْقَريُّ مُخاطِبٌ لِعَباقِرِ
أسَفاً يَضِيعُ غِناكَ دُون مُسجِّلٍ يا لَيْتَ لحنَكَ مُثْبَتٌ في الخاطِرِ

---

(١) هو معبد بن وهب نابغة الغناء في العصر العباسي. ترجمته في الأغاني ١/٤٧، لبيد، هو لبيد بن ربيعة من فحول الشعراء المخضرمين، ومن أصحاب المعلقات السبع. ترجمته ومصادرها في أنوار الربيع ٢/٧٦ .
(٢) ديوانه ١/١٨٤ .
(٣) ديوانه (شرر)/ ٣١ .
(٤) الجوقة: الجماعة من الناس، قيل هي دخيلة أو معرَّبة، ثم استعملت في الجماعة الواحدة لمسارح الغناء والتمثيل المسرحي ونحو ذلك .

بكَ أثمَرتْ هذي الغُصونُ فجئتَنا   بِثمـارِ أسْمـاعٍ لَنـا ومَشـاعِـرِ
هَلْ في زُهُورِ الأرض مثلُ بَلابلٍ   هَلْ في الوُجُودِ سِوَى وجودُ الشاعِرِ

وقال أيضاً مفاضلاً بين البلبل والعصفور[(١)] :

أيا بُلْبُلاً هَـزَّ المحافِـلَ شَدْوُهُ   وأصْبَحَ يَلهُو لَحنُـهُ بـالمَشَاعِرِ
لَعُصْفُوري الدُّوْرِيِّ فوْقَكَ لي هوىً   لأنَّـكَ مُختَصٌّ بِـدُورِ الأكـابِـرِ
وعُصْفوريَ الدُّوريُّ للشَّعبِ يَنْتمي   وأنْتَ بمَغْنىً لِلعـرُوشِ مُجاوِرِ
وأنَّـكَ مَغرُورٌ بلَحْنِـكَ صـاخِبٌ   لفنِّـكَ تَدْعُـونَا بصَـوْتٍ مُفـاخِـرِ
ولم يَبْغِ عُصْفُوري سَماعاً لِلَحْنِهِ   وتُقْلِقُنَـا مِن لَحْنِـكَ المُتَـواتِـرِ
وذاكَ يُغَنِّي بَعضَ حينٍ ويَنْتَهي   وأنتَ كثَـرْثَـارِ النِّسـاءِ الهَـواذِرِ
وذاكَ بأرْضِ الدَّارِ يَقفزُ ساكِتاً   وتُسْكِتُنـا مِن سَجْعِكَ المُتَكـاثِـرِ
يُزَقْزِقُ عُصْفُوري ويَذْهب ساعياً   لرِزْقٍ ويَمْضي مِن مَكانٍ لآخَرِ
وأنتَ عَلى أغْصانِ رَوْحِكَ هاتفٌ   كـأنَّـكَ مَخْلُوقٌ خَـطِيبَ مَنـابِـرِ
أرَى فيكَ أخْلاقَ المُغَنِّي وطَبْعَه   وأُبْصِرُ في العُصْفورِ أخْلاقَ طَائِرِ
وأنْتَ مُغنِّي المُتْـرَفِينَ بِـدُورِهِمْ   وذاكَ مُغَنِّي كـادِحٍ أوْ مُسـافِـرِ
وتَحْيى بِـدُورِ الأغنيـاء كشـاعِـرٍ   وذلِكَ مِثْلي لم يَعِشْ عَيشَ شاعِرِ
وأنْتَ كأصْحابِ الحُـظُوظِ مُنَعَّمٌ   وذاكَ كأصْحابِ الجُدُودِ العَواثِرِ
وأنَّـكَ كالجِنْسِ اللَّطِيفِ مُـدَلَّلٌ   وذاكَ لِصَيْـدٍ أوْ لسِكِّينِ جـازِرِ
فَإنْ لم يَثُرْ يَوْماً عَلَيْـكَ لِحَقِّهِ   فـإنَّ دِفـاعِي عَنـهُ ثَـوْرةُ ثـائِـرِ

وقال الشيخ علاء الدين علي بن محمد الباجي (من الدوبيت)[(٢)] :

بـالبُلْبـلِ والهَـزارِ والشّحْـرُورِ   يُكسَى طَرَباً قَلْبُ الشَّجِي المَغْرُورِ

---

(١) ديوانه (الشّلال)/٦٢ .
(٢) حياة الحيوان ٢/٥١ .

نْهَضْ عَجِلاً وانْهَبْ من اللَّذَّةِ ما   جادَتْ كَرَماً بِهِ يَدُ المَقْدُورِ

وقال إيليا أبو ماضي تحت عنوان الكنار الصامت[1] :

نَسِيَ الكَنارُ نَشِيدَهُ   فتعالَ كَيْ نَنْسَى الكَنَارْ
ولَيَقْذِفَنَّ بِهِ المَلَالُ   مِن القُصُورِ إلى القِفارْ
ولَتَرْمِيَنَّ بِرِيشِهِ   لِلأرْضِ عاصِفَةُ النِّفَارْ
ولَنَسْتَعْضِ عَنهُ بِطَيْرٍ   مِنْ لُجَيْنٍ أوْ نُضارْ
لا لا فإنْ سَكَتَ الكَنَا   رُ فَلَمْ يَزَلْ ذاكَ الكَنَارْ
أو كانَ فارَقَهُ الصُّدا   حُ فلَمْ يُفارِقْهُ الوَقارْ
صَمْتُ الكَنارِ وإنْ قَسا   خَيْرٌ من النَّغَمِ المُعارْ
صَبْراً فَسَوْفَ يَعُودُ لِلـ   ـتَّغْرِيدِ إنْ عادَ النَّهارْ

وقال آخر يصف البلبل[2]:

كَيْفَ أُلحَى وقد خَلَعْتُ علَى اللَّهْـ   ـوِ عِذاري وقَدْ هَتَكْتُ قِناعِي
وَتَعَشَّقْتُ بُلبُلاً أنا مِنْهُ   في انْزِعاجٍ إلى الصِّبا والتِياعِ
أنا مِنْ رِيشِهِ المُدَبَّجِ في زَهْـ   ـرٍ ومِن شَجْوِ صَوْتِهِ في سَماعِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي مخاطباً البلبل[3]:

يا بُلْبُلاً أطْرَبني سَجْعُهُ   ما أرْوَعَ السَّجْعَ وما أرْوَعَكْ
هَبْ لِي مِنْ رُوحِكَ بعضَ الهَنَا   لأنْعِشَ الرُّوحَ وأشْدُو مَعَكْ
هَبْ لِيَ مِنْ عَيْشِكَ جُزْءاً عَسَى   أقْنَعُ بالعَيْشِ الَّذي أقْنَعَكْ
تَرجِعُ لي في كلِّ صُبْحٍ لكَيْ   تُعْطِيَنِي الدَّرْسَ فَمَنْ أرْجَعَكْ

---

(١) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/٤٧٥ .
(٢) نهاية الأرب ١٠/٢٥٢ .
(٣) ديوانه (الشلال)/٣٠ .

تُوقِظُني مِن نَوْمَتي مُبْكِراً … تكرِّرُ الألْحانَ كيْ أسْمَعَكْ
تَرُومُ رَفْعِي لِلسَّمَا شادِياً … مُرَفْرِفاً مَن ليَ أنْ أتْبَعَكْ
طِرْنا ولكِنْ بِغلا ظاتِنا … وصَوْتُنا الصَّاعِقُ قَدْ رَوَعَكْ
تَعجَبُ مِن طَيْرٍ غَرِيبٍ أتَى … يَصُكُّ في ضجَّتِهِ مِسْمَعَكْ
هَيْهَاتَ أنْ تألَفَهُ طائِراً … مُزَيَّفاً يَبْغي مَطاراً مَعَكْ
طَيْرٌ بلا رُوحٍ ولا راحَةٍ … وأنْتَ رُوحٌ جلَّ من أبْدَعَكْ

وقال أيضاً[1]:

غَرِّدْ وناجِ الغُصْنُ والوَرَقا … فَلأَنْتَ أعْقَلُ كلِّ مَن خُلِقا
تَقْضِي حَياتَكَ كُلَّها مَرَحاً … لا تَشْتَكي سَأماً ولا رَهَقا
ونَطَقْتَ بالألْحانِ صادِقَةً … فَغَدَوْتَ أبْلَغَ كُلِّ مَن نَطقَا
لَسْتَ المُلَحِنَ في تَجارِبِه … وتَقُولُ لَحْنَكَ كَيْفما اتَّفَقا
إنَّ المُعَلِّمَ في وَساوِسِهِ … قد أكْثَرَ التَّشْويشَ والقَلَقا
لَيْسَ المُعَلِّمُ غيرَ خالِقِنا … بالحِسِّ يَهْدي العَقْلَ والخُلُقَا
لِلّهِ دِينُكَ ما أُلَيْطِفَهُ … يا مَنْ عَبَدْتَ الغُصْنَ والوَرَقا

وله أيضاً[2]:

نَفَدَ القَوْلُ لي فَجَدِّدْ غِناكا … إنَّ دَرْسِي نَسِيتُهُ في نَواكا
أنا أذْكَى أمْ أنْتَ مِنِّي أذْكَى … أنْتَ تَجْري كما الإلَهُ بَراكا
وأنا حائِرٌ كحِيرَةِ عَقْلي … فَلَكَ السَّعْدُ مُطْلَقاً مِن حِجاكا
إنْ سَجَنَّاك دُونَ ذَنْبٍ فَعُذْراً … مِنْ حِجَانا بَلاؤُنا وَبَلاكا
سُخْفُنا قَد جَنَى عَلَيْنا وَلَمَّا … فاضَ عَنَّا طَغَى لأعْلى ذُراكا

---

(١) ديوانه (شرر)/٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص/٥٧ .

وله أيضاً[1] :

يـا بُـلْبُـلَ الصُّبْـحِ ٱقْتَـرِبْ   أنـا سَامِـعٌ وَحْـدي غِنـاكـا
لَـوْ كُنْتَ تَـعْـرِفُ صَبْـوَتـي   لأَتَـيْـتَـنـي فَـلَثِـمْـتُ فاكـا
إنِّـي أخُـوكَ وإنْ حُـرِمْـتُ   مِـن النَّجـاحِ فَـزُرْ أخـاكـا
رُوحـي كـرُوحِـكَ طـاهِـرٌ   وهَـوايَ نَـوْعٌ مِـن هَـواكـا
وأطِـيـرُ مـثْـلُكَ فـي الـفـضـا   لكِنْ فَضـايَ سِـوَى فَضـاكـا

وله أيضاً[2] :

تَـلاَقَى بِرَوْضٍ بُلْبُـلانِ فَـواحِـدٌ   لَهُ قَفَصٌ قَد نِيطَ بالفَنَنِ الأعلَى
لَهُ حَوْلَه ما يَشْتَهي من فَواكِهٍ   وحَبٌّ وعَيْشٍ يَجْمَعُ الرِيَّ والأكْلا
وثـانٍ طَليقٌ باحِثٌ عَنْ غَـذائِهِ   إذا لم يَجِدْهُ يَغْتَذِ الشَّمْسَ والظِّلا
فنَاداهُ ذو العَيْشِ الرَّغيدِ ألا ابتدرْ   إلى قَفَصي أشْرِكْكَ في عِيشي المُثْلَى
إلامَ طَـوافٌ مُـزمـنٌ وتَـشـرُّدٌ   ولَمَّا تَذُقْ أمْناً نَهاراً ولا لَيْـلا
وأرْقُدُ مِلءَ العَيْنِ لَمْ أخْشَ صائِداً   ولا أخْتَشي نسْراً ولا أتّقي نَصْلا
أقَضِّي نَهارِي بَينَ رَقْصٍ الى غِنا   كأنَّ الغِنا والرَّقْصَ لي أصْبَحا شُغْلا
هَلُمَّ لعَيْشي الحُلوِ قـال رفيقُـهُ   صَدَقْتَ ولكِنْ طعمْ حرِّيَّتي أحْلَى

وقال أبو الفضل علي بن المظفر الآمدي قاضي واسط[3] :

وأهَـالَـهُ ذِكْـرُ الحِمَى فتَـأوَّهـا   ودَعـا بِـهِ الـصِّبـا فـتَـوَلَّـهـا
هـاجَتْ بَلابِلَهُ البَـلابِـلُ فـانْثَنَتْ   أشجانُهُ تَثْني عَن الحِلْمِ النُّهَى
فَشَكَا جَوىً وبَكَى أسىً وتَنبَّه الْـ   ـوَجْـدُ القَديمُ ولَمْ يَـزَلْ مُتَنبِّها

---

(١) ديوانه (شرر) /١١٨ .
(٢) نفس المصدر/١١٩ .
(٣) حياة الحيوان للدميري ١/١٥٥ .

لا تُكْرِهُوهُ عَلى السُّلُوِّ فَطالَمَا حملَ الغَرام فكيفَ يَسْلُو مُكْرَها

وقال السيد أحمد الصافي النجفي وقد سمع في رياض (مضايا) من المصائف السورية بلبلاً يغرِّد فذكَّره بالبلبل الذي كان يوقظه عند الصباح في صيدا ـ بلبنان ـ والذي نظم فيه معظم أشعاره في البلبل[1] :

تُغرِّدُ كالبُلْبُلِ الأوَّلِ أأنْتَ أخُو ذَلِكَ البُلْبُلِ

لقد شطَّتِ الدارُ ما بَيْنَنَا فجِئْتَ تُجَدِّدُ ذِكْراهُ لي

لقد كانَ ذاكَ أخي بُرْهَةً فأنْتَ أخي في اللِّقا الأوَّلِ

فغرِّدْ فأَنْتَ بهذا الغِناءِ تُصِيبُ هُمومِي في المَقْتَلِ

أتَعْرِفُني مُصْغِياً مِثْلَما عَرَفْتُكَ يا شادِيَ الجَدْوَلِ

سَمِعْتُكَ تَشْدُو فقُلْ أينَ أنْتَ فرَتِّلْ لِكيْ أهْتَدي رَتِّلِ

تَخِذْتُ غِناكَ دَليلي إلَيكَ وسِرْتُ عَلى وَحْيِكَ المُنْزَلِ

فَلا تَقْطَعِ اللَّحْنَ لي أنْقَطِعْ عَنِ القَوْلِ يا هادِياً مِقْوَلي

أُردِّدُ ما قُلتَ لي لِلأنامِ خُطِيبَيْنِ في الرَّوْضِ والمَحْفَلِ

فَمِنْكَ اسْتَقَيْتُ نَمِيرَ البَيانِ وتُسْقَى مِن الخالِقِ المُفْضِلِ

وهَا قَدْ سَكَتَّ لدُنْ أنْ سَكَتَّ وسافَرْتَ عن رَوْضِكَ المُخْضَلِ

فَطِرْ هانِئاً وغَداً نَلْتَقي ومَوْعِدُنا ضِفَةُ الجَدْوَلِ

وقال أيضاً[2] :

يا بُلْبُلَ الرَّوْضِ الأرِيضِ تَرَنَّم وارْوِ الحَقِيقَةَ في بَيانِكَ واسْلَمِ

فَلأَنْتَ حينَ تقُولُ ما لَمْ نَفْهَمِ طِفْلٌ يكلِّمنا بلَفْظٍ مُبْهَمِ

أرْواحُنا فَهِمَتْ كلامَكَ لا الحِجَى لِلَّهِ درُّكَ مِن فَصِيحٍ أعْجَمِي

---

(١) ديوانه (شرر)/٤٨ .

(٢) ديوانه (شرر) /٣٠ .

لُغَةُ النُّفوسِ مَلَكْتَها فَنَطَقْتَها ... والنَّفْسُ ليسَ بحاجَةٍ لِمُتَرْجِمِ
كَرَّرْتَ قولَكَ شارِحاً فَفَهِمْتُهُ ... مَهْلاً لأَشْرَحَهُ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمِ
هَيْهاتَ لا أَسْتَطِيعُ تَفْهِيمَ الوَرَى ... فَاصْدَحْ كِلانَا نَاطِقٌ كالأَبْكَمِ
مُتَفاهِمانِ مَعاً وإنْ لَمْ يَفْهَمُوا ... ما قَالَهُ فَمُكَ المُحَبَّبُ أَوْ فَمِي
فَالنَّاسُ كَالبَبْغاءِ ليسَ لِنُطْقِها ... غَرَضٌ تُؤَدِّيهِ وإنْ تَتَكَلَّمِ
في الطَّيْرِ بَبْغاءٌ تُمَثِّلُ مَعْشَري ... وأنا بِهِمْ كَالطَّائِرِ المُتَرَنِّمِ

وقال أبو هلال العسكري في وصف بلابل[1] :

مَرَرْتُ بِدُكْنِ القُمْصِ سُودِ العَمائِمِ ... تُغَنِّي على (أعرافِ) غِيدٍ نَواعِمِ[2]
زُهِينَ بأَصْداغٍ تَرُوقُ كَأَنَّها ... نُجومٌ عَلى أَعْضادِ أَسْوَدَ فَاحِمِ
تَرَى ذَهَباً أَلْفَتْهُ تحتَ مآخِرٍ ... لَها ولُجَيناً بَطنُه بالمَقادِمِ
فَيا حُسْنَ خَلْقٍ من نُضارٍ وفِضَّةٍ ... وخَزٍّ وديباجٍ أحمَّ وقاتِمِ

وقال إبراهيم منيب الباجه جي يرثي بلبلاً[3]:

بُلبلٌ هاجَه الغَرامُ فغَنَّى ... فوقَ أغصانِ بانَةٍ تَتَثَنَّى
قابلَ الصُّبحَ هائماً وهو يَشْدُو ... بِنَشِيدٍ يُشْجي فؤادَ المُعَنَّى
قُربَ جُوريَّةٍ أماطَتْ لِثاماً ... عَن محيًّا زَها جَمالاً وحُسْنا
هامَ وَجْداً بحبِّها وحَرِيٌّ ... بِهَواها إنْ هامَ وَجْداً وجُنَّا
مَنَحَتْها قُوَى الطَّبيعَةِ حُسْناً وجَمالاً لغَيْرِها ما تَسَنَّى
لَوْعَةُ الحُبِّ لم تَدَعْ فيهِ صَبْراً ... كُلَّ آنٍ تَراهُ يُبْدِلُ غُصْنا

---

(١) ديوان المعاني ٢/١٤٢ .

(٢) (أعراف)، كذا ورد، وهو جمع العُرف (بالضم) ، وللعرف معان كثيرة أقربها منالاً : شجر الأترجّ، وإخال الكلمة محرفة، صوابها (أطراف غيد نواعم) . يريد بالغيد النواعم : الأغصان الغضّة الناعمة .

(٣) شعراء بغداد ١/١٠ .

كلَّمــا هَمَّ أنْ يَـطِيـرَ إليهـا ... ثَـبَّط الـوَهْمُ عَـزْمَـه فَتـأنَّى
يَـتغَـنَّـى آنـاً ويَـسْكـتُ آنـاً ... مُشْـرَئِبّـاً لـغيـرِ طَيْـرٍ تَغَنَّى
نَـغمـاتٍ تُـثيـرُهـا نَـغمـاتٌ ... مِن طُيُـورٍ تُجِيـدُ ثَمَّـةَ لَحْنا
هـاجَهـا الـوَجْـدُ والغَـرامُ فَغَنَّتْ ... بـقَـوافٍ رَقَّـتْ أداءً ومَـعْـنَـى

* * *

بَيْنَما كنتُ في مَراتِـعَ أُنْسِي ... ثَمَّ أرْعَى أثمـار عَيْشِي المُهَنَّا
فـاجَـأَتْـنــي بـارُودَةٌ بِـدَوِيٍّ ... أسْكَتَتْ كُـلَّ طـائـرٍ قَـد تَغَنَّى
أَطْلَقَتْهـا يـدُ القَضـاءِ لِتَقْضِي ... عُمرَ ذا البُلْبُلِ الشجِي المُغَنَّى
لا تَسَلْ كَيْفَ فارَقَ الرُّوحَ قَسْراً ... بَعْـدَمـا حَـرَّكَ الجَنَـاحَ وأنَّـا
وأنَـا نـاظِـرٌ إلـيـهِ بـعَـيْـنٍ ... ذَرَفَـتْ دَمْعَـهـا فُـرَادَى وَمَثْنَى
ولَمِثْلي يَشْـجُـو لِكُـلِّ شَـجِيٍّ ... ولِمِثْلي يَبْكي عَلى كُلِّ مُضْنَى

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن الظهير الأربلِّي الحنفي أبو عبد الله[1] مُلغزاً في بلبل :

ومَـا إسْـمٌ ثُـنـائِـيٌّ ... رُبـاعِـيٌّ بِـلامَـيْـنِ
كـلا شَـطْرَيْـهِ إنْ صُـوعِـ ... ـفَ فِـعْـلانِ بِـلامَـيْـنِ
وإن خَـاطَـبْـتَ مَـأمُـوراً ... بِـهِ عـادَ كَـلامَـيْـنِ
وإنْ حَـرَّفْـتَ حَـرْفَيْـنِ ... غـدا فِـعْـلاً وحَـرْفَيْـنِ

وقال رياض المعلوف تحت عنوان (الهزار المنتحر)[2] :

كنْتَ طَلْقَ الجَنـاحِ غيرَ مُقَيَّـدْ ... يـا هَـزاري تَخْتالُ بَيْنَ الغُصُونِ

(١) الوافي بالوفيات ٢/١٢٧ .
(٢) الشعر العربي في المهجر/٣٢٢ .

أسَـرَتْـكَ الأقْفـاصُ كَمْ تَتَنَهَّـدْ   في جِـواري بحُـرْقَـةٍ وشُجُـونِ
أيْنَ تِلكَ الأغْصانِ من قُضْبانكْ   والجَـداوِلْ وقَهْقَهـاتِ الأزاهِـرْ
أينَ تِلكَ الآياتِ مِن ألْحانِـكْ   في الخَمـائلْ وحُسْنُ صوتكَ ساحِرْ

* * *

كنتَ في الدَّوْحِ آمِناً بصُداحِكْ   مُتَضاحِـكْ من الـوَرَى مُتَشـائِمْ
غُيِّرَ اللَّحْنُ بَعْدَ قَصِّ جَناحِكْ   بِنَواحِكْ فَصِرْتَ بالهمِّ واجِـمُ
بِجَناحٍ جَرَّبْتَ فَـكَّ سَـراحِـكْ   فَـتَـكَـسَّـرْ بِـكَـرَّةٍ وبِـفَـرَّهْ
خَضِبَ الرِّيشُ مِن دِماءِ جِراحِكْ   وتَـحَيَّـرْ فَبِتَّ لـلنـاس عِبْـرَهْ

* * *

مِـتَّ أسْـراً فكَـفَّنَـتْـكَ وُرُودُكْ   والـزَّنـابِقْ بِمَـوْكِـبٍ يَتَـهـادَى
ورَثَـتْـكَ الأطْيـارُ وهيَ جُنُـودُكْ   والشَّقـائِـقْ مُقَـطِّبـاتٌ حِـدادا
إنَّمـا الذَّنْبُ لِلجَمـالِ بِصَوْتِـكْ   في إِسـارِكْ يـا فِتْنَـةً لِلنَّـواظِرْ
سَبَّبَ الحُسْنُ شَتْمَهُ عِندَ مَوْتِكْ   وَآنْتِحـارِكْ فَمِتَّ مِيتَـةَ شـاعِـرْ

وقال معروف الرصافي تحت عنوان (البلبل والورد)(١) :

إنَّ بَلِيـلاً مِن نَسيمِ السَّـحَـرْ   لمَّا جَرَى في المَرْبَعِ المُخْمِلِ
أخْبَـرَ ريَّـاهُ أصـحَّ الـخَبَـرْ   عمَّا جَرَى في الرَّوْضِ لِلبُلْبلِ

* * *

إذ هُـو مُـذْ ألقَى بـه نـاظِـرَهْ   من بَعدِ ما ثَغْرِ الصَّباحِ ابْتَسَمْ
صـادَفَ فـيـهِ وَرْدَةً زَاهِـرَهْ   والـطَّلُّ كـاللُّؤلُو فيهـا انْتَـظَمْ
مَضْمُـومَـةٌ أوراقُهـا النَّـاضِـرَهْ   مثـلُ فَمٍ يَـطلبُ تَقبيـلَ فَمْ

---

(١) ديوانه ٤/٢٠٨ .

فظَلَّ يَرْنُو مُسْتَديمَ النَّظَرْ   رُنُوَّ ظَمْآنٍ إلى مَنْهَلِ
وهْيَ غدَتْ مِمَّا بها مِن خَفَرْ   مُحْمَرَّةً مِنْ نَظَرٍ مُخْجِلِ

* * *

ثُمَّ تَمادَى غَرِداً صادِحا   يُعْلِنُ لِلوَرْدَةِ أشْواقَهُ
يَنطقُ بالحُبِّ لَها بائِحا   وهْيَ التي تَفعَلُ إنْطاقَهُ
وتَنْشرُ الطِّيبَ له نافِحا   كأنَّها تَقْصُدُ إنْشاقَهُ
حَتَّى غَدا البُلْبُلُ مُنْذُ الصِّغَرْ   في حُبِّها مُنْطَلِقَ المِقْوَلِ
يُنْشِدُ فِيها شِعْرَه المُبْتَكَرْ   ولا يَني فيهِ ولا يَأتَلي[1]

* * *

أمَا تَرى الأزهارَ كيف آغْتَدَتْ   فَراشَةُ الرَّوْضِ عَليها تَطِيرْ
لَها جِناحٌ هيَ مِنه اكْتَسَتْ   مُلاءَةً مَوْشِيَّةً مِن حَرِيرْ
فهيَ إلى الرَّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ   أرْسَلَها البُلبُلُ نحوَ الأمِيرْ
تَحْمِلُ لِلوَرْدِ أميرِ الزَّهَرْ   رَسائلَ الشَّوْقِ مِن البُلْبُلِ
فَشاعَ في الأزْهارِ هذا الخَبَرْ   وَآسْتَوْجَبَ العَطْفَ عَلى المُرسِلِ

* * *

حَتَّى إذا الوَرْدُ مَضَى وآنْقَضَى   وعادَتِ الرَّوْضَةُ كَالْبَلْقَعَهْ
مَسَّتْ حَشا البُلْبُلِ نارُ الغَضا   مِن حُرْقَةِ البَيْنِ الَّذي أوْجَعَهْ
لا تَسْألِ البُلبُلَ عَمَّا مَضَى   في زَمَنِ الوَرْدِ لهُ مِن دَعَهْ
ولكِنْ اسْألْ في السَّماءِ القَمَرْ   عَنْ خَبَرِ الوَرْدِ مع البُلْبُلِ
إذْ كانَ يُصْغي مِنهُما للسَّمَرْ   وهو مُطِلٌّ ناظِرٌ مِنْ عَلِ

* * *

---

(١) إئتلى، وأتَّلى: قصَّر وأبطأ.

فَـراشَـةُ الـرَّوْضَـةِ ظَلَّتْ لِـذا   تَحُـومُ والأزْهـارُ من تَـحْتِهـا
تُقبِّـلُ الـزَّهْـرَةَ ذاتِ الـشَّـذا   طـائِـرَة مِـنهـا إلـى أخْتِهـا
وتَـسْـألُ الأزْهَـارَ عـمَّـا إذا   مـرَّ فَقِيدُ الـوَرْدِ مِن سَمْتِها[1]
لِتُخْبِـرَ البُلْبُـلَ بَعضَ الـخَبَـرْ   لَـعَـلَّهُ غُـمَّـتَـهُ تَـنْـجَـلي
فـإنَّـه بـاتَ حَـلِيفُ الـسَّهَـرْ   مُذْ نَـزَحَ الـوَرْدُ عَنِ المَنْـزِلِ

وقال إيليا أبو ماضي من موشحة عنوانها البلبل السجين[2] :

يـا سَيِّدَ المُنْشِـدينَ طُـرّاً   وصـاحِبَ المَنْـطِقِ المُـبِيـنِ
لو كُنتَ بُوماً أوْ كنتَ نَسْرا   مـا بتَّ في أسْـرِكَ المَهِينِ
خُلِقْتَ لـمَّـا خُلِقْـتَ حُـرّاً   فَزَجَّكَ الحُسْنُ في السُّجُـونِ
وأَطْلَقَ البُـومَ في الفَـضـاءِ   زَعْـمُ الـوَرَى أنَّـه دَمِـيـمُ
وأنَّـه غَـيـرُ ذي رُواءِ   ولا لَـهُ صَـوْتُـكَ الـرَّخِيمُ

* * *

تَيَّمـكَ الـرَّوْضُ فيـهِ حَتَّى   تَـخِـذْتَ بـاحـاتِـهِ مَـقـامَـا
رَأيـتَ فيـه الـنَّعِيمَ بَـحْتـاً   ولـم تَـرَ عِـنْـدَهُ الأنـامَـا
مَـدُّوا الأحـابِيـلَ فيـه شَتَّى   أقـلُّهـا يَجْلِبُ الـحِـمـامَـا
لَوْ كُنتَ كالبُومِ في الجَفاءِ   مـا صـادَكَ المَنْظَرُ الـوَسِيمُ
أصْبَحْتَ تَبكي مِن الشَّـقـاءِ   لِيَضْـحَـكَ الآسِـرُ المُـضِيـمُ

* * *

والمَـرْءُ وَحْشٌ فـإنْ تَـرَقَّى   أصْبَـحَ شَـرّاً مِنَ الـوُحُـوشِ
فَخَفْـهُ حُـرّاً وخَـفْـهُ رِقّـا   وخَفْـهُ مَلْكاً عَـلى العُروشِ

(١) فقيد الورد، أي الورد المفقود .

(٢) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/٦٥٣ .

فـالشَّـرُّ في النَّـاسِ خَلْقـا وأيُّ طَيْـرٍ بـغَيْـرِ رِيشٍ ؟
مـا قـامَ فِيهِمْ أخُـو وَفـاءِ يَـحْـفظُ عَـهْـداً ولا رَحِيـمُ
فـكُـلُّ مُسْتَضْـعَفٍ مـرائِـي وكـلُّ ذِي قُـوَّةٍ غَشُـومُ

* * *

إنْ كَانَ لِلوَحْشِ مِن نُيُوبِ فـالنَّـاسُ أنيـابُهُم حَـدِيـدُ
مـا كـانَ واللهِ لِـلحـرُوبِ لَـوْلا بَـنُـوا آدمٍ وُجُـودُ
لـو امَّحَى عـالَمُ الخُطُوبِ لـقـامَ مِنْـهـم لـهـا مُـعِيـدُ
قـد نَسَبُـوا الـظُّلْمَ لِلسَّمـاءِ وكـلُّهـمْ جـائِـر ظَـلُومُ
لم يَخْـلُ مِنْهُ أخُو الثَّـراءِ ولا الفَتَى البـائِسُ العَـدِيمُ

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري)[1] ـ :

تائِهاً في المَسـاءِ يَطْلبُ مَلْجـا والغُيُـومُ السَّوْداءُ تَهْـطُل ثَلْجـا
هَجَـرَ الحَقْلَ والـرُّبَى والمَـرْجـا إنَّما المَرءُ في الشَّدائِـدِ يُرجَى
حِين يُمْسِي رَوْضُ الطَّبيعَةِ قَفْرا

بُلبُـلُ الـرَّوْضِ والجَنـاحُ مُبَلَّلْ خـافِتُ الصَّوْتِ سـاكتٌ فَتَأَمَّـلْ
نَـبَـذَتْـهُ رِيـاضُـهُ فَـتَـعَـلَّلْ بحِمـانـا عَـن الـرِّياضِ وأمَّـلْ
أنْ يَكونَ الإنْسانُ أهْـوَنَ شَـرَّا

وَلَـجَ البَيْـتَ خـائفـاً مُـتَـرَدِّدْ يَنْشُدُ القُوتَ بَعْد أنْ كانَ يُنْشِدْ
جـاءَ مُستَنْجِـداً فكنتُ المُنْجِـدْ ومَسَكتُ العُـصْفُـورَ لا لِأقَـيِّـدْ
بَلْ حَناناً عَليهِ واللهُ أدْرَى

بُلْبُلَ الرَّوْضِ هـاكَ دِفْئاً وقُـوتا بُلْبُلَ الرَّوْضِ لا تَخَفْ أنْ تَمُوتا

---

(١) ديوانه/٦٦ .

بُلبُلَ الرَّوْضِ ما خُلِقْتَ صَمُوتا   بُلْبُلَ الرَّوْضِ قد أطَلْتَ السُّكُوتا
عُدْ فَغَرِّدْ لا تَخْشَ يا طَيرُ ضُرًّا

أَمِنَ البُلْبُلُ الفَصِيحُ فَغَنّى   بَعْدَ أنْ كانَ ساكِتاً واطْمَأنّا
ولكَمْ ساكِتٍ فَصِيحٍ تَمَنّى   لَوْ يُتيحُ الزَّمانُ كَيْ يَتَغَنّى
ويُناغِي الأطْيارَ نَثْراً وشِعْرا

هَبَّتِ الرِّيحُ في الظَّلامِ فَوَلَّى   عَسْكَرُ الغَيْمِ والصَّباحُ تَجَلّى
فَلَثَمْتُ العُصْفُورَ بَعْضاً وكُلّا   ثم كَلَّمْتُه كَلاماً جَلا
عَنْ مَثِيلٍ غَنّى لَهُ الطَّيرُ شُكْرا

يا كَرِيماً عامَلْتُه بالكَرامَهْ   صُنْ عُهُودَ الرَّشِيدِ وارْعَ ذِمامَهْ
هَذا الطَّبْعُ رَافَقَتْكَ السَّلامَهْ   حَبَّذا لَوْ رَغِبْتَ مَعْنا الإقامَهْ
إنَّما الحرُّ لا يُقَيِّدُ حُرّا

وقال الشيخ علي الشرقي في رباعياته (مع البلبل السجين)[1] :

أيُّها البُلبلُ المُعَلَّق في السِّجْنِ   سَلامٌ هاكَ الحَدِيثَ وهاتِ
في طَوايا نُفُوسِنا مُبْهماتٌ   لَمْ تَعَبِّر عَنها سِوَى النَّغَماتِ
مِنْ وَرَاءِ المِرْآةِ صَوْتٌ يُناغي   بَبَّغاءً تُوحي عَنِ المِرْآةِ
لا تَسَلْني كَشْفاً عَنِ اللَّحْنِ في القَوْلِ   فإنِّي حَجَبْتُهُ عَنْ ذاتي

* * *

أيُّها البُلْبُلُ المعَلَّقُ في السِّجْنِ   سَلامٌ وهكَذا لِيَ رُوحُ
إنْ تَكُنْ ذِكْرَياتُكَ الوَرْدَ والأطْـ   ـيارَ تَشْدُو فَذِكْرَياتي جُرُوحُ
كُلَّ يَومٍ يَلُوحُ فَجْرٌ لِعَيْنَيْـ   ـكَ فَهَلّا يَوماً لِعَيْني يَلُوحُ

---

(١) ديوانه (عواطف وعواصف/٨ - ٤١).

أصَـريـحٌ وكـلُّ دُنْيـاكَ رَمْـزٌ ومَتى صادَفَ النَّجاحَ الصَّريحُ ؟

* * *

أيُّهـا البُلْبُلُ المعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ كَمْ يُوسُفٍ في السُّجُونِ[1]
بُلْبُلي هَلْ رَغبْتَ في الرِّبْطَةِ السَّوْ داءِ أَمْ تِلْكَ شارَةُ المَحْزُونِ ؟
إنَّني قَدْ غَدَوْتُ أَنْعَمُ في الشَّـ ـكِّ لأنِّي مُنَغَّصٌ بـاليَقِيـنِ
لَـمْ أجِدْ في العِراقِ لَيْلَى ولكِنْ كـلَّ آنٍ أمـرُّ فـي مَجْنُـونِ

* * *

أيُّهـا البُلْبُلُ المُعَلَّقُ في السِّجـ ـنِ سَـلامٌ مُحَبَّبُ التَّرْجِيـعِ
الحَبِيسـانِ أنْتَ والقَلْبُ يـا بُلْـ ـبُـلُ بَغَّضْتُمـا إلـيَّ ضُلُوعِـي
لا تُقَطِّعْ بِصَوْتِكَ العَذْبِ لَحْناً كَبِـدي تَشْتَكي مِن التَّقْطِيـعِ
أنا أشْكُو وأنتَ تَشْكُو وكلُّ الـ ـنـاسِ تَشْكُو والبَعْضُ شَكْوَى الجَمِيعِ

* * *

أيُّهـا البُلْبلُ المُعلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَـلامٌ لَعلَّ حـالَكَ حـالي
فَجَنـاحـاكَ مِثْـلُ قَلْبِيَ يـا بُلْـ ـبُـلُ قَد رِفْرَفـا لِضِيقِ المَجَالِ
لَعِبَ التَّـافِهُ الـرَّخِيصُ منَ النَّا سِ مَعَ الدَّهْرِ بالنَّفِيسِ الغالي
وإذا الوَرْدُ في الحَوانِيتِ والطَّيْـ ـرُ وَرَاءَ الأبْـوابِ والأَقْـفـالِ

* * *

أيُّهـا البُلْبُلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ هذا جَزاءُ المَوَاهِبْ
زِينَـةٌ في قُصُـورِهِمْ حَجَـزُونـا أنتَ في جانِبٍ وإنِّي بِجـانِبْ
إسْـألي الوَرْدَ يـا بَـلابِـلُ والعُـ ـشَّ هَلِ النَّاسُ غيرُ جانٍ وغاصِبْ

---

(١) يشير إلى نبيّ الله يوسف بن يعقوب (ع) .

لا يُنيلُ الخَلاَصَ مِن بَطَرِ الإنْـ ـسانِ إلَّا بُعْدٌ كَبُعْـدِ الكَوَاكِبْ

* * *

أيُّهـا البُلْبلُ المعلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَـلامٌ ولَيْسَ حاليَ أفْضَـلْ
إعْتِزالاً هذا التَمكُّثُ في السِّجْـ ـنِ وقَـدْ كنْتَ دائمـاً تَتَنَقَّـلْ
ويَكـادُ الأَسَى يُعَـطِّلُ قَلْبي عِنْدَما أُبْصِرُ الجَنـاحَ المُعَـطَّلْ
بُلْبُلي قَـدْ تَفَتَّحَ الـوَرْدُ والأطْـ ـيارُ قَدْ حَوْصَلَتْ وبابُكَ مُقْفَلْ

* * *

أيُّهـا البُلْبُلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ عَلى الزَّمانِ المُواتي
عَبَثـاً تُكثِـرُ التَّلَفُّتَ في السِّجْـ ـنِ سَـواءٌ لِما مَضَى أوْ لآتي
أيُّ نَفْعٍ ـ ونَحنُ في قَبْضَةِ الصَّيَّـ ـادِ ـ تَرْجُو مِنْ سُرْعَةِ الإلْتِفاتِ
نَغَمـاتٌ جـاءَتْ بِسِجْنِكَ هـذا وتُـريـدُ الخَـلاصَ بـالنَّغمـاتِ

* * *

أيُّهـا البُلْبلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ حَيَّاً الصَّدِيقُ صَدِيقَهْ
بَلَّدَتْنـا صِناعَـةُ اللَّحْنِ في القَوْ لِ فَغَـرِّدْ لَنـا بِلَحْنِ السَّلِيقَـهْ
قَدْ رآكَ الكَنارُ في قَفَصِ السِّجْـ ـنِ فَغَنَّى بُسْتـانَـهُ وشَقِـيقَـهْ
جَـرِّنـا قَـوْلُنـا الحَقِيقَـةَ لِلسِّجْـ ـنِ فَهَـلَّا نَخافُ قَـوْلَ الحَقِيقَهْ

* * *

أيُّهـا البُلْبلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَـلامٌ ولَيْسَ حالي أسْعَـدْ
كُنتَ تَعْلُو عَلَى الغُصُونِ فَتَهْوي وتَرَى اللُّطْفَ في الفَضاءِ فَتَصْعَدْ
كُنتَ لا تَرْتَضِي البَقاءَ عَلَى حا لٍ وفي كـلِّ ساعَـةٍ تَتَـرَدَّدْ
فَلِماذا خَلَدْتَ في قَفَصِ السِّجْـ ـنِ وقَد كنتَ في النَّعِيم المُخَلَّدْ

* * *

أيُّها البُلْبُلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ وكلُّ حالٍ تَحُولُ
رُبَّمـا ضَـرَّتِ النَّبـاهَـةُ لكِنْ أيُّ نَفْعٍ يَجِيءُ فِيهِ الخُمُولُ
ذَهَبَتْ قَبْلَنا البَلابِـلُ أسْرا بـاً وَوَلَّى بعدَ الخَميلُ خَمِيلُ
وسَتَأتي بَلابِلٌ ورِياضٌ وتُوافي مَعَ الفُصُولِ فُصُولُ

* * *

أيُّها البُلْبُلُ المُعَلَّقُ في السِّجْـ ـنِ سَلامٌ لَقَدْ ذَهَبْنا ضِياعا
لستُ أدْري فَهَلْ نَعاتِبُ قَوْماً بَطِرُوا أمْ نُعاتِبُ الأوْضاعا
لَعَنَ اللهُ كلَّ قاسٍ أثيم إشْتَرى البُلبُلَ الأسِيرَ وباعا
إنَّني بُلْبُلٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ قالَ لِلْبُلْبُلِ الأسِيرِ وَدَاعا

وقال أيضاً ، وهي من رباعياته (مع البلبل الطليق)[1] :

مَعي يا بُلْبُلَ الرَّوْضِ تَصَدَّرْ مَجْلِسَ الوَرْدِ
بِما عِنْدَكَ طَارِحْني أطارِحْكَ بِما عِنْدِي
خَضَضْنا رَغْوَةَ العُمْرِ لِكَيْ تُفْصِحَ عَنْ زُبْدِ
فَلَمْ نَلْقَ سِوَى الخَضِّ (م) من المَهْدِ إلى اللَّحْدِ

* * *

مَعِي يا بُلْبُلَ الرَّوْضِ تَسَنَّمْ تَلْعَةَ الوادِي..
نُحَيِّي صُبْحَ سامَرَّا ونُطْرِي لَيْلَ بَغْدادِ
وخَلِّ الأبْلَهَ الرَّائحَ يُغْري الأحْمقَ الغادِي
فماذا يَلْقُطُ الطَّائِرُ من دُكَّانِ حَدَّادِ

* * *

---

(١) ديوانه (عواطف وعواصف)/٤٣ ـ ٥١ .

مَعي يـا بُلْبُـلَ الـرَّوْضِ مِـن العُـنْـقُـودِ لِـلعِـذْقِ
تَـذَوَّقْ طَـعْـمَـهـا إنِّـي أرَى الـدُّنْـيـا بِـلا ذَوْقِ
أعِـرْنـي مَـنْـطِقَ الـطَّـيْـرِ فقَـدْ حُلِّئْتُ عَن نُـطْقي[1]
حَـوالـيَّ مَـخـالِـيـقٌ ولـكِـنْ تَـدَّعي خَـلْقِـي

* * *

مَعي يـا بُلْبُـلَ الرَّوْضِ إلـى الـنَّـرْجسِ والآسِ
لِـضَـمِّ الـوَرْدِ لِـلْوَرْدِ وقَـرْعِ الكَأسِ بـالكـأسِ
وبـالـفـحْـمِ نَـبِـيعُ الـنَّـاسَ أكـداسـاً بـأكْـداسِ
وجَـدْنـا المـاسَ في الفَحْمِ فمـا يُـوجَـدُ في النَّـاسِ

* * *

مَعي يـا بُلْبُـلَ الـرَّوْضِ إلى العُـزْلَـةِ فـي الغـابَـهْ
سَئِمْنـا الـنَّصَبَ المُضْنِـي وكـلُّ الـنـاسِ نَـصَّـابَـهْ
أيـا قِـيـثـارَةَ الـوادِي نَـسِينـا صَـوْتَ حَبَّـابَـهْ[2]
وهـذا قَـلْـبِـيَ الـمُـغْـلَـقُ مَـن يَـفْـتَـحُ أبْـوابَـهْ

* * *

مَعِـي يـا بُلْبُـلَ الـرَّوْضَـ ـةِ مِـن نـادٍ إلـى نـادِ
مِـنَ الـغـابَـةِ لـلحَـقْـلِ إلى السَّـفْـحِ إلى الـوادي
سَـتَلْقَـى عـالَـمَ الأحْـيـا ءِ . صَـيَّـاداً لـصَـيَّـادِ

---

(١) حَلأه، وحلأه: منعه، وطرده .

(٢) حبَّابة: جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان، من أشهر المغنيات في عصرها. تراجع ترجمتها ومصادرها في أعلام النساء ١/٢٣٢ .

وتَلْقَى الـوَتَـر الـحَسَّـاسَ (م) مُـحْـتـاجـاً لِـعَـوَّادِ

* * *

مَـعـي يـا بُـلْبُـلَ الـرَّوْضَـ ـةِ مِـنْ بَـغْـدَادَ لِـلرِّيـفِ
مَـعِي حتَّى تَـرَى العُـرْيَ لأهْـلِ الـقُـطْـنِ والـصُّـوفِ
مَـعي حَتَّى تَرَى الحَسْنا ءَ بَـيـنَ الـشَّـوْكِ والـلِّـيفِ
مَعِي حَتَّى تَـرَى الإنْـصـافَ مُـحْـتـاجـاً لِـتَـعْـرِيـفِ

* * *

مَـعـي يـا بُـلْبُـلَ الـرَّوْضَـ ـةِ مِـن دَيْـرٍ إلـى دَيْـرِ
عَـسَـى أنْ نَـنْـقُـلَ الـبَـذْرَ إلـى مَـزْرَعَـةِ الخَيْرِ
فَـقـالَ الـبُـلْبُـلُ الـشَّـاعِـرُ رافِـقْ يـا أخِـي غَـيْـري
فَهَـلْ يُـوجَـدُ في الـفَـخِّ سِـوَى الـصَّـيادِ لِـلطَّـيْـرِ

* * *

معِي يـا بُلْبُـلَ الـرَّوْضَـ ـةِ مِن لَحْنٍ إلى لَحْنِ
مَـعـي نَـنْـزِلُ لِـلأَرْضِ ونُـعْـلي قِـيـمَـةَ الـفَـنِّ
تَـرَكْـنـا هـذِهِ الـدُّنْـيـا لِـمَـنْ يَـهْـدِمُ أوْ يَـبْـنـي
قَـدِيـمـاً رَقَصَ الـنَّـاسُ ألا يـا بُـلْبُـلي غَـنِّ

* * *

مَعـي يـا بُلْبُـلَ الـرَّوْضَـ ـةِ مِن حَفْـلٍ إلى حَفْـلِ
ولا تَبْحَـثْ عَنِ الـجِنْسِ أو الـنَّـوْعِ أو الـفَـصْـلِ
فـمِـنْ سُـنْـبُـلَةِ الـحَـقْـلِ نَثَـرْنـا الـبَـذْرَ في الحَقْـلِ
أنَـا مِـن أُسْـرَةِ الـرَّوْضِ ومِـنْ ألْـواحِـهِ أصْـلي

* * *

مَعي يا بُلْبُلَ الرَّوْضَـ ـةِ مِنْ عالٍ إلى عالِ
فَلا نَعْرِضَ لِلشَّوْكِ ولا نَمْشِي بأَوْحالِ
ودَعْ عَنَّا المَوازِينَ بِقِنْطارٍ ومِثْقالِ
فإنَّ اللُّطْفَ فَيْضٌ لا بِمِيزانٍ ومِكْيالِ

وقال معروف الرصافي المزدوجة الآتية بعنوان (أُغرودة العندليب) نظمها في القدس لتكون نشيداً لطلاب المدارس[1] :

سَمِعْتُ شِعْراً لِلعَنْدَليبِ تَلاهُ فوقَ الغُصْنِ الرَّطيبِ
إذْ قالَ نَفْسي نَفْسٌ رَفيعَهْ لم تَهْوَ إلَّا حُسْنَ الطَّبيعَهْ
عَشِقْتُ مِنها حُسْنَ الرَّبيعِ أحْسِنْ بِذاكَ الحُسْنِ البَديعِ

* * *

فالعَيْشُ عِنْدِي فَوقَ الغُصُونِ لا في قُصُورٍ ولا حُصُونْ
أطِيرُ فِيها لِفَرْطِ وَجْدي مِنْ غُصْنِ وَرْدٍ لغُصنِ وَرْدِ
وفي فُروعِ الأشْجارِ بَيْتي فالظِّلُّ فَوْقي والزَّهْرُ تَحْتي

* * *

فَسَلْ نَسِيمَ الأسْحارِ عَنِّي كَمْ هَزَّ عِطْفَ الأغْصانِ لَحْني
وسَلْ بِشَدْوي زَهْرَ الرِّياضِ إنِّي بحُكْمِ الأزْهارِ راضِ
فَكَمْ زُهورٍ لِما أفُوهُ أصْغَتْ وقالَتْ: لا فُضَّ فُوهُ

* * *

يَا قَوْمُ إنِّي خُلِقْتُ حُرًّا لم أرْضَ إلَّا الفَضَا مَقَرًّا
فإنْ أرَدْتُمْ أنْ تُؤنِسُوني فَفِي المَباني لا تَحْبِسُوني

---

(١) ديوانه ٤/٢١٢ .

وإنْ أرَدْتُمْ أنْ تُنْطِقُوني فأطْلِقُوني فأطْلِقُوني

وقال الشيخ قاسم بن محمد الكستي البيروتي يرثي بلبلاً من نوع الكنار مات لأحد أصحابه(1) :

يا صَاحِبي عُزِّيتَ بالكَنارِ فإنَّه مِن أحْسَنِ الأطْيارِ
قَد صَدَحَتْ بِمَدْحِهِ الأخْبارُ وحُمِدَتْ لِذاتِهِ الآثارُ
ولَم تُقَصِّرْ في أداءِ ما وجَبْ من حَقِّهِ وقُمْتَ بالَّذي طلبْ
مِن أمِّهِ كُنْتَ عَلَيهِ أشْفَقا ومِن أبيهِ يا رَفيقي أرْفَقا
ما ماتَ مِن جُوعٍ ولا مِنْ قِلَّهْ لكِن رَماهُ رِيشُهُ بِعِلَّهْ
لا يُرتَجَى لِدائِه شِفاءُ والمَوْتُ إنْ حَلَّ فما الدَّواءُ
عَليهِ لا تَحْزَنْ وكُنْ صَبُورا والْتَزِم الشُّكْرَ تكُنْ مَأجُورا
لو كان يُفْدَى بالنَّفيس الغالي فَدَيْتَهُ مِن طارِقِ اللَّيالي
لكِنْ إذا ما حادِثُ المَوْتِ نَزَلْ لا يَنْفَعُ الحَزْمُ ولا تُغْني الحِيَلْ
عَوَّضَكَ الرَّحْمنُ عَنهُ طَيْرا يَكونُ بالتَّغْريدِ منهُ خَيْرا
فَما رَأيْنا قَبلَهُ مِنْ طائرِ يُشَنِّفُ الأسْماعَ بالجَواهِرِ
يُغْني عَن المُدامِ والنَّديمِ إذا شَدا بِصَوْته الرَّخِيمِ
فَيالَهُ مِن طائرٍ صَدُوحِ يَدْعُو إلى الغَبُوقِ والصَّبُوحِ
ذُو ذَنَبٍ فاقَ ولِله العَجَبْ عَلَى اللُّجَيْنِ وهو بالحُسْنِ ذهَبْ
مُزَيَّنٌ بالتَّاجِ كالطَّاوُوسِ مُلَوَّنُ الرِّداءِ كالعَرُوسِ
لِله حُسْنُ ذلِكَ المِنْقارِ مِن ذَهَبٍ قَد صِيغَ لا مِن قارِ
قَد كَانَ في الدُّنْيا مِن الزُّهَّادِ مُلازِمَ الخَلْوةِ بانْفِرادِ
وعاشَ مَحْبُوساً ولم يَشْك الضجَرْ حَتَّى أبادَهُ القَضاءُ والقَدَرْ
فإنَّني أهْدِي إليهِ الفاتِحَهْ وإنْ يَكُنْ من الطُّيُورِ الصَّادِحَهْ

(1) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢/٨١ .



البومة، والبوم[1]

البومة، والبوم: طائر من كواسر الليل، جمعه أبوام للذكر والأنثى، والهاء في بومة للواحد لا للتأنيث، وقيل: بومة للمفرد، وجمعه بوم، فإذا قلت (فيَّاد) أو (صدى) فيختص عندئذ بالذكر، ومن أنواعه :

- البُوهَة، والبُوه، يقال أيضاً: البوءة والبوء .
- الثَّبَج ، والجمع ثبجان، يصيح طول اللَّيلِ ، وكأنَّه يئنُّ .
- الخَبَل (بالتحريك) يصيح طول الليل، وكأنَّه يقول: ماتت خبل، ماتت خبل .
- الضُوَع، والضِوَع (كصُرَد، وعِنَب) جمعه أضْواع، وضِيعان .
- النُهام، وجمعه نُهُم .

- الهامة، وهي العظيمة الرأس، والجمع الهامات، والهام . وكان بعض أهل الجاهلية يقولون: إنَّها هام الناس، إذا مات الإنسان خرجت من رأسه هامة تصيح عند قبره، وإذ قُتل تظلُّ تصيح مطالبة بثأره .

---

(١) المخصص ٢/٨/٦١ ، وحياة الحيوان ١/١٦٠ ، ومعاجم اللغة.

ممّـا ورد في الأمثال :

(عداوة البوم للغراب)[1] يضرب مثلاً للعداوة الشديدة المستحكمة وإخاله مأخوذاً من قصّة البوم والغربان في كليلة ودمنة، وسنوردها بعد قليل .

(من كان دليله البوم كان مأواه الخراب)[2] .

ممّا ورد في القصص :

١ ـ المصاهرة بين بومة من الموصل، وبومة من البصرة[3] .

أرق المأمون ذات ليلة فاستدعى سميراً يحدِّثه، فقال: يا أمير المؤمنين، كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة ابنتها لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أنكحكِ ابنتي إلَّا أن تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب، فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها الآن، ولكن إن دام والينا ـ سلّمه الله ـ علينا سنة واحدة فعلت ذلك لكِ .

فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم، وتفقّد أمور الولاة .

٢ ـ قصة البوم والغربان[4]:

زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدَّوح فيها وكر ألْفِ غراب وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهنَّ والٍ منهنَّ. فخرج ملك البوم لعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان، وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم. فأغار ملك البوم في

---

(١) الحيوان للجاحظ ٩٧/٧ .

(٢) محاضرات الأدباء/٧٠٩ .

(٣) سراج الملوك للطرطوشي/٢٢٩ .

(٤) كليلة ودمنة/٢٦٤ ـ ٢٨٠ وقد حذفت منها الأقاصيص الفرعية.

أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً، وكانت الغارة ليلاً .

فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم، وما منّا إلاّ من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو ملهوب الذَّنَب[1] . وأشدُّ ما أصابنا ضَرَّاً جرأتهنَّ علينا وعلمهنَّ بمكاننا وهنَّ عائدات إلينا غير منقطعات عنّا لعلمهنَّ بمكاننا. فإنّما نحن لك أيُّها الملك فانظر لنا ولنفسك، وكان في الغربان خمسة مُعترف لهنَّ بحسن الرأي، يُسنَد إليهنَّ في الأمور، وتُلقى إليهنَّ مقاليد الأحوال. وكان الملك كثيراً ما يشاورهنَّ في الأمور ويأخذ آراءَهنَّ في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأوَّل من الخمسة: ما رأيك في هذا الأمر؟ قال: رأي قد سبقتنا إليه العُلماء وذلك أنّهم قالوا: ليس للعدوِّ الحَنِق الذي لا طاقة لك به إلاَّ الهرب منه .

قال الملك للثاني: ما رأيُك أنت في هذا الأمر؟ قال: ما رأى هذا من الهرب. قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدوِّنا من أوَّل نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك فنكون به لهم عوناً علينا، ولكن نجمع أمرنا ونستعدُّ لعدوِّنا، ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدوِّنا، ونحترس من الغِرَّة إذا أقبل إلينا فنلقاهُ مُستعدِّين ونقاتله قتالاً غيرَ مراجعين فيه ولا حامين منه[2] وتَلْقى أطرافنا أطراف العدوِّ، ونتحرَّز بحصوننا ونداقع عدوَّنا بالأناة مرَّة، وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبُغيتنا وقد ثنينا عدوَّنا عنّا .

ثم قال الملك للثالث: ما رأيك أنت؟ قال: لا أرى ما قالا رأياً ولكن نبثُّ

---

(١) ملهوب الذنب: مشتعل حرارة من كثرة الضرب والنتف، وفي رواية (أو مقطوف الذنب) .

(٢) حمي من الشيء : كره أن يفعله .

العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع بيننا وبين عدوِّنا فنعلم هل يريد صلحنا، أم يريد الفِدْية ؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في مالٍ لم نكره الصلح على خراج نؤدِّيه إليه في كلِّ سنة ندفع به عن أنفسنا، ونطمئنُّ في أوطاننا، فإنَّ من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوِّهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال جُنَّةَ البلاد والملك والرعيَّة .

قال الملك للرابع : فما رأيك في هذا الصلح ؟ قال : لا أراه رأياً بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدَّة المعيشة خير من أنْ نضيع أحسابنا ونخضع للعدوِّ الذي نحن أشرف منه، مع أنَّ البوم لو عرضنا ذلك عليهنَّ لما رضين منَّا إلَّا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب عدوَّك بعض المقاربة لتنالِ حاجتك، ولا تقاربه كلَّ المقاربة فيجترىءَ عليك ويضعف جُندك وتَذِلَّ نفسُك. ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أمَلْتَها قليلاً زاد ظلُّها. وإذا جاوزت بها الحدَّ في إمالتها نقص الظلُّ. وليس عدوُّنا راضياً منَّا بالدون في المقاربة، فالرأي لنا ولك المحاربة .

قال الملك للخامس: ما تقول أنت وماذا ترى ؟ القتال، أم الصلح، أم الجلاء عن الوطن ؟ قال: أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه، وقد يقال: إنَّه من لا يعرف نفسه وعدوَّه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها، مع أنَّ العاقل لا يستصغر عدوّاً، فإنَّ من استصغر عدوَّه آغترَّ به، ومن آغْترَّ بعدوِّه لم يسلم منه، وأنا للبوم شديد الهيبة وإنْ أضْرَبْنَ عن قتالنا، وقد كنت أهابها قبل ذلك، فإنَّ الحازم لا يأمن عدوَّه على كلِّ حال فإنْ كان بعيداً لم يأمن سطوته، وإن كان مُكْثِباً[1] لم يأمن وثبته، وإنْ كان وحيداً لم يأمن مكره، وأحْزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النَّفقة فيه، فإنَّ ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل. والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان، وربَّما

---

(١) المكثب: المقارب، وهو من الكثب : القرب .

اكتفي عنه بالنفقة اليسرة والكلام اللَّيِّن. فلا يكوننَّ القتال للبوم من رأيك أيُّها الملك، فإنَّ من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرَّر بنفسه. فإذا كان الملك مُحْصِناً للأسرار متخيِّراً للوزراء، مهيباً في أعْين الناس، بعيداً من أن يُقدر عليه كان خليقاً أن لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير. وأنت أيُّها الملك كذلك، والملك يزداد برأي وزرائِه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوِرِهِ من الأنهار، وقد استشرتني في أمرٍ جوابك مني عنه في بعضه عَلَنِيٌّ وقد أجبتك به، وفي بعضه سِرِّيٌّ وللأسرار منازل، منها ما يدخل فيها الرهط، ومنها ما يستعان فيه بالقوم، ومنها ما يدخل فيه الرَّجُلانِ، ولست أرى لهذا السرِّ ـ على قدر منزلته ـ أن يشارك فيه إلَّا أربعة آذانٍ ولسانان.

فنهض الملك من ساعته وخلابه فاستشاره، فكان أوَّل ما سأله عنه الملك أنَّه قال: هل تعلم ابتداء العداوة ما بيننا وبين البوم؟ قال: نعم. قال الملك: كيف كان ذلك؟

قال الغراب: زعموا أنَّ جماعة من الكراكي[1] لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على أن تملِّك عليها ملك البوم. فبينما هي في مجمعها إذْ وقع لها غراب، فقالت: لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا. فلم يَلْبَثْنَ دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه، فقال: لو أنَّ الطير بادت من الأقاليم، وفُقد الطاووس والبطُّ والنعام والحَمام من العالم لما اضْطُرِرْتُنَّ إلى أن تملِّكْنَ عليكنَّ البوم التي هي أقبح الطير منظراً، وأسوأها خُلقاً، وأقلُّها عقلاً، وأشدها غضباً وأبعدُها من كلِّ رحمة، مع عماها في النهار، ونتن رائحتها حتَّى لا يطيق طائر أنْ يتقرَّب منها، وأشدُّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها، وسوء أخلاقها، إلَّا أن ترين أن تُملِّكْنَها وتكُنَّ أنتُنَّ تدبِّرن الأمور دونها برأيكنَّ وعقولكنَّ، فإنَّ وزراء الملك إذا كانوا صالحين، وكان يطيعهم في آرائهم لم يضُرَّ في ملكه كونُه جاهلاً واستقام

---

(١) الكراكي: ضرب من الطيور المائية. واحدها كركي.

أمره . . . ومع ما ذكرتُ من أمر البوم فإنَّ فيها الخِبَّ[1] والمكر والخديعة ، وشرُّ الملوك المخادع . . . والبوم تَجْمع - مع ما وصِفتُ - لكنَّ من الشؤم سائر العيوب فلا يكوننَّ تمليك البوم من رأيكنَّ .

فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك اليوم ، وكان هناك بوم حاضر قد سمع ، فقال للغراب : لقد وترتني أعظم التِّرة ، ولا أعلم أنَّه سلف مني إليك سوءٌ أوجب هذا .

وبعدُ فاعلم أن الفأس يُقطع بها الشجر فيعود ينبت ، والسيفْ يقطع اللَّحم ثم يرجع فيندمل . واللِّسان لا يندمل جرحه ، ولا تؤسَى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم يُنزع فيخرج . وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تَنْزعْ ولم تُسْتَخرج . ولِكُلِّ حريق مُطْفِيء ، فللنار الماء ، وللسُّمِّ الدواء ، وللعشق الفرقة ، ونار الحقد لا تخبو أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء .

فلما قضى البوم مقالته ولَّى مُغضباً فأخبر ملك البوم بما جرى وبكلِّ ما كان من قول الغراب . ثمَّ إنَّ الغرَاب ندم على ما فرط منه وقال : والله لقد خَرِقْتُ[2] في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي ، وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ، ولم أُعلمها بهذا الأمر . ولعلَّ أكثرَ الطير قد رأى أكثر مما رأيتُ ، وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلَّمت إتِّقاء ما لم أتَّقِ ، والنظر فيما لم أنظر فيه من حِذارِ العواقب ، ولا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله للمكروه ممَّا يورث الحقد والضغينة . فلا ينبغي أن تُسمَّى أشباه هذا الكلام كلاماً ولكن سهاماً . وإنَّ الكلام الرديء هو الذي يرمي صاحبه في الحقد والعداوة ، والعاقل إنْ كان واثقاً بقوَّته وفضله لا

---

(١) الخبّ (بالكسر) : الخداع والخبث والسعي بالفساد .

(٢) الخُرق : الجهل والحمق .

ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتِّكالاً على ما عنده من الرأي والقوَّة، كما أنَّه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السمَّ اتِّكالاً على ما عنده. وصاحب العمل وإن قصَّر به القول في مستقبل الأمر كان فضله بيِّنا واضحاً في العاقبة والاختيار، وصاحب حسن القول وإن أعجب الناس منه حسنِ صفته للأمور لم تحمد مغبَّة أمره، وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة، أو ليس من سفهي اجترائي على التكلُّم في أمرٍ لم أستشر فيه أحداً ولم أعْمِلْ فِيه رأياً ؟ ومن لم يستشر النُّصحاء والأولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والرويَّة لم يغتبط بمواقع رأيه . فما كان أغناني عما كسبتُ يومي .هذا وما وقعت فيه من الهمِّ. وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب.

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم، وأمَّا القتال فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له، ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إنْ شاء الله تعالى. فإنَّه ربَّ قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا . . . وأرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة، وإنِّي أريد من الملك أنْ ينقرني على رؤوس الأشهاد، وينتف ريشي وذَنَبي ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملكُ وجنوده إلى مكان كذا، فإنِّي أرجو أني أصبر وأطَّلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى. قال الملك: أتطيب نفسك لذلك ؟ قال: نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده ؟ ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثمَّ إرْتحل عنه .

فلمَّا جنَّ اللَّيل أقبل ملك البوم وجنده ليوقع بالغربان فلم يجدهنَّ، وهمَّ بالإنصراف. فجعل الغراب يئنُّ ويهمس حتى سمعته البوم ورأينه يئنُّ فأخبرن ملكهنَّ بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان، فلمَّا دنا منه أمر بوماً أن يسأله فقال له : من أنت وأين الغربان ؟ فقال: أمّا آسْمي ففلان، وأما ما سألتني عنه فإنِّي أحسبك ترى أنَّ حالي حال من لا يعلم الأسرار .

فقيل لملك البوم: هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأيِّ ذنب صنع به ما صنع، فسُئِل الغراب عن أمره فقال: إنَّ ملكنا استشار جماعتنا فِيكُنَّ وكنت يومئذٍ بمحضر من الأمر فقال: أيُّها الغربان ما ترون في ذلك؟ فقلت: أيُّها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنهنَّ أشدُّ بطشاً وأحدُّ قلباً منَّا. ولكن أرى أن نلتمسَ الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك، فإنّ قبلت البوم ذلك منا فبها، وإلَّا هربنا في البلاد، وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهنَّ وشرّاً لنا. فالصلح أفضل من الخصومة. وأمرتهن بالرجوع عن الحرب، وضربت لهنَّ الأمثال في ذلك وقلت لهن: إنَّ العدوَّ الشديد لا يرد بأسه مثلُ الخضوع له، ألا ترين الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه ومَيْله معها حيث مالت، والشجر العاتي يكسر بها ويُحْطَم، فعصينني في ذلك وزعمن أنَّهنَّ يردن القتال واتَّهمنني فيما قلتُ وقلن: إنَّك قد مالأتَ البوم علينا، ورددن قولي ونصيحتي وعذَّبْنَني بهذا العذاب، وتركني الملك وجنوده وارتحل، ولا علم لي بهنَّ بعد ذلك.

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه: ما تقول في الغراب، وما ترى فيه؟ قال: ما أرى إلَّا المعاجلة له بالقتل فإنَّ هذا أفضلُ عُدَدِ الغربان، وفي قتله لنا راحة من مكره وفقدُهُ على الغربان شديد. فإذا قتل ثُلَّ مُلكهم وتقوَّض، وما أراه إلَّا فتحاً قد أرسله الله إليك. ويقال: من طلب الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله فاتَهُ الأمر، وهو خليق ألَّا تعود الفرصة ثانية، ومن وجد عدوَّه ضعيفاً ولم يُنْجز قتله ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه.

قال الملك لوزير آخر: ما ترى أنت في هذا الغراب؟ قال: أرى أنْ لا تقتله، لأنَّه قد لقي من أصحابه ما تراه، فهو خليق أن يكون دليلاً على عوراتهم، ومعيناً لك على ما فيه هلاكهم، وان العدوَّ الذليل الذي لا ناصر له أهلٌ لأن يؤمَّن سيَّما المستجر الخائف، والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمِّد لها أهل لأن يُصفح عنه بسببها...

قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه: ما تقول في أمر الغراب؟ قال: أرى أن تستبقيه وتحسن إليه فإنَّه خليق أنْ ينصحك، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظَفَراً حسناً، ويرى اشتغال بعض أعدائه ببعضٍ خلاصاً لنفسه منهم ونجاة. . .

فقال الوزير الأوَّل الذي أشار بقتل الغـراب: أظنُّ أنَّ الغراب قد خدعكنَّ ووقع كلامُه في نفس الغبيِّ منكنَّ موقعه فتردْن أنْ تضعن الرأي غير موضعه. فمهلاً مهلاً أيُّها الملك عن هذا الرأي، ولا تكوننَّ لما تسمع أشدَّ تصديقاً منك لما ترى . . . فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل البوم ويكرم ويستوصي به خيراً. ثم إنَّ الغراب قال للملك يوماً وعنده جماعة من البوم وفيهنَّ الوزير الذي أشار بقتله: أيُّها الملك قد علمت ما جرى عليَّ من الغربان، وإنَّه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثأري منهن. وأنّي قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رمتُ لأنّي غراب، وقد رُوِيَ عن العلماء أنَّهم قالوا: من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرَّب لِلَّه أعظم القُربان، ولا يدعو عند ذلك بدعوة الاَّ استجيب له. فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعو ربِّي أن يحوِّلَني بوماً فأكون أشدَّ عداوة للغربان، وأقوى بأساً عليهن، ولعلِّي أنتقم منهنَّ. فقال الوزير الذي أشار بقتله: ما أشبَهكَ في خير ما تُظْهِر وشرَّ ما تُضْمِر بالخمرة الطيِّبة الطعم فيها السمُّ. أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار، أنَّ جوهرك وطبعك متغيِّرٌ؟ أو ليست أخلاقُك تدور معك حيث دُرْت، وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك . . . أيها المخادع.

فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول، ورفق بالغراب ولم يزدد له الاَّ إكراماً، حتّى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطَّلع على ما أراد أنْ يطَّلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع، فقال للملك: إنّي قد فرغت مّما كنت أريد ولم يبق إلاَّ أن تسمع وتطيع. قال له: أنا والجند تحت أمرك فآحْتكم كيف شئت. قال الغراب: ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب، وفي ذلك

الموضع قطيع من الغنم مع رجل راعٍ ، ونحن مصيبون هناك ناراً نلقيها في أثقابْ البوم[1] ونقذف عليها من يابسَ الحطب ونتروّح عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النارفي الحطب، فمن خرج منهنَّ احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه. ففعل الغربان ذلك فأهلكن اليوم قاطبة ورجعن إلى منازلهنَّ سالمات آمنات.

ثم إنَّ ملك الغربان قال لذلك الغراب: كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبته الأشرار؟ قال الغراب: إنَّ ما قلته أيُّها الملك لكذلك، فانَّه يقال: لذع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم، ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفضيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمُّله الجائحة[2] على نفسه وقومه لم يجزع من شدَّة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير، فلم يجد لذلك ألماً ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتَّى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره، وعاقبة صبره.

قال الملك: أخبرني عن عقول البوم. قال الغراب: لم أجد فيهن عاقلاً إلَّا الذي كان يحثهنَّ على قتلي، وكان حرَّضهن على ذلك مراراً فكنَّ أضعف شيء رأياً فلم ينظرن في أمري ويذكرن أنِّي قد كنت ذا منزلة في الغربان، وأني أُعَدُّ من ذوي الرأي ولم يتخوَّفن مكري وحيلتي، ولا قبلن من الناصح الشفيق، ولا أخفَيْنَ دوني أسْرارَهُنَّ.

مّما ورد في الشعر:

قال مجنون ليلى (قيس بن الملوّح)[3]:

فلَوْ تَلْتَقي أرْواحُنا بعدَ مَوتِنا ... ومِن دُونِ رَمْسَيْنا مِن الأرْضِ مَنْكِبُ

---

(١) أثقاب جمع ثَقْب وهو من جموع القلّة كأكلب وأفحل.

(٢) الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة.

(٣) ديوانه /٤٦.

لظَلَّ صَدَى رَمْسِي وإنْ كنتُ رِمَّةً   لِصَوْتِ صَدَى لَيْلى يَهِشُّ ويَطْرَبُ
ولو أنَّ عَيْناً طاوَعَتْنِي لم تَزَلْ   تَرَقْرَقُ دَمْعاً أوْ دَماً حينَ تَسْكُبُ

وقال امرؤ القيس:[1]

يا هِندُ لا تَنْكِحِي بُوهَةً   عَليهِ عَقِيقَتُه إحْسَبا[2]
مُرَسَّعةٌ بَينَ أرساغِهِ   بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغي أرْنَبا[3]؛
لِيَجْعَلَ في كَفِّه كَعْبَها   حِذارَ المنيَّةِ أنْ يَعْطَبا

وقال توبة بن الحمير الخفاجي صاحب ليلى الأخيلية:[4]

ولو أنَّ لَيْلَى الأخْيَلِّيةِ سَلَّمَتْ   عَليَّ ودُوني جَنْدلٌ وصَفائحُ[5]
لَسلَّمتُ تَسْليمَ البَشاشَةِ أوْ زَقا   إليها صَدىً مِن جانبِ القَبْرِ صائحُ[6]

وقال مُغلِّس الفقعسي:[7].

وإنَّ أخاكُم قَد عَلِمتُ مكانَهُ   بسَفْحِ قُبا تَسْفِي عليه الأعاصِرُ[8]
له هامَةٌ تَدْعُو إذا اللَّيل جَنَّها   بَني عامرٍ هلْ لِلهلاليِّ ثائِرُ[9]

---

(١) ديوانه /١٢٨.
(٢) البوهة: البومة. الأحسب الأصهب الذي يضرب لون شعره الى الحمرة.
(٣) المرسَّعة، والمرصَّعة: سير تعقد عليه عوذة تحمي حاملها في زعمهم من البلاء. العسم (محركة): يبس في الرسغ واعوجاج.
(٤) ديوانه /٤٨.
(٥) الصفائح : الحجارة العراض تكون على القبور.
(٦) الصدى: البوم . زقا: صاح.
(٧) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣١٢/٢.
(٨) قُبا (بالضم): قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد الى مكة المكرمة فيها مسجد التقوى.
(٩) الهامة : البومة.

وقال سُويد بن أبي كاهل: [1]

بِئْسَ مــا يَجْمَـعُ أنْ يَغْتــابَني   مَــطْعَـمٌ وَخْـمٌ وداءٌ يُــدَّرَعْ [2]
لَم يَضِـرْني غيرَ أنْ يَحْسُـدَني   فهوَ يزْقُوا مثلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ [3]

وقال الدميري[4]: رأيت في بعض المجاميع بخطٍّ بعض العلماء الأكابر، أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلًا قائماً وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون البعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وأثتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو:

يا قَصْرُ جُمِّعَ فيهِ الشُّومُ واللُّومُ   مَتَى يُعشِّشُ في أرْكانِكَ البُـومُ
يَومٌ يُعشِّشُ فِيكَ البُومُ من فَرحي   أكـونُ أوَّل من يَنْعيكَ مَـرْغُـومُ

فقال الخادم: أجب أمير المؤمنين، فلما مثل بين يدي المأمون أعلمه الخادم، بما كتب، فقال له المأمون: ويلك ما حملك على هذا؟ قال: مررت على هذا القصر العامر وأنا جائع فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوَّت بثمنه. فأمر له المأمون بألف دينار وقال له: هي لك في كلِّ سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله.

وقال ذو الأصبع العدواني من قصيدة طويلة مطلعها[5].

يا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الهَمِّ مَحزُونِ   أمْسَى تَـذكَّـرَ ريَّــا أمَّ هــارُونِ

---

(١) المفضليات /١٦٣.
(٢) يُدَّرع: يُكتسى.
(٣) يزقو: يصيح. الضوَع: من اسماء البوم.
(٤) حياة الحيوان الكبرى ١/١٦٠.
(٥) المفضليات /١٥٩ - ١٦٣.

يقول فيها :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ لَوَ آنَّ النَّاسَ فِي كَبَدٍ ... لَظَلَّ مُحْتَجِزاً بِالنَّبْلِ يَرْمِينِي

يا عَمْرُ إلَّا تدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتي ... أضْرِبْك حيثُ تقولُ الهامَةُ اسْقوني [1]

(١) الهامة : الرأس، والبومة، ومن معتقدات بعض الجاهليين أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني، اسقوني حتى يقتل قاتله.



"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

التِّمْسَاحُ[1]

التِّمْسَحُ والتِّمساح (بكسر التاء): حيوان مائيٌّ مفترس على صورة الضبِّ، وقد يبلغ طوله أكثر من سبعين قدماً. جمعه تماسيح.

والتِّمسح والتِّمساح في اللغة: المارد الخبيث والكذَّاب من الرجال، والتَّمْساح (بفتح التاء): الكذب، وأنشد ابن الأعرابي:

قد غلبَ الناسَ بَنو الطمَّاحِ بالإفْكِ والتَّكْذابِ والتَّمْساحِ

وجاء في الأمثال:

(أظلم من تمساح)[2]

(جازاه مجازاة التمساح)[3]، ويحكى في سببه أنَّ التِّمساح يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه، فيفتح فاه، فيجيء طائر فيسقط عليها فيخلِّلها ويأكل

---

(1) لسان العرب، وتاج العروس مادة (م س ح) ونهاية الأرب ١٠/٣١٤ وحياة الحيوان ١/١٦٣.
(2) حياة الحيوان ١/١٦٤.
(3) جمهرة الأمثال ١/٣٠٦.

اللحم، فيكون طعاماً للطائر ، وراحة للتمساح. وربَّما ضمَّ التمساح فاهُ على الطائر فيقتله.

مما قيل فيه شعراً :

قال أثير الدين أبو حيَّانِ الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي) يصف التمساح :(1)[1]

وخَلْقٍ غَـريبِ الشَّكلِ في مصرَ نـاشِيءٍ
وما هَـو في أرْضٍ سِـوَى مِصْـرَ يُـوجَـدُ
هـو السَّبُـعُ العـادِي بِنيـلِ صَعِيـدِهـا
يُقـافِصُ مَن لِلمـاءِ في النِّيـلِ يَقْصِـدُ[2]
ويَـخْـطَفُـهُ خَـطْفَ العُـقـابِ لِصَيْـدِهـا
ويَـفْـصِـلُهُ عَـضْـواً فـعُـضْـواً ويَـزْرَدُ
ومـا مِن شُخُوصِ النِّيـلِ خَلْقٌ لَـه يَـدٌ
ورِجْـلٌ سِـواهُ وهـو فـي البَـرِّ يَصْـعَـدُ
ورُبَّتَما يَلْقَى لَدَي البَـرِّ كاسِراً ويَجْري كَمِثْلِ الطَّرْفِ أوْ هُو أزْيَدُ

لَـه ذَنَبٌ مُرْخىً طَـويلٌ يُقِيمُـهُ يلُفُّ بِهِ مَن كانَ في النَّاسِ يفقدُ
وأسْنـانُـه أنْثَى عَلى ذكـرٍ أَتَتْ لكَسْرِ العِظامِ الصُّلْبِ منها تفقَّد (كذا)
ويَحْفُر في رَمْلٍ ويَـدفُنُ بَيْضَهُ يُعـاهِدُهـاً غِبّاً إلى حين تُـولَـدُ
ولا تَعْمَلُ الأسْيافُ فيهِ كَأنَّمـا على جِلْدِهِ مِنه صَفِيـحٌ مُسَـرَّدُ
ولكنَّ تحتَ الإبْطِ لَيِّنَ جِـلْدَةٍ فِمنْهـا المَنـايـا دُونَـه تتَصَعَّـدُ
وليسَ لَـه دُبْرٌ فيُخْـرِجُ نَجْـوَهُ ولكن إلـى حُلْقُـومِـهِ يتَـرَدَّدُ

---

(١) ديوان /١٥٠.

(٢) يقافص: يواثب.

فَيَفْتَحُ فَاهُ ثُمَّ يَدْخُلُ طَائِرٌ ... فَيلْفِظُ ما قَد كانَ فيهِ تَدَوُّدُ
فَإِنْ رامَ إِطْباقاً عَلَيهِ فَإِنَّهُ ... يكونُ لِسَقْفِ الحَلْقِ بالريشِ يَفصُدُ
ويَقْتلُه الجامُوسُ فهو إذا دَرَى ... بِهِ فَرَّ منه وهَو في السَّبْحِ يُجْهَدُ
ويَخْدَعُه الإِنْسانُ حتَّى يَصِيدَهُ ... ويَرْبطُهُ كالعَنْزِ بالحَبلِ تُصْفَدُ
رأيْناهُ مَحْمُولاً عَلى جَملٍ وقَدْ ... أتَتْ طَرَفاهُ الأرضَ فيها يُخدِّدُ
ولِلْعَقْلِ في صَيْدِ التَّماسِيحِ صَنْعَةٌ ... يُرتِّبُها الفِكرُ المُصِيبُ فَتُحْمَدُ
وذُو العَقْلِ مَقْدُورٌ عليهِ وقادرٌ ... عَلى كلِّ ذي رُوحٍ رَقيبٌ مُؤيَّدُ
فَلا الطَّيْرُ في جَوٍّ ولا الوَحْشُ في الفَلا ... ولا سابِحٌ إلّا لَهُ مُتَرَدِّدُ
فَيَقْهرُهُ قَتْلاً وذَبْحاً وخِدْمَةً ... وفي آخرٍ ذُو العَقْلِ في الرَّمْسِ يُلْحَدُ

ووصفه غيره فقال:(1)

وذِي هامَةٍ كالتُّرْسِ يَفْغَرُ عَنْ فَمٍ ... يُضَمُّ عَلَى مِثْلِ الحُسامِ المُثَلَّمِ
ويَفْتَرُّ عَنْ مِثلِ المَناشِيرِ رُكِّبَتْ ... عَلى مِشْفَرٍ مِيلِ القَليبِ المُهَدَّمِ
مَشَى في شَواةٍ مِن فَقارَةِ غَيْلَمَ ... وسَقَّفَ لَحْياً مِن مَناكبِ شَيْهَمِ(2)

---

(1) نهاية الأرب للنويري ١٠/٣١٥.

(2) الشواة، واحدة الشوى، وهي اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس، والشواة: جلدة الرأس؛ كأنها هي من الشوى، الغيلم: السلحفاة الذكر. سقّف: طوّل. الشيهم: ذكر القنافذ، أو ما عظم شوكه من ذكورها.



الثَّعْلَبُ(١)

الذكر، ثعلب وثعلُبان، والجمع ثعالب وأثْعُل. ومن أسمائه الصَّيْدَن، وحَبْتَر، والدرَّان، والعَسَلَّق، وتَتْفُل(٢)

والأنثى ثَعْلَبة، و ثعالة، و ثعال، وتسمَّى ثرْمُله.

ويقال لولد الثعلب الهِجْرِس، والكُتَع .

وللثعلب كنى عديدة منها : أبو الحَنْبَص، وأبو النَّجم، وأبو نَوْفَل وأبو الوثَّاب، وأشهرها أبو الحُصَيْن. وتكنَّى الثعلبة بأمِّ عَويل.

يقـال: أرض مُثَعْلَبَة، ومُثْعَلَة ، أي كثيرة الثعالب وثَعْلَبَ الرجلُ وتَثَعْلَب، أي جبن وراغ. والثعلب: طرف الرمح الداخل في جُبَّة السنان، و: الجحر الذي يسيل منه ماء المطر، و: مخرج الماء من الحوض ، و: أصل الراكوب في جذع النخلة ، أو هو الفسيل إذا قطع من أمِّه. والثعلبة: العصعص، والأسْت. وداء الثعلب : علَّة يتناثر منها الشعر.

---

(١) المخصّص ٢/٨/٧٥، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ث ع ل ب) وحياة الحيوان ١/١٧٤.

(٢) تتفل كقنفذ، ودرهم وجعفر، وزبرج، وجُنَدب.

ويقال: ضَبَح الثعلب ضُباحاً، وضَغَا ضُغاءً: إذا صاح، والثعلبِّية، والسِّمسِمَة: ضربات من ضروب العدو للثعلب.

من الأمثال الواردة في الثعلب:

- (أخْتَل من ثُعالة)[1].
- (أرْوغ من ثعلب)[2].
- (بالت بينهم الثعالب)[3] يضرب مثلاً للقوم يقع بينهم الفساد.
- (ذلٌّ من بالت عليه الثعالب)[4] يضرب مثلاً للرجل المهين.
- (ومتى كانَت الثَّعالبُ أُسْداً ومَتى كانت النِّساءُ رِجالاً)[5]

مّما جاء عنه في القصص:

١ - (الثعلب والكركي)[6].

يُحكى أنَّ ثعلباً ابتلع عظماً فبقي في حلقه فطلب من يعالجه ويخرجه فجاء إلى كركيٍّ فجعل له أجْراً على أنْ يخرج العظم من حلقه؛ فادخل رأسه في فم الثعلب، وأخرج العظم بمنقاره ثم قال للثعلب: هات الأجر، فقال الثعلب: أنت أدخلت رأسك في فمي وأخرجته صحيحاً. ألاَ ترضي بذلك حتى تطلب أجراً زيادة؟.

٢ - (كراء وافٍ ومهمَّة خطرة)[7]

قيل لثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة؟ قال: أمَّا الكراء فوافٍ

(١و (٢) جمهرة الأمثال ١٦٧/١ و ٤٣٩.
(٣) جمهرة الامثال ٢٢١/١.
(٤) جمهرة الامثال ٤٦٥/١.
(٥) التمثيل والمحاضرة للثعالبي /٣٥٨.
(٦) البصائر والذخائر ٧٠٤/٢.
(٧ المصدر السابق ٧٠٥/٢.

ولكنَّ الخطر عظيم.

٣ - (اللِّقاء عند الوبَّار)[١].

وقع ثعلبان في شرك صيَّاد، فقال أحدهما: يا أخي أين نلتقي؟ فقال: في دكّان الوبار[٢].

٤ - (جور السلطان)[٣].

نظر ثعلب إلى جمل يعدو فقال: ما وراءك؟ قال: جعلت فداك، سُخِّرت الحمير والبغال، فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ فقال: أخاف جور السلطان.

٥ - (الأسد والثعلب)[٤]

اشتكى الأسد علَّة شديدة فعاده جميع السباع إلاَّ الثعلب، فدخل عليه الذئب فقال: أصلح الله الملك إنَّ السباع كلَّها قد زارتك وعادتك ما خلا الثعلب فإنه مستخفٌّ بك، وبلغ الثعلب ذلك فاغتمَّ لذلك. فلمَّا جاءه قال الأسد: مالي لم أرَك يا أبا الحُصَيْن؟ فقال: أصلح الله الملك، بلغني وجعك فلم أزل أطوف في البلدان أطلب دواءً لك حتَّى وجدته، فقال: أيّ شيء هو؟ قال: مرارة الذئب. فأرسل إليه والثعلب عنده فلما دخل وثب الأسد عليه فهرب الذئب، وناشه الأسد فسلخ جلد آسْته. فتبعه الثعلب وهو يصيح به: يا صاحب السروال الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج منك فإن المجالس بالأمانات.

٦ - (قاض يغضب من صلح الخصمين)[٥]

لقي ثعلبٌ عراقيٌّ ثعلباً شاميّاً فقال له: عرِّفْني ما عندك من حِيلَ ثعالب

(١) المصدر السابق ٢/٧٠٥.
(٢) الوَبَّار: الذي يستخلص الوبر من جلد الحيوان.
(٣) البصائر والذخائر ٢/٧١٩.
(٤) البصائر والذخائر ٢/٧٢٧، وحياة الحيوان ١/١٧٨، والمستطرف ٢/١٠٤.
(٥) البصائر والذخائر ٢/٧٢٧.

الشام، فقال: عندي مائة حيلة. فقال العراقي: والله لأصحبنّه حتى أستفيد منه. فلزمه. فبينما هما كذلك إذْ طلع الأسد عليهما، فقال العراقي للشامي: خذ في الحيله، قال: والله كا عندي حيلة في هذا الوقت، قال: ولمَ خاطرت بنفسك، وغرَّرت بأخيك؟.

فلما دنا الأسد قال لهما من أين أقبلتما؟ قال العراقيُّ: إيَّاك أردنا، وإليك قصدنا. قال: فبماذا؟ قال: إنَّ أخي هذا بالشام، وأنا بالعراق، وإنَّ أبانا مات وورثنا شويهات. فجاء أخي هذا يريد أن يذهب بها، فقلت له: هلُمَّ إلى سيِّد السباع ليحكم بيننا فمهما قال التزمناه. قال: أين الشاء؟ قالا: في هذا البستان ـ وأشارا إلى بستان حصين ـ وقال العراقي: أنا أرسل أخي حتى يخرج الغنم فيقسمها الملك، فقال: نعم ثم قال للشامي: ادْخل وأخرج الغنم وعجِّلْ.

فدخل الشامي وأقبل يأكل من الثمار، فلما أبطأ قال العراقي: قد قلت للملك: إنه ظالم، فأذَنْ لي حتّى أدخل خلفه وأخرجهُ إليك مع الشاة قميئاً ذليلاً. قال ادْخل وعجِّل، فدخل الثعلب البستان وأقبل يأكل من الثمار حتى شبع، ثم أشرف من الحائط على الأسد وقال له: يا أبا الحارث، إعلم إنا قد اصطلحنا فامضِ في دعة الله، فجعلَ الأسد يضرب بذنبه الأرض ويستشيط غضباً، فقال له الثعلب: انَّما أنت قاضٍ، وما رأيت قاضياً يغضب من الصلح غيرك.

٧ ـ (الثعلب والطَّبل)[1]

زعموا أنَّ ثعلباً أتى أَجَمة فيها طبلٌ معلَّق على شجرة، وكلَّما هبَّت الريح على قضبان تلك الشجرة حتَّها فضربت الطبل فسُمِعَ له صوت عظيم باهر، فتوجَّه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته: فلما أتاه وجده ضخماً،

(١) كليلة ودمنة /١٣٢.

فايقن في نفسه بكثرة الشحم واللَّحم، فعالجه حتَّى شقَّه، فلَّما رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري لعلَّ أفْشل[1] الأشياء أجْهرها[2] صوتاً، وأعظمها جثَّة.

٨ - (الحق بنظر القويّ)[3]

زعموا أنَّ أسداً وثعلباً وذئباً آصْطحبوا فخرجوا يتصيَّدون فصادوا حمار وحش، وظبياً، وأرنباً. فقال الأسد للذئب اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب للثعلب، والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح برأسه ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا الحُصَيْن، فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك. فالحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك. من علَّمك هذه الأقضية؟ قال رأس الذئب الطائح عن جثَّته.

٩ - (الثعلب يدعو الديك للصلاة)[4]

وحُكي أنَّ الثعلب مرَّ في السَّحر بشجرة فأرى فوقها ديكاً، فقال له: أما تنزل نصلِّي جماعة؟ فقال: إنَّ الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه. فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولَّى هارباً. فناداه الديك: أما تأتي لنصلِّي؟ فقال: قد انتقض وضوئي فاصْبِر حتَّى أجدِّد الوضوء وأرجع.

مّما قيل في وصف الثعلب نثراً[5]

قال الوزير ابن شُهيد الأندلسي (احمد بن عبد الملك) يصف الثعلب:

---

(١) أفشل الأشياء : أضعفها.

(٢) أجهر الأصوات: أعلاها.

(٣) حياة الحيوان ١/١٧٦، المستطرف ٢/١٠٤.

(٤) المستطرف ٢/١٠٤.

(٥) التوابع والزوابع /١٢٦، ويتيمة الدهر ٢/٤٧.

أدْهَى من عمرو [1]، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر [2]، كثير الوقائع في المسلمين، مُغْرىً بإراقة دماء المؤذِّنين [3]، إذا رأى الفرصة انتهزها، وإذا طلبته الكماة أعجزها، وهو مع ذلك بُقراط في إدامه [4] وجالينوس [5] في اعتدال طعامه. غداؤه حَمام أو دجاج، وعشاؤه تَدْرُج أو دُرّاج [6].

ممّا قيل فيه شعراً

قالت أمُّ سالم لابنها مَعْمَر [7]:

أرَى مَعْمراً لا زَيَّنَ الله مَعْمَراً ... ولا زانَــه مِن زائِــرٍ يَتَـقَــرَّبُ

أعــادَيْتَنــا عــاداك عِــزٌّ وذِلَّــةٌ ... كأنَّكَ في السِّرْبالِ اذْ جِئْتَ ثَعْلَبُ [8]

فلَمْ. تَـرَعَيْني زائِراً مثْـلَ مَعْمَـرٍ ... أحَقَّ بأنْ يُجْنَى عَليه ويُضْـرَبُ

وقال آخر [9]:

خيرُ الصَّدِيق هو الصَّدوقُ مَقالةً ... وكذاكَ شَرُّهُم المَيُونُ الأكذَبُ [10]

فـإذا غدَوْتَ لـهُ تُـريـدُ نَجـازَهُ ... بالوَعْدِ راغَ كما يَـرُوغُ الثَّعْلَبُ

---

(١) يريد عمرو بن العاص.

(٢) حذيفة بن بدر من سادات فزارة قتله ربيبه قرواش بن هُنَيّ في حرب داحس والغبراء (ايام العرب في الجاهلية /٢٦٤).

(٣) يريد بالمؤذِّنين هنا: الديكة لأنها تصيح عند طلوع الفجر.

(٤) بقراط: من أشهر أطباء اليونان في القديم.

(٥) جالينوس: طبيب يوناني قديم اشتهر بالتشريح.

(٦) التدرُج: طائر جميل يغرّد بالبساتين شبيه بالدُّراج إلاّ أنّه أفضل منه لحماً.

(٧) الحيوان للجاحظ ٣٠٨/٦.

(٨) الظاهر أنها تدعو عليه بالموت فلا يكون له عزّ ولا ذلّة.

(٩) الحيوان للجاحظ ٣١٠/٦.

(١٠) الميون، فعول من المين وهو الكذب.

وقال راشد بن عبد الله [1] يخاطب صنماً بال عليه الثعلب:

لقَـد خـابَ يـومٌ أمَّلُوكَ لِشِـدَّةٍ أرادُوا نِزالاً أنْ تكونَ تُحـارِبُ

فَلا أنْتَ تُغْنِي عَن أمُور تَواتَرَتْ ولا أنْتَ دَفَّاعٌ إذا حَلَّ نـائِبُ

أربٌّ يَبُـولُ الثُّعْلُبـانُ بـرأسِـهِ لقَد ذَلَّ مَن بالَتْ عَليه الثَّعالِبُ [2]

وقال عَمرو بن الأهْتَم [3]:

ألَمْ ترَ ما بَيْني وبَينَ ابنِ عامرٍ مِن الوُدِّ قدَ بالَتْ عليه الثَّعالِبُ

وأصْبَـحَ باقي الـوُدِّ بَيْني وبَيْنه كأنْ لم يَكُنْ والدَّهْرُ فيه العَجائِبُ

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة [4]:

تَمنَّيْتَني قيسَ بنَ سَعْدٍ سَفاهَـةً وأنتَ امرؤٌ لا تَحْتَويكَ المَقانِبُ [5]

وأنْتَ امْرؤٌ جَعْدا القَفا مُتَعَكِّسٌ مِن الأقِطِ الحَوْليِّ شَبْعان كانِبُ [6]

إذا انْتَسَبُوا لم يَعْرفُوا غيرَ ثَعْلَبٍ إليْهِم ومِن شَرِّ السِّباع الثَّعَالبُ

---

(١) كان راشد هذا سادنا لأحـد الأصنام، فجاء ذات يوم ثعلب يعدو فلما صار قرب الصنم رفع رجله وبال عليه، فقام راشد إلى الصنم فكسره، وقال الأبيات الآتية، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأسلم، فقال له النبي: ما اسمك؟ قال: غاوي بن ظالم، قال: لا بل أنت راشد بن عبد الله، وفي رواية (ابن عبد ربه). انظر حياة الحيوان ١/١٧٤ و١٧٥.

(٢) الثعلبان (بضم الثاء واللام): الثعلب، ويروى بصيغة التثنية (بفتح الثاء واللام)، والبيت في لسان العرب منسوب إلى غاوي بن ظالم، أو لأبي ذرّ الغفاري، أو العباس بن مرداس السلمي.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٤٦٦ وعزاهما الدميري في حياة الحيوان ١/١٧٩ إلى حميد بن ثور، ولم أجدهما في ديوانه.

(٤) الحيوان للجاحظ ٦/٣٠٤.

(٥) المقانب، جمع مقنب (بالكسر) وهو جماعة الخيل والفرسان.

(٦) الجعد: القصير. المتعكّس: المتثنّي غُضون القَفا. الأقط: لبن مجفف يابس متحجرٌ. الحولي: الذي مضى عليه الحول. الكانب: الغليظ.

وقال مزرِّد بن ضرار[1]:

وإنَّ كناز اللَّحم مِن بَكَراتِكُمْ تهرُّ عَليها أُمُّكُمْ وتُكالِبُ
ولَيْتَ الَّذي أَلْقَى فناؤك رحلَهُ لِتَقْرِيَهُ بالَتْ عَليهِ الثَّعالِبُ

وقال حسان بن ثابت [2]:

أَبُوكَ أَبُوكَ وأنْتَ ابْنُهُ فَبِئْسَ البُنَيُّ وبِئْسَ الأَبُ
وأمُّكَ سَوْداءُ مَوْدُونَةٌ كأنَّ أنامِلَها الحُنْظُبُ [3]
يَبِيتُ أبُوكَ بِها مُعْرِساً كما ساوَرَ الهِرَّةَ الثَّعْلَبُ [4]

وقال زهير بن أبي سُلْمَى [5]:

وبَلْدَةٍ لا تُرامُ خائِفَةٍ زَوْراءَ مُغْبَرَّةٍ جَوانِبُها
تَسْمَعُ لِلْجِنِّ عازِفِينَ بِها تَضْبَحُ مِن رَهْبَةٍ ثَعالِبُها

وقال آخر [6]:

ما أعْجَبَ الدَّهْرَ في تَصَرُّفِهِ والدَّهْرُ لا تَنْقَضي عَجائِبُهُ
يَبْسُطُ آمالَنا فَنَبْسُطُها ودُونَ آمالِنا نَوائِبُهُ
وكَمْ رَأيْنا في الدَّهْرِ من أسَدٍ بالَتْ عَلى رَأسِهِ ثَعالِبُهُ

---

(١) الحيوان للجاحظ ١/٣٥٣.
(٢) ديوانه /٣٦.
(٣) المودونة: القصيرة العنق، الصغيرة الجثّة. الخنظب: ذكر الجراد، وذكر الخنافس،.
(٤) في الديوان (الهوَّة) مكان (الهرَّة) و التصويب من الحيوان للجاحظ ١/١٤٥.
(٥) ديوانه /٢٦٥.
(٦) الحيوان للجاحظ ٦/٣٠٤.

وقال طَرَفة بن العبد [1]:

أَسْلَمَني قَومي ولَمْ يَغْضَبوا ... لِسَوْءَةٍ حَلَّتْ بهم فادِحَهْ
كلُّ خليلٍ كنتُ خالَلْتُهُ ... لا تَرَكَ اللَّهُ له واضِحَهْ [2]
كلُّهمْ أرْوَغُ مِن ثَعْلَبٍ ... ما أشْبَهَ اللَّيلَةَ بالبارِحَهْ

وقال الناشيء الأكبر (عبد الله بن محمد الأنباري المعروف بابن شرشير)[3] يصف الثعلب واعتصامه بوجاره، ثم يصف طريقة صيدا بن عرس له:

لو أنَّ حَيّاً واثِقاً لِعُمْرِهِ ... أو عائِذاً مِن نَكَباتِ دهْره
بمَقْصِلٍ يُحْصِنُهُ مِن غَدْرِهِ ... أفْلَتَ من خَتْلِ الرَّدَى وخَتْرِهِ[4]
أبو الحُصَيْنِ كامِناً في جُحْرِه ... مُقَدِّراً في ظَنِّهِ وفِكْره
أنَّ الوِجارَ ضامِنٌ لِنَصْرِهِ ... وحِفْظِه مِن قانِصٍ وسَتْره [5]
عَنْ حِيلةٍ يُعْمِلُها بِفِكْره ... إذا غَدا بِكَلْبِهِ وصَقْرِهِ
وليسَ يَجْري في بَناتِ صَدْرِه ... أنَّ ابنَ عِرْسٍ قاصِمٌ لِظَهْره
وهاجِمٌ عَليه في مَقَرِّهِ ... أعْجِبْ بِهِ مُقْتَحِماً في وَكرِهِ
وخَيْطُهُ مُعَلَّقٌ في نَحْره ... حَتَّى إذا أمَرْتُهم بِجَرِّهِ
جَرُّوهُ فاسْتَخْرَجه من قعْره ... لله ما أعْظَمَهُ بِهَصْرِهِ
وقَدِّه أو قَطْعِه من خَصْره ... وذَبْحِه بنابه أو ظُفْرِهِ
لكنَّه بِعَصْره وقَسْرِهِ ... أحْسَنُ في اسْتِحْيائه وأسْره [6]

---

(١) ديوانه /١٥.
(٢) يريد بالواضحة: الاسنان التي تظهر عند الضحك.
(٣) المصائد والمطارد /٢٢٧.
(٤) المقصل: السيف القاطع. الختر: الغدر.
(٥) الوجار (بالكسر): جحر الثعلب وغيره من الوحش.
(٦) استحيائه: استبقائه حياً.

ولبعضهم في عجز الثعلب عن تناول العنقود (١):

أيُّها العائِبُ سَلْمَى أنتَ عِندي كثُعالَهْ
رامَ عُنْقُودا فلمَّا أبْصَرَ العُنْقُودَ طالَهْ
وقال هذا حامِضٌ لمَّا رأى ألَّا يَنالَهْ

وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم (٢) .

فأبلغْ إياساً إنَّ عِرْضَ آبْن أختِكُم رداؤكَ فاصْطَنْ حُسْنَه أو تبذَّلِ (٣)
فانْ تَكُ ذا طَوْلٍ فانِّي ابنُ أخْتِكمْ وكلُّ ابنِ أخْتٍ من نَدَى الخالِ مُعْتَلي (٤)
فكنْ أسَداً أو ثَعْلَباً أو شَبِيهَهُ فهما تكُنْ أُنْسَب إليكَ وأُشْكَلِ (٥)
فما ثَعلبٌ إلَّا آبْن أخْتِ ثُعالةٍ وإنَّ آبْن أخْتِ اللَّيثِ رِئْبالُ أشْبُلِ
ولنْ تَجِد الآسادَ أخْوالَ ثَعْلبٍ إذا كانَتِ الهَيْجا تَلوذُ بِمَدخلِ

وقال الطغرائي (الحسين بن علي) (٦) .

إذا كنتَ لِلسُّلطانِ خِدْناً فلا تُشِرْ عليهِ بما يُؤذي به الدَّهْرَ مُسلِما
فقد جاءَ في أمْثالِهِمْ أنَّ ثَعلباً وذِئْباً أصابا عِندَ لَيْثٍ تَقدُّما
أضَرَّ به جُوعٌ طَويلٌ فشَقَّهُ وأبْقَى له جِلْداً رَقيقاً وأعْظُما
ففازَ لَدَيْهِ الذِّئبُ يوماً بخَلْوةٍ فقالَ كَفاكَ الثَّعْلبُ اليومَ مطْعَمَا
فكُلْهُ وأطْعِمْهُ فما هو شَكْلُنا ولَسْتُ أرَى في أكْلِهِ لَكَ، مَأثَما

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/٧٦.
(٢) الحيوان للجاحظ ٣٥٣/١.
(٣) إصطنْ، فعل أمر من اصطان وهو الافتعال من صان الشيء: حفظه. تبذَّل: امتهن.
(٤) معتلي، وقيل (مغتلي بالغين المعجمة) وكلاهما بمعنى مرتفع.
(٥) أشكل، من الشكل والشاكلة أي الشبه.
(٦) ديوانه /٣٥٥.

فلمَّــا أحَسَّ الثُّعْلُبــانُ بِـكَيْــدِهِ … تَطبَّبَ عِندَ اللَّيْثِ واحْتالَ مُقْدِما
وقــالَ أرَى بالمَلْـكِ داءً مُماطِلاً … تَهـدَّمَ مِنـهُ جِسْمُهُ وتَحَطَّمــا
وفي كَبِدِ الذِّئبِ الشِّفاءُ لِدائِـهِ … فإنْ نالَ مِنها يَنْجُ مِنـه مُسَلَّما
فصــادَفَ ذا مِنهُ قَبُـولاً فعِنْدهـا … أحالَ عَلى الذِّئبِ الخَبِيث فَصَمَّما
فـأفْلَتَ مَمْسُوخَ الإهـابِ مُرَمَّـلاً … فلمَّــا رآهُ الثُّعلُبــانُ تَبَسَّمــا[1]
وصاحَ بِهِ يا لابِسَ الثَّوبِ قانِياً … مَتَى تَخْلُ بالسُّلْطانِ فاسْكُت لتَسْلَما

وقال أبو الفرج البَبَّغاء يصف الثعلب: [2].

وأعْفَـرِ المَسْكِ تَلْقـاهُ فتحسَبُـه … من أدْكَنِ الخزِّ مَخْبوءٍ بخَيْفانِ[3]
كأنَّ أُذْنَيهِ في حُسْنِ انْتِصابِهِما … إذا هُما انْتَصبا لِلحِسِّ زُجَّانِ [4]
يَسْـري ويَتْبعُه مِن خلفِـه ذَنَبُ … كـأنَّـهُ حينَ يَبْـدو ثَعْلَبُ ثـاني
فَلا يَشكُّ الذي بالبُعْـدِ يُبْصِرُهُ … فَـرْداً بأنَّهمـا في الخِلْقَةِ اثْنـانِ

---

(١) المرمّل: الملطخ بالدم.
(٢) نهاية الأرب ٩/٢٨١.
(٣) الأعفر: ما يعلو بياضه حمرة. المسك (بفتح الميم واسكان السين): الجلد، وسمي بذلك لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم. خيفان: نوع من الحشيش الجبلي يبلغ ارتفاعه أكثر من ذراع.
(٤) الحس: الصوت الخفيُّ. الزجّان، تثنية زجّ وهو الحديدة المدبَّبة التي في أسفل الرمح.



الجَرادُ (١)

الجراد (بالفتح) معروف. الواحدة جرادة، الذكر والأنثى فيه سواء. يقال: هذا جرادة ذكر، وهذه جرادة أنثى. قال الجوهري (وليس الجراد بذكر للجرادة، وانَّما سمِّي للجنس كالبقر والبقرة، والتمر والتمرة، والحمام والحمامة وما أشبه ذلك، فحقّ مذكّره أن لا يكون مؤنّثه من لفظه لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع). وكنية الجرادة أم عوف.

مراتب نشأته

الجراد أوَّل ما يكون

(سِرْوَة)

وهي دودة ـ وأصلها الهمز ـ فإذا تحرَّك فهو

(دَبا)

الواحدة دباة، وهو يخرج أصْهب إلى البياض، وقيل: أوَّل ما يخرج

(١) الحيوان للجاحظ ٥٥١/٥، والمخصَّص ١٧٢/٨/٢، ونهاية الأرب ٢٩٢/١٠، والصحاح للجوهري، ولسان العرب (مادة ج رد) ومعاجم لغوية أخرى.

(قَمَص)

الواحدة قَمَصَةٌ، وذلك حين يكون كالعُثِّ صِغَراً، فإذا نظرت إليه الشمسُ صار كالنمل سواداً فيسمَّى عند ذلك:

(الحُبْشان)

الواحدة حُبْشُيَّة، ثم تسلخ فتصير فيها طريقة سوداء، وطريقة صفراء فتسمَّى:

(بُرْقاناً)

الواحدة بُرقانة، وتسمَّى أيضاً:

(المُسَيَّح)

ومعنى المسيَّح: المُخطَّط بألوان شتَّى. وذلك حين يزحف، ويسلخ البُرقانُ:

(كُتْفاناً)

وأنما سمِّي بذلك لأنه خرجت أوائل أجنحته فَكَتَفَتْهُ، وقيل: لأنّه يكتف المشي، أي إذا مشى حرَّك كتفيه. الواحدة كُتُفْانة، وكاتِف، وكاتِفَة. فإذا ظهرت أجنحته فاستقلَّ فهو.

(الغَوْغاءُ)

الواحدة غوغاءَة، وذلك حين يستقلُّ فيموج بعضه في بعض ولا يتوجَّه إلى جهة، ولذلك قيل لرعاع الناس: غوغاء. فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة، وبقي بعض الحمرة واختلف في ألوانه فهو،

(الخَيْفان)

الواحدة خيفانة، وتلك أسرع الجراد طيراناً، ومن ثَمَّ قيل للفرس: خيفانة وهي الفرس الخفيفة المتوثِّبة. فإذا اصفرَّت الذكور واسودَّت الإناث سقطت عنه تلك الأسماء وسمِّي جراداً.

إستطراد لغوي

- أرض مَجْرُودة، وجَرِدَة: أصابها الجراد. وجرَدَها الجراد: لم يُبقِ فيها شيئاً.

- الجَرَدُ: أنْ يَشْرَى جِلد الإنسان من أكل الجراد.

- رجل جَرِد: إذا مرض من أكل الجراد.

- جراد سَرْو: إذا امتلأ، وإذا ألقى بيضه قيل: سرأ ببيضه، وسرأت، وأسرأت الجرادة: ألْقت بيضها.

- أنقف الجراد بيضه: ألقاه.

غرَّز الجراد: إذا أثبت أذنابه في الأرض ليبيض.

أمكنت الجرادة جمعت البيض في جوفها، وهي مَكُون ما دام ذلك في جوفها.

- أخنى الجراد: كثر بيضه.

- السِّلْفَة: الجرادة التي ألقت بيضها.

- العِظال: ركوب الجراد بعضه على بعض، والجراد عند ذلك العظالَى. وقدْ اعتظل الجراد وتعاظل.

- المرادفة ركوب الذكر والأنثى.

- إرْتَهَس الجراد، وآرْتَهَش (في المهملة والمعجمة): ركب بعضه بعضاً حتى لا يُرى معه تراب.

ـ سامَ الجراد سَوْماً: دخل بعضه في بعض.

هَمَشَ الجراد: تحرَّك ليثور.

ـ الأثناء: عقدة في رأس الذنب كالمخلبين، ويقال لهما: الأُشْرَتان، وبهما تَرِزُّ.

ـ المئشاران: المخلبان اللّذان تحت الساقين.

ـ الظُّهْران: الجناحان الغليظان من أجنحة الجرادة الأربعة.

ـ القِشْران: الجناحان الرقيقان.

ـ الجَوْشَن: صدر الجرادة وفيه ستُّ أيدٍ.

ـ البُصاق: لُعاب الجرادة كما يقال للإنسان.

ـ الثَّوالة من الجراد: القطعة الكثيرة.

الرِّجْل، والرِّجْلَة: الطائفة الكبيرة من الجراد، وقيل: إنَّها قطعة من جراد بمكان قدر ميل، والجمع أرْجال، وإذا كان أكثر من ذلك فهو زَحْف.

ـ السَّدُّ من الجراد: ما سدَّ الأُفُق.

ـ العُنْظُب، والعُنْظاب، والعُنْظُوب: الذكر من الجراد والجمع العُنْظُباء

ـ العُصْفُور: الذكر من الجراد.

ـ الجُنْدُب، والجُنْدَب، والجِنّدَب: الصغير من الجراد، وقيل الذكر

ـ العُنْظُوانة: الأنثى من الجراد.

ـ الحَرشَف: صغار الجراد.

ـ المُعَيَّن: الذي يسلخ فيكون أبيض، أو أحمر.

ـ المرجَّل: الذي تُرى آثار أجنحته.

ـ القُمَّل: صغار الجراد، أو صغار الدَّبا الذي لا أجنحة له.

ذكره في القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة الأعراف /١٣٣ في معرض ما أصاب فرعون

وقومه من العذاب ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمَّل و الضفادع والدَّم آيات مفصَّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ .

وقال عز من قال في سورة القمر/٧ واصفاً حشر الناس يوم القيامة ﴿خشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنَّهم جراد منتشر﴾ .

ذكره في الأمثال:

(أجْرَد من جراد)[١]

يضرب مثلاً للرجل المشؤوم الذي يقتلع الأصول بشؤمه، لأنَّ الجراد إذا وقع في زرع جرده حتى لا يُبقي منه شيئاً .

(أحْطم من جراد)[٢]

وأصل الحطم: الكسر .

(أسرى من الجراد)[٣]

قيل هو من السُّرى، أي سير الليل، وقيل من السَّرْو وهو بيض الجراد، ومن ثَمَّ قيل: أكثر بيضاً من الجراد .

(أصْرَد من جراده)[٤]

الصرد: البرد، وذلك لأن الجرادة لا تُرى في الشتاء أبداً لقلَّة الصبر على البرد .

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٣٣٥ .
(٢) المصدر السابق ١/٤٠٢ .
(٣) المصدر السابق ١/٥٣٥ .
(٤) مجمع الأمثال للميداني ١/٤١٣ .

(أطير من جرادة)[1]

(أفسد من الجراد)[2]

لأنه يجرد الشجر والنبات، وبهذا سمّي جراداً .

(أنْزَى من جراد)[3]

من النَّزوان، وهو الوثوب .

(عَلِقَتْ معالقُها وصَرَّ الجُندبُ)[4]

يضرب مثلاً للشيء يثبت ويتأكَّد أمره .

(كالجراد لا يبقي ولا يذر)[5]

(لا تكن كالجراد يأكل ما وجده)[6]

(أيُرجى بالجَراد صلاح أمرٍ وقد جبل الجراد على الفساد)[7]

ممّا قيل في وصف الجرادة نثراً[8] :

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن وصف النملة :

(وإنْ شِئتَ قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسْرَجَ لها

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/١٣ .
(٢) المصدر السابق ٢/١٠٤ .
(٣) المصدر السابق ٢/٣٢٣ .
(٤) مجمع الأمثال للميداني ٢/١٥ .
(٥) التمثيل والمحاضرة /٣٧٤ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق أيضاً .
(٨) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ١٣/٦٥ .

حدقتين قَمْراوين[١]، وجعل لها السمع الخِفيَّ، وفتح لها الفم السويَّ، وجعل لها الحسَّ القويَّ، ونابين بهما تَقرِض، ومنجلين[٢] بهما تقبض. يرهبها الزرّاع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبَّها ولو أجلبوا بجمعهم حتى تردَ الحرث في نَزواتها[٣]، وتقضي منه شهواتها وخلقها كلُّه لا يكوِّنُ إصْبعاً مستدقَّة.

فتبارك الذي يسجد له مَن في السماوات والأرض طَوْعاً وكرهاً، ويعفِّرُ له خدّاً ووَجْهاً، ويلقي بالطاعة إليه سِلماً وضَعْفاً، ويعطي له القياد رهبةً وخوفاً.

ممَّا قيل فيها شعراً:

قال أبو زبيد الطائي[٤]:

أيُّ ساعٍ سَعى ليَقْطَعَ شِرْبي حينَ لاحَتْ للصَّابح الجَوْزَاءُ[٥]
واسْتكنَّ العُصْفُورُ كَرْها مع الضبِّ وأوْفَى في عُودِه الحِرْباءُ
ونَفَى الجندبُ الحَصَى بِكُراعَيْـ ـهِ وأذْكَتْ نِيرانَها المَعْزاءُ[٦]

وقال آخر[٧]:

جَرَادَةٌ حَنَّت القُلُوب لَها حينَ أشارَتْ بناظِرَيْ رَبْرَبْ
صَفْراءُ جِسْمٍ يَشُوبُها رَقَطٌ في نُقَطٍ من عَبِيرِها الأشْهَبْ
كأنَّها والجَنَاحُ حُلَّتها راقِصَةٌ في مُمَسَّكٍ مُذْهَبْ

---

(١) أسرج لها حدقتين، أي جعلهما مضيئتين كالسراج، ويقال: حدقة قمراء، أي منيرة.

(٢) المنجل (كمنبر) آلة معروفة يحصد بها الزرع وأراد بالمنجلين رجلي الجرادة لاعوجاجهما وخشونتهما.

(٣) النزوات: الوثبات.

(٤) ديوانه /٢٤، والحيوان للجاحظ ٥/٢٣١.

(٥) الشرب (بالكسر): النصيب من الماء. الصابح، من صبّح الابل أي سقاها أول النهار. الجوزاء: أحد بروج السماء.

(٦) الجندب: الذكر من الجراد كراعا الجندب: رجلاه. المعزاء (بالفتح): الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة.

(٧) نهاية الارب للنويري ١٠/٢٩٥.

وقال أبو هلال العسكري[1] :

أجْـنـحَـةٌ كـأنَّـهـا أرديـةٌ مـن قَـصَـبِ
لـكـنَّـهـا مَـنْـقُـوطَـةٌ مثل صُـدُورِ الكُـتُـبِ
وأرْجـلٌ كـأنَّـهـا مَـنـاشِـرٌ مـن ذَهَـبِ

وقال قيس بن الخطيم[2] :

فلمَّا رأيتُ الحربَ حرباً تجرَّدَتْ لبستُ مع البُرْدَيْنِ ثوبَ المُحارِبِ
مُضاعفَةً يَغْشَى الأنـامِلَ فَضْلُهـا كأنَّ قَتِيرَيْهـا عُيونُ الجَنـادِبِ[3]

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي[4] :

لما سَمِعْتُ الدِّيكَ صاحَ بسُحْرَة وتـوسَّطَ النَّسْرانِ بَـطنَ العَقْـربِ
وبَـدَا سُهيلٌ في السَّمـاءِ كأنَّـه ثَوْرٌ وعارضَـه هِجانُ الـرَّبْرَبِ[5]
نبَّهْتُ نَدْماني وقلتُ له اصْطَبِحْ يا ابْنَ الكِرام من الشّرابِ الطيِّبِ
صَفْراءَ تَبْدُو في الزُّجاجِ كأنَّها حَدَقُ الجَرادَةِ أوْ لُعابُ الجُندبِ

وقال أعرابيٌّ أكل الجرادُ زرعَه[6] :

مرَّ الجرادُ على زَرْعي فقلتُ له إلْزَمْ طَرِيقَـكَ لا تُولَـعْ بافْسـادِ
فقالَ مِنهُمْ خَطيبُ فـوقَ سُنْبُلَةٍ إنَّا على سَفرٍ لا بُدَّ مِن زادِ
إنَّا جُنودٌ لربِّ العَرشِ مُـرْسَلَةٌ منَّـا حَصِيدٌ ومنَّـا غيـرُ حَصَّـادِ

---

(١) ديوان المعاني ٢/١٥١ .
(٢) ديوانه /٣٢ .
(٣) المضاعفة: درع تنسج حلقتين حلقتين. فضلها: زيادتها. القتير: رؤوس المسامير في الدرع .
(٤) الأغاني ٢٠/٢٩٢ . والحيوان للجاحظ ٥/٥٦٩ .
(٥) الهجان: البيض. الربرب: القطيع من بقر الوحش .
(٦) التمثيل والمحاضرة/٣٧٤ .

وقال أبو هلال العسكري[١] :

وأعْـرابِـيَّـةٍ تَـرتـادُ زاداً فتَمْـرُقُ مـن بـلادٍ في بِـلادِ
غَـدَتْ تَمْشي بِمِنْشارٍ كَليـلٍ تَبُـوعُ بـه قَـرارَةَ كُـلِّ وادِ[٢]
وتَنْشُـرُ في الهَواءِ رِداءَ شَـرْبٍ عَـلى أرجـائـه نُـقَطُ الـمِـدادِ
وتَلْبسُ تحتَ ذاكَ عِـطافَ لاذٍ عَلى أكنـافِـهِ رَدْعُ الجِسـادِ[٣]

وقال عمرو بن معد يكرب[٤] :

تَـمـنَّـانـي لـيَـلْقـانـي أبِـيٌّ وَدِدْتُ وأين ما مِنِّي ودادي[٥]
تَـمـنَّـاني وسـابِـغَـتِي دِلاصٌ خَرُوسُ الحِسِّ مُحْكَمةُ السِّرادِ[٦]
مُـضـاعَفَـةٌ تـخيَّـرَهـا سُـلَيْـمٌ كـأنَّ سِكاكَهـا حَدقُ الجَـرادِ[٧]

وقال المتلمِّس (جرير بن عبد العزَّى) وقيل: ابن عبد المسيح[٨] :

كـأنِّي شـارِبٌ يـومَ اسْتَبَـدُّوا وحَثَّ بِهم وراءَ البِيدِ حادي[٩]
عُقـاراً عُتِّقَتْ في الـدَّنِّ حتَّى كـأنَّ حَبابَهـا حَـدَقُ الجَـرادِ

---

(١) ديوان المعاني ٢/١٥١ .
(٢) تبوع، من باعت الشيء: امتدَّت فيه. وأدركت غايته.
(٣) العطاف (بالكسر): الرداء اللَّاذ: ضرب من الحرير صيني، واحده لاذة، الردع: أثر الطيب. الجساد (بالكسر) : الزعفران .
(٤) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦٠.
(٥) يريد (وددت وأين منِّي ما أودُّهُ) .
(٦) السابغة: الدرع الفضفاضة. الدلاص: الملساء اللَّينة .
(٧) يريد بقوله سُليم: أبا سليمان، وهو نبيُّ الله داود عليه السلام الذي تنسب اليه الدروع الداوية، فاضطَّره وزن الشعر الى هذا التغيير، وهو شائع عند شعراء العرب الأوائل كقول النابغة الذبياني :

وكـلِّ صَـمـوتٍ نَـثْلةٍ تُـبَّـعِـيَّـةٍ ونَسْجِ سُلَيْم كـلَّ قَضَّـاءَ ذائِـلِ

(٨) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦١ .
(٩) استبدُّوا: إنفردوا بالسفر دوني، ولعلَّ الأصل (استقلُّوا) أي ذهبوا وارتحلوا .

وقال بشر بن أبي حازم[1] مشبِّهاً فرسه بالجرادة :

بكُــلِّ قِيــادٍ مُسْنِفَــةٍ عَنُــودٍ أضَــرَّ بها المَسالِحُ والعِــوارُ[2]
مُهــارِشَــةَ العِنــانِ كــأنَّ فيهــا جَــرادَةَ هَبْــوَةٍ فيهــا اصْفِــرارُ[3]

وقال السري الرفَّاء[4] :

وجُنْدُبَــةٍ تَمْشي بســاقٍ كــأنَّــه عَلى فَخِذٍ كالعُودِ مِنْشارُ عَرْعَرِ[5]
مُكتَّبــةٌ تَجلُو الجَنــاحَ كــأنَّهــا عَرُوسٌ تجلَّتْ في عِطافٍ مُعَنْبَرِ[6]

وقال يَعلى بن إبراهيم الأندلسي[*]:

وخَيْفــانَــةٍ صَفــراءَ مســوَدَّةِ القَــرا أَتَتْكَ بلَونٍ أسْودٍ فوقَ أصْفَرِ[7]
وأجْنِحَــةٍ قــد ألحَفَتْهــا كــرِدْيَــةٍ تَقَاصَرُ عن أثْنَاءِ بُرْدٍ مُحَبَّرِ[8]

وقال جمال الإسلام عمر بن الحسن بن أحمد الباسيسي من أهل

---

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥٩ ، والمفضليات/٣٤٣ .

(٢) المسنِفه (بكسر النون) : المتقدِّمة، وبفتحها: التي شُدَّ عليها السناف وهو لبب يُشدُّ من وراء السرج الى صدر الفرس لئلاَّ يتأخر السرج. العَنود: التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها. المسالح : المراقب والثغور. العوار (بالكسر) مصدر عاور، والمعاورة: المداولة، ويريد معاورة الضرب والطعن. وفي رواية (الغوار) بالغين المعجمة وهو مصدر (غاور) كالمغاورة.

(٣) المهارشة : المقاتلة، أي تجاذب العنان من شدَّة المرح. الهبوة: الغبار، وخصَّ جرادة الهبوة لأنها أشدُّ طيراناً .

(٤) ديوانه ٢/٢٩٥ .

(٥) الجندبة : الجرادة. العرعر: شجر السرو .

(٦) المكتبة : المحزَّمة ، وفي نهاية الارب للنويري ١٠/١٥٤ (ممسَّكة) مكان (مكتَّبة) أي المطيَّبة بالمسك وليس بشيء. العطاف (بالكسر) : الرداء .

(*) نهاية الأرب ١٠/٢٩٥ .

(٧) الخيفانة : الجرادة. القرا : الظهر .

(٨) ألحفتها: ألبستها اللحاف . الردية (بكسر الراء) اسم من الارتداء .

الغَرَّاف[1] ملغزاً في الجرادة :

وطائِرةٍ من الشَّجَرِ ... تُرَى في البَدْوِ والحَضَرِ
لها ذَكَرٌ وتَفْضُلُه ... وليسَ البِنْتُ كالذَّكَرِ
إذا ما رِجْلُها انْقَطَعَتْ ... أَتَتْ رجلٌ على الأثرِ[2]
وإنْ وَرَدَتْ الى بَلَدٍ ... فما لِلْوِرْدِ من صَدَرِ[3]

وقال الأفوه[4] :

بمناقِبٍ بيضٍ كأنَّ وجُوهَهُمْ ... زَهْرٌ قُبَيْلَ تَرجُّلِ الشَّمْسِ[5]
دَبُّوا كمُنتَشِرِ الجَرادِ هَوَتْ ... بالبَطْنِ في دِرْعٍ وفي تُرْسِ[6]

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس[7] :

فإنَّ هذا الوَطْبَ لي ضائِرٌ ... في ظاهِرِ الأمْرِ وفي الغامِضِ[8]
إنْ كُنْتَ تَسْقِيني فمِن قَهْوَةٍ ... صَفْراءَ مثلِ المُهرَةِ النَّاهِضِ
تَنْزُو الفَقاقِيعُ إذا شُعْشِعَتْ ... نَزْوَ جَرادِ البَلَدِ الرَّامِضِ[9]

وقال آخر مشبِّهاً الفرس بالجرادة[10] :

فإذا أتَيْتَ أباكَ فاشْتَرِ مِثلَها ... إنَّ الرِّدافَ عَنِ الأحبَّةِ يَشْغَلُ

---

(١) خريدة القصر - شعراء العراق - القسم الثاني من الجزء الرابع/٥٩٥.
(٢) الرجل (بكسر الراء) : الطائفة العظيمة من الجراد .
(٣) الصدر (بالتحريك) : الاسم من صدر، أي رجع.
(٤) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦٩ .
(٥) المناقب: الأفعال الكريمة. ترجَّلت الشمس: ارتفعت .
(٦) البطن: بطن الوادي .
(٧) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦٩ .
(٨) الوطب: سقاء اللبن .
(٩) شُعشعت الخمرة: مُزجت بالماء . الرامض: الشديد الحرّ .
(١٠) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥٩ .

فــإذا رَفَعْتَ عِنَانَهـــا فَجَــرَادةٌ   وإذا وَضَعْتَ عِنـانَها لا تَفْشَـلُ

وقال القاضي محيي الدين الشهرزوري [1] معدِّداً ما في الجرادة من شبه بالحيوانات الأخرى:

لهــا فَخِذا بَكْــرٍ وساقا نَعَامَـةٍ   وقــادِمَتا نَسْــرٍ وجُؤْجُؤ ضَيْغَمِ
حَبَتْها أفاعِي الأرْضَ بَطناً وأنْعَمَتْ   عَليها جِيادُ الخَيْلِ بالرَّأسِ والفَمِ

كانت في أبي العَطاء السندي (اسمه أفلح بن يسار) الشاعر المعروف لكنة أعجميَّة شديدة، ولثغة شنيعة، فنظم له حمَّاد الرواية أسألة تكثر فيها الحروف التي لا يحسن التلفُّظ بها ليجيب عنها فيضحك منه. ومع أنَّ الذي يهمُّنا منها بيت واحد عن الجرادة فلا بأس من ايرادها جميعاً لطرافتها، قال حمَّاد[2] :

أبِنْ لي إنْ سُئِـلْتَ أبــا عَــطاءٍ   يَقيناً كيفَ عِلمُـكَ بــالمَعـاني

فقال أبو عطاء:

خَبيـرٌ عـالمٌ فــاسْألْ تجِــدْنِي   بهــا طَبّــاً، وآيــاتِ المَثَــانـي

قال حمَّاد:

فما اسْمُ حَدِيدَةٍ في رأسِ رُمْحٍ   دُوَيْنَ الكَعْبِ لَيسَتْ بــالسِّنــانِ

فقال أبو عطاء:

هو الزُّزُّ الَّذي إنْ باتَ ضَيْفــاً   لِصَدْرِكَ لم تَزلْ لكَ عَوْلَتان[3]

---

(١) حياة الحيوان ١/١٨٨ .
(٢) الأغاني لأبي الفرج ١٧/٢٤٩
(٣) يريد بالزُّزُّ: الزُّجُّ.

قال حمّاد:

فَما صَفْراءُ تُدعَى أمَّ عَوْفٍ كَأنَّ رُجَيْلَتَيْها مِنْجَلانِ

فأجاب أبو عطاء:

أرَدْتَ زَرادَةً وأزُنُّ زَنّاً بأنَّكَ ما أرَدْتَ سِوى لساني[1]

وقال عوف بن ذروة يصف الجراد[2]:

قَد خِفْتُ أنْ يَحدُرَنا للمِصْرَيْنْ ونَتْرُكَ الدَّينَ علينا والدَّيْن[3]

زَحْفُ من الخَيْفانِ بَعد الزَّحْفَيْن من كُلِّ سَفْعاءِ القَفَا والخَدَّينْ[4]

مَلعُونَةٍ تَسْلَخُ لَوْناً عَن لَوْنْ كأنَّها مُلتَفَّةٌ في بُرْدَيْنْ

تُنْحي على الشِّمراخِ مثلَ الفَأسَيْن أو مِثلَ مِنْشارٍ حَديدِ الحَرْفَيْن[5]

أنْصَبَهُ مُنْصِبُه في قِحْفَيْنْ

---

(١) يريد (أردت جرادة وأظنُّ ظنّاً).

(٢) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري/٤٨.

(٣) أراد بقوله (الدين والدين): الديون الكثيرة.

(٤) الخيفان: الجراد. السفعاء من السُّفعة، وهي من اللَّون: سواد أشرب حمرة.

(٥) الشمراخ، أحد شماريخ العذق، وهو ما عليه البسر أو العنب من عيدان الكباسة، ولعل الشاعر توسّع فجعل السنبلة شمراخاً أيضاً.



الحُبَارَى[1]

الحُبارَى (بالضم) طائر بَرِّي أكبر من الدجاجة، طويل العنق رماديُّ اللَّون على شكل الإوزَّة، وفي منقاره طول .

يقع الاسم على الذكر والأنثى، والواحد والجمع. قال الجوهري في الصحاح (وإن شئت قلت في الجمع: حباريات، وألفه ليست للتأنيث، ولا للإلحاق، وإنَّما بُني الإسم لها فصارت كأنَّها من نفس الكلمة، لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، أي لا تنوَّن) .

وقال الفيروز آبادي في القاموس (وألفه للتأنيث، وغلط الجوهري، إذْ لو لم تكن للتأنيث لانصرفت. جمعها حباريات) .

وعقَّب الزبيدي في تاج العروس بقوله (هذا غريب - يعني قول الجوهري - قال شيخنا: ودعواه أنّها صارت [الألف] كأنَّها من الكلمة من غرائب التعبير، والجواب عنه عسير) .

(١) الصحاح للجوهري، والقاموس، ولسان العرب، وتاج العروس، ومعاجم أخرى (مادتي (ح ب ر) و(خ ر ب) وحياة الحيوان ١/٢٢٥ و٢٩٠ .

وقال ابن منظور في لسان العرب (تجمع الحبارى على حباريات، وقيل تجمع على حبابير أيضاً) .

ومن أسماء الحبارى:

- الخَرَب (بفتح الخاء والراء) وهو ذكر الحبارى، والجمع أخْراب وخِراب وخِربان .

- الحَبارِج، والحِبْرج، واليَحْبور: من أسماء الذكر أيضاً .

ويسمى فرخ الحُبارى :

الحارض، والحَبَرْبَر، والحَبَرْبُور، والحَبْرُور، والحَبْرِير، والنَّهار، واليَحْبُور .

ممَّا ورد في الأمثال

- (أذْرَقُ من حبارى)، و(أسْلَح من حبارى)[1] .

لأنَّها ترمي الصقر بسلحها إذا أراغها ليصيدها فتلوث ريشه بلثق سلحها.

- (أطير من حبارى)[2]

قال الجاحظ: والحبارى من أشدِّ الطير طيراناً، وأبعدها مسقطاً، وأطولها شوطاً، وأقلها عُرجة[3] وذلك أنَّها تصطاد بظهر البصرة عندنا فَيُشقُّ عن حواصلها فيوجد فيها الحبة الخضراء غضَّة لم تتغيَّر ولم تفسد. وأشجار الحبَّة الخضراء بعيدة المنابت منَّا وهي علويَّة أوْ ثغريَّة أوْ جبليَّة .

---

(١) لسان العرب مادة (ح ب ر) .

(٢) ثمار القلوب/٤٨٤، والحيوان للجاحظ ٥/٤٥٢ .

(٣) العرجة (بالضم والفتح) : أن تعرّج على المنزل

ـ أكمد من حبارى) ، وفلان ميِّت كمد الحبارى[1] .

لأنَّها تُلقي في التحسير عشرين ريشة دفعة واحدة فتقعد عن الطيران ثم تبطيء، فإذا رأت الطير تطير كَمَدَتْ، وربَّما ماتت كمداً .

ـ (أمْوَق[2] من الحبارى)[3]

ذلك أنَّ الحبارى تأخذ فرخها قبل نبات جناحه فتطير معارضة له ليتعلم منها الطيران. فتعرِّضه لخطر السقوط .

ـ (إنَّ الحبارى لتموت هزالاً بذنب بني آدم)[4]

جاء ذلك في حديثِ أنس، ويعني أنَّ الله يحبس عنها المطر بشؤم ذنوبهم، وإنَّما خصَّها بالذكر لأنَّها أبعد الطير نجعة .

ـ (سلاح الحبارى)[5]

يضرب مثلاً للضعيف يستعين بالآلة اللَّئيمة على مقاومة من أقوى منه، وذلك أن الحبارى سِلاَمُها سِلاَحُها ، فإذا أراد الصقر أنْ يصيدها ترميه بذرقها فيدبق جناحه. ويعطِّل طيرانه حتى تجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة طاقة فيموت .

ـ (كلُّ شيء يحبُّ ولده حتَّى الحبارى ويذفُّ عنده)[6] .

مثل سائر عند العرب، وورد في حديث لعثمان رضي الله عنه. ومعنى

---

(١) ثمار القلوب/٤٨٤ وجمهرة الأمثال ١٧٦/٢ ، ولسان العرب .

(٢) الموق (بالضم) : الحمق في غباوة.

(٣) لسان العرب .

(٤) النهاية لابن الأثير ٣٣٨/١ ولسان العرب .

(٥) ثمار القلوب /٤٨٣

(٦) النهاية لابن الأثير ٣٢٨/١، ولسان العرب .

قولهم: يذفّ عنده، أي تعارضه بالطيران ولا طيران له لضعف خوافيه وقوادمه. وقال ابن الأثير: خص الحبارى، بالذكر في قوله: حتى الحبارى، لأنَّها يضرب بها المثل في الحمق، فهي على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلِّمه الطيران كغيرها من الحيوان.

- (وعيد الحبارى)[1]

يضرب مثلاً للضعيف يتوعَّد القويَّ. ومن أمثال العرب تقول: وعيد الحبارى الصقر، قال الشاعر:

أقـلّ عنـاءً عنـك إيعـاد بـارقٍ ... وعيدُ الحُبارى الصَّقْرُ من شدَّة الرُّعْبِ

ممّا ورد في الشعر

قال الراعي النميري (عبيد بن حصين)[2]:

حَلفْتُ لهم لا تَحسبُون شَتِيمَتي ... بعَيْنَيْ حُبارَى في حبالةِ مُعْزِبِ[3]
رأت رَجُلاً يسْعَى إليها فحمْلَقَـتْ ... إليـه بِمَـأقَيْ عَيْنِهـا المُتَـقلِّبِ

وقال المتنبيّ[4]:

فـلا تَنَلْكَ اللّيالي إنَّ أيْـدِيَهـا ... إذا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَب[5]
ولا يُعِنَّ عَـدُوّاً أنتَ قـاهِـرُهُ ... فانهَّنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بالخَرَبِ[6]

---

(١) ثمار القلوب /٤٨٣.
(٢) ديوانه /٢٥.
(٣) المعزب: البعيد عن أهله ويريد الصائد.
(٤) ديوانه (شرح اليازجي /٤٦٥.
(٥) النبع: شجر صلب. الغرب: شجر ضعيف.
(٦) الخرب (بفتحتين): ذكر الحبارى.

وقال أبو نواس [1]:

يـا رُبَّ غيْثٍ آمنِ السُّـرُوبِ ... حُبـارَيـاتِ جَلْهَتَيْ مَلْحُـوبِ [2]

فـالقـطَّبيَّـات إلـى الـذَّنـوبِ ... يَرْفُلْنَ في بَرانِـس قُشُـوبِ [3]

من حِبَـرٍ عـوُلينَ بـالتَّهـذِيبِ ... فهنَّ أمْثال النَّصارَى الشِّيبِ [4]

في يـومِ عِيدٍ مُبْرَزِ الصَّليبِ ... ذَعَـرْتُهـا بمُلْهَبِ الشُّـؤْبُوبِ [5]

وقال قيس بن زهير [6] صاحب داحس:

مَتَى تتحَّـزمْ بـالمنـاطِق ظـالِمـاً ... لِتَجْري إلى شَأوٍ بعيدٍ وتَسْبَحِ [7]

تكُنْ كالحُبارَى إنْ أصِيبَت فمثلُها ... أصِيبَ وإنْ تُفْلِتْ من الصَّقْرِ تَسْلَحِ

جمع هارون الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه، فسأل اليزيدي الكسائي عن إعراب قول الشاعر [8].

ما رأيْنـا خَـرَبـاً نَـقَّـ ... ـرَ عَـنْـه الـبَـيْضَ صَـقْـرُ [9]

لا يَـكـونُ الـعَـيْـرُ مُـهْـراً ... لا يَـكـونُ المـهْـرُ مُهْـرُ [10]

---

(١) ديوانه /٦٦٦.

(٢) يريد بالغيث: العشب على سبيل المجاز لأن الغيث ينتبه.
السروب جمع سرب: الجماعة من الطير وغيرها. الحباريات جمع حبارى . الجلهة: ناحية الوادي. ملحوب: واد لبني أسد.

(٣) القطَّبيات، والذنوب: من ديار بني أسد. قشوب: بيضاء نقيَّة.

(٤) الحبر جمع حبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) يريد بملهب الشؤبوب: الصقر.

(٦) الحيوان ٥/٤٤٨.

(٧) تسبح : تجري مسرعة.

(٨) وفيات الأعيان ٥/٢٣٤، وحياة الحيوان ١/٢٩٠

(٩) الخرب: ذكر الحبارى.

(١٠) العَير: الذكر من حمر الوحش.

فقال الكسائي : يجب أن يكون (مهر) منصوباً على أنَّه خبر كان . ففي البيت على هذا التقدير إقواء، فقال اليزيدي : الشعر صواب، لأنَّ الكلام قد تمَّ عند قوله (لا يكون) الثانية وهي مؤكِّدة للأولى، ثمَّ استأنف الكلام فقال (المهرُ مهرُ) وضرب بقنلسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ والله إنَّ خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك، فقال اليزيدي : إنَّ حلاوة الظفر أذهبت عنيِّ التحفُّظ.

وقال ابن ابي فنن (احمد بن صالح) يصف ناساً من الكتاب في قصيدة له ذكر فيها خيانتهم فقال [1]:

رَأَوْا مـالَ الإمـامِ لهم حـلاَلاً ... وقالُوا الدِّينُ دينُ بني صَهارَى
ولـو كـانُـوا يُحـاسِبهُم أمِينٌ ... لقَد سَلَحُوا كما سَلحَ الحُبارَى

وقال ديك الجن (أبو محمد عبد السلام بن رغبان) [2]:

وسِـرْبِ حُبـارياتٍ فَـوْقَ طَـرْدٍ ... أشـبِّهُـهـا بـمَـشْـيَـخَـةٍ جُـلُوس

وقال متمِّم بن نويرة من قصيدة يرثي بها أخاه مالكاً [3]:

وللشَّـرْبِ فابْكي مـالِكاً ولِبُهمَـةٍ ... شَديدٍ نواحِيهِ عَلَىَ مَن تَشجَّعا [4]
وضَيْفٍ إذا أرْغَى طُرُوقاً بَعَيـرهُ ... وعانٍ ثَوَى في القِدِّ حتَّى تَكنَّعا [5]
وأرْمَلةٍ تَمْشي بـأشْعَثَ مُحْثَـلٍ ... كفَرْخِ الحُبارَى رَأسُهُ قد تَضَوَّعا [6]

---

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٤٤٩.
(٢) ديوانه /١٧٤.
(٣) المفضليَّات /٢٦٦.
(٤) البهمة: الشجاع.
(٥) أرغى بعيره: حمله على الرغاء لتجيبه الابل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحي. تكنَّع: تقبَّض، يعني حتى يبس القدُّ ـ وهو سير من الجلد ـ على جسمه.
(٦) المحتل: الذي أسيء غذاؤه. تضوَّع: تفرَّق، والمراد شعر رأسه.

وقال زهير بن أبي سُلمى من قصيدة [1]:

تَراخَى به حُبُّ الضَّحاءِ وقد رَأى ... سَمَاوَةَ قَشْراءِ الوظِيْفَينِ عَوْهَقِ [2]

تحَنُّ إلى مِثل الحَبابيرِ جُثَّمٍ ... لَدَى سَكَنٍ من قَيْضِها المُتَفَلِّقِ [3]

وقال أبو الأسود الدؤلي [4]:

وزَيْــدٌ مـائِتٌ كمَــدَ الحُبــارَى ... اذا ظَـعنَـتْ لَـطِيفَــةُ أوْ مُـلِمُّ

تَبَنَّتْـهُ فقــالَ وأنــتِ أُمِّــي ... فأنّـى بَعْدَهـا لَـكَ زَيْـدُ أُمُّ

تَرمُّ متاعَــه وتزيــدُ فِيــهِ ... وصاحِبُهــا لما يَحْـوي مِضَـمُّ

سَتَلْقَى بَعــدَهــا شَــرّاً وضَــرّاً ... وتُقْصَى إنْ قَــرُبْتَ فَـلا تُضَمُّ

وتَلْقــاكَ المـلامَــةُ كــلَّ وَجْــهٍ ... سَلكتَ ويَنتَـحي حــالَيْـكَ ذَمُّ

وقال أوس بن غلفاء الهجيميّ [5] من قصيدة يرد بها على يزيد بن عمرو بن خويلد ما هجا به قومه:

وإنَّــكَ مِن هِجــاءِ بَني تَميـم ... كمُزْدادِ الغَرامِ إلى الغَرامِ [6]

هُمُ مَنُّــوا عليــكَ فلَمْ تُثِبْـهُمْ ... فَتِيــلاً غيرَ شَتْمٍ أوْ خِصــامِ

وهُــمْ تَــركـوكَ أسْـلَحَ مِــن حُــبـارَى ... رأتْ صَــقْــراً وأشْــرَدَ مِــن نَــعـامِ

---

(١) ديوانه /٢٤٩.

(٢) تراخى: تطاول، وتباعد. الضحاء للابل: مثل الغداء للناس. سماوة الشيء: أعلى شخصه. قشراء: نعامة منقشرة الساق لا ريش عليها. الوظيف: عظم الساق. عوهق: طويلة العنق.

(٣) تحن، أي النعامة . الحبابير جمع حبارى، وقد شبَّه فراخ النعامة بها. القيض: قشرة البيض.

(٤) ديوانه /٨١ والأغاني ١٢/٣٣٥ وفيهما أن لأبي الأسود مولاة اسمها لطيفة، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلمّ، فابتاعت له أمة وأنكحته إياها فجاءت بغلام فسمَّته زيداً، وكانت تؤثره على كلّ أحد، وتجد فيه وجد الأمِّ بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود هذه الأبيات عندما مرضت لطيفة.

(٥) المفضلّيات /٣٨٨.

(٦) العزام (هنا): الشرّ الدائم.



الحَجَلُ (١)

الحَجَلَة (بالتحريك) واحدة الحجل: طائر بريٌّ على قدرالحمام. جمعها حِجْلان، وحِجْلَى، ولم يجىء الجمع على وزن فِعلى (بكسر الفاء) إلاّ (حِجْلى وظِرْبَى).

والحجل صنفان: نجدي وتهامي. فالنجديُّ أخضر أحمر الرجلين، والتهاميُّ فيه بياض وخضرة. ومن أسمائه:

- (القبج) فارسي معرَّب (كبج أوْ كبك) لأنَّ القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب. وقد شاع استعماله بحيث أنَّ بعض الأئمة نقله كأنَّه عربي، واستعمله القدماء في أشعارهم. والقبجة تقع على الذكر والأنثى حتى تقول:

- (يعقوب) فيختص بالذكر، لأنَّ الهاء إنَّما دخلته على أنه للواحد من

(١) الصحاح للجوهري، والمعرَّب للجواليقي، ولسان العرب، وتاج العروس، وأقرب الموارد في حدود المواد التي مرَّ ذكرها. المصايد والمطارد /٢٦٨. نهاية الأرب للنويري ١٠/٢٣٣. حياة الحيوان ١/٢٢٧ و٢/٢٣٩. صبح الأعشى ٢/٧٤.

الجنس، واليعقوب: ذكر القبج مصروف لأنه عربيٌّ صحيح، أما اسم يعقوب نبيّ الله فهو أعجميٌّ لا ينصرف. وقال الأزهري: الحجل إناث اليعاقيب، واليعاقيب ذكورها، وخالفه ابن منظور فقال: الحجل الذكور من القبج. انتهى.

ويقال لفرخ الحجل:

(السُّلَك) بضمٍّ ففتح، والأنثى السُّلَكة، ويقال أيضاً

- (السُّلَف) والسُّلَفة، والجمع سلكان وسلفان.

ممَّا ورد في الحديث الشريف

(اللَّهم إنَّ أدعو قريشاً وقد جعلوا طعامي كطعام الحجل). يريد أن الحجل يأكل الحبَّة بعد الحبَّة لا يجدُّ في الأكل. وقال الأزهري: أراد أنَّهم غير جادِّين في إجابتي ولا يدخل منهم في دين الله إلَّا النادر القليل [١].

(حاذوا المناكب في الصلاة فانَّ الشيطان يتخلَّل الصفوف كما يتخلَّل الحجل) [٢].

ممَّا ورد في القصص

- زعموا أنَّ غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلَّمها، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلَّع فيه وصار أقبح (الطير مشياً [٣] ومن هذه القصة أخذ الشاعر قوله [٤]:

---

(١) النهاية لابن الأثير ١/٣٤٦.

(٢) حياة الحيوان ١/٢٢٨.

(٣) كليلة ودمنة/٣٨٧.

(٤) ثمار القلوب /٤٨٩.

وكم عَقْعَقٍ قد رامَ مِشيَة قَبْجَةٍ   فأُنسِيَ مَمْشاهُ ولم يَمشِ كالحَجَلْ

ـ قال الأزهري: سمعت بعض العرب يقول:

قالت القطا للحجل: حجل حجل، تفرُّ في الجبل، من خشية الوَجَل،
فقالت الحجل للقطا: قطاقطا، بيضك ثنتا، وبيضي مائتا [1]

ممّا ورد في الشعر

قال ابن طَباطَبا في وصف قبج في مجلس [2]:

ومُسجَّنٍ يَهوى القِتالَ مُمنَّعٍ   عَن قِرْنِه ذي صَرْخَةٍ ودُعاءِ
بادي التَّملمُل خَلفَ حائطِ سجْنِهِ   حُبَّ البِرازِ مُجيب كلَّ نِداءِ
في مَجلسٍ ضَنكٍ يَودُّ لو اَنَّهُ   لاقى مُبارِزَه بِجَنْبِ فَضاءِ
فَقَد السِّلاحَ فَجالَ أعْزَل جَوْلَةً   ومَضَى إلى الهَيجْاءِ ذا خُيَلاءِ
في حُلَّةٍ دَكناءَ قَدْ رُفِعَتْ لَهُ   مِن جانِبَيْهِ بيمنة السَّيْراءِ [3]
مُتشَمِّراً مُتبَخْتِراً مُتَكبِّراً   مُتَطوِّقاً بِعمامَةٍ سَوْداءِ

وقال آخر متمثلاً بشدَّة عدو اليعقوب [4]:

أوْدَى الشَّبابُ حَميداً ذُو التَّعاجِيبِ
أوْدَى وذلكَ شأوٌ غير مَطْلُوبِ
وَلَّى حَثيثاً وهذا الشَّيبُ يَطلبُهُ   لو كانَ يُدْرِكهُ ركضُ اليَعاقِيبِ

---

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (حجل).
(٢) محاضرات الأدباء ٦٧٥/٢ وقد مرَّ أن القبج هو الحجل.
(٣) السيراء: نوع من البرود فيه خطوط.
(٤) حياة الحيوان ٤٠٩/٢، وقد مرَّ أن اليعقوب ذكر القبج أي الحجل.

وقال أبو إسحاق الصابي في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج الببغاء [1]

أنْعَتُ طارُونيَّةَ الثِّيابِ ... لابَسةً خزّاً عَلى الإهابِ[2]

تَصَبَّغَتْ تصبُّغَ التَّصابِي ... وأبْرَزَتْ وَجْهاً بلا نِقابِ

رِيَّانَ مِن مَحاسنِ الشَّبابِ ... مَكحُولةُ العَينَينِ كالكَعابِ

مَغمُوسةُ الحاجِبِ بالخِضابِ ... مِنقارُها أحمرُ كالعُنَّابِ

كأنَّما تُسقَى دَمَ الرِّقابِ ... مَحذُورةٌ محميَّةُ الجَنابِ

لها عَلى الأرجُلِ والأعْقابِ ... حَمْلاتُ لَيْثٍ من لُيوثِ الغابِ

أقفْاصُها كمحْبسِ الحُجَّابِ ... مُدَوَّراتُ الشَّكْلِ كالقِبابِ

تُسْمِعُنا منهاَ وراءَ البابِ ... تَمْتَمةً بالقافِ في الخِطابِ

كأنَّما تَقْرأ مِن كِتابِ ... مَكرُورَةً زادَتْ على الحِسابِ

قَهْقَهَةَ الأبريق بالشَّرابِ ... مَلآنَ مُنكبّاً عَلى الأكْوابِ

أهْلاً بصَيَّادٍ لَها جَلَّابِ ... جاءَ بِها كريمَةَ النِّصابِ

رَبيبَةَ الجِبالِ والهِضابِ ... كريمَةَ الأعْراقِ والأنْسابِ

لم تَدْرِ ما بادِيَةِ الأعْرابِ ... غَريبَةُ صارَتْ مِن الأحْبابِ

دُونَكَ ياذا المَفْخَرِ اللُّبابِ ... أرْجُوزَةً من صَنْعَةِ الكتَّابِ

باكُورةً من ثَمرِ الألبابِ ... وتُحفَةً من تُحَفِ الآدابِ

هَدِيَّةَ الأتْرابِ للأتْرابِ ... قُلْ ما تَرى فيها ولا تُحابي

هَلْ خَلَصَتْ من هُجْنَةٍ وعابِ ... وسَلمَتْ من عَيْبةِ العَيَّابِ

أم خِلْتَها أشْبَهَ بالصَّوابِ ... فهاتِ ما عِندَكَ من جَوابِ

وقال آخر مشبِّهاً مشية محبوبه بمشية القبج [3]:

لقاؤك يَحكي قضَاءَ الحَوائجْ ... ووَجْهُكَ للغَمِّ والهَمِّ فارِجْ

(١) يتمة الدهر ٢/٢٦٧.

(٢) الطارونية نسبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز. الإهاب: الجلد.

(٣) ثمار القلوب /٤٩٠.

وفَـيـكَ لـنـا فِـتَـنٌ أرْبَـعٌ تَسلُّ عَلينا سيُـوفَ الخَـوارجْ
لحـاظُ الـظِّبـاءِ ومَشيُ القَبـاجِ وطَوْقُ الحَمامِ وزِيُّ التَّدارَجِ[1]

وقال أبو عليٍّ البصير في وصفه [2]:

ولابِسَةٍ ثَوْبـاً من الخَزِّ أدْكَنـاً ومن أخْضَرِ الدِّيباجِ راناً ومِعْجرا[3]
مُقلَّدَةٌ في النَّحـرِ سُبْحَةَ عَنْبَرٍ عَلى أنَّها لم تَلْتَمِسْ أن تُعطَّرا
لَهَا مُقْلَتا جَـزْعٍ يَمانٍ تَحمَّلَتْ جُفُونُهما من مَوْضِعِ الكُحْلِ عُصْفُرا
مـطَرَّزَةُ الكُمَّيْنِ طَـرْزاً تَخـالُهـا بتَقْويمها مِن حُلكةِ اللَّيلِ أسْطُرا

وقال أبو هلال العسكري [4] يصف قبجة أهديت إليه:

أهْـدِيتُهـا كـالـهَـدِيِّ آنِسَـةٍ وهيَ سَليلُ النَّواشِزِ النُّفُرِ [5]
تَـلبسُ سـمُّـورَةً مُـشَـمَّـرَةً تَصُونُ أطْـرافَهـا مِن العِفَـرِ[6]
وقَد جَرى المِسْكُ من مَحاجِرِها فضمَّ لبَّـاتَهـا مـع الثَّغرِ [7]
تَـخْـطُرُ فـي حُـلَّةٍ مُـصَـدَّرَةٍ كـأنَّ أكمـامَهـا مِـن الحِبَـرِ
واحْمَـرَّ مِنْقـارُهـا ومنخـرُهـا تَفَتُّحَ الوَرْدِ في نَـدَى السَّحَـرِ
كـأنَّهـا حينَ [لَقْط] قِـرْطِمِهـا تَضـرِبُ ياقـوتَـةً عَلى دُرَرِ [8]

---

(١) التدارج جمع التدرج: طائر غرد جميل المنظر يكثر في بلاد فارس.
(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٢/٦٧٥.
(٣) الران: حذاء كالخفِّ إلَّا أنَّه أطول ولا قدم له. المعجر: ثوب تشدُّه المرأة على رأسها، وعمامة يعتجر بها الرجل.
(٤) ديوان المعاني ٢/١٣٨.
(٥) الهديُّ: الاسير.
(٦) السمُّورة: لباس يتخَّذ من جلد السمُّور وهو حيوان برِّي يشبه السنُّور. العفر (محركة): وجه الأرض، ويطلق على التراب.
(٧) اللبَّات جمع اللَّبَّة: المنحر، وموضع القلادة من الصدر، وهـزمات التراقي وهي النقر التي في الصدر.
(٨) القرطم: حبُّ العصفر.

وقال عبد الله بن الحجاج الثَّعلبي من قصيدة خاطب بها عبد الملك بن مروان معتذراً إليه عن مبايعة عبد الله بن الزبير [1]

فارْحَمْ أصَيْبِيَتي الذين كأنَّهم حِجْلَى تَدَرَّجُ بالشَّرَبَّةِ وُقَّعُ [2]
أدْنُو لتَرحَمَني وتَقْبَلَ تَوْبَتي وأراكَ تَدْفَعُني فأيْنَ المَدْفَعُ

وقال أبو عليٍّ الحسن بن رشيق القيرواني يصف الحجل [3]:

ما أغْرَبَتْ في زِيِّها إلَّا يَعاقِيبُ الحَجَلْ
وتَخالُها قد وُكِّلَتْ بالقُوتِ والصَّوتِ الزَّجَلْ [4]
صُغْرَى أنابِيبٍ من الْـ ـمَرْجانِ مُحكَمةُ العَمَلْ
جاءَتْكَ مُثْقَلَةَ التَّرائِـ ـبِ بالحليِّ وبالحُلَلْ
صُفْرُ الجُفُونِ كأنَّما باتَتْ بِتِبْرٍ تَكْتَحِلْ
مَشْقُوقَةٌ شَقَّ الزُّجا جِ لمن تأمَّلَ أوْ عَقَلْ
وصَلَتْ مَذابِحُها الرؤو سَ بِحُمْرةٍ فيها شُعَلْ
لَوْلا اخْتِلافُ الجِنْسِ والتَّر كِيبِ جَاءَتْ في المَثَلْ
كَلِحَى الثَّمانِينَ الَّتي خُضِبَتْ ومِنها ما نَصَلْ
أوْ كالِّلثامِ أزالَهُ فَرْطُ التَّلَفُّتِ والعَجَلْ
وتَخالُهُنَّ جَوارِياً لا يُزْدَرَيْنَ مِن العَطَلْ
رَمَتِ الثِّيابَ الى وَرا ءَ عَنِ المَناكِبِ تَنْجَدِلْ
وبَدَتْ سَراوِيلاتُها يَسْحَبْنَ وَشْياً مِن قُبُلْ

---

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (ح ج ل) والقصيدة بتمامها مع الخبر المتعلق به في الأغاني ١٦٠/١٣ - ١٦٣.

(٢) حجلى (بالكسر) جمع الحجل. الشربَّة (كجربَّة) ولا ثالث لهما: الأرض المعشبة لا شجر فيها، وموضع بنجد بديار بني عبس.

(٣) ديوانه /١٥٨، ونهاية الأرب ٢٣٣/١٠.

(٤) ورد هذا البيت والذي بعده في حاشية نهاية الأرب ولا وجود لهما في الديوان

حُمْرٌ مِن الرُّكْباتِ في لَوْنِ الشَّقائِقِ أوْ أجَلْ
عقَّدْنَها فَوْقَ الصُّدُورِ مُخالِساتٍ لِلقُبَلْ
وشَدَدْنَ بالأعْضاءِ من حَذرٍ عَليها أنْ تُحَلْ
وكأنَّما باتَتْ أصابِعُها بِحِنَّاءٍ تُعَلْ
مَن يَسْتَحِلُّ لِصَيْدِها فَأنا امْرُؤٌ لا أسْتَحِلْ



الحِرْبـاءُ(١)

الحرباء (بكسر الحاء) دويبة من الزحّافات أكبر من العظاءة، أغبر ما دام فرخاً ثم يصفُرّ. حياته الحرُّ، فإذا بدت الشمس لجأ بظهره إلى ساق شجرة وقابل الشمس يدور معها حيث دارت، شابحاً بيديه كهيئة المصلوب، وكلّما حميت الشمس اخضرَّ جلده ، فإذا غربت الشمس غادر محله ساعياً وراء قوته.

يقال عنه إنه قادر على أن يتلّون بلون ما يحيط به من شجر أو مدر فلا يميِّزه الرائي . ومن أقدم العصور ضرب الناس به المثل في التلّون والتقلُّب.

كنيته: أبو حذر. وأبو جخادب، وأبو الزنديق، وأبو الشقيق، وأبو قادم.

الحِرباء: الذكر، وقيل هو ذكر أمّ حُبين، والأنثى حِرباءة، والجمع حرابي. ومن أسمائه:

السِّرمان (بالكسر)، والشَّقَذ (بفتحتين) جمعه شقْذان (بالكسر)، ومنه: المُضَهَّب، وهو الذي يخضرُّ بعضه ويحمرُّ بعضه.

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣٦٣/٦، وحياة الحيوان للدميري ٢٣١/١، والمخصّص لابن سيده ١٠٢/٨/٢، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ح ر ب).

يقال: حِرباء تنضب، كما يقال: ذئب غضىٍ، والتنضب: شجر يتَّخذ منه السهام، ويقال: أرض مُحَرْبئة، أي كثيرة الحرباء.

مَّما جاء في الأمثال

- (أحزم من الحرباء)[1] لأنَّها لا تخلِّي ساق شجرة حتى تمسك بأخرى.

- (أصرد من عين الحرباء)[2] لأن الحرباء تستقبل الشمس بعينيها دائماً لتستجلب الدفء إليها.

- (يتلوَّن تلوُّن الحرباء)[3] يضرب مثلاً لمن لا يثبت على حالة.

كلمة لبعض الفضلاء في وصف الحرباء[4]

أعَجَزْتَ في الإباء عن خُلق الحِرباء، أدْلَى لساناً كالرِّشاء[5] يبلغ به ما يشاء، وناطَ همَّته بالشمس مع بعدها عن اللَّمْس، وأنِفَ من ضِيق الوِجار[6] ففرَّخ في الأشْجار، وسئم العيشَ المسخوط فاستبدل خُوطاً بخُوط[7] فهو كالخطيب عَلى الغُصْن الرَّطِيب.

مّما ورد في الشعر

قال أبو زبيد الطائي (حرملة بن المنذر)[8]:

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٤٠٨.

(٢) أقرب الموارد مادة (ح ر ب).

(٣) حياة الحيوان ١/٢٣٢.

(٤) نهاية الأرب للنويري ١٠/١٦٠.

(٥) الرشاء: الحبل، وقيل حبل الدلو، يقال إنَّ للحرباء للساناً بطول ثلاثة أشبار يصطاد به على هذه المسافة، فهو يخرجه ويخطف به الذباب وغيره بأسرع من لمح البصر ويعود إلى حاله.

(٦) الوجار: جحر الضبع وغيره.

(٧) الخوط (بالضم): الغصن الناعم، وقيل: كلُّ قضيب.

(٨) ديوانه /٢٤.

أيُّ ساعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبي حِينَ لاحَتْ للصَّابِحِ الجَوْزاءُ[1]
واسْتَظلَّ العُصْفُورُ كَرْهاً مَعَ الضَّبِّ وأوْفَى في عُودِهِ الحِرْباءُ

وقال ابن الرومي (علي بن العباس)[2] في قينة ورقيبها:

ما بالُها قد حُسِّنَتْ ورقيبُها أبداً قَبيحٌ قُبِّحَ الرُّقَباءُ
ما ذاك إلاَّ أنَّها شَمسُ الضحىَ أبداً تكونُ رَقِيبُها الحِرْباءُ

وقال ذو الرُّمَّة (غيلان بن عقبة)[3]:

وقد جَعَلَ الحِرْباءُ يَبْيَضُّ لَونُهُ ويَخْضرُّ من لَفْحِ الهَجِيرِ غَباغِبُهْ[4]
ويَشْبَحُ بالكفَّينِ شَبْحاً كأنَّهُ أخو فَجْرَةٍ عالَىَ به الجَذْعِ صالِبُهْ
عَلى ذاتِ ألْواحٍ طِوالٍ وكاهِلٍ أنافَتْ أعالِيهِ ومارَتْ مَناكِبُهْ[5]

وقال أيضاً: [6]

وداوِيَّةٍ جَرْداءَ جَدّاءَ جَثَّمَتْ بِها هَبواتُ الصَّيْفِ من كلِّ جانِبِ[7]
سَبارِيتَ يَخْلُو سَمْعُ مُجتازِ خَرْقِها من الصَّوْتِ إلاَّ مِن ضُباحِ الثَّعالِبِ[8]
كأنَّ يَدَيْ حِرْبائِها مُتَشَمِّساً يَدا مُذْنِبٍ يَسْتَغفِرِ الله تائِبِ

---

(١) الصَّابح: من سقى إبله في أوّل النهار.
(٢) ديوانه ١/٦٣.
(٣) ديوانه /٤٧.
(٤) الغباغب جمع غبغب: اللحم المتدلِّي تحت حنك بعض الحيوانات كالديك والثور.
(٥) مارت: تحركت واضطربت.
(٦) ديوانه /٥٨ و ٥٩.
(٧) داويَّة: فلاة جرداء. جدَّاء: لا ماء فيها.
(٨) سباريت: لا نبت بها. ضبح الثعلب: صاح.

وقال آخر[1]

قَدْ لاحَها يومٌ شَمُوسٌ مِلْهابْ   أبْلَجُ ما لِشَمْسِه من جِلْبابْ

شالَ الحَرابيُّ له بالأذْنابْ[2]

وقال ذو الرُّمة:[3]

وهاجِرَةٍ من دُونِ مَيَّةَ لم تقِلْ   قَلُوصِي بها والجُنْدَبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ[4]
وبَيْداءَ مِقْفارٍ يكادُ ارْتكاضُها   بآلِ الضُحَى والهَجْرِ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ[5]
إذا جَعَل الحِرْباءُ مِمَّا أصابَهُ   من الحرِّ يَلْوي رَأسَهُ ويُرَنِّحُ

وله أيضاً:[6]

يَظَلُّ بها الحِرْباءُ لِلشَّمْسِ ماثلاً   عَلى الجِذْلِ إلاّ أنَّه لا يُكبِّرُ[7]
إذا حوَّل الظِّلُّ العَشِيَّ رَأيْتَه   حَنِيفاً وفي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ[8]
غدا أكْهَبَ الأعْلى وراحَ كأنَّه   مِن الضِّحِّ واسْتِقبالِه الشمسَ أخْضَرُ[9]

---

(١) الحيوان ٦/٣٦٦.

(٢) الحرابي جمع الحرباء.

(٣) ديوانه /٨٦ و ٨٧.

(٤) لم تقل: من القيلولة. القلوص: الناقة الفتيَّة. الجندب: صغار الجراد. الجون هنا.: الأبيض وهو من الأضداد. يرمح: يضرب برجله الأرض من شدَّة الحرِّ.

(٥) الهجر - هنا - الهاجرة وهي شدة الحر. مصح بالشيء: ذهب به.

(٦) ديوانه /٢٢٩.

(٧) الجذل (بكسر الجيم): أصل الشجرة بعد ذهاب الفرع، والجذل أيضاً: عود ينصب للابل الجربى لتحتك به. وفي نهاية الارب للنويري ١٠/١٦١ (يصلِّي بها الحرباء) وهو أجود بدليل قوله (لا يكبِّر).

(٨) يقول: إذا تحوَّلت الشمس إلى الزوال استقبل الحرباء القبلة كانه حنيف مسلم، وفي أوَّل النهار يستقبل المشرق كانه نصراني.

(٩) الأكهب: الأغبر يميل إلى السواد.

وقال ابن المعتز: (١)

بِمَهْمَهٍ فيه بَيْضاتُ القَطا كِسَراً ... كأنَّها في الأفاحِيصِ القَوارِيرُ (٢)

كأنَّ حِرْباءَها والشَّمْسُ تَصْهَرُهُ ... صالٍ دَنا مِن لِهَيبِ النَّارِ مَقْرُورُ

وقال ذو الرُمَّة: (٣)

وحَوْمانَةٍ وَرْقاءَ يَجْري شَرابُها ... بمُنْسَحِةِ الآباطِ حُدْبٍ ظُهُورُها (٤)

تُطِيلُ الوِحافُ الصُّدْأ فِيها كأنَّها ... قَراقِيرُ مَوجٍ غضٍّ بالسَّاجِ قِيرُها (٥)

تُجاوِزْنَ والعُصْفُورُ في الجُحْرِ لاجِيءٌ ... مع الضَّبِّ والشِّقْذان تَسْمُو صُدُورُها(٦)

وقال العبَّاس بن مرداس: (٧)

عَلى قُلُصٍ يَعْلُو بِها كُلَّ سَبْسَبٍ ... تَخالُ بِها الحِرْباءَ أَنْشَطَ جالِسا

وقال أبو دواد الإيادي: (٨)

زَمُّوا بلَيْلٍ جِمالَ الحَيِّ فانْجَذَبُوا ... لم يَنْظُرُوا باحْتِمالِ الحَيِّ إشْراقاً

يَحُثُّهِمْ نَطِسٌ ذُو نَجْدَةٍ شَرِسٌ ... أوْصَى لِيُزْعِجَهُمْ بِالظَّعْنِ سَوَّاقا

أنَّى أُتِيحَ لـه حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ ... لا يرْسِلُ السَّاقَ إلَّا مُمْسِكاً ساقا(٩)

---

(١) ديوانه ٢/٢٢٥.

(٢) الأفاحيص جمع الأفحوص: مجثم القطاء وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه لتبيض فيه. القوارير: الزجاج.

(٣) ديوانه /٣٠٨.

(٤) الحومانة: القطعة الغليظة من الأرض. ورقاء: غبراء تضرب إلى سواد.

(٥) الوحاف: ما وصل بين الأرضين. القراقير: السفن، يريد: الإبل في السراب كالسفن في الماء.

(٦) الشقذان جمع الشِّقَذ: الحرباء.

(٧) الحيوان للجاحظ ٦/٣٦٦.

(٨) جمهرة الأمثال ٢/٣٨٨، والشريشي ٣/٢١٥.

(٩) يعجب الشاعر كيف أتيح للظعن هذا السائق المجدُّ الحازم كأنّه الحرباء الذي لا يترك ساق شجرة تعلّق بها حتى يمسك بساق أخرى. تنضبة: شجرة تصنع منها السهام، وقد مرَّ أن الحرباء تنسب إليها فيقال (حرباء تنضبة) كما يقال (ذئب غضى).


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحَسُّون(1)

الحسُّون طائر صغير كالعصفور حسن الصوت ذو ألوان جميلة بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة. جمعه حساسين.

يسمِّيه أهل الأندلس (أبا الحسن، وأمَّ الحسن) والمصريُّون (الزقَّايه، والسقَّاية، وأبا زقَّاق) وأهل الشام وحلب ونواحيها والجزيرة (الحسُّون، والشَّوبكي، والزقيقيَّة).

وهو ذو فطنة قابل للتعليم. قال النويري في نهاية الأرب في سبب التسمية: لأنَّه إذا كان في القفص استقى الماء من إناء بآلة لطيفة يوضع له فيها خيط، فتراه يرفع الخيط باحدى رجليه ويضعه تحت رجله الأخرى حتى يصل إليه ذلك الإناء فشرب منه.

(1) حياة الحيوان ١/٢٣٤، وصبح الأعشى ٢/٧٨، ونهاية الأرب ١٠/٢٥١، ومعجم متن اللغة مادة (ح س ن).

ممَّا قيل فيه شعراً

قال يوسف بن هارون[١]

وخَرْساءَ إلَّا في الرَّبيع فإنَّها ... نضيرة قُسٍّ في العصور الذواهِب
أتتْ تَمْدحُ النَّوارَ فوق غصُونها ... كما يَمْدَحُ العُشاقُ حسْنَ الحِبَائبِ
تبدِّلُ ألحاناً إذا قِيلَ بَدِّلي ... كما بدَّلَتْ ضَرْباً أكفُّ الضَّوارِبِ
تُغنِّي عَلينا في عَرُوضَيْنِ شعرَها ... ولكِنَّ شِعْراً في قَوافٍ غرائِبِ
إذا ابتدأت تُنْشِدْكَ رَجْزاً وإنْ تَقُلْ
لها بَدِّلي تُنْشِدْكَ في المُتَقارِبِ
وليسَ لهاتِيهُ الطُّراءِ بصَوْتِها ... ولكن تُغنِّي كلَّ صاحٍ وشاربا[٢]

وقال أبو هلال العسكري:[٣]

ومُفْتَنَّة الألْوانِ بيضٌ وجُوهُها ... ونمرٌ تَراقِيها وصفرٌ جُنُوبُها
كأنَّ دَرارِيعاً عَليها قَصِيرةً ... مرقَّعةً أعْطافُها وجيُوبُها
تعدِّلُ ألَوانَ الأغاني كأنَّما ... تعدِّل أوْزانَ الأغاني عُرَيْبُها[٤]
تسامُ اسْتِقاءً في العشاءِ إذا عَرىٰ ... وعُطِّلَ أيَّامَ المَصيفِ ذَنُوبُها[٥]

وقال يوسف بن هارون[٦]

مُسْمِعَةٌ مِن غيرِ أوْتارِ ... إلَّا ارْتِجالاً فوقَ أشْجارِ

---

(١) التشبيهات /٥٥.
(٢) الطُراء: الطارؤن، والغُرباء.
(٣) ديوان المعاني ٢/١٤١.
(٤) عُريب اسم امرأة كانت من أشهر المغنيات في عصر المأمون العباسي.
(٥) الذنوب (بالفتح): الدلو.
(٦) التشبيهات /٥٥.

يَقْتَـرحُ النـاسُ عَليهـا ومَـا   يَقْتَـرح النَّاسُ على الـطَّاري
تُبْـدِلُ إنْ قِيـلَ لـهـا بَـدِّلي   طـائِعـةً مِـن غَيـر إصْـغـارِ
كـأنَّـهـا في حين تَبْـدِيلها   تـأخـذُ في أهْـزاجِ أشْعـارِ
عـاشِقَـةُ النُـوَّارِ مـا أَقْبلَتْ   إلَّا بـهـا آثـارُ نُـوَّارِ

وقال ابن خاتمة الأنصاري:(١)

وخَـرْسـاءَ إلَّا زَمـانَ الـرَّبيـعِ   فَفي سَجْعِهـا طَربٌ لِلْخَليـعِ
أتَتْ تَمدحُ النّور فَوق الغصُونَ   كما يشكرُ الحُرُّ حُسْنَ الصَّنيعِ
تُقيمُ لَـه عُـرسُـاً في الـرِّيـا   ضِ عندَ الغرُوبِ وعند الطُّلُوعِ
تُغنِّـي مَـديـداً ومهـمـا يُقَـلْ   لَها بَدِّلي وقَّعَتْ في السَّرِيعِ
ومِـن عَجَـبٍ أنَّ تَسْجِيـعَـهـا   بَدِيعٌ ولم تَدْرِ سَجْعَ البدِيعِ(٢)

وقال أيضاً:(٣)

أحْسَنْتِ أحْسَنْتِ أمَّ الحَسَـنْ   لَقَد جِئْتِ بالحُسْنِ في كلِّ فَنْ
مُحيًّا عَجِيبٌ وشخصٌ طَـرُوبٌ   وسَجْـعٌ أديبٌ وصَـوْتٌ حَسَنْ
ألا بـدٌّ لي يا ابْنَـةَ الحُسْنَيَيْن   فَصْـلِ الـرَّبيـعِ وَوَجْـهِ الـزَّمَنْ
وهـاكَ فـؤاديَ خـلعـاً ومـا   أراهُ يُـوَفِّي ببَـعْض الثَّـمَـنْ
فَـدَيْتُـكِ مِن بُلْبـلٍ هـاجَ مِن   بَـلابِلِ وَجْـدِيَ مـا قَـدْ سَكَنْ

---

(١) ديوانه /٩٨.
(٢) في عجز البيت تورية بسجع بديع الزمان الهمذاني.
(٣) ديوانه /٩٩



الحِمَارُ[1]

الحمار (بالكسر): النَّهاق، من ذوات الأربع ، أهليّاً كان أو وحشيّاً، جمعه أحمِرة ، وحُمُر (بضمتين) وحُمْر (بضمّ فسكون) و حَمير على وزن (أمير) وحُمور (بالضم) وحُمُرات (بضمتين) جمع الجميع (كطُرُقات) وتصغيره حُمَيِّر (بضم ففتح وكسر الياء والمشدَّدة).

كنيته : أبو صابر؛ وأبو زياد، قال الشاعر:

زيـادُ لَسْتُ أدري مـن أبـوه ولـكـنَّ الـحـمـارَ أبـو زِيـادِ

واسم الأنثى : أتان، والجمع أُتُن (بضمتين)، وربَّما قالوا : حَمارة، وكنيتها: أمُّ محمود، وأمُّ تَوْلب، وأمُّ جَحْش، وأمُّ نافع، وأمُّ وَهَبْ، وأمُّ الهَنْبَر.

والحمَّار: راكب الحمار، ومن يبيع الحُمُر، أو يعمل عليها.

وتسمَّى جماعة الحمير: النُخَّة، والسُجَّة، والكُسْعَة، والعانة.

---

(١) حياة الحيوان ١/٢٣٨، و ٢٥٣، والمخصَّص ٢/٦/٢٠٥ و ٢/٨/٤٣ ـ ٥٠، ولسان العرب، وتاج العروس، وأقرب الموارد.

حَمْلُ الحُمُر:

وسَقَت الأتان: حملت ، فإذا مكثت سبعة أيام بعد حَمْلها فهي فَرِيش والجمع فرائِش.

ويقال لها عند أوَّل حملها: جامع، فإذا استبان الحمل وصار في ضرعها لُمَع من سواد فهي مُلْمِع.

من أسماء الحُمُر ونعوتها:

الجحش: ولد الأتان من حين تضعه أمُّه إلى أنْ يفصل من الرضاع والجمع جِحاش، وجِحْشان، وجِحَشَة، وجِحاش، والأنثى جَحْشَة.

التِّلْو : الجحش الذي يتلو أمَّه ، والجمع أتْلاء.

التَّوْلَب: الجحش الذي استكمل الحَوْل، والجمع توالب.

الدَّوْبَل: الحمار الصغير، والجمع دوابل.

العَفْو: الجحش، والأنثى عَفْوَة، والجمع أعْفاء وعِفاء.

اللُّكَع : الجحش، والأنثى لُكعَة.

الهَنْبَر: الجحش، ومنه قيل للأتان: أمُّ الهنبر.

العَيْر : الحمار وحشيّاً كان أوْ أهلياً.

الفَرا ، والفَراء (مقصور ومهموز): حمار الوحش، جمعه فِراء، ومن أسمائه: العَضْرَس، والنَّوْص، و المِصَكُّ، والمِسْحَل.

الأخدري : من حمر العراق من نسل حمار يقال له الأخدر.

الأعَزُّ : السمين الصَّدر والعُنق.

البُهْصُل : الحمار الغليظ.

الجَأب: الحمار الغليظ .

الجَلْعَد: الحمار الشديد .

الذِّفْر : الحمار الصلب الشديد.

الزامل : الحمار الذي كأنَّه يضلع من نشاطه.

الزِّهْلِق : السمين المستوي الظهر من الشحم.

السَّحَّاج : الحمار العَضَّاض.

الصَّنادِل : الحمار الصلب .

العَكْسُوم : اسم الحمار (حِمْيَرِيَّة).

القِلْو : الحمار الفتيُّ الخفيف والشديد السوق لأُتنه والأنثى قِلْوَة.

القَلْخ : الحمار المسنُّ.

القِنادِل : الحمار الصُّلب .

الكَسْعُوم : اسم الحمار (حِمْيَرِيَّة) وقد تقدَّم (العَكْسُوم).

الكَعْسَم : الحمار الوحشي (يمانِيَّة).

الكُنْدُر والكُنادِر: الحمار العظيم والصُّلب الشديد. وفي أقرب الموارد: الكِنْدير.

المُهْصُلِ : الحمار الغليظ.

الجَلَنْفَق : الأتان السمينة .

الحَذُوف : الأتان السريعة، والسمينة .

السَّمْحَج : الأتان الطويلة الظهر، وتسمَّى الصَّعْدَة أيضاً.

الضَّمْعَج : الأتان الضخمة .

العُلْجُوم : الأتان الكثيرة اللحم.

القُنْفُج : الأتان القصيرة العريضة.

القَهْبَسَة : الأتان الغليظة.

المَراغَة : الأتان التي لا تمتنع عن الفحولة .

النَّجُود : الأتان التي لا تحمل، وهي أيضاً الطويلة العنق .

النَّحُوص: الأتان الوحشيَّة الحائِل.

ألوان الحمير :

الأَحْقَب : الأبيض ، والأتان حقباء .

الأَخْطَبَ : الذي في لونه خُضرة، والذي له خطٌّ أسود على متنه، والأتان خطباء، والإسم: الخَطَب.

الأَدْخَن : الذي في لونه غُبرة، والأتان دَخْناء .

الأَقْمَر: الذي يضرب لونه إلى الحُمرة أو الكُدرة، والأتان قَمْراء، والإسم: القُمْرَة.

أصوات الحمير :

حَشْرَج الحمار : نهق .

شَخَر الحمار : صوَّت، وحمار شخِّير.

شَهَق الحمار شَهيقاً وشُهاقاً: نهق .

صَحِل الحمار : بُحَّ وتشقق صوته.

حمار صَخِب الشَّوارِب: يردِّد نهاقه في شواربه، والشوارب ـ هنا ـ: مجاري الماء في الحلق.

صَدَح الحمار : اشتدَّ صوته.

حمار صَعِق : شديد الصوت.

صَلْصَل الحمار : صوَّت، وحمار صُلاصِل: شديد النُّهاق.

عرَّش الحمار بعانته : حمل عليها فاتحاً فمه رافعاً صوته.

عشَّر الحمار : نهق عَشْراً في طَلْق واحد.

نَهَق الحمـار، ينهق نهيقاً ونُهاقاً : صوَّت، والاسم التَّنْهاق.

هَمْهَم الحمار : رَدَّد النَّهيق في صدره.

وَهْوَهَ الحمار : صوَّت حول أتنه شفقة ، وهو وَهْواه.

ذكره في القرآن الكريم :

- ﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس﴾ (البقرة / ٢٥٩).
- ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ (النحل/٨).
- ﴿إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان / ١٩).
- ﴿كمثل الحمار يحمل أسْفاراً﴾ (الجمعة / ٥).
- ﴿كأنَّهم حمر مستنفرة فرَّت من قسورة﴾ (المدثر/ ٥٠).

ممَّا ورد في الحديث الشريف:

- كلُّ الصيد في جوف الفَرا[١].
- إذا أراد الله بعبد شرّاً أمسك عليه بذنوبه حتى يوافيه. يوم القيامة كأنَّه عَيْر[٢].
- أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو قال: أن يجعل الله صورته صورة حمار[٣]
- وأُتِيتُ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار ـ البراق[٤].
- يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه[٥].
- إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوَّذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً[٦].

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤٢٢/٣. والفرا (مقصور ومهموز): حمار الوحش
(٢) المصدر السابق ٣٢٨/٣. العير (بالفتح): الحمار أهلياً كان أوْ وحشياً
(٣) صحيح البخاري ١٧٧/١.
(٤) المصدر السابق ١٣٣/٤.
(٥) المصدر السابق ١٤٧/٤. الاقتاب جمع القتب (بالكسر): المعى
(٦) المصدر السابق ١٥٥/٤.

ممّا ورد في الأمثال:

- (أجهل من حمار)[1]. مأخوذ من قول الناس للجاهل يا حمار، ومن بديع ما جاء في هذا الباب قول ابن المعتز (هذا الحمار من الحمير حمارُ).

- (أخْلَى من جوف حمار)[2]. لأنَّه إذا صيد حمار الوحش لم ينتفع بما في جوفه، ولكن يرمى به.

- (أدْنَى حمارَيْكِ آزْجري)[3]. أي عليكِ بأدنى أمرك ثم تَناولي الأبعد.

- (إذا عجز الحمار عن حمل برذعته كان عن وقره أعجز)[4].

- (أصبر من حمار)[5]. لأنَّه يحمل الحمل الثقيل على الدبر. قيل لبزرجمهر: [6] بم أدركت ما أدركـت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار.

- (أوْحَش من حمار أعمى على معلف خالٍ)[7].

- (بال حمار فاسْتَبال أحْمرة)[8] يضرب للوضيع يأتي أمراً وضيعاً فيقتدي به أقرانه، أو في تعاون القوم على عمل غير محمود.

- (الجحشَ لمَّا بذَّك الاعيار)[9]. المعنى: خذ القليل إذا فاتك الكثير.

---

(1) جمهرة الأمثال ١/٣٣٤.

(2) جمهرة الأمثال ١/٤٣٥.

(3) المصدر السابق ١/١٩٨.

(4) التمثيل والمحاضرة/٣٤٤. البرذعة (بالذال المعجمة، والمهملة لغة فيها): الحِلْس يلقى تحت الرجل. الوقر: الحمل الثقيل.

(5) جمهرة الأمثال ١/٥٨٨.

(6) ثمار القلوب /٣٧١.

(7) التمثيل والمحاضرة/٣٤٤.

(8) المصدر السابق /٣٤٥ ومجمع الأمثال للميداني ١/٩٨.

(9) جمهرة الأمثال ١/٣٠٥. نصب الجحش بفعل مضمر تقديره (اطلب) الجحش.

ـ (حمار أبي سيَّارة)[١]. يضرب مثلاً للرجل الصحيح في بدنه. وأبو سيَّارة رجل من عدوان اسمه عميلة بن خالد. وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة.

ـ (حمار أبي الهذيل) [٢]. يضرب مثلاً في الأمر الصغير يتكلبم فيه الرجل الخطير، ومن قصَّته أنَّ أبي الهذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكل معه. فلما وضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو العذيل: يا أمير المؤمنين أنَّ الله لا يستحي من الحقِّ. غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقت يا أبا الهذيل، وقال لحاجبه: أخرج إلى غلام أبي الهذيل وحماره فتقدم بما يصلحهما.

ـ (حمار الحوائج)[٣]. يضرب مثلاً لمن يمتهن.

ـ (حمار طيَّاب)[٤]. يضرب مثلاً في الضعف وكثرة العيب، وطيَّاب سقَّاء طالت صحبته لحماره الضعيف الهزيل، يسقي عليه ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر، ولمَّا مات الحمار مات طيَّاب على أثره باسبوع، وكان هذا الحمار عرضة لشعر أبي غلالة المخزومي فنظم في وصفه نيِّفاً وعشرين مقطوعة، ومن عجيب الإتفاقات موت أبي غلالة على أثر موت حمار أبي طياب أيضاً.

ـ (كحماري العبادي)[٥] يضرب مثلاً للشيئين المتساويين في الرداءة، وقد سئل العبادي: أيُّ حماريك شرٌّ؟ فقال: ذا ثُمَّ ذا.

ـ (حمار العزير)[٦]. يضرب لمن ينتهي أمره ويخمل ذكره ثم يعود

---

(١) ثمار القلوب /٣٦٩.
(٢) المصدر السابق /٣٦٥.
(٣ و ٤ ٥) ثمار القلوب /٣٦٦.
(٦) المصدر السابق /٥٩.

فينتعش، لأنَّ الله تعالى أحياه بعد مائة عام من موته. قال الصاحب بن عباد في أبي محمد عبد الله بن محمد بن عزير لما استوزر بعد النكبة (حمار عزير ذاك لا ابن عزير).

- (دون ذا وَيْنفقُ الحمارُ)[1] يضرب مثلاً للرجل يبالغ في مدح الشيء فيقال له: اقتصد فبدون هذا المديح تبلغ حاجتك.

- (ذكَّرني فُوكِ حمارَيْ أهْلي)[2]. يضرب مثلاً للرجل يبصر الشيء فيذكر به حاجةً كان قد نسيها. وأصله أنَّ رجلاً خرج يطلب حمارين لأهله أضلَّهما، فمرَّ على امرأة جميلة المنتقب فقعد يحادثها ونسي حماريه لشغل قلبه بها، ثم أسفرت فإذا لها أسنان منكرة، فتذكَّر بها أسنان الحمار فانصرف عنها وهو يقول: ذكَّرني فُوكِ حِمارَيْ أهْلي.

- (قد يضرط العَيْر والمكواة في النَّار)[3]. يضرب مثلاً للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه.

- (قف الحمار على الردهة ولا تقل له سَأْ)[4]. معناه إذا أريت الرجل رُشدَه فلا تكرهه عليه فقد فعلت ما وجب عليك، كالحمار إذا وقفته على الردهة.

- وهي نقرة يجتمع فيها ماء المطر - فإنَّه يشرب إن كانت به حاجة إلى الشرب من غير زجر، وسَأْ زجر معروف للحمار.

- (كان حماراً فاسْتَأْتَن)[5]. يضرب للعزيز يَذِلُّ.

---

(١) و (٢) جمهرة الأمثال ١/٤٥٠ و ٤٦٣.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٢/٩٥.

(٤) جمهرة الأمثال ٢/١٢٥.

(٥) التمثيل والمحاضرة /٣٤٣.

ـ (كلُّ الصَّيد في جَوْف الفَرا)[1] . الفَرا: الحمار الوحشي، يضرب مثلاً لمن يُفضَّل على أقرانه، والمثل قديم وقد تمثَّل به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم.

ـ (لا يَأبَى الكرامةَ إلاَّ حمار)[2]. يضرب لمن يُكرَّم فيأبى الكرامة . .

ـ (ما بالعَيْر من قماص)[3]. يضرب لمن ذلّ بعد الامتناع. والقماص (بالكسر ويضم): الوثوب.

ـ وهذه بعض الأمثال المنظومة[4]:

رُبَّ عيْـر يَرْعى ويَعلفُ ماشا ء وليثٍ يجـوعُ في الصَّحْـراءِ

* * *

إذا ذَهبَ الحمـارُ بأمِّ عَمْـرٍو فـلا رَجَعَتْ ولا رَجَعَ الحِمـارُ

* * *

سَـوفَ تَرىٰ إذا انْجَلَى الغبارُ أفَـرسٌ تَـحتـكَ أمْ حِـمـارُ

* * *

أتَـتـركُنـي ودارُكَ عنـدَ داري وتَـطْلُبُني بمصـرَ على حِمـارِ
كَـمْ مِن حِـمـارٍ على جَـوادٍ ومِـن جَـوادٍ عَـلى حِـمـارِ

* * *

ولـو لبسَ الحمـارِ ثُيـابَ خَزٍّ لقـالَ الناسُ يـالكَ من حمارِ

* * *

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/١٦٢.
(٢) الفاخر /٢٩٠.
(٣ و (٤) التمثيل والمحاضرة /٢٤٣ و ٢٤٥.

كحمارِ السُّوءِ إنْ أشْبَعْتَه   رمَح النَّاسَ وإنْ جاعَ نَهَقْ

* * *

ما المرأُ إلاّ كعَيْرِ السُّوءِ يضربهُ   سَوطُ الزَّمانِ ولا يَجْري على السَّنَنِ

ممَّا جاء عنه في القصص[1]

قيل إنَّ جملاً وحماراً توحَّشاً فوجدا مرعى خالياً يرتعان فيه، فقال الحمار يوماً وقد بَطر: إنِّي أريد أنْ أغنِّي، فقال الجمل: أتَّق الله فينا فانِّي أخشى أنْ ينذر ربنا فنؤخذ. قال: لابدَّ من الغناءَ ثم نهق، فسمعته قافلة مارَّة فاخذوهما، فأبى الحمار أن يمشي فحُمِل على الجمل فمرُّوا به في عقبة، فقال الجمل: إنِّي طربت لغنائك المتقدِّم وأريد أنْ أرقص رقصةً. فقال الحمار: اتق الله إنِّي أسقط فلا تفعل. فرقص فأسقط الحمار فوقَّصه[2].

ممَّا جاء عنه في الكلام المنثور:

١ ـ دخل خالد بن صفوان على عليِّ بن الجهم بن أبي حذيفة[3] والي البصرة، فألفاه يريد الركوب، فقرِّب إليه حمار ليركبه فقال خالد:

أما علمت أنَّ العَيْر عار، والحمار شنار، منكر الصوت، قبيح الفوت، متزلِّج في الضَّحل، مرتطم في الوحل، ليس بركوبة فحل، ولا بمطيَّة رجل، راكبه مُقْرِف، ومسايره مُشْرِف.

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه وركب فرساً ودفع الحمار إلى خالد فركبه، فقال له: ويحك يا خالد أتنهي عن شيء وتأتي مثله؟ فقال:

---

(١) محاضرات الادباء ٢/٧٠٨.

(٢) سبق أن أوردت في فصل (ابن آوى) قصة الأسد وابن آوى والحمار.

(٣) كذا في زهر الآداب ٢/٩١٣، وفي محاضرات الأدباء ٢/٦٣٤ ابو الجيم والي البصرة.

أصلحك الله، عَيْر من بنات الكربال[1]، واضح السربال، مختلح القوائم يحمل الرجل، ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جبَّاراً عنيداً، ان لم أعترف بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين.

٢ ـ وقال أبو الفرج الببغاء من رسالة وصف فيها أتاناً معَّمدة ببياض وسواد كانت قد أهدِيتْ لعزِّ الدين بن بختيار بن بويه من جهة صاحب اليمن، قال[2].

كأنَّما وَسمها الكمال بنهايته، أو لَحَظها الفلكُ بعنايته، فصاغها من ليله ونهاره، وحلاَّها بنجومه وأقْماره، ونقشها ببدائِع آثاره، ورَمَقها بنواظر سعوده، وجعلها أحَدَ جدُوده[3] ذات إهاب مُسيَّر، وقُرْبٍ مُحبَّر[4]، وذَنَب مُشجَّر، وشَوىً[5] مُسوَّر[6] ووجه فُرَّجج، ورأس متوَّج، تكتنفه أذنان كأنَّهما زُجَّان[7]، سُبُجِيَّة[8] الأنصاف، بلُّوريَّة الأطراف، جامعة شِيَتَها[9] بالترتيب بين زمني الشبيبة والمشيب. فهي قيد الأبصار، وأمد الأفكار، ونهاية الإعتبار، غَنيٌّ عن الحَلْي عَطَلُها، مُزرية بالزَّهر حللُها، واحدة جنسها، وعالم نفسها، صنعة الحكيم، وتقدير العزيز العليم.

٣ ـ ومن رسالة لأبي الحسن بن نصر الكاتب أرسلها الى صديق له اشترى

---

(١) كذا ورد في زهر الآداب، وقال محققه: الكوبال كورة بفارس، ولم أقف عليها في كتب البلدان المتيسرة لديّ.

(٢) نهاية الأرب. ٩/٣٢٧.

(٣) جدوده: حظوظه.

(٤) إهاب مسيَّر: جلد مخطَّط. القرب (بضم، وبضمتين): الخاصرة.

(٥) الشوى: اليدان والرجلان.

(٦) مسوَّر: يريد محاط بنقش مثل السوار.

(٧) الزجَّان تثنية زجّ: الحديدة التي تركَّب في أسفل الرمح.

(٨) سُبجيَّة: نسبة الى السبجة وهو كساء أسود.

(٩) الشِّية، هي في ألوان البهائم بياض في سواد، أو سواد في بياض.

حماراً يداعبه بها، قال: (1).

... أتتنا الأنباءُ تنعى رأيَك الفائِل[2] وتفلُّ عزمَك الآفل، بوقوع اختيارك على فاضِحِ صاحِبِه، ومُسْلِم راكبه، الجامد في حَلْبَة الجياد، والحاذق بالحِران والكِياد. السَّوْمُ[3] دِينُه ودَأبه، والبلادة طبيعته وشأنه، لا يصلحه التأديب ولا تقرع له الظنابيب[4]، إنْ لحَظَ عَيْراً نهق. أو لمح أتاناً شبق، أو وجد روثاً شمَّ وانتشق، فكم هشم سنّاً لصاحبه، وكم سعط أنفَ راكبه، وكم استردَّه خائفاً فلم يَرْدُدْه، وكم رامه خاطباً فلمْ يُسعِده، يعجل إنْ أحبَّ الأناة والإبطاء، ويرسخ إنْ حاول الحثَّ والنَّجاء، مطبوع على الكيد والخِلاف، موضوع للضَّعة والاستخفاف، عزيز حتى تهينه السِّياط، كسولٌ ولو أَبْطره النَّشاط، ما عرف في النجابة أبا، ولا أفاد من الوَغْي أدبا، الطالب به محصور، والهارب عليه مأسور، والممتطي له راجل، والمستعلي بذروته نازل، له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء اشنؤها، ومن الأذهاب أصدؤها، ومن القدود أحقرها، تجحده المراكب، وتجهله المواكب، وتعرفه ظهور السوابك (كذا)، وتألفه سباطات[5] المبارك والله الموفق.

ممّا جاء عنه في الشعر

قال مسعود بن كبير الجرميّ[6] في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما وصفه به النخَّاس:

---

(1) نهاية الأرب ١٠/١٠٠.

(2) الفائل: الخاطىء الضعيف.

(3) السوم: الرّعي.

(4) الظنابيب، جمع الظنبوب: حرف الساق من قُدُم. يقال: قرع ظنابيب الأمر، أي ذلّله وسهّله.

(5) السباطة: الكناسة تطرح حيث ترمى الأوساخ.

(6) الحيوان للجاحظ ٦/٣٨١.

يا أجْنَحَ الأذْنِ ألا تَخُبُّ   أهانَكَ اللّهُ فبِئْسَ النَّجْبُ
ما كانَ لي إذْ أشْتَريك قلْبُ   بَلى ولكن ضاع ثَمَّ اللُّبُّ
إنَّ الّذي باعَكَ خَبٌّ ضَبُّ   أخبرَني أنَّك عَيْرٌ نَدْبُ
وشَرُّ ما قالَ الرِّجالُ الكذبُ   صُبَّ عليه ضَبُعٌ وذِئبُ
سِرْحانةٌ وجَيْألٌ قِرْشَبُّ   ذِيخٌ عَدَتْهُ رَمْلةٌ وهُضْبُ[1]
كأنَّهُ تحتَ الظَّلامِ سَقْبُ   يأخذُ منهُ مَن رآهُ الرُّعْبُ[2]
أبو جراءٍ مسُّهُنَّ السَّغْبُ   وصَبَّح الراعي مُجَرًا وَغْبُ[3]

وقال أبو غلالة في حمار طيّاب[4] :

لم أبْكِ شَجواً لفَقْدِ حِبٍّ   ولا ابتلاني بذاك رَبِّي
لكنَّني قد بكيتُ حُزناً   على حِمارٍ لجارِ جَنْبِ
لو شمَّ ريحَ الشَّعيرِ شَمّاً   من غير أكْلٍ لقالَ حَسْبي
أوْ عايَنَ القَتَّ مِن بَعيدٍ   يَوْماً لَغنّى بصَوْتِ صَبِّ
ليسَ يزولُ الّذي بقَلْبي   يا مَنْ جَفاني بغَيرِ ذَنْبِ

وقال آخر على لسان حمار[5] :

قال حمارُ الحَكيم تُوما   لَوْ أنْصفُوني لكنتُ أرْكَب[6]
لأنَّني جاهِلٌ بَسِيطٌ   وصاحِبي جاهلٌ مُركَّبْ

---

(١) السرحانة: انثى الذئب. جيأل: الضبع . القرشبُّ: الأكول. الذيخ (بالكسر) : الكثير الشعر من الضباع .
(٢) السقب: ولد الناقة .
(٣) مجّرا، تسهيل مجرّأ وهو الجريء الوغب: اللئيم الوغد، ويعني الذئب .
(٤) ثمار القلوب /٣٦٨ .
(٥) نهاية الأرب ١٠/١٠٠ .
(٦) توما: طبيب يوصف بكونه أجهل من حماره .

وقال آخر يداعب أديباً مات حماره[1]:

مَاتَ حمارُ الأديبِ قلتُ قَضَى   وفاتَ مِن أمْرِه الّذي فاتا
مَاتَ وقَد خَلَّفَ الأديبَ ومَن   خَلَّفَ مثلَ الأديبِ ما ماتا

وقال آخر مشبِّهاً المقيم بدار الهوان بالحمار المقيَّد[2]:

إنَّ الهوانَ حمارُ الأهْلِ يَعرفُهُ   والحرُّ يُنكرُه والجَسْرَةُ الأُجُدُ[3]
ولا يُقيمُ بدارِ الذُّلِّ يَعرفُها   إلَّا الأذلَّانِ عَيْرُ الأهْلِ والوَتِدُ
هذا عَلى الخَسْفِ مَربُوطٌ بِرُمَّتِهِ   وذا يُشَجُّ فلا يَأوي له أحَدُ

وقال خالد بن يزيد الكاتب يهجو حماره[4]:

وقائِلٍ إنَّ حِماري غَدا   يَمْشي إذا صَوَّب أوْ أصْعَدا
فقلتُ لكنَّ حِماري إذا   أحْثَثْتُهُ لا يَلحَقُ المُقْعَدا
يَسْتَعذبُ الضَّرْبَ فإنْ زِدْتُه   كادَ مِن اللّذةِ أنْ يَرْقُدَا

وقال أحمد فارس الشدياق يرثي حماراً له وهو يرمز إلى غرضٍ آخر[5]:

راحَ الحمارُ وخَلَّى القَيدَ والوتد   وما رَأى أثرَهُ في النَّاسِ من أحَدِ
فهلْ أنا راكِبٌ مِن بَعدِه وَتداً   أمْ مُجْزِئي قَيدُهُ لو كَانَ من مَسَدِ
أم كيفَ أدْخُلُ داراً كانَ لي سَكَناً   فيها وأنزِلَ عِندي مُنْزلَ الوَلَدِ
سَرْهَدْتُه بِيدي كالطِّفْلِ من شَفَقٍ   كالطِّفلِ من شَفَقٍ سَرْهَدْتُهُ بِيَدي[6]

---

(١) نهاية الأرب ١٠/١٠٠.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٨٣.

(٣) الجسرة: الناقة العظيمة المقدامة على سلوك الأوعار الأجد (بضمتين): القوية الموثَّقة الخلق.

(٤) نهاية الأرب ١٠/٩٩.

(٥) الساق على الساق /٣٥٤.

(٦) سرهدته: غذَّيته وسمَّنته. الشفق (محركة): بمعنى الشفقة.

وجِئْتُـهُ بِشعيـرٍ لا يُخـالِـطُهُ ماسٌ ولا عَسْجَدٌ خوفاً من الدَّرَدِ
وكـانَ يُوقِـظُني منه النُّهـاقُ إذا اسْتَثْقَلتُ نوماً بصَوْتٍ مُطْرِبٍ غَرِدِ
كم حادَ بي عَنْ مَضيقٍ حينَ أَبْصَرَ مَنْ حَولَ الجمالِ تَبُلُّ الأرضَ بالزَّبَدِ
وسارَ بي في طَريقٍ بَلَّ جانِبُها أهلُ الجمالِ بماءِ الوَرْدِ وهو نَدي
وكم جَرَى فارِهاً إذْ لاحَ عَن بُعُدٍ زِفـافُ خَوْدٍ إليها بالِـغَ الأمَـدِ
وإذ تَبَيَّنَ نَعْشـاً لِلجنـازَةِ لم يَمْرُرْ بِهِ مَعْ أَلِيم النَّخْسِ في الكَتَدِ(١)
ما ضلَّ يَوماً عن اسْتِقْرَاءِ مِعْلَفِه أكانَ في رَوْضةٍ غَنَّاءَ أمْ جَرَدِ
قَد رابَني حِذْقُهُ حَتَّى ظَنَنْتُ بِهِ مِسْخِيَّةً مثلَ بَعضِ الخَلْقِ عَن أحَد
وما شَكا قطُّ مِن وَخْزٍ ولا ضعُفَتْ رِجلاهُ عن جَوْبِ وعْثٍ طَالَ أوْ جَدَدِ(٢)
شُلَّتْ يَدَا من به وَلَّى وغادَرَني أمْشي وأنشَبُ في أوْحالِ ذا البَلَدِ
أعـالِمٌ أنَّني مِن بَعـدِه جَـزِعٌ وأنَّ فُـرقَتَـه نـارٌ على كَبِـدي
وأنَّ صَوْتَ المُنادي اليومَ يَزعق أن إلْبَسْ إكافَكَ في جُنْحِ الدُّجَى وعُدِ(٣)
لا يَغْـرُرَنَّكَ رَغَـدٌ أنتَ واجِـدُهُ عندَ الحَراميِّ خَصْمي فيكَ من حَسَدِ
فـإنَّمـا ذا لِحِينٍ أنْتَ تَعْلَمُـهُ ما دامَ شَهراً عَلى طِرفٍ ولا عَتَدِ(٤)
يَفْدِيكَ كلُّ حمارٍ ندَّ من بَطَرٍ أو ضَجَّ من لَغَبٍ أو خَارٍ من جَهدِ(٥)
مصَنْبَعُ الرَّأسِ مَمْشوقُ القَوائِمِ لَمْ يَحْرُنْ إذا سُمْتَه خَسْفاً ولم يَجِدِ
آلِيَّةً أنَّهُ بالطُّرقِ أعْرَفُ مِن مَوْلاهُ إنْ لَمْ يُعِقْهُ القَيدُ ذو العُقَدِ
يا ليتَ لي خُصْلَةً من ذَيلِه أثراً أرْنُو إليها كما يُرْنى إلى الخُرُدِ

---

(١) الكتد: مجتمع الكتفين.

(٢) الوعث: الطريق الخشن الغليظ. الجدد (بفتحتين): الأرض المستوية، وفي المثل (من سلك الجدد أمن العثار).

(٣) الإكاف (بالكسر): البرذعة التي تطرح تحت الرحل.

(٤) الطرف (بالكسر): الكريم من الخيل. العتد (بفتحتين، وبفتح فكسر): الفرس المعدّ للجري وللمهمات.

(٥) ندَّ الحمار: نفر وذهب على وجهه شارداً. اللّغب: التعب، والإعياء.

وقال أبو سيَّارة (عُميلة بن خالد العدواني) وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة، وكان يُخاف عليه من الحسد فيعوِّذه بقوله(١) :

لا هُمَّ مالي في الحِمارِ الأسْوَدْ ... أصْبَحتُ بينَ العالَمينَ أُحْسَدْ
هلَّا يكادُ ذو الحِمارِ الجَلْعَدْ ... يَرقى أبا سيَّارَة المُحَسَّدْ(٢)
من شرِّ كلِّ حاسدٍ إذا حَسَدْ ... ومن أذاةِ النَّافِثاتِ بالعُقَدْ

وقال ابن المعتز يذم حماراً(٣) :

هذا الحمارُ من الحمِير حمارُ ... ناحَتْ عَليهِ حِلْيَةٌ وعِذارُ
وكأنَّما الحركاتُ منه سَواكِنٌ ... وكأنَّما إقْبالُه إدْبارُ

وقال أبو غلالة في وصف حمار طيَّاب السقاء(٤) :

وحمارٍ بَكَتْ عليه الحَمِيرُ ... دَقَّ حتَّى به الذُّبابُ يَطيرُ
كانَ فيما مَضَى يَسيرُ بضَعْفٍ ... وهو اليَوْمَ واقفٌ لا يَسيرُ
كيفَ يَمشِي وليسَ يُعْلَفُ شَيئاً ... وهو شَيْخٌ من الحَميرِ كبيرُ
يأكلُ التِّبْنَ في الزَّمانِ ولكِنْ ... أبْعَدَ الأبْعَدِينَ عنهُ الشَّعيرُ
عايَنَ القَتَّ مرَّةً من بَعيدٍ ... فَتَغَنَّى وفي الفُؤادِ سَعِيرُ
(ليسَ لي مِنكَ يا ظَلومُ نَصِيرٌ ... أنا عَبْدُ الهَوى وأنتَ أمِيرُ)

وقال أبو الحسين الجزَّار (يحيى بن عبد العظيم المصري) يذمُّ حماره(٥) :

---

(١) حياة الحيوان للدميري ١/٢٥٤ .
(٢) الجلعد (بفتح فسكون: الصلب الشديد .
(٣) ديوانه ٢/٥٨٣ .
(٤) ثمار القلوب /٣٦٧ ونهاية الأرب ١٠/٩٩.
(٥) نهاية الأرب ١٠/٩٩ .

هذا جِماري في الحَمِيرِ جِمارُ ... في كُـلِّ خَـطْوٍ كَبْـوةٌ وَعِثـارُ
قِنْـطارُ تِبْنٍ في حَشـاهُ شعِيـرَةٌ ... وشَـعِيـرةٌ فـي ظَهْـرِهِ قِنْـطارُ

وقال أبو الفتح كشاجم (محمود بن الحسين) في صيده الحُمُر الوحشية بالرمي[١] :

لمَّـا بَدا الصُّبْـحُ فقِيـلَ أسْفَـرا ... وقـوَّضَ اللَّيـلُ فقِيـلَ شَمَّـرا
وأذْكَتِ الـريحُ نَسِيمـاً عَطِرا ... كـأنَّمـا يُؤخَـذُ مِنْهـا عَنْبَـرا
غَـدَتْ بِنا جُـرْدٌ طَوَيْنَ ضُمَّـرا ... مَكسُـوَّةٌ من الشِّيـاتِ حِبَـرا[٢]
أبْـلَقُـهـا وحَـزْنُـهـا والأشْـقـرا ... حتَّى إذا العانَةُ عَنَّتْ سَـطَرا[٣]
وظهَـرتْ أوْ كَرَبَتْ أنْ تَـظهَـرَا ... وقـالَ مَن كـانَ أحَـدَّ بَصَـرا[٤]
لِمَنْ يَـليـهِ جَـذِلاً مُسْـتَبْـشِـرا ... أمَـا تَرى أمَـا تَرى أمَـا تَـرى
فـمُنْـبِضٌ أوْ مُـسْـتَجِـدٌّ وَتَـرا ... ومُـطْلِقٌ بِـسَـهْـمِـهِ فَـقَـصَّـرا
ومُمْسِـكٌ أجْدِرْ بِـهِ أنْ يَـظْفُـرا ... وكُـنْـتُ مِـن أشَـدِّهِـمْ تَـنَـظُّرا
لا أنفِـذُ العَـزْمَـةَ أوْ اسْتَـظْهِـرا ... حـتَّى إذا أمْـكَنَـني أنْ أقْـدِرا
بَهَـرْتُهم سَبْـعـاً ومِثْـلي بَهَـرا ... فقَـدَّم المِـقْـدارُ مَن تَـأخَّـرا
مَن أحْسَنَ الوِرْدَ أجاد الصَّدرا ... فكم رَأيتُ مِسْحَـلاً مُعَفَّـرا[٥]
مُكتَسِيـاً مِـن دَمِـهِ مُعَـصْفَـرا ... ما خصَّني بَلْ كانَ لِلقَوْمِ فِرا[٦]

---

(١) ديوانه/١٩٤ .
(٢) الشيات جمع الشية : كلُّ لون يخالف معظم لون الفرس وغيره، وقيل: هي في ألوان البهائم: بياضٌ في سواد، أو سواد في بياض .
(٣) الحزن، قال الزمخشري في الأساس (ومن المجاز قولهم للدابة اذا لم يكن وطيئاً: انه لحزن المشي، وفيه حزونة). العانة: القطيع من الحمر الوحشية . السطر (بفتح فسكون، وبفتحتين) : الصفُّ من الشيء .
(٤) كربت: كادت .
(٥) المسحل (بالكسر) : الحمار الوحشي.
(٦) الفِرا (بالكسر) جمع الفرا (بالفتح) وهو الحمار الوحشي أيضاً .

وكانَ فِيه غَرضٌ أن أشْكُرا ... لِلَّهِ ما أعَمَّهُ فأكثَرا
لَصَدَّقَ النَّبيُّ فيما أخْبَرا ... إذْ قال: كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[1]

وقال ابن المعتز في الحمير والأُتن[2] :

رَعَى شَهْرَينِ بالدَّيْـ ... ـرَيْنِ قُبّاً كالطَّوامِيرِ[3]
يُقَلِّبنَ إلى الذُّعْرِ ... عُيوناً كالقَوارِيرِ
وآذاناً سَميعاتٍ ... كأنْصافِ الكَوافِيرِ[4]
وَقدَّ الأرْضَ منها أسْـ ... ـؤُقٌ صُمُّ الحَوافِيرِ
كأنَّ الأرْضَ تَلْقاها ... بأذْنابِ الزَّنابِيرِ

وقال آخر يمدح حماره الهزيل[5] :

لا تَنظُرَنَّ إلى هُزالِ حِماري ... وآنْظُر إلى مَجْراهُ في الأخْطارِ
مُتوقِّدٌ جَعَلَ الذَّكاءَ إمامَه ... فكأنَّما هو شُعْلَةٌ مِنْ نارِ
عادَتْ عَليهِ الرِّيحُ عند هُبُوبِها ... فكأنَّهُ رِيحَ الدَّبورِ يُباري

وقال أبو الفتح كشاجم في صيده الحمر الوحشيَّة بالأهلَّة[6] :

لمّا نَضَتْ أثوابَها الحَنادِسُ ... ورُنِّقَ الكَوْكَبُ فهو ناعِسُ[7]
عَدَتْ بنا ضَوامِرٌ عَوابسُ ... جُرْدٌ غُيوثٌ شَأْوُها رَوَاجس[8]

---

(١) انظر (كلُّ الصيد في جوف الفرا) في فصلي الأحاديث النبوية، والأمثال من هذا الموضوع .
(٢) ديوانه ٢/٥٨٢ .
(٣) القب (بضم القاف وتشديد الباء) جمع الأقبّ: الدقيق الخصر الضامر البطن . الطوامير، جمع الطامور: الصحيفة المطويَّة .
(٤) الكوافير، جمع الكافور وهو هنا وعاء الطلعة في النخلة الذي ينشقُّ عنها.
(٥) نهاية الأرب للنويري ١٠/٩٨ .
(٦) ديوانه/٢٨٤ . الأهلَّة، جمع الهلال، وهو هنا سنان له شعبتان يصاد به الوحش .
(٧) رنَّق النوم عينيه: خالطهما الشأو: الأمد، والغاية.
(٨) رواجس: لها صهيل كقصف الرعد.

كــأنَّــهــا عَــواصِــفٌ رَوامِــسْ   أطــلالُ مَــا يَــطأنَــهُ دَوارِسُ[1]
يَــرُعْنَ حُمْــراً وِرْدُهــا خَــوامِسْ   بِمِثْــلِ شُهُــبٍ شِبْهُهنَّ قــابِسُ[2]
آكِــلَةٌ لــكــنَّــهــا مَــنــاحِــسْ   تَدْمَى بها الأعقابُ لا المَعَاطِسُ[3]
حتَّى تَــرى النائِمَ وهــو جالِسُ   ما الصَّيْدُ إلَّا ما أراعَ الفارِسُ

و قط حمار للسرَّاج الورَّاق في بئر فمات، فكتب إليه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري يداعبه[4] :

يَفْديكَ جَحْشُكَ إذْ مَضَى مُتَرَدِّياً   وبتــالِــدٍ يُفْــدَى الأديبُ وطــارِفِ
عَدِمَ الشَّعِيرَ فلَمْ يَجِدْهُ ولا رَأى   تِبْناً وراحَ مِن الظَّمــا كالتَّــالِفِ
ورَأى البُوَيْرَةَ غيرَ خَافٍ مــاؤها   فَــرَمَى حُشاشَــةَ نَفْسِهِ لمخــاوِفِ
فهُوَ الشَّهِيدُ لكُم بوافِرِ فَضْلِكُمْ   هذي المكارِمُ لا حَمامَةَ خاطِفِ[5]
قومٌ يَموتُ حِمارُهُم عَطَشاً لقد   أزْرَوْا بِحاتِمِ في الزَّمانِ السَّالِفِ

فأجابه الورَّاق بقصيدة أولها[6] :

أدْنَتْ قُــطُوفَ ثِمارِهــا للقــاطِفِ   وثَنَتْ بأنْفاسِ النَّسِيمِ مَعــاطِفي

منها ما يتعلَّق بذكر الحمار :

ولكَمْ بَكيتُ عَليه عند مَــرابعٍ   ومَــراتِعٍ رُشَّتْ بِــدَمْعي الذَّارِفِ

---

(١) الروامس: الرياح الدوافن للآثار.

(٢) الخوامس: التي ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع.

(٣) مناحس، من النحس وهو الشؤم.

(٤) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

(٥) قوله (لا حمامة خاطف) اشارة الى أبيات ابن عنين التي مدح بها الامام فخر الدين الرازي، وسيأتي ذكرها في باب (الحمام) وأولها :

يــا ابن الكرام المــطعمين اذا شتــوا   في كُــلِّ مخمصــة وثــلج خــاشِفِ

(٦) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

يُمسِي عَلى عُسْري ويُسْري صابراً ... بِمعــارِفٍ تُلْهِيــهِ دونَ مَعَــالِفِ
وقد اسْتَمرَّ عَلىٰ القَناعَةِ يقتدي ... بِي وهيَ في ذا الوَقْتِ جُلُّ وَظائِفي
ودَعـاهُ لِلبِئْـرِ الصَّـدَى فـأجـابَـهُ ... واعْتـاقَهُ صُـرْفُ الحِمامِ الآزِفِ
وهُـو المُدِلُّ بـِإلْفَةٍ طـالَتْ وَمَـا ... أنْسَى حُقُـوقَ مَـرابِعي ومَـآلفي
ومُـوافِقي في كُلِّ ما حَـاوَلْتُـهُ ... في الدَّهْرِ غير مُواقِفي ومُخالِفي
دَوَرانُ ســاقِيْـهِ لِـطاحُـونٍ لِنَقْـ ... ـلِ المَاءِ في شاتٍ ويَومٍ صائِفِ
لكن بمــاءِ البِئْــرِ راحَ بِـنَقْـلَةٍ ... قَتَلَتْه شامات بموتٍ جارِفِ (كذا)

وقال اللّبّادي الشاعر: خرجت من بعض مدن أذربيجان وتحتي مهر رائع وكانت السنة مجدبة، فضمَّني الطريق وغلاماً حَدَثاً على حمار، فحادثته فرأيته أديباً راوية للشعر، فسرنا بقيَّة يومنا وأمسينا إلى خان على ظهر الطريق، فطلبت من صاحبه أن يشتري لنا طعاماً نأكله، وعلفاً للمهر فاعتذر، وبعد أن جعلت له جعيلة جاءني برغيفين ومكُّوك[1] من الشعير، فأخذت رغيفاً ودفعت الآخر الى الغلام، ثم علَّقت الشعير على دابتي وجعلت أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف، فأطرق ملياً ثم قال: أتسمع ـ أيَّدك الله ـ أبياتاً حضرت الساعة؟ قلت: هاتِها، فأنشدني[2] :

يا سَيِّدي شِعْري نُفايَةُ شِعْرِهـا ... فَلِذاكَ نَـظْمِي لا يَقُومُ بِنَثْـرِكـا
وقَد انْبَسَطْتُ إليكَ في إنشادِ ما ... هُو بالحَقِيقَـةِ قَطْرَةٌ مِن بَحْـرِكا
آنَـسْتَـني وسَــرَرْتَـني وبَـرَرْتَـني ... وجَعَلْتَ أمْري مِن مُقدَّمِ أمْرِكا
وأريـدُ أذكرُ حـاجَةً إنْ تَقْضِهـا ... أكُ عَبْدَ مَدْحِكَ ما حَيِيْتُ وشُكرِكا
أنا في ضِيافَتِكَ العَشِيَّةَ ها هُنا ... فاجْعَلْ حِماري في ضِيَافَةِ مُهْرِكا

---

(١) المكُّوك: مكيال عراقي يسع بحساب الأوزان العشرية حوالي ثلاثة أكيال و(٤٨٠) غراماً.
(٢) التحف والهدايا/٩٤ ـ ٩٦.

فضحكتُ، واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره، وابتعت المكُّوك الآخر ودفعته إليه .

وقال أبو غلالة في حمار طيَّاب السقَّاء(1) :

حِـمـارٌ أتـاحَ بـهِ ضِـرُّهُ ... ودارَ عـليـهِ بـذاكَ الـفَـلَكْ

يَميـلُ من الضَّعْفِ في مَشيِهِ ... ويَسْقُط فـي كُـلِّ دَرْبٍ سَلَكْ

فـأمَّـا الـشَّعِيـرُ فـمـا ذَاقَـهُ ... كمـا لا يَذُوقُ الـطَّعـامَ المَلَكْ

يُغنِّي على الـقَتِّ لـمَّـا يَـراه ... وقـد هَـزَّهُ الجـوعُ حتَّى هَلَكْ

أخَـذَت فُـؤادي فَـعَـذَّبْـتَـهُ ... وأسْهَـرْتَ عَيْني فما حَـلَّ لَـكْ

ومن مُلح ابن عنيـن (شرف الدين محمد بن نصر) قوله يرثي حماراً له مات في الموصل(2) :

لَيلٌ بأوَّلِ يومِ الحَشْرِ مُتَّصِـلُ ... ومقلةٌ أبـداً إنْسـانُهـا خَضِـلُ

وهَـلْ ألامُ وقـد لاقَيْتُ داهِيَـةً ... يَنْهَدُّ لَوْ حَمَلْتها بَعْضَها الجُبُلُ(3)

ثَوَى المِصَكُّ الذي قَدْ كُنْتُ آملُهُ ... عَوناً وخُيِّبَ فيه ذلِكَ الأمَلُ(4)

لا تَبعُدَنْ تُرْبَـةٌ ضَمَّتْ شَمائِلَه ... ولا عَدا جانِبَيْها العارضُ الهَطِلُ

لقد حَوَتْ غيرَ مِكْسَالٍ ولا رَعِشٍ ... إن قُيِّدَ القُودَ مِن دُونَ السُّرَى الكَسَلُ(5)

قد كانَ إنْ سابَقَتْه الريحُ غادرها ... كأنَّ أخْمُصَها بالشَّوكِ يَنْتَعِـلُ(6)

---

(1) ثمار القلوب/368 .

(2) ديوانه / 140 .

(3) الجبل (بضمتين، وبضم فكسر): الجماعة من الناس .

(4) المصك: القويّ.

(5) القود جمع الأقود: الذلول المنقاد من الابل والخيل .

(6) في الوافي بالوفيات 5/125 (منتعل) .

لا عاجِزاً عِند حَمْلِ المُثْقَلاتِ ولا (يمشي الهُوَيْنا كما يَمْشي الوَجي الوَجِلُ[1])
مُكمَّلُ الخَلْقِ رَحْبُ الصَّدْرِ مُنتفِخُ الـ ـجَنْبَيْنِ لا ضامِرٌ طاوٍ ولا سَغِلُ[2]
يَطْوي عَلى ظَمأٍ خِمْساً أضالِعَهُ في بَيْضَةِ الصَّيْفِ والرَّمضاءُ تَشْتَعِلُ[3]
ويَقْطعُ المُقْفِراتِ المُوحِشاتِ إذا عن قَطْعِها كَلَّتِ المَهْرِيَّةُ البُزُلُ[4]
فَفي الأباطِحِ هَيْقٌ راعَـهُ قَنَصٌ وفي الجِبالِ المُنِيفاتِ الذُّرى وَعَلُ[5]
يُـرجِّعُ النَّهقَ مَقْـرُونـاً ويُـطْرِبُني لحناً كما يُطْرِبُ المَزْمُومُ والرَّمَلُ[6]
لو كانَ يُفْدى بِمالٍ ما ضَنَنْتُ بِهِ ولم تُصَنْ دُونَه خَيْلٌ ولا خَوَلُ
وإنَّ لي بِنـظامِ الدِّينِ تَعْـزِيَـةً عنه وفي النُّجْبِ من أبْنائِه بَدَلُ

وقال محمد بن يحيى اليزيدي في رثاء حماره[7] :

ألا يا حِماري كُنتَ زَيْني وحِلْيَتِي وكُنْتَ سِراجاً في الفِناءِ المُعَطَّلِ[8]
أأرْجَلني مِنـكَ الزَّمـانُ وحِرفَتي وما كانَ غيرُ اللّهِ في الأرْضِ مُرْجِلي

وقال الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) يصف حمار الوحش من قصيدة في المديح[9] :

عَنْتَـرِيسٌ تَعْدُو إذا مَسَّهـا السَّوْ طُ كعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ[10]

---

(١) الوجي: الذي حفي حافره. عجز البيت للأعشى الكبير، وصدره (غرَّاء فرعاء مصقول عوارضها ـ تمشي) .
(٢) السغل (بفتح فكسر) : المهزول .
(٣) بيضة الصيف: صميمه، وهي بين طلوع سهيل والدَّبران (أساس البلاغة) .
(٤) الابل المهرية: من النجائب، قيل إنَّها تسبق الخيل وفي نسبتها أقوال .
(٥) الهيق: الظليم وهو ذكر النعام .
(٦) المزموم والرمل: لحنان من الحان الغناء .
(٧) شعر اليزيديين/١١١ .
(٨) المعطّل: الموات من الأرض .
(٩) ديوانه/٧ .
(١٠) العنتريس: الناقة الصلبة. المصلصل: حمار الوحش المصوت .

لاحَـهُ الصَّيْفُ والصِّيـالُ وإشْفـا ... قٌ عَلى صَعْدَةٍ كقَوْسِ الضَّالِ (١)
مُلْمِـعٍ لاعَـةِ الفُؤادِ إلى جَحْـ ... ـشٍ فَلاهُ عَنها فبِئسَ الفالي (٢)
ذو أذاةٍ عَلى الخَليطِ خَبيثُ الـ ... ـنَّفْسِ يَرْمي مَرَاغَهُ بالنُّسـالِ (٣)
غادَرَ الجَحْشَ في الغُبارِ وعَدَّا ... هـا حثيثاً لصُـوَّةِ الأدْحـالِ (٤)
ذاكَ شبَّهت ناقتي عَن يَمينِ الـ ... ـرَّعْنِ بعدَ الكلالِ والأعْمالِ (٥)

استعار ناظر الشرقية بمصر حمارة الشاعر البوصيري (محمد بن سعيد) ، فأعجبته، فأخذها وجهز له مائتي درهم، فكتب البوصيري على لسان حمارته الأبيات الآتية، فلما قرأها الناظر ردَّ الحمارة ولم يأخذ الدراهم منه (٦) :

يـا أيُّها السَّيِّـدُ الـذي شَهِـدَتْ ... ألفـاظُـهُ لي بـأنَّـه فـاضِـلْ
حاشاكَ مِن أنْ أجُوعَ في بَلَدٍ ... وأنتَ بـالرِّزْقِ فيـهِ لي كـافِـلْ
ألَمْ تَكُنْ قَـد أخَـذْتَ عـارِيَـةً ... من شرطها أنْ تَـرَدَّ في العاجِلْ
وكانَ عَزْمي عِند الوُصولِ بكم ... أجملَ من أنْ أساقَ لِلحـاصِلْ
مـا كـانَ مِثلي يُعيـرُهُ أحَـدٌ ... قطُّ ولكِـنْ سَـيِّـدي جـاهِـلْ
لـو جَـرَّسُـوهُ عَليَّ من سَفَـهٍ ... لقُلتُ غَيْظاً عَليهِ يَسْتـاهِـلْ (٧)

---

(١) لاحه الصيف: غيَّره. الصيال: مصاولة الفحول من حمر الوحش. الصعدة: الأتان الطويلة الظهر الضال: شجر تتخذ منه القسّي .
(٢) المُلْمِع: الأتان التي استبان حملها. لاعة، من اللّوعة: الحزن الشديد الافتلاء: الفطام، يقول: ظهر حمل الأتان فحزنت على صغير لها أضناه الفطام .
(٣) المراغ : المكان الذي تتمرَّغ فيه الدابة. النسال (بالضم) : ما سقط عن الدابة من الشعر .
(٤) عداها: صرفها. الصوَّة: ما غلظ وارتفع من الأرض. الأدحال جمع دحل: نقب كالنفق ضيِّق الأعلى واسع الأسفل .
(٥) رعن الجبل: أنفه الشاخص منه. الأعمال: من أعمل الناقة : كلَّفها العمل والسير .
(٦) ديوانه/١٨٩ .
(٧) جرَّسوه: ندَّدوا بفعله .

طَـالَ بي شَـوْقٌ إلى وَطَـني   والشَّـوقُ داءٌ لا ذُقْتَه قـاتِـلْ
وبُـغْيَـتـي أن أكـونَ سـائِبَـةً   مِن بَلدي في جَوانِبِ السَّاحِلْ
لا تَـطْمَعُـوا أنْ أكـونَ عِنْـدَكُمُ   فـذاكَ مـا لا يَـرُومُـهُ العـاقِـلْ
وبَعْـدَ هـذا فمَـا يَحِلُّ لَكُمْ   مِلْكي فإنِّي من سَيِّدي حـامِلْ

وقال خاشع محسن الراوي القصيدة الرمزية الآتية[١] :

إنَّ الـحِمـارَ ابنَ حَنْتَمْ   هـو العَـزِيزُ المُـكـرَّمْ[٢]
لـه المَـعـالـفُ تُبْـنَـى   لـه الـعَـلـيـقُ يُـقـدَّمْ
مِن أعْـذَبِ الماءِ يُسْقَى   وأطْيَـبِ التِّـبْـنِ يُـطْعَـمْ
وكـم يُـسـاسُ بِلُطْـفٍ   كَـيْ لا يَضِـيقَ ويَـسْـأمْ
فـهـو الأثِيـرُ الـمرَجَّـى   وهـو الصَّفِـيُّ الـمُـقَـدَّم
وهـو الحَـرِيـزُ المُـوَقَّى   إذا الـزَّمـانُ تَـأزَّمْ
يَـخْـتـالُ دَلاًّ وتِـيـهـاً   إمَّـا على الرَّبْـعِ أقْـدَمْ
تَـرى عَـلـيـهِ جِـلالاً   من هَيْبَةِ السَّرج أعْظَمْ[٣]
ورَشْـمـةً مـن حَـرِيـرٍ   بهـا عَلى العـزِّير شم[٤]
أزْرَى بـكـلِّ جَـوادٍ   يُـسـابقُ الـرِّيـحَ مُـلْجَمْ

* * *

إنَّ الـحمـارَ ابنَ حَنْتَمْ   فـاقَ الجَـوادَ الـمُـطَهَّـمْ

---

(١) ديوانه/٣٩ .
(٢) حنتم : من أسماء النساء .
(٣) الجلال ، عامية مستعملة في العراق، فصيحها: الجلّ (بالضم) وهو للدابة كالثوب للإنسان، جمعه جلال (بالكسر) وأجلال .
(٤) الرشمة، عامية مستعملة في العراق، فصيحها: الرسن (بالفتح) وهو ما كان على الأنف من الأزمّة، والحبل الذي تقاد به الدابة .

فَيا لَهُ خَنْتَمِيًّا ... عَلى العَلِيقَةِ خَمْخَمْ

يَهُزُّ رَأساً وذَيْلاً ... إِلَيكَ إِنْ هو سَلَّمْ

تَراهُ وهوَ مُدِلٌّ ... بالحُسنِ يَزْهُو ويَنْعَمْ

مُعَنْفِصاً مِن حُبُورٍ ... والدَّهْرُ بالسُّوءِ مُفْعَمْ(1)

قَد أخجلَ الظبيَ حُسْناً ... لِمْ لا يُضَمُّ ويُلْثَمْ

فمن تُرَى منه أبْهَى ... عَلى الزَّمانِ وأوْسَمْ ؟

ومَن تُرى منه أصْفَى ... على الحياة وأنْعَمْ ؟

ومَن تُرى مِنه أدْهَى ... ومن تُرى مِنه أفْهَمْ ؟

غَنَّيْتُهُ وهوَ لاهٍ ... حتّى غَدا الرِّيقُ عَلْقَمْ

* * *

إنَّ الحَمِيرَ لأوْلَى ... بِأنْ تُعزَّ وتُكْرَمْ

فلَيْتَني كنتُ مِنْها ... كَيْما أفوزَ وأغْنَمْ

ولَيْتَني لسْتُ أحْجُو ... وليتني لست أعلم(2)

وليتَ عَقْلِيَ يَفْنَى ... وليتَ حِسِّيَ يُعْدَمْ

وليتَ أنِّي أصَمٌّ ... وليتَني كنتُ أبْكَمْ

عَسَايَ أحْيا سَعِيداً ... مثل الحِمار ابنِ خَنْتَمْ

فلا أحسُّ فأشْكُو ... ولا أغارُ فأظْلَمْ

ولا أُذادُ وأُقْصَى ... عن النعيم فأُحْرَمْ

وقال أبو غلالة في هزال حمار طيّاب السقّاء(3) ؛

أقسَمْتُ بالكأسِ والمُدامِ ... وصُحْبَةِ الفِتْيَةِ الكِرامِ

---

(1) عنفص الرجل: ادَّعى بما ليس فيه ، وكان ذا خفة وصلف وخيلاء. وعنفص الحمار، عاميّة مستعملة في العراق، تعني قفز قفزات متتابعة من صحة ونشاط .

(2) الحجو: الفطنة .

(3) ثمار القلوب/٣٦٧ .

أنْ لَستُ أبكي عَلى رسُومٍ غَيَّرها هاطِلُ الغَمامِ
لكنْ بُكائي عَلى حِمارٍ مُوكَّلِ الجِسْمِ بالسَّقامِ
قَد ذابَ ضُرّاً أو ماتَ هَزْلاً فصارَ جِلْداً أعلى عِظامِ
ومرَّ يَوْماً بهِ شَعِيرٌ مِقْدار كَفَّيْنِ للحَمامِ
وحملُ قَتٍّ لشاةِ قَوْمٍ كلاهُما في يَدَيْ غُلامِ
فظلَّ مِن فَرْحَةٍ يغَنِّي وقالَ قَد جَاءَني طَعامي
يا زائرِينا من الخِيامِ حيَّاكم اللهُ بالسَّلامِ
لم تَطرُقاني وبي حَراكٌ إلى حَلالٍ ولا حَرامِ

وقال أحمد بن طاهر يصف حماراً(١) :

شِيَةٌ كأنَّ الشَّمْسَ فيها أشْرَقَتْ وأضاءَ فيها البَدْرُ عندَ تَمامِهِ
وكأنَّه من تَحْت راكبِهِ إذا ما لاحَ بَرْقٌ لاحَ تحتَ غَمامِهِ
ظَهرٌ كجَرْيِ الماءِ لِينُ رُكُوبِهِ في حالَتَيْ إتْعابِهِ وجَمامِهِ
سَفِهَتْ يَداهُ على الثَّرى فتَلاعَبَتْ في جَرْيِه بسهُولِهِ وإكامه
عن حافِرٍ كالصَّخْرِ إلَّا أنَّه أقْوَى وأصْلَبُ منه في آسْتِحْكامِهِ
ما الخَيْزُرانُ إذا انْثَنَتْ أعْطافُهُ في لِينِ مَعْطِفِه ولِينِ عِظامِهِ
عُنُقٌ يطُولُ بها فُضُولَ عِنانِهِ ومُحزَّمٌ يَغْتالُ فَضْلَ حِزامِهِ
وكأنَّه بالرِّيحِ مُنْتَعِلٌ وما جَرْيُ الرِّياحِ كَجَرْيِهِ ودَوامِهِ
أخَذَ المحَاسِنَ آمِناً مِن عَيْبِهِ وحَوَى الكمالَ مُبرَّأً من ذامِهِ

وقال صخر بن عمرو بن الشريد لمَّا أضناه جرحه، وعلم أنَّ امرأته قد برمت به، ورأى تحرُّق أمِّه عليه(٢) :

أرَى أمَّ صَخرٍ ما تَجفُّ دمُوعُها ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعي ومَكاني

(١) نهاية الأرب ١٠/٩٧ .
(٢) الكامل للمبرِّد ٤/٦٠ .

وما كنتُ أخْشَى أنْ أكونَ جِنازَةً   عليكِ ومَن يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ
أهُمُّ بأمْرِ الحَزْمِ لوْ أسْتَطِيعُهُ   وقد حِيلَ بَينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ
لَعَمْري لقد أنْبَهْتِ مَن كانَ نائماً   وأسْمَعْتِ من كانَتْ لهُ أذُنانِ
فأيُّ امْرِىءٍ ساوَى بأمٍّ حَليلَةً   فلا عاشَ إلّا في شَقًى وهَوانِ

وقال أبو غلالة في حمار طيّاب السقّاء(١) :

حِمارُ طَيَّاب لا تُحْصَى مَعايِبُهُ   ما فِيهِ أكثَرُ ممَّا قُلْتُه فيهِ
قد دَقَّ حتَّى رأيتُ الخَيطَ يَشْبَهُهُ   مِن الهُزالِ وعَينُ الضُرِّ تَبْكِيهِ
أقسَمْتُ باللهِ لَولَا التِّبْنِ يأكلُهُ   في كلِّ شَهْرٍ لكانَ الجُوعُ يُفْنِيهِ
ما زالَ يَطْلبُ وَصْلَ القَتِّ مُجْتَهداً   والقَتُّ يقتُلُهُ بالصَّدِّ والتِّيهِ
حتَّى تَغنَّى له من طُولِ جَفْوَتِهِ   صَوْتاً يَبُوحُ بما قد كانَ يُخْفِيهِ
النَّجمُ يَرحَمُني مِمَّا أكابِدُهُ   وأنتَ في غَفْلةٍ عَمَّا أقاسِيهِ

وقال ابن الهبّاريّة في قصّة الحمار والضرغام(٢) :

وقال أبو أيُّوب ما هذا المَثَلْ   قال: حمارٌ كانَ في بَعضِ الحِلَلْ(٣)
فقصَدَ المَرْعَى فخاضَ طِينا   فظَلَّ فِيهِ مُوثَقاً رَهِينا
وكلَّما رامَ الخُروجَ غاصا   مثلَ خَنيقٍ يَطلُبُ الخَلَاصا
إذا تَلكَّا في الخِناقِ واضْطَرَبْ   زادَ خِناقاً بالمِراسِ وعَطَبْ(٤)
كذاكَ من يَحتالُ للرَّخاءِ   قبلَ انقضاءِ مدَّة البَلاءِ
تَزيدُهُ حِيلَتُهُ بَلاءَ   لأنَّه يُراغِمُ القَضاءَ

---

(١) ثمار القلوب/٣٦٨ .
(٢) ديوانه (الصادح والباغم)/٤٦ .
(٣) أبو أيوب: كنية الجمل، ولعله هو المقصود بالبيت. الحلل: جمع حلّة (بالكسر): المحلّة، والقوم النزول فيهم كثرة، وقيل: مائة بيت.
(٤) تلكّا: تلكّأ، أي أبطأ وتوقّف.

فلم يَزَلْ في الوَحْلِ شهراً كامِلاً ... يَرعَى بذاكَ المَرْجِ رَوْضاً باقِلا(١)
حتَّى غَدا مثل الفَنيقِ المُصْعَبِ ... وعادَ في الشَّحْمِ بزِيٍّ مُعْجِبِ(٢)
فصارَ ممَّا نالَهُ مِن أكْلِ ... يَنْهقُ وهو غائِصٌ في الوَحْلِ
فجازَ للحَيْنِ هُناكَ أسَدُ ... للصَّيدِ منذُ مدَّةٍ يَجْتَهِدُ
فسَمِعَ الصَّوْتَ فقالَ : فَرَجُ ... لِكلِّ ضيقٍ سَعَةٌ ومَخْرَجُ
واتَّبَعَ الصَّوْتَ فألْفَى الطِّينا ... دُونَ الحِمارِ لَثِقاً ثَخِينا(٣)
فقال: إنْ خُضْتُ نَشبتُ فيهِ ... وليسَ فيَّ قُوَّةٌ تَكْفِيهِ
أموتُ في يَومٍ ولا أعِيشُ ... إذْ لَسْتُ مِمَّنْ أكْلُه الحَشِيشُ
فَليسَ إلَّا الكَيدُ والتَّدْبيرُ ... والحزمُ لا الإقْدامُ والتَّغْرِيرُ
قال سَلامٌ يا أبا زِيادِ ... وبالودادِ تُخْدَعُ الأعادي
إنِّي أراكَ منذُ حِينٍ ماكِثاً ... بذا المكانِ مُطمئنّاً لابِثا
قال: أبا الحارِثِ عِمْ صَباحا ... فقد غَدَوْتَ مَلِكاً جَحْجاحا
والله ما آختَرتُ المقامَ هاهنا ... مقالَ غرٍّ لم يَكنْ مُداهِنا
لكنَّني مُقَيَّدٌ بالوَحْلِ ... في مِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ وذُلِّ
وإنَّني أرْجوكَ أنْ تُنْقِذَني ... مِن وَرْطَتي هذي وأنْ تُسْعِدَني
فإنْ يَكنْ في طَبْعِكَ القَساوَهْ ... وبَيْنَنا البَغْضاءُ والعَداوَهْ
فَآمنُنْ فأنتَ مَلِكٌ كَبِيرُ ... وها أنا مُضْطَهَدٌ أسِيرُ
وإنَّ مِن خَصائِلِ الكِرامِ ... رحمةَ ذي البَلاءِ والسَّقامِ
وإنَّ مِن شَرائطِ العُلُوِّ ... العَطفُ في البُؤسِ عَلى العَدُوِّ
كفاكَ منها أيُّها الكبِيرُ ... أنِّيَ منها بِكَ مُسْتَجِيرُ
قالَ لهُ اللَّيْثُ دَعَوْتَ رَاحِما ... إنَّ العَظِيمَ يَدْفَعُ العَظائما

---

(١) الباقل: المخضّر .
(٢) الفنيق: فحل الإبل المكرّم. المصعب: الذي ترك فلم يركب فصار صعباً .
(٣) اللثق : النديّ، واللّزج .

أبشر فإنّي كاشِفٌ عَنْكَ الكُرَبْ ونــازِعٌ دُونَكَ أنيــابَ النُّــوَبْ
فــإنَّ مـثلي يَــدفـعُ الأهْــوالا عن العِــدَى ويَحمــلُ الأثْقـالا
لا سِيمَـا عَن مُسْتَجِيرٍ بـائِسٍ وقــانطٍ مِـن الـحَـيــاةِ يــائسِ
قـد قَضَتِ العُقولُ أنَّ الشَّفَقَـهْ عَن الصَّــدِيق والعَـدوِّ صَــدَقَـهْ
ومَن أغـاثَ البـائِسَ المَلْهُـوفـا أعــانَــهُ اللهُ إذا أخِــيــفــا
ومــرَّ لِـلـمَـكْـرِ ولِـلـدَّهـاءِ فسـدَّ من فَـوق مَسيــلَ المـاءِ
فــانقـطعَ المــاءُ وجَفَّ الـطِّينُ في مــدَّةٍ وفَــرِحَ المِـسْـكـيـنُ
ونشَّفَ المـاءَ وخلَّى قَـدْرَ مـا يَـروي بـهِ غَلَّتَـهُ مِـن الـظَّمـا
ولم يَـزَلْ يَـدْعُـو لـه الحِمــارُ ولــيسَ يَــدْري أنَّــه مَـكَّــارُ
حتَّى إذا جَفَّ عليـه الـطِّيـنُ وجِـسْمُــه فــي جَــوْفِــهِ دَفِيـنُ
واحْتَبَسَ الضِّـرْغـامُ عنه عَمْـدا وقَــطَعَ العُشْبَ فـلاقَى جَهْــدا
وجــاءَهُ الـلَّيثُ وقـالَ أجْبَـذُكْ بِقــوَّتي منــه لَعـلِّي أنْقُــذُكْ[1]
قـالَ نَعمْ فأفعَـلْ فـأنتَ عـالِمُ ونــاصِـحُ كما تَقُــولُ راحِــمُ
فَعلِقَتْ مِـن وَقْـتِـهِ مَخـالِبُــهْ فيـهِ وعـادَ اللَّيثُ وهــو راكِبُـهْ
فــدَقَّــهُ مِنْ وَقْتِـهِ وافْـتَـرَسَــهْ وَيْـح أبِيــهِ صائِـداً مـا أكيَسَـهْ

(١) جبذ : لغة في جذب، وليست قلباً لاستقلال كل حرف بتصرفه .



الحَمــام[1]

أجنـاسـه :

الحمام: وحشيٌّ وأهليٌّ ، وبيوتيٌّ وطورانيٌّ[2] . وكلُّ طائر يعرف الزِّواج، ويحسن الصوت والهديل، والدعاء والترجيع فهو حمام وإنْ خالف بعضه بعضاً في بعض الصوت واللَّون ولحن الهديل. ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنَّه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه، بل يُغمِّر منقاره حتَّى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم .

الحمام جمع، ويجمع أيضاً على حمامات وحمائم، واحده حمامة للذكر والأنثى، لأنَّ الهاء إنَّما دخلته على أنَّه واحد من جنس لا للتأنيث، وربَّما قالوا: حمام للواحد .

ويشمل هذا الإسم عند العرب أسماء كثيرة، ومن أهمِّ تلك الأسماء ما

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/١٤٤ . المخصّص ٢/٨/١٦٧ . حياة الحيوان ١/٢٥٦ و٢/١١ و ١٩٦ و ٢٥٨، ٣٩٤ و ٤١٠ ، والمعجم الزوولوجي ٢/٥٤٢ ، والصحاح للجوهري، ولسان العرب، وأقرب الموارد ـ في حدود المواد التي سيرد ذكرها ـ .

(٢) الطوراني نسبة إلى طور سيناء ، وقيل: (طراني) نسبة إلى جبل يقال له (طرآن)

تردَّد ذكرها في أشعارهم وهي :

ـ الفاختة (بكسر الخاء) جمعها فواخت وهي ضرب من الحمام المطوَّق ويقال لها : الصُلْصُل (بضم الصادين) . قيل إنَّ اسم الفاختة مشتق من الفخت وهو ظل القمر. وفختت الفاختة : صوتت، وتفخَّتت المرأة : مشت مشي الفاختة .

ـ القُمري (بالضم) والجمع قماري، وقُمْر (بضم فسكون) والأنثى قمريَّة، ويسمَّى الذكر (ساق حرٍّ) و (وَرَشان) جمعه وراشين وكنيته : أبو زكرى، وأبو طلحة، وأبو الأخضر، وأبو عمران، وأبو النائحة .

ـ اليمامة، وقد اختلفوا في التعريف بها فمن قائل إنَّها الحمامة البريّة، وقائل إنَّها الحمامة الأهلية .

والإسم يقع على الذكر والأنثى، والهاء للجنس لا للتأنيث، والجمع يمامات، ويمام .

ـ الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها إلى السواد في غبرة .

واعتبر بعضهم (القطا) من الحمام، ولكنني أفردتها لأسباب سأذكرها عندما تأتي نوبتها .

ممَّا ورد في الأمثال

ـ (آلف من حمام مكَّة) ويقال أيضاً (آمن من حمام الحرم)[1] وذلك أنها لا تثار، ولا تصاد، فهي تألف وتأمن ويطول عهدها هناك .

ـ (أحمق من حمامة)[2] لأنَّهم يزعمون أنَّها لا تصلح عشها، فربَّما سقط

---

(١) جمهرة الأمثال ١/١٩٩ ، وحياة الحيوان ١/٢٦٣ .

(٢) جمهرة الأمثال ١/٣٩٣ .

بيضها فانكسر .

- (أشجى من حمامة)[1] .

- (أكذب من فاختة)[2] رموها بالكذب زوراً لأنّهم توهّموا أنّها تقول في هديلها - وهي فوق النخلة ، والنخلة لم يخرج طلعها بعد - (هذا أوان الرطب) فقال شاعرهم :

أكــذبُ مــن فــاخِــتَـةٍ تــقــولُ وَسْطَ الــكَــرَبِ
الــطلْعُ لــم يَبْــدُ لَــهــا هــذا أوانُ الــرُّطَــبِ

- (أهدى من حمامة)[3] يريدون الحمام الزاجل الذي يُستعمل لنقل الرسائل إلى مختلف الأقطار .

- (تقلّدها طوق الحمامة)[4] يقال ذلك للرذيلة يأتيها الإنسان فيلزمه عارها ، وهو مأخوذ من قول الشاعر عبيد بن الأبرص .

إذهَبْ بهــا إذْهَــبْ بهــا طُــوِّقْتَهــا طــوقَ الحَــمــامَــهْ

ومنه قولهم (طوق الحمامة لا يبلى على القِدَم)[5] وقولهم (كأطواق الحمائم في الرقاب)[6] .

- (زقّه زقَّ الحمامة فرخها)[7] يضرب مثلاً لمن تولّى تربية قريب له فلم يقصِّر في رعايته والشفقة عليه .

---

(١) المصدر السابق ١/٥٣٨ .
(٢) المصدر السابق ٢/١٧٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ١/٢٧٥ .
(٥) و ٦) - التمثيل والمحاضرة/٣٧٢ .
(٧) المعجم الزوولوجي ٢/٥٤٩ .

ـ (الفاخـتة عنده أبو ذرْ)[1] لقد مرَّ في الأمثال قبل قليل (أكذب من فاختة) أمَّا أبو ذرٍّ فهو الغفاري جندب بن جنادة الصحابيُّ الجليل الذي يقول فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وعلى آله وسلَّم (ما أظلَّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ)[2] .

ـ (كن مع الناس يمامة)[3] يعني كن وديعاً مع الناس وعاملهم بالرفق .

ممَّا ورد في القصص

الحمامتان[4] :

زعموا أنَّ حمامتين ذكراً وأنثى ملآ عشَّهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للأنثى : إنَّا إذا وجدنا في الصَّحارَى ما نعيش به فلسنا نأكل مما هنا شيئاً ، فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصَّحارى شيء رجعنا إلى ما في عُشِّنا فأكلناه . فرضيت الأنثى بذلك وقالت له نعمَّا رأيت ، وكان ذلك الحب نديًّا حين وضعاه في عشِّهما . فانطلق الذكر فغاب ، فلما جاء الصيف يبس الحبُّ وتضمَّر ، فلما رجع الذكر رأى الحبَّ ناقصاً فقال لها : أليس كنَّا جمعنا رأينا على ألَّا نأكُل منه شيئاً فلِمَ أكلتِه ؟ فجعلت تحلف أنَّها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تتنصَّل إليه فلم يصدِّقها وجعل ينقرها حتى ماتت .

فلمَّا جاءت الأمطار ودخل الشتاء تندَّى الحبُّ وامتلأ العشُّ كما كان ، فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال : ما ينفعني الحبُّ والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك ، ولم أقدرْ عليك ، وإذا فكّرت في أمرك

---

(١) المعجم الزوولوجي ٥/٤ .

(٢) الاستيعاب ١/٢٥٥ .

(٣) حياة الحيوان ٢/٤١١ .

(٤) كليلة ودمنة/٣٧٨ .

وعلمت أني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات. ثم استمرَّ على حزنه فلم يطعم طعاماً ولا شراباً حتَّى مات إلى جانبها.

الحمامة المطوَّقة والغراب والجرذ[1]:

زعموا أنه كان بأرض سكاوَنْدَجين عند مدينة داهَرَ مكان كثير الصيد ينتابه الصيَّادون، وكان في ذٰلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفَّة الورق فيها وكر غراب. فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بَصُر بصيَّاد قبيح المنظر سيِّء الخلق، وقبح منظره يدلُّ على سوء مخبره، على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلاً نحو الشجرة، فذعر الغراب منه وقال: لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حَيْني، وإمَّا حَيْنُ غيري، فلأثْبُتَنَّ في مكاني حتَّى أنظر ماذا يصنع؟ ثم إنَّ الصيَّاد نصب شبكته ونثر عليها الحبَّ وكمن قريباً منها. فلم يلبث إلَّا قليلاً حتى مرَّت به حمامة يقال لها المطوقة، وكانت سيِّدة الحمام، ومعها حمام كثير، فعميت هي وصاحباتها عن الشرك فوقعن على الحبِّ يلتقطنه فعلِقْن في الشبكة كلُّهنَّ وأقبل الصيَّاد فرحاً مسروراً. فجعلت كلُّ حمامة تتلجلج[2] في حبائلها، وتلتمس الخلاص لنفسها. قالت المطوَّقة: لا تخاذلن[3] في المعالجة، ولا تكن نفس إحداكنَّ أهمَّ إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد فينجو بعضنا ببعضٍ.

فجمعن أنفسهنَّ ووثبنَ وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهنَّ بتعاونهنَّ وعلون بها في الجوِّ. ولم يقطع الصياد رجاءه منهنَّ وظنَّ أنهنَّ لا يجاوزن إلَّا قريباً حتى يقعنَ.

---

(١) المصدر السابق/ ٢٣٥.
(٢) تتلجلج: تردَّد مرتبكة.
(٣) لا تخاذلن: لا تتركن التعاون.

فقال الغراب : لأتبعهنّ وأنظر ما يكون منهنّ، فالتفتت المطوّقة فرأت الصياد يتبعهنّ فقالت للحمام: هذا الصيّاد جادٌّ في طلبكنّ، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا، وإن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف. وبمكان كذا جرذ هوَ لي أخٌ فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك. ففعلن ذلك وأيس الصيّاد منهنّ وانصرف. وتبعهنّ الغراب لينظر إليهنّ لعلّه يتعلّم منهنّ حيلة تكون له عُدَّة عند الحاجة، فلمّا انتهت الحمامة المطوّقة إلى الجرذ أمرت الحمامَ أن يقعن فوقعنَ.

وكان للجرذ مائة جحر أعدّها للمخاوف. فنادته المطوقة بآسمه ـ وكان اسمه زَيْرَكَ، فأجابها الجرذ من جحره : من أنت؟ قالت: أنا خليلتك المطوّقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى فقال لها: ما أوْقعك في هذه الورطة؟ قالت له: ألم تعلم أنه ليس من الخير والشرّ شيء إلّا وهو مقدّر على من تصيبه المقادير، وهي التي أوقعتني في هذه الورطة. فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى منّي وأعظم أمراً. وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضي ذلك عليهما، ثم إنَّ الجرذ أخذ في قرض العَقْد[1] الذي فيه المطوّقة.

فقالت له المطوّقة: إبدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عِقدي، فأعادت عليه ذلك مراراً وهو لا يلتفت إلى قولها. فلما أكثرت عليه القول وكرَّرت قال لها : لقد كرَّرت القول عليَّ كأنَّك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعَيْن لها حقّاً. قالت: إنِّي أخاف إنْ أنت بدأت بقطع عقدي أن تَمَلَّ وتكسل عن قطع ما بقي، وعرفتُ أنك إن بدأت بهنَّ قبلي وكنتُ أنا الأخيرة لم ترضَ وإن أدركك الفتور أنْ أبقى في الشرك. قال الجرذ: هذا ممّا يزيد الرغبة فيك والمودَّة لك. ثم إنَّ الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوّقة وحمامها معها . . .[2].

---

(١) العقد (بكسر العين) : القلادة.، والمراد هنا: حبل الشرك.

(٢) للقصة بقية لا علاقة لها بالحمام تركناها توخياً للاختصار.

ممّا ورد في الكلام المنثور

١ ـ قال أبو حاتم السجستاني[1] :

جميع الفراسة التي لا تخطىء في حمام الأمصار أربعة أوجه. فالوجه الأول التقطيع، والثاني المجسّة، والثالث الشمائل، والرابع الحركة. فالمحمود من التقطيع عند العلماء ذوي التجارب: انتصاب الخلقة واستدارة الرأس في غير عظم ولا صغر، وعظم القرطمتين[2] ونقاؤهما، واتّساع المنخرين وآنهرات الشدقين، وسعة الجوف وحسن خلقة العينين، وقصر المنقار في غير دقّة، واتّساع الصدر وامتلاء الجؤجؤ[3] ، وطول العنق وإشراف المنكبين وانكماش الجناحين، وطول القوادم في غير إفراط، ولحاق بعض الخوافي ببعض في غير تفنين[4]، وصلابة العصب من غير انتفاخ ولا يبس، واجتماع الخَلق في غير تكزيم[5] ، وعظم الفخذين والساقين، واقتدار الأصابع وقِصر الذّنب وخفّته من غير تفريق من الريش ولا تفنين، وتوقّد الحدقتين وصفاء اللّون. فهذه أعلام الفراسة في التقطيع.

وأمّا أعلام المجسّة فوثاقة الخَلْق وشدّة اللّحم ومتانة العصب وصلابة القصب، ولين الريش في غير رقّة، وصلابة المنقار في غير دقّة.

وأمّا أعلام الشمائل فصفاء البصر وثبات النظر وشدّة الحذر وحسن التّلفُّت، وقلّة التخيُّل وذكاء الفؤاد، وظهور الشهومة وقلّة الرِّعدة عند الذعر،

---

(١) المخصص لابن سيدة ٢/٨/١٧٠.

(٢) القرطمتان من الحمام: نقطتان على أصل منقاره.

(٣) الجؤجؤ: الصدر او عظام الصدر، أو مواصل عظامه، أو مجتمع رؤوس عظامه.

(٤) من غير تفنين: من غير اختلاط.

(٥) التكزيم: القصر، والانقباض.

(٦) الشهومة: الذكاء، التوقد، النشاط.

وخفَّة النهوض إذا نهض، والمبادرة إذا لقط .

وأمَّا أعلام الحركة فالطيران في علوٍّ ومدُّ العنق في سموٍّ، وقلَّة الإضطراب في جوِّ السماءِ، وضم الجناحين في الهواء، وتدافع الركض في غير اختلاط وحسن الأَمِّ في غير دوران، وشدَّة المرِّ في الطيران، فإذا أصبته جامعاً لهذه الصفات فهو الطائر الكامل، وإلَّا فبقدر ما فيه من هذه المحاسن تكون هدايته وفراهته .

٢ ـ وقال النويري[١] : وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان[٢] وبسط فيه القول ووسَّع المجال، ونحن الآن نورد ملخَّص ما قاله فيه. قال: ومن مناقب الحمام حبَّه للناس وأنس الناس به، وهو من الطير الميامين، وهو إذا عَلِمَ الذكر منه أنه قد أودع رحم الأنثى ما يكون منه الولد، تقدَّما في إعداد العش ونقل القصب وشقق الخوص، وأشباه ذلك من العيدان الخوَّارة[٣] الدِّقاق حتى يعملا أُفحوصة[٤] وينسجاها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي اتخذاه واصطنعاه عشّاً بقدر جثمان الحمامة، ثم أشخصا لتلك الأفحوصة حروفاً غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج ، ولتلزم كتفي الجؤجؤ، ولتكون رفداً لصاحب الحَضْن وسنداً للبيض، ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأفحوصة يسخِّنانها ويدفئانها ويطيِّبانها وينفيان عنها طباعها الأُوَّل، ويُحدثان لها طبيعة أخرى مشتقَّة من طباعهما ومستخرجة من رائحة أبدانهما وقُواهما لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع يكون أشبه المواضع طباعاً بأرحام الحمام مع الحضانة والوثارة كي لا تنكسر البيضة بيبس الموضع، ولئلَّا تنكر طباعُها طباعَ

(١) نهاية الأرب ١٠/٢٧١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٣/١٤٧ ـ ١٥٨ .

(٣) الخوّارة: الضعيفة .

(٤) الأفحوصة: الموضع الذي تفحص التراب عنه أي تكشفه لتبيض فيه .

المكان، وليكون على مقدار من البرد والسخونة والرخاوة والصلابة .

ثم إنْ ضربها المخاض وطرَّقت[1] ببيضها بدرت إلى الموضع الذي قد أعدَّته وتحاملت إليه، إلَّا أنْ يقرعها رعد قاصف أو ريح عاصف فإنّها ربَّما رمت بها دون الأفحوصة. والرعد ربَّما أفسد البيض. فإذا وضعت البيض في ذلك المكان الذي أعدَّاه لا يزالان يتعاقبان الحَضْـن ويتعاورانه حتى تنتهي أيَّامه ويتمَّ ميقاته، فعند ذلك ينصدع البيض عن الفرخ فيخرج عاريَ الجلد صغير الجناح مستدَّ الحلقوم[2] فيعلمان أنَّه لا يتّسع حلقُه وحوصلته للغذاء، فلا يكون لهما همٌّ إلَّا أنْ ينفخا في حلق الفرخ الرِّيحَ لتتسع الحوصلة بعد التحامها. ثمَّ يعلمان أنَّه وإن اتَّسعت الحوصلة لا يحتمل في أوَّل اغتذائه أن يزقَّ بالطُّعْم، فيزقّ باللُّعاب المختلط بقُواهما وقوى الطُّعم. ثمَّ يعلمان أنَّ الحوصلة تضعف عن استمراء الغِذاء وهضم الطُعم فيأكلان من شروج أصول الحيطان ـ وهو شيء من الملح المحض والتراب الخالص، وهذا هو السَّبَخ ـ فيزقانه به. حتى إذا علما أنَّه قد اندبغ واشتدَّ زقاه بالحبِّ الذي قد غبَّ في حواصلهما، ثم يزقَّانه بعد ذلك بالحبِّ والماء. حتى إذا علما أنَّه قد أطاق اللَّقْط منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللَّقط فيتعوّدْ. فإذا علما أنَّ إرادته قد تمَّت وأنَّه قد قوي على اللَّقط وبلغ بنفسه منتهى حاجته، ضرباه إذا سألهما الكفاية، ونفياه متى رجع إليهما، وتُنتزع تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك التعطف ثمَّ يبتدئان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المقدمات. فسبحان الهادي الملهم. قال: ثم يبتدىء الذكر بالدُّعاء والطِّراد، وتبتدىء الأنثى بالتأتي والإستدعاء، ثم تَزيف وتَشْكل[3]

---

(١) طرَّقت الحمامة: حان وقت خروج بيضها .

(٢) في الحيوان ٣/١٥٢ (منسد الحلقوم) يقال: انسدَّ واستدَّ انسداداً واستداداً: أغلق، ولا فرق بينهما .

(٣) زافت الحمامة تزيف: إذا مشت بين يدي الذكر مدلَّة متبخترة. شكلت المرأة: كانت ذات شكل أي غنج ودلال.

وتمكّن وتمنع، وتُجيب وتَصْدُف بوجهها ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويكون بينهما قُبَل وآرْتشاف وإدخال فَمِها في فمه وذلك هو التطاعم والمطاعمة. قال الشاعر:

لم أَعْطُها بيدي إذْ بِتُّ أرْشُفُها ... إلَّا تَطاوُلَ غُصْنِ الجِيد بالجِيدِ[1]
كما تَطاعَم في خَضْراءَ ناعِمَةٍ ... مُطَوَّقانِ أصاخا بعدَ تَغْرِيدِ

ممّا جاء في الشعر

قال جهم بن خلف في قمريّة[2]:

وقد شاقَني نَوْحُ قُمْرِيَّةٍ ... طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى
من الوُرْقِ نَوَّاحَةٍ باكَرَتْ ... عَسِيبَ أشاءٍ بِذاتِ الغَضا[3]
تَغنَّتْ عَليه بلَحْنٍ لها ... يُهيِّجُ للصَّبِّ ما قد مَضى
مُطوَّقةٌ كُسِيَتْ زِينَةً ... بِدَعْوَة نُوحٍ لها إذ دَعا[4]
فلم أرَ باكِيَةً مِثْلَها ... تُبكِّي ودَمْعَتُها لا تُرَى
أضَلَّتْ فُرَيْخاً فطافَتْ له ... وقد عَلِقَتْهُ حِبالُ الرَّدَى
فلمَّا بَدا اليأسُ منه بَكَتْ ... عَليهِ وماذا يَردُّ البُكا
وقَدْ صادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ ... خَفُوقُ الجَناحِ حَثِيثُ النَّجا[5]

---

(١) عطا فلانٌ الشيء يعطوه: أخذه بيده.
(٢) الحيوان للجاحظ ٣/١٩٩.
(٣) العسيب من سعف النخل: الذي لم ينبت عليه الخوص. الأشاء: صغار النخل أو عامَّته.
(٤) في الحيوان للجاحظ ٣/١٩٥ أن العرب والشعراء مطبقون على أنَّ الحمامة هي التي كانت دليل نوح عليه السلام ورائده، وحين رجعت إليه ومعها الكرم وفي رجليها الطين دعا لها فعوَّضها الله من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق.
(٥) الضرم (ككتف): الجائع. الملحم (بكسر الحاء): الذي يطعم صاحبه اللحم. الحثيث النجا: السريع الطيران، ويريد به الصقر.

وقال أبو هلال العسكري في قماري[1] :

وَمُغَنِّيـاتٍ من وَراءِ سَتـائِـرٍ مَشقُـوقَـةِ الأَوْسـاطِ والأَحْنـاءِ
غَنَّت فلم تُحـوِجْ إلى مَشهُورَةٍ وشَدَتْ فَلَمْ تُفْقِر إلى المَيْلاءِ
تَبْـدُو عَلى أعْنَـاقِهـنَّ أهِلَّةٌ سُـودٌ تَبـدَّلُ ظُلْمَـةً بِضِيـاءِ

وقال جميل صدقي الزهاوي[2] في الحمام القلاّب :

تَقَلَّبُ بـانْتِـظامٍ في الـهَـواءِ حَمـائِمُ هُـنَّ زِينـةُ كـلِّ راءِ
مُـلوَّنَـةٌ وليسَ هُنـاكَ صِبْـغٌ بـأَلْـوانٍ حَـوَتْ كـلَّ البَهـاءِ
حَمـائِمُ كلَّمـا رُمْـنَ اقْـتِـرابـاً مِن الأَرْضِ ارْتَفَعْنَ إلى السَّماءِ
وعُـدْنَ صَـواعِـداً مُتَقَلِّبـاتٍ وليسَ صُعُـودُهـنَّ بـلا عَـنـاءِ
هَجَـرْنَ وُكُـونَهنَّ بهـا اضْـطِراراً فَطِرْنَ من الصَّباحِ إلى المساءِ[3]
إذا رُمنَ الـوُقُـوعَ عَلى بُيُـوتٍ رَبِينَ بهـا انْقَلَبْنَ إلى الـوَراءِ
بتَـصْـفِـيقٍ يَـلَـذُّ لِسـامِـعِيـهِ وتَصْعِيـدٍ ورَقْصٍ في الـهَـواءِ

وقال أميّة بن أبي الصلت في طوق الحمامة[4] :

وأَرْسلَتِ الحمـامَـةُ بعدَ سَبْـعٍ تَـدُلُّ على المَهالِـكِ لا تَهـابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى في الأرْضِ عَيْناً وغـايَتُـه من الـمـاءِ العُبـابُ
فجـاءَتْ بَعدمـا رَكَضَـتْ بِقِطْفٍ عليـه الثَّأطُ والـطِّينُ الكُثـابُ[5]

---

(١) ديوان المعاني/١٤٣ .
(٢) ديوانه/١٥٨ .
(٣) الوكون جمع الوكن (بفتح فسكون) : عشّ الطائر في جبل أو جدار، وقيل: الوكن مأوى الطير في غير عشّ، والوكر (بالراء) ما كان في عشّ .
(٤) ديوانه/١٨ ، ويلاحظ التعليق على البيت الرابع من المقطّعة الأولى حول طوق الحمامة الذي نالته بدعوة من نوح عليه السلام أثناء الطوفان .
(٥) الركض ـ هنا ـ بمعنى الطيران . الثأط: الطين الأسود المنتن . الكثاب (بالضم) : الكثير. في الحيوان للجاحظ ٣٢١/٢ ، ونهاية الأرب ٢٧٧/١٠ (الكُباب) وهو الطين اللازم .

فَلمَّا فرَّسُوا الآياتِ صاغُوا لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ[1]
إذا ماتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيها وإنْ تُقْتَلْ فَلَيْسَ له اسْتِلابُ

وقال أبو نواس من قصيدة خمرية[2] :

قُطْرَ بُلُّ مَرْبَعي ولي بِقُرَى الْـ ـكَرْخِ مَصِيفٌ وأمِّيَ العِنَبُ[3]
تُرْضِعُني درَّها وتَلْحَفُني بِظِلِّها والهَجِيرُ يَلْتَهِبُ
إذا تَنَتْه الغُصُونُ جَلَّلَني فَيْنانُ ما في أدِيمِهِ جُوَبُ[4]
تَبِيتُ في مَأتَمٍ حَمائِمُهُ كما تُرَثِّي الفَواقِدُ السُّلُبُ
يَهِبُّ شَوْقي وشَوقُهنَّ مَعاً كأنَّما يَسْتَخِفُّنا طَرَبُ

وقال محمد بن حازم الباهلي[5] :

نَهاني أنْ أُطِيلَ الشِّعْرَ قَصْدي إلى المَعْنَى وعِلْمي بالصَّوابِ
وأبْعَثُهنَّ أرْبَعَةً وخَمْساً بألْفاظٍ مثقَّفَةٍ عِذابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بِهنَّ قَوْماً كأطْواقِ الحَمامَةِ في الرِقابِ

وقال يحيى بن هذيل[6] في حمامة :

وقَفَت على الغُصْنِ الجَدِيدِ كأنَّما تَلْهُو بهِ في الغَيْمِ أوْ يَلْهُو بِها
وتَسَتَّرَتْ في سَرْوةٍ مُلْتَفَّةٍ حَجَبَتْ عن الأبْصارِ شَخْصَ رَقِيبِها

---

(١) فرَّسوا : ثبّتوا. في الديوان (فرَّشوا) وما أثبته عن المصدرين المذكورين. السخاب (بالكسر) : القلادة .

(٢) ديوانه/٤ .

(٣) قطربلٌ : قرية شمالي بغداد ينسب إليها الخمر وقد اندثرت منذ زمن بعيد .

(٤) الجوب (بضم ففتح) جمع الجوبة وهي الفجوة، يريدان الشجر الفينان كثيف ليس فيه فجوات تنفذ منها الشمس.

(٥) ثمار القلوب/٤٦٦ .

(٦) التشبيهات/٥٩ .

فكأنما رِيحُ الجنُوبِ تَغايَرَتْ ألَّا تُرَى إلَّا لِوَقتِ هُبُوبِها
باتَتْ تُغازِلُها فَلَمَّا أصْبَحَتْ بَرزَتْ لنا كالشَّمسِ قبلَ غُرُوبِها

وقال شاعر يهجو ويصف المهجو بأنه أكذب من الفواخت[1] :

وقَولُ أبي جَعْفرٍ كلُّهُ كقَوْلِ الفَواخِتِ جاءَ الرُّطَب[2]
وهُنَّ وإنْ كُنَّ أشْبَهْنَهُ فلَسْنَ يُدانِينَه في الكَذِبْ

وقال آخر[3] :

وقد كُنْتَ تَصدُقُ صِدقَ القَطا فأصْبَحتَ أكْذَبَ مِن فاخِتَهْ

وقال عوف بن محلم وقد سمع نوح حمامة[4] :

ألا يا حَمامَ الأيْكِ إلْفُكَ حاضِرٌ وغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ[5]
أفِقْ لا تَنُحْ مِن غير شَيْءٍ فانَّني بَكيتُ زَماناً والفُؤادُ صَحِيحُ
وَلُوعاً فشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زَينَبٍ فها أنا أبْكي والفُؤادُ قَرِيحُ

وقال صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سرايا) [6] :

نَمَّ بسرِّ الرَّوضِ خَفْقُ الرِّياحْ واقْتَدَحَ الشَّرقُ زِنادَ الصَّباحْ
وأخجلَ الوَرْدُ شُعاعَ الضُّحَى فابْتَسَمَتْ منه ثغورُ الأقاحْ
وقامَ في الدَّوْحِ لنَعْيِ الدُّجَى حَمائِمٌ تُطْرِبُنا بالصِّياحْ
مُذْ وُلِدَ الصُّبحُ وماتَ الدُّجَى صاحَتْ فلم نَدْرِ غِناً أمْ نَواحْ

---

(١) ثمار القلوب/٤٩٠ .
(٢) يراجع المثل (أكذب من فاختة) في باب (مما ورد في الأمثال) عن الحمام .
(٣) ثمار القلوب/٤٩٠ .
(٤) الكامل للمبرد ١٢٤/٣ .
(٥) قال المرصفي في رغبة الأمل (٢٦/٧) : الشعر لأبي كبير الهذلي وليس لعوف بن محلم، ولم أجده في ديوان الهذليين .
(٦) ديوانه /١٦٥.

وقال العرجي (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان) مشبِّهاً) الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة [١]:

أَلَم يُنْسِ لَيْلَى عَهدُكَ المُتَباعِدُ ... ودَهْرٌ أتى بَعد الّذي زَلّ فاسِد[٢]

فؤادَكَ أنْ يَهتاجَ لمَّا بَدَتْ له ... رُسُومُ المغَاني والأثافي الرَّواكِدُ

ومَربَطُ أفراسٍ وخَيْمٌ مُصَرَّعٌ ... وهابٍ كجُثْمانِ الحمَامةِ هامِدُ [٣]

وقال ابن ماء السماء (عبادة بن عبد الله) في قمريّ [٤]:

مُطوَّقٌ جَوَّدَ في شَدْوِهِ ... كأنَّما طُوِّقَ إذْ جَوَّدا

مالَ عَلى الخُوطِ فشَبَّهتُهُ ... بشارِبٍ لمَّا انْتَشَى عَرْبَدا

كأنَّما الطلُّ عَلى طَوْقِهِ ... دَمعٌ عَلى عِقْدِ فتاةٍ بَدا

وقال يحيى بن هذيل في الحَمام [٥]:

غَنَّى وفَوقَ جَناحَيْهِ سَقِيطُ نَدى ... والغَيمُ يُنْجِزُ لِلحَوْذانِ ما وَعَدا [٦]

يَهفُو به خُوطُ رَيْحانٍ تُغازِلُهُ ... في الجَوِّ رِيحٌ فتَلْوي مَتْنَهُ أَوَدا

إذا استقلَّ ومَسَّ الأرض تحْسَبُهُ ... مُصَلِّياً [إذْ] تَلقَّى سَجْدَةً سَجَدا [٧]

له ثَلاثَةُ ألْوانٍ تَخالُ بِها ... زُمُرُّداً و عَقِيقاً جاوَرا بَرَدا

وقال عبد الله بن المعتز [٨]:

وصَوتِ حَمامةٍ سَجعَتْ بلَيْلٍ ... وقد حنَّتْ إلى إلْفٍ بعَيدِ

---

(١) ديوانه /١١٦.

(٢) زلَّ: ذهب.

(٣) الخيم (بالفتح) أحد جموع الخيمة، وقال الجوهري (الخيم مثل الخيمة).

(٤) و(٥) التشبيهات /٥٧.

(٦) الحوزان: نوع من الزهر.

(٧) استقلَّ الطائر: ارتفع. في الأصل (إن تلقى) وهو تصحيف. في البيت اشارة الى حكم شرعي

(٨) يلزم قاريء القران بالسجود لله كلما التقى بآية تضمنت سجدة واجبة.

(٩) ديوانه ٢/٥٦٦.

فما زلْنا نقولُ لها أعِيدي   ولِلسَّاقي ألاّ هَلْ من مَزِيدِ

وقال النابغة الذبياني في معلَّقته (١):

احْكُمْ كحكمْ فتاة الحيِّ إذْ نَظرَتْ   الى حَمامٍ شِراعٍ وارِدِ الثَّمَدِ (٢)

يحُفُّه جانبا نيقٍ وتُتْبِعُهُ   مثلَ الزُجاجَةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ (٣)

قالتْ ألا ليتما هذا الحمَامُ لنَا   إلى حمامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ (٤)

فحَسَّبُوهُ فألْفَوْهُ كما حَسَبَتْ   تِسْعاً وتِسْعينَ لم تنقُصْ ولَمْ تَزِدِ

فأكملتْ مائةً فيها حمامَتُها   وأسْرَعَتْ حِسْبَةً في ذلك العَدَدِ

وقال عبد الله بن الدمينة (٥)، وقيل مجنون ليلى (٦):

ألا يا صبا نَجدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ   لقَد زادَني مَسْراكَ وَجْداً عَلى وَجْدِ

إإنْ هتفتْ ورْقاءُ في رَوْنقِ الضحى   عَلى فَنَنٍ غَضِّ النَّباتِ مِن الرَّنْد

بكَيْت كما يبْكي الوَليدُ ولم تَكُنْ   جَليداً وأبْدَيْتَ الذي لم تكن تُبْدي (٧)

وقال صخر الغيِّ (٨) من قصيدة في رثاء ولده:

وما إنْ صوتُ نائحةٍ بلَيْلٍ   بِسَبْلَلَ لا تَنامُ مع الهجُودِ (٩)

تجهْنا غاديَيْن فسائَلَتْني   بِواحِدِها وأسْألُ عَن تَليدِ (١٠)

---

(١) ديوانه /٣٤ .

(٢) فتاة الحي: يقال إنها زرقاء اليمامة، وهي التي يضرب بحدّة بصرها المثل. شراع: مجتمعة. الثمد: الماء القليل.

(٣) النيق: الجبل. مثل الزجاجة، أي عيناً صافية لم يصبها رمد، يقول: إن الفتاة حذرت عدد الحمام وهو بين حافتي الجبل.

(٤) فقد: فحسب.

(٥) ديوانه /٨٥.

(٦) ديوانه /١١٢، وفي القصيدة أبيات منسوبة إلى غير الشاعرين المذكورين.

(٧) هذه رواية ديوان ابن الدمينة، وفي رواية ديوان المجنون بعض الاختلاف.

(٨) ديوان الهذليين ٦٧/٢.

(٩) النائحة الحمامة. سبلل: موضع.

(١٠) تجهنا: أي تواجهنا وتقابلنا. تليد: ابن الشاعر المتوفى.

فقلتُ لهــا فـأمّـا سـاقُ حُـرٍّ فبَانَ مع الأوائِلِ مِن ثمُودِ [1]
وقـالَتْ لَنْ تَـرىَ أبَـداً تَلِيـداً بِعَينِـكَ آخِرِ العُمْـرِ الجَديـدِ [2]
كـلانـا رَدَّ صاحِبَـهُ بِيَأسٍ وتَأنِيـبٍ ووِجْـدانٍ بَعيـدِ

وقال الصنوبري (أحمد بن محمد) [3]:

لي وَرَشـانٌ تَبْهَى بـه الـدَّارُ ويَسْعَـدُ الـزائِـرُوُن والجـارُ [4].
أقَـلُّ مـا فيـهِ أنَّ مَنْـطِقَـه تَقْـدحُ مِن فَـرطِ حُسْنِـه النَّارُ
مُـفْتَـرِقُ الـنَّغـمتَينِ تَـحْـسَبُـهُ تُضْـرَبُ في الحَلْقِ منه أوْتـارُ
أغنُّ لَـدْنُ الغِنـاءِ سَجْسَجُـهُ مِنقـارهُ في الغِنـاءِ مِـزْمـارُ [5]
وطـائِـرٌ واحـدٌ إذا كـثُـرَتْ آدابُـه كـانَ فـيـهِ أطْـيـارُ

قال أبو بكر ابن دريد الأزدي: خرجنا نريد عمان في سفر لنا فنزلنا بقرية تحت نخل، فإذا بفاختتين تتزاقَّان فسنح لي أن قلت[6]:

أقُولُ لَوْرقـاوَيْن في فَرْعِ نَخْلَةٍ وقَدْ طَفَّلَ الإمْساءُ أو جَنَّحَ العَصْرُ
وقَد بَسَطتْ هاتا لتلكَ جَناحَها ومالَ على هاتيكَ من هذه النَّحْرُ
لِيَهْنِكُمـا أنْ لَم تُـراعـا بفُـرْقَـةٍ وما دَبَّ في تَشْتِيتِ شَمْلكما الدَّهْرُ
فَلم أرَ مِثلي قطَّعَ الشَّوقُ قَلبَهُ على أنَّه يَحْكي قساوَتَهُ الصَّخْرُ

وقال محمود سامي البارودي باشا من قصيدة [7]:

وكَمْ لَيلَةٍ أفْنَيتُ عُمـرَ ظَلامِهـا إلى أنْ بَدا للصُّبْحِ فيهِ قَتِير [8]

---

(١) ساق حر: الذكر من الحمام، ويقال هو الفرخ الذي تبكيه الحمام في الهديل.
(٢) العمر الجديد، يعني كل يوم جاء فهو جديد.
(٣) ديوانه /٣٧.
(٤) الورشان: الذكر من القماري، ويسمى ساق حر أيضاً
(٥) اللّدن: الليّن من كل شيء. السجسج من الغناء: الذي يجمع بين الرقة والصلابة.
(٦) ديوانه/٦٦.
(٧) ديوانه ٢/٢٧.
(٨) القتير في الأصل رؤوس المسامير في الدرع، ويطلق على الشيب في أول ظهوره، والمراد هنا ضوء الصبح في أول طلوعه.

شغلْتُ بها قلبي ومتّعتُ ناظِري ... ونَعّمتُ سَمْعي والبَنانُ طَهُورُ [1]

صنعْتُ بها صُنع الكَريم بأهْلِه ... وجِيـرَتِـهِ والـغـادِرُونَ كَـثِيـرُ

فمـا راعنا إلاّ حفيفُ حمـائِمٍ ... لَها بينَ أطْرافِ الغُصُونِ هَدِيرُ

تُجاوِبُ أتراباً لها في خمـائِلٍ ... لهنَّ بِهـا بَعـدَ الحَنينِ صَفِيـرُ

نـواعمُ لا يعْرفن بُؤس معيشـةٍ ... ولا دائِراتِ الدَّهـرِ كيْفَ تَدُورُ

تـوسَّـدُ هـامـاتٌ لهنَّ وَسـائـداً ... مِن الرِّيشِ فيه طائِلٌ وشَكِيرُ [2]

كأنَّ على أعْطافِهـا مِن حبيكِها ... تَمـائِمَ لَمْ تُعقَـدْ لهُنَّ سُيُـورُ

خـوارِجُ من أيْكٍ دواخـلُ غيره ... زَهـاهُنَّ ظِـلٌّ سـابِـغٌ وغَـدِيـرُ

إذا غازلَتْها الشَّمْسُ رفَّت كأنَّما ... عَلى صَفْحَتَيْهـا سُنْدُسٌ وحَـرِيرُ

فلمَّا رأيتُ الصُّبح قد رفَّ جِيدُهُ ... ولَمْ يَبْـقَ مِن نَسْجِ الظَّلامِ سُتُورُ

خرجْتُ أجرُّ الذَّيْلِ تيهـاً وإنَّما ... يَتيهُ الفتى إنْ عَفَّ وهوَ قَدِيرُ

وقال يحيى بن هذيل في الحمام [3]:

ترى قطرات الطَّلِّ كالدُّرِّ فوْقها ... إذا انْتَفَضَتْ في الأيْكِ تَنْثُرُهُ نَثْرا

إذا فـرّقتـه ألّف الغيمُ غيْـرَهُ ... عليها فقد شَبَّهْتُها قَيْنَةً سَكْـرَى

تُـزاحِمُ أخْـرى مثلهـا بعقُـودِهـا ... ولَمْ تَرْضَ باسْتِرجاعِ مَنْثُورِها كِبرا

وشبَّه الحسين بن الحجاج غناء قينة بقهقهة القمري، فقال الثعالبي: لم أسمع من ضرب بها المثل إلاّ أبا عبد الله بن الحجاج فانه ظرف وملح حيث قال [4]:

وقَـيْنـةٍ تـنْـغِـيمُـهـا في الـغِنـا ... أمْـلَحَ مِن قَـهْـقَـهَـةِ القُـمْـرِي

---

(١) قوله (البنان طهور): كناية عن عفّته وامتناعه عما يشين ويقبح.

(٢) الشكير من الشعر والريش: صغاره بين كباره.

(٣) المشبهات /٥٨.

(٤) ثمار القلوب/٤٨٨.

غِنــاؤهــا المَمْــدُودُ بي فــاعِــلٌ	فِعْلَ الغِنَى المَقْصُـورِ بـالعُسْرِ

وقال أبو نواس يصف حماماً لرجل بصريٍّ اسمه يعفور [1]:

يــا أيُّهــا المُــطْنِبُ ذا الغُـرورِ	في صِفَـةِ السُّـودِ من الـطُّيُـورِ
ي الحَسَنِ الهــدَّاءِ والتَّخْبِيــرِ	رَيبَ شهــاداتٍ لــدَعْــوَى زُورِ
إسمَــعْ فَمَــا نَبَّــاكَ كــالخَبِيــرِ	مِن ذي صِفـاتٍ حاذِقٍ نحْـريرِ
صِـفـاتُــهُ مُحْـكَمــةِ التَّحْبِيــرِ	ما جَعَلَ الأسْوَدَ كـاليَعْفُـور [2]
أطْيــارُ يَعْـفُــورٍ ذواتُ الخِيــرِ	أوْلَى بذاتِ فَضْلِها المَـذْكُورِ [3]
هــذا ثناءُ حُسْنِهــا المَشْهُــورِ	يــا حُسْنَهــا فوق أعــالي الـدُّورِ
في حُجَــرٍ شــامِخَــةِ التَّحْجِيرِ	إذا تَــهــادَيْنَ مِــن الــوُكُــورِ
بـعَــرْصَــةِ الإنــاثِ والــذكــورِ	وطــرد الــغــيــور كــالــغُــيُــورِ
تكـريـر تَهْـديـلٍ على تَكــريـرِ	كــأنَّ في هَــديلِهــا الـجَهِـيــرِ
تَــرنُّــمَ لِعِــيــدانٍ والــزَّمِــيــرِ	أوكـدَوِيِّ النَّحـلِ في القفيـر [4]
مِن مُجْتَنَى الذَّوْبِ أخي التَّغريرِ	ذواتِ هــامٍ جَهْمَــة التَّدْويـرِ [5]
وأعْـيُــنٍ أصْـفَـى مــن البِــلَّورِ	في لامِــعٍ من حمــرْةٍ مُنِيــرِ
لَمْــعَ اليَــواقِيتِ مــعَ الشُّــذُورِ	الى قَــراطِيمَ نِبــالٍ حُــورِ [6]
كـتَــوْأمــاتِ اللُّؤْلـؤِ المَــدْخُــورِ	فُصِّـلَ مَقْرُونــاً من المَنْثُورِ [7]
فَــوْقَ مَنــاقِيـرَ قِصــا صُــورِ	كـرَنَّةِ البَمِّ ورَجْعِ الـزِّيـرِ [8]

---

(١) ديوانه/٦٥٥.

(٢) اليعفور - هنا - لون كلون التراب.

(٣) يعفور: اسم الرجل البصري المذكور في مقدمة الأرجوزة الخير (بالكسر) : الشرف والأصل.

(٤) الزَّمير: الغناء الحسن. القفير: خليّة النحل.

(٥) الذوب: العسل. التغرير: رفع الطير اجنحتها للطيران.

(٦) القراطيم جمع قرطمة. نقطة على أصل منقار الحمامة. نبال، جمع نبيل، وهو الذكي النجيب.

(٧) التوائم من اللآلي كالفرائد، لا يكون هذه الا فردة، ولا تكون تلك إلَّا مع مثلها.

(٨) البَمُّ (بفتح الباء وتشديد الميم) والزير (بالكسر): وتران من أوتار العود (معربان).

ذوات ريشٍ كمَداري الحُورِ ... وأرْجُلٍ في حُمْرةِ الحَبريرِ (١)

جُرْدٍ كظَهْرِ الأدمِ المَبْشُورِ ... بَينَ البُطونِ المُلْسِ والظُهُورِ (٢)

من بيْن ما سَبْطٍ وذي تَنْمِيرِ ... كمْ طائرٍ منهنَّ ذي تَشْمِيرِ (٣)

حزوَّرٍ ذي ذَنَبٍ قَصيرِ ... مِن مُزْجِلٍ أرْسِلَ في البُحُورِ (٤)

نشقُّ هَوْلَ الحَوْرِ والغُمُورِ ... كفِعْلِهِ بالحَزْنِ والوُعُورِ (٥)

يقْطعُ كالمُسْتَطْرِدِ المَذْعُورِ ... في اليَوْمِ أيّاماً مِن المَسيرِ

يفُوتُ وَثْباً حذَقَ النُّسُورِ ... وخاطِفَ العِقْبانِ والصُّقورِ

كالحالق الكاسِرِ للتّغْويرِ ... أو سَهْمٍ رامٍ قاصِدٍ طَريرِ (٦)

أو لِفْت نارٍ بيَدِ المُشِيرِ ... حتّى هَوَى للْوَكْرِ كالمَمْطُورِ (٧)

نضعْضعَ الحجْرةَ بالنّعيرِ ... وكبَّروا فأيّما تكبيرِ

فربَّ ساعٍ عندها بشِيرِ ... أبرَّ مِنه قَسَمُ النَّذِيرِ

وقال كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين) يرثى قمرياً (٨):

غدر الزّمانُ وجار في أحْكامِهِ ... والدَّهرُ عَيْنِ الخائِنِ الغدَّارِ

ورزِئْتَ اعْلاقاً عليَّ كريمةً ... من قَبلِ أنْ تُقْضَي بها أوْ طارِي (٩)

---

(١) المداري جمع مدراة: المشط.

(٢) جرد (بالضم): ليس عليها ريش. الأدم: الجلد: المبشور: المقشور.

(٣) السبط: المسترسل ضد الجعد، و (ما) زائدة. التنمير: التنقيط من أيِّ لون كان، يوصف به الطير والبراذين. التشمير: الاختيال، والجدُّ في الأمر.

(٤) الحزوَّر: الصبي القوي. المزجل: الحمام الزجل الذي يرسل على بعد ويقوم مقام البريد.

(٥) الحور (بفتح فسكون) القعر والعمق. الغمور: المياه الكثيرة. الحزن (بالفتح): الأرض الصلبة.

(٦) الحالق: المرتفع. التغوير: الهبوط الى الغور وهو ما انحدر من الأرض. الطرير: المحدَّد.

(٧) اللِّفت (بكسر اللام): شقُّ الشيء وجانبه.

(٨) ديوانه /٢٢٧.

(٩) الأعلاق جمع العلق (بالكسر): النفيس من كلِّ شيء

وفُجِعتُ بالقُمْريِّ فَجْعَةَ ثاكلٍ ... ففقَدْتُ فيه أمْتَعَ السُّمَّارِ
لَوْنُ الغمَامَةِ والغمامَةُ لَوْنُه ... ومُناسِبُ الأقْلامِ بالمِنْقارِ
ومُطوَّقٍ من صِبْغِ خِلْقَهِ رَبِّهِ ... طَوْقَيْنِ خِلْتَهما مِنَ النُّوَّارِ
ولَطالَما اسْتَغْنَيْتُ في غلسِ الدُّجى ... بهَديلِهِ عنْ مُطْرِبِ الأوْتارِ
هَزَجُ الأصائِلِ يَسْتَحِثُّ كؤوسَنا ... ويُقِيمُنا لِلْفَرْضِ في الأسْحارِ
لَهْفي عَلى القُمْرِيِّ لَهْفاً دائِماً ... يَكْوي الحَشَا بِجوَىً كلَذْعِ النَّارِ
ولقد هَجَرْتُ الصَّبْرَ بعدَ فِراقِهِ ... ولقَدْ مزَجْتُ دَماً بدَمْعٍ جاري
ما كنتَ في الأطْيارِ إلَّا واحِدٌ ... هَيْهاتَ أوْدَى سَيِّدُ الأطْيارِ

وقال جهم بن خلف في حمامة (١):

وقَدْ هاجَ شَوْقي أنْ تَغنَّتْ حمامَةٌ ... مُثوَّقَةٌ وَرْقاءُ تَصْدَحُ في الفَجْرِ
هَتُوفٌ تُبَكِّي ساقَحُرٌّ ولَنْ تَرى ... لها دَمْعَةً يَوماً عَلى خَدِّها تَجْري
تَغنَّتْ بلَحْنٍ فاسْتَجابَتْ لِصَوْتِها ... نَوائِحُ بالأصْيافِ في فَنَنِ السِّدْرِ
إذا فَتَرَتْ كرَّتْ بلَحْنٍ شَجٍ لَها ... يُهيِّجُ للصَّبِّ الحَزِينِ جَوَى الصَّدْرِ
دَعَتْهُنَّ مِطْرابُ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ... بصَوْتٍ يَهِيجُ المُسْتهَامَ عَلى الذِّكْرِ
فلَمْ أرَ ذا وَجْدٍ يَزِيدُ صَبابَةً ... عَليها ولا ثكْلَى تُبَكِّي عَلى بكْرِ
فأسْعَدْنَها بالنَّوْحِ حتَّى كأنَّما ... شَرِبْنَ سُلافاً مِن مُعتَّقَةِ الخَمْرِ
تجاوَيْنَ لَحْناً في الغُصُونِ كأنَّها ... نَوائِحُ مَيْتٍ يَلْتَدِمْنَ لَدَى قَبْرِ(٢)
بِسُرَّةِ وادٍ مِن تَبالَةَ مُونِقٍ ... كَسَا جانبَيْهِ الطَّلْحُ واعْتَمَّ بالزَّهْرِ(٣)

وقال ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) في نُواح الحمام (٤):

حمَائِمُ وُرْقٌ في حِمَى وَرَقٍ خُضْرِ ... لَهَا مُقَلٌ تُجْرِي الدُّمُوعَ ولا تَجْري

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/٢٤٢.

(٢) يلتدمن، من الإلتدام وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة.

(٣) تبالة: موضع ببلاد اليمن. الطلح: شجر عظام.

(٤) ديوانه /١٦٧.

تكلَّفْنَ إسْعادَ الغَرِيبَةِ إنْ بَكَتْ ... وإنْ كنَّ لا يَدْرِينَ كيفَ جَوَى الصَّدْرِ
لَهَا حُرَقٌ لو أنَّ خَنْساءَ أعْوَلَتْ ... بِهِنَّ لأدَّتْ حَقَّ صَخْرٍ إلى صَخْرِ
فقُلْتُ لِنَفْسي هُنا طَلبُ الأسى ... ومَعْدِنُهُ إنْ فاتَني طَلَبُ الصَّبْرِ
ظَلِلْنا ولو أُ... المُنَى لَصَحِبتُها ... حَماماً ولو تُعْطى المُنَى لَرَوَتْ شِعْري

وقال ... محمد بن الحسين في غناء الحمام [1]:

تَغنَّتْ على الأغْصانِ يوماً حَمائِمٌ ... كمـا يَتغَنَّيْنَ الـقِيـانُ الأوانِسُ
يَظنُّ الَّذي يُصْغي اليهنَّ مَعْبداً ... أو ابْنَ سُرَيْجٍ في ذُرَى الأيْكِ جالس[2]

وقال الأعشى الكبير (قيس بن ميمون) في الحمام [3]:

ألم ترَ أنَّ العَرْضَ أصْبَحَ بَطْنُها ... نَخيلاً وزَرْعاً نـابِتاً وفَصـافِصا [4]
وذا شُرُفاتٍ يُقْصِرُ الطَّيـرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلحَمَامِ الوُرْقِ فيه قَرامِصا [5]

وقال مجنون ليلى (قيس بن الملوَّح) [6]:

إلى الله أشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ العَصا ... هيَ اليوم شَتَّى وهيَ أمْسِ جَمِيعُ
فلَوْ لَمْ يَهِجْني الظَّاعِنُونَ لهـاجَنِي ... حمَـائِمُ وُرْقٌ في الدِّيـارِ وُقُوعُ
تَداعَيْنَ فاسْتَبْكَيْنَ مَن كانَ ذا هَوىً ... نـوائِـحُ لا تَجْـري لهُنَّ دُمُـوعُ

وقال أعرابيٌّ يصف الحمام [7]:

مُـزَبْرَجَـةُ الأعْناقِ نُمْـرٌ ظهورُهـا ... مُخَـطَّمةٌ بـالدُّرِّ خُضْـرٌ رَوائِعُ [8]

---

(١) التشبيهات /٦١.
(٢) معبد وابن سريج: مغنيان مشهوران.
(٣) ديوانه /١٥١.
(٤) العرض: واد باليمامة موطن الشاعر. الفصافص: نبات مرتفع جداً تعلفه الدواب.
(٥) القرامص، جمع القرموص: العش يبيض فيه الحمام.
(٦) ديوانه /١٩١.
(٧) محاضرات الأدباء ٦٧٢/٢.
(٨) مزبرجة: مزينة، ومذهبة. النمر (بضم فسكون): المنقطة بأيِّ لون كان.

تَرى طُرَراً بينَ الخَوافي كأنَّها ... حَواشِي بُرودٍ أحْكَمَتْها الوَشائِعُ (١)
ومِنْ قِطَعِ الياقُوتِ صِيْغَتْ عُيُونُها ... خَواضِبُ بالحنَّاءِ مِنها أصابعُ

وقال الوزير أبو بكر ابن اللبَّانة الأندلسي (٢)

وعَلى فُرُوعِ الأَيْكِ شادٍ يَحْتوي ... طَرْفي لآخَرَ تَحْتَوِيهِ الأضْلُعُ
يَنْدَى له رَطْبُ الهَواءِ فيَغْتَدي ... ويُظِلُّهُ وَرَقُ الغصُونِ فَيَهْجَعُ
تَخِذَ الأراكَ أرِيكَةً لمنَامِهِ ... فلَهُ إلى الأسْحارِ فيها مَوْضِعُ
حتَّى إذا ما هَزَّه نَفَسُ الصَّبا ... والصُّبحُ هَزَّكَ مِنه شَدْوٌ مُبْدِعُ
فكأنَّما تلكَ الأراكةُ مِنْبَرٌ ... وكأنَّه فيها خَطِيبٌ مِصْقَعُ

وقال أبو هلال العسكري في حمام أبْلَق (٣)

ومُتَّفِقاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفاتِهِ ... لَبِسْنَ ظَلاماً بالصَّباحِ مُرَقَّعا
أخَذْنَ من الكافُورِ أنْفاً ومَنْسِراً ... وخَضَّبْنَ بالحِنَّاءِ كفَّاً وإصْبعا
وتَرْنُو بأبْصارٍ إذا ما أدَرْنَها ... جَلَوْنَ عَقِيقاً لِلْعيُونِ مُرَصَّعا
تَطيرُ بأمْثالِ الجِلامِ كأنَّها ... جَنادِلُ تَدْحُوها ثَلاثاً وأرْبَعا (٤)

تَبُوعُ بها في الجَوِّ من غَير فَتْرَةٍ ... كأنَّ مجَادِيفاً تَبُوعُ بها مَعَا (٥)

---

(١) الخوافي: ريشات إذا ضمَّ الطائر جناحيه خفيت تحت القوادم.
(٢) نهاية الأرب ١٠/٢٦٦.
(٣) ديوان المعاني ٢/١٣٦.
(٤) الجلام، جمع الجلم (بفتحتين): المقراض.
(٥) تبوع بها: تبسطها في الجو.

إذا هيَ عَبَّتْ في الغَديرِ حَسِبْتَها تزفُّ فِراخاً في المغاوِرِ جُوَّعا

وقال أبو الأسود الدؤلي [1]

وساجعٍ في فُرُوعِ الأيْك هيَّجَني لم أدْرِ لِمْ ناحَ ممَّا بي ولِمْ سَجَعا

أباكياً إلفَهُ مِن بَعد فُرْقَتِهِ أمْ جازِعاً لِلنَّوى مِن قبل أنْ تَقَعا

يَدْعُو حَمَامَتَه والطيرُ هاجِعَةٌ فما هَجَعتُ له لَيْلاً ولا هَجَعا

مُوشَّحٌ سُنْدُساً خُضرٌ مناكِبُه تَرَى من المِسْكِ في أذْيالِهِ لُمَعَا

لهُ من الآسِ طوقٌ فوقَ لَبَّتِهِ مِن البَنَفْسَج والخَيْرِيِّ قَد جُمِعا [2]

كأنَّما عبَّ في مُسْوَدٍّ غاليةٍ وحَلَّ من تحته الكافورُ فانْتُقِعا [3]

كأنَّ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْن آصْفِرارِهما فَصَّانِ مِن حَجَرِ الياقُوتِ قد قُطِعا

كأنَّ رِجْليه مِن حُسْن آحْمِرارِهما مارَقٌ من شُعَب المَرْجان فاتَّسعا

شَكا النَّوى فبَكى خَوفَ الأسَى فرَمَى
بَينَ الجَوانِح مِن أوْجاعِه وَجَعا

والرِّيحُ تَخْفِضُه طَوْراً وتَرْفَعهُ طَوْراً فمنخَفِضاً يَدعُو ومُرتَفِعا

كأنَّه راهِبٌ في رأسِ صَوْمَعَةٍ يَتْلُو الزَّبُورَ ونجمُ الصُّبْحِ قَد طَلَعا

وقال السيد محمد سعيد الحبُّوبي [4] :

أحمامَةَ الوادي عَداكِ جَوىً لَوْ حَلَّ فَرْعَكِ أحْرَقَ الفَرْعا

إنِّي اتَّخَذْتُكِ لي مُنادِمَةً ولقد شربتُ فغرِّدي سَجْعا

وقال الرئيس ابن سينا (الحسين بن عبد الله) في النَّفس وقد تمثَّلها حمامة ورقاء [5]

---

(١) ديوانه /١١٦ ونهاية الأرب ١٠/٢٦٥.

(٢) الخيري: الخزامى، ويسمى: المنثور الأصفر.

(٣) انتقع الرجل، وامتقع (بصيغة المبني المجهول): تغيَّر.

(٤) ديوانه /٣٣٦.

(٥) وفيات الأعيان ١/٤٢٢.

هَبَطتْ إليْكَ مِن المحلِّ الأرْفَعِ ... وَرْقـاءُ ذات تَعـزُّزٍ وتـمنُّـعِ
محجُوبَةٌ عَن كـلِّ مُقلَةِ عارفٍ ... وهيَ الَّتي سَفَرَتْ ولم تَتَبَرْقَـعَ
وصلَتْ عَلى كُرْهٍ إليكَ ورُبَّما ... كرهَتْ فراقَكَ وهي ذات تَفَجُّعِ
أنِفَتْ ومـا ألِفَتْ فلمَّا واصلَتْ ... ألِفَتْ مُجـاوَرةَ الخـرابِ البَلْقِـع

وأظـنُّهـا نَسِـيَتْ عُـهـوداً بـالـحِمَى
ومَـنـازِلاً بـفِـراقِـهـا لـم تَـقـنَـعِ

حتَّى إذا اتَّصَلَتْ بِهاءِ هبُوطِهـا ... مِن مِيمِ مَرْكَزِها بِذاتِ الأجْرَعِ
عَلِقَتْ بِها ثاءُ الثَّقِيلِ فأصْبَحَتْ ... بَيْنَ المَعَالِمِ والطُّلُولِ الخُضَّعِ
تَبكِي وقَدْ نَسِيَتْ عهُوداً بالحِمَى ... بمَـدامـعٍ تَهْمِي ولَمَّـا تُقْـلِعِ
حتَّى إذا قَرُبَ المَسِيرُ إلى الحِمَى ... ودَنا الرَّحيلُ إلى الفَضاءِ الأوْسَعِ
وغَدَتْ تُغرِّدُ فَـوقَ ذِرْوَةِ شاهقٍ ... والعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَن لم يُرفَعِ
وتَعـودُ عـالِمـةً بكُـلِّ خَفِيَّةٍ ... في العالَمِينَ فخَرْقُهَا لم يُرْقَعِ
فَهبُوطُها إذْ كـانَ ضَرْبَةَ لازِبٍ ... لِتكونَ سامِعـةً لما لَمْ تَسْمَـعِ
فلأيِّ شَيءٍ أُهْبِطَتْ من شاهِقٍ ... سامٍ إلى قَعْرِ الحَضِيضِ الأوْضَعِ
إنْ كانَ أهْبَطهـا الإلَهُ لِحكمَـةٍ ... طُوِيَتْ عن الفَطِنِ اللَّبِيبِ الأرْوَعِ
إذْ عاقَها الشَّرَكُ الكَثِيفُ فصدَّها ... قفصٌ عن الأوْجِ الفَسِيحِ الأرْفَعِ
فكـأنَّهـا بَـرْقٌ تـألَّقَ بـالحِمَى ... ثمَّ انْطَوَى فكـأنَّـهُ لم يَلْمَـعِ

وقال محبوب الخوري الشرتوني اللبناني (من شعراء المهجر) في حمامة كان يرآها أثناء مرضه تنتقل أمام عينيه على المرتفعات والسطوح، فلما شفي افتقدها ولم يقف لها على أثر فقال[1] :

أنـابَـكِ خَـطْـبٌ فلَمْ تَـرجعي ... أمِ الـطَّيرُ تَنْبُـو عَن المَرتَـعِ؟

(١) الشعر العربي في المهجر/٢٣٥.

أسًى يا حَمامةُ في جانِحي وحُزْنٌ تغَلْغَلَ في الأضْلعِ
ولَوْ لَمْ يُعذِّبْ جفُوني السَّقا مُ لَجلَّلْتُ ذكرَكِ بالأدْمعِ
غداةَ تركتُ فِراشَ الضَّنَى طَلَبْتُكِ في ذلِكَ المَوضِعِ
وساءَلْتُ عنكِ جهات الفَضا ءِ فضاعَ السُّؤالُ ولم يَنفَعِ
هو الفَجرُ عوَّدني أن أرا كِ هناكَ على الحائطِ الأرْفعِ
فكَمْ طَلعَ الفجرُ ثُمَّ انْقَضى وعادَ وعُدتُ فلَم تَطْلُعي
لقد كُنْتِ ذاكَ الأنيسَ الأحـ ـبَّ إذا ما طَفِرْتُ من المِخْدَعِ
أمتِّع طَرْفي بنُورِ الضُّحَى وبالوَرْدِ والحَبَقِ الأضْوَعِ[1]
أجَلْ كنتِ أبْدَعَ رسْمٍ يَلُو حُ لعَينيَّ في المَشْهدِ الأبْدَعِ
فكُنْتُ أرَى فيكِ رَمْزَ الوَفا ءِ ورَمْزَ الطَّهارَةِ في المَنْزَعِ
وأُبْصِرُ فيكِ رسُولَ السَّما ءِ يُحدِّثُ عَنْ قُدْرةِ المُبْدِعِ
وقُوفُكِ في شُرُفاتِ السُّطُو حِ وقُوفٌ يَشُوقُكِ أن تَسْجَعي
كأنَّكِ في أوْجِها شاعِرٌ أطلَّ على العالَمِ الأوْسَعِ
وكُنتِ إذا ما شَقَّقْتِ الفَضا ءَ بجانِحِكِ الخافِقِ الطَّيِّعِ
تصوَّرْتُ أنَّكِ طَيرُ الخَيا لِ يَطيرُ بَعيداً عَن المَجْمَعِ

* * *

إذا كُنْتِ في قَيْدِ هذي الحَيا ةِ تَعالي إليَّ وعِيشي مَعي
فأنْتِ هُنالِكَ رَهْن الخَريـ ـفِ إذا نَقصَ الحَبُّ لم تَشْبَعي
ولَيسَ هنالِكَ أمْنٌ فإنْ رمَتْكِ يَدا صائِدٍ تُصْرَعي

وقال ابن عُنَيْن (محمد بن نصر) ملغزاً في الوراشين[2]:

يا أدباءَ الزَّمانِ إنِّي أعْجَزَني لِلعَويصِ كَشْفُ

---

(١) الحبق (بفتحتين): نبات طيب الرائحة.

(٢) ديوانه / ١٥١. الوراشين جمع الوَرَشان وهو ذكر القماري.

فخبِّروني عن آسمٍ جَمْعٍ   النِّصْفُ ظَرْفٌ والنِّصفُ حَرْفُ

وقال محمد بن سنان الخفاجي في الحمام[1] :

عجبتُ لها تَشكُو الغرامَ جَهالَةً   وقد جاوَبَتْ من كُلِّ ناحيةٍ إلْفا
ويُشْجِي قلوبَ العاشِقينَ حَنِينُها   وما فَهِمُوا ممَّا تَغنَّتْ به حَرْفا
ولو صَدَقتْ فيما تقولُ مِن الأسَى   لَمَا لَبِسَتْ طَوْقاً ولا خَضَبَتْ كفَّا

حضر ابن عنين درس فخر الدين الرازي بخوارزم في يوم شاتٍ وقد سقط ثلج كثير، فإذا حمامة يطردها صقر، فألقت نفسها في حجر الفخر الرازي فرجع عنها الجارح، ورقَّ لها الشيخ وأخذها بيده، فقال ابن عنين في الحال[2] :

يا ابنَ الكِرامِ المُطْعِمينَ إذا شَتَوْا   في كُلِّ مَخْمَصَةٍ وثَلْجٍ خاشِفِ[3]
العاصِمِين إذا النُّفُوسُ تَطايَرَتْ   بيْنَ الصَّوارمِ والوَشِيجِ الرَّاعِفِ
من نَبَّأ الوَرْقاءَ أنَّ مَحلَّكُمْ   حَرَمٌ وأنَّكَ مَلْجأ لِلخائِفِ
وَفَدَتْ عليكَ وقد تَدانى حَتْفُها   فحَبْوتَها ببقائِها المُستأْنَفِ
ولَو آنَّها تُحبى بمالٍ لانْثَنَتْ   من راحَتَيْكَ بنائِلٍ مُتَضاعِفِ
جاءَتْ سُليمانَ الزَّمانِ بِشكْوِهَا   والموتُ يَلْمَعُ من جَناحي خاطِفِ
قَرِمٌ لَواهُ القُوتُ حتَّى ظِلُّهُ   بإزائِه يَجْري بقَلْبٍ واجِفِ[4]

وقال بَكْر بن النطَّاح[5] :

إذا شِئتُ غَنَّتني ببَغدادَ قَيْنَةٌ   وإنْ شِئْتُ غنَّانِي الحمامُ المُطوَّقُ

---

(١) مطلع الفوائد ومجمع الفرائد/٢٦٧.
(٢) ديوانه/٩٤.
(٣) خشف الثلج: سُمع له خشفة عند المشي فهو خاشف.
(٤) القرم (بكسر الراء): من اشتدت شهوته الى اللحم.
(٥) الحيوان للجاحظ ١٩٧/٣.

لباسِي الحُسامُ أو إزارٌ مُعَصْفَرٌ ودِرْعُ حَديدٍ أوْ قَميصٌ مُخَلَّقُ(١)

وقال محمد بن الحسين الطَّبني(٢) :

قُمْـرِيَّـةٌ دَعتِ الهَـوى فكـأنَّمـا نَـطَقَتْ وليسَ لها لسـانٌ ناطِقُ
غنَّتْ فحبَّبَتِ الأراكَ كـأنَّـمـا فَوْقَ الغُصُونِ حَبابَةٌ ومُخارِقُ(٣)

وقال أيضاً(٤) :

لَعَمْرِيَ إنِّي لِلحمائِم في الضُّحَى إذا غَرَّدَتْ فوقَ الغُصُونِ لَوامِقُ
وأسْعَـدَنِي مِنهـا صَـدِيقَـةُ أيْكـةٍ كما يُسْعِدُ الإلْفَ الصَّديقُ الصادِقُ

وقال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران والسَّبْق(٥) :

يَجْتـابُ أوْدِيَةَ السَّحـابِ بِخافِقٍ كالبَرْقِ أوْمَضَ في السَّحابِ فأبْرقا
لو سابَقَ الريحَ الجَنُوبَ لِغايَـةٍ يـومـاً لجـاءَكَ مِثلَهـا أوْ أسْبَقـا
يَسْتَقْرِبُ الأرْضَ البسِيطَةَ مَذْهباً والأُفُقِ ذا السُّقُفِ الرَّفيعَةِ مُرتقى
ويَـظَلُّ يَسْتَرقي السَّمـاءَ بخـافِقٍ في الجوّ تحْسَبُهُ الشهابَ المُحْرِقا
يَبْـدُو فيُعْجِبُ من رآهُ لحُسْنِهِ وتكـادُ آيـةُ عُنقِـهِ أنْ تَنْطِقـا
مُتَرَقْرِقـاً مِن حيثُ درْتَ كأنَّما لبِسَ الزُّجاجَةَ أو تَجَلْبَبَ زِئبَقا

وقال يحيى بن هذيل في القمري(٦) :

قد اختفَى بينَ أغْصانٍ وأوْراقِ وحَنَّ حنَّـةَ مَشْغُـوفٍ ومُشْتَـاقِ

---

(١) مخلَّق: مطيَّب بالخلوق (بفتح الخاء) وهو ضرب من الطيب .
(٢) التشبيهات/٦٠ .
(٣) حبابة ومخارق: مغنيان مشهوران .
(٤) التشبيهات /٦١ .
(٥) نهاية الأرب للنويري ١٠/٢٧٩ .
(٦) التشبيهات /٥٩ .

كـأنّما خـافَ عَذْلاً فهـوَ مُسْتَتِرٌ أو خـافَ واشِيَةً أوْدَت بميثـاقِ

وقال أيضاً(١):

مطوَّقةٌ يغدُو النَّدى في جَناحِها لآلىءَ لَيسَتْ من نِظامٍ ولا سِلْكِ
إذا انتقَلَتْ عن أيْكِها فكأنَّما قَـوادِمُها أجْفـانُ والِهَـةٍ تَبْكي

وقال أبو هلال العسكري في فاختة(٢) :

مَـرَرْتُ بِمِطْرابِ الغَـداةِ كـأنَّها تعلُّ معَ الإشْراقِ راحاً مُفَلْفَلا(٣)
مُنمَّـرَةٍ كِـدْراءَ تحسَبُ أنَّهـا تُجلَّلُ من جِلْدِ السَّحابِ مُفَصَّلا(٤)
بَدَتْ تجْتَلي لِلعَين طَوْقاً مُمسَّكاً وَطَرْفاً كما تَرْنو الغَزالَـةُ أكْحَلا
لَها ذَنَبٌ وافي الجَوانِبِ مِثلَما تُقشِّـرُ طَلْعـاً أوْ تُجـرِّدُ مُنْصـلا
إذا حَلَّقَتْ في الجوِّ خِلتَ جَنَاحَها يَرُدُّ صَفيراً أو يحرِّك جُلْجُلا(٥)

وسمع أبو فراس الحمداني حمامة وهو في أسره تنوح على شجرة فقال يخاطبها(٦) :

أقولُ وقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبي حَمَامَةٌ أيا جَارتَا هَلْ تَشْعُرينَ بِحالي ؟
معـاذَ الهَـوى مـا ذُقـتِ طـارِقَـةَ النَّـوَى ولا خَـطَـرَتْ مِـنْـكِ الـهـمـومُ بِـبـالِ
أتَحْمِـلُ محْـزُونَ الفُؤادِ قَـوادِمٌ عَلى غُصُنٍ نائي المَسافَةِ عالِ

---

(١) المصدر السابق/٥٨ .
(٢) ديوان المعاني ١٣٨/٢ ، ونهاية الأرب ٢٦٠/١٠ .
(٣) يريد بمطراب الغداة: الفاختة. شراب مفلفل: يلذع لذع الفلفل .
(٤) منمَّرة: منقَّطة بأيِّ لون كان .
(٥) الجلجل: الجرس الصغير، جمعه جلاجل .
(٦) ديوانه /٢٣٨ .

أيا جارَتا ما أنْصفَ الدَّهْرُ بَيْنَنا   تَعالَيْ أُقاسِمْكِ الهُمُومَ تَعالي
تعالَيْ تَرَي رُوحاً لدَيَّ ضَعِيفةً   تَردَّدُ في جِسْمٍ يُعذَّبُ بالِ
أيَضحَكُ مأسُورٌ وتَبكي طَلِيقَةٌ   ويَسكُتُ مَحْزُونٌ ويَنْدبُ سالِ؟
لقدْ كُنْتُ أوْلَى منْكِ بالدَّمعِ مُقْلَةً   ولكنَّ دَمْعي في الحَوادِثِ غالِ

وقال نصيب (الأكبر) بن رباح[1] :

لَقد هَتَفَتْ في جِنْح لَيلٍ حَمَامَةٌ   عَلى فَنَنٍ وَهْناً وإنِّي لَنائِمُ
كَذَبْتُ وبَيتِ اللَّهِ لو كنتُ عاشِقاً   لَما سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحَمائِمُ

وقال أبو قطيفة (عمرو بن الوليد)[2] :

وتَبدَّلْتُ مِن مَساكِنَ قَومي   والقُصُورِ الَّتي بها الآطامُ[3]
كلّ قَصْرٍ مشيَّدٍ ذي أواسٍ   يَتَغنَّى على ذُراهُ الحَمَامُ[4]
إقْرَ منِّي السَّلامَ إنْ جِئتَ قَومي   وقَليلٌ لهم لَدَيَّ السَّلامُ

وقال حُميد بن ثورٍ الهلالي من قصيدة طويلة[5] :

وما هاجَ هذا الشَّوقَ إلَّا حَمَامَةٌ   دَعَتْ ساقَ حرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّما
من الوُرْقِ حَمَّاءُ العِلاطَيْنِ باكَرَتْ   عَسِيبَ أشاءٍ مَطْلع الشَّمسِ أسْحما[6]
إذا هَزْهَزَتْهُ الرِّيحُ أوْ لَعِبَتْ به   أرَنَّتْ عليهِ مائِلاً ومُقَوَّما[7]

---

(١) ديوانه ١٢٤ وديوان الحماسة لأبي تمام ١٢٨٩/٣ .

(٢) الأغاني ٣٩/١ .

(٣) الآطام: الحصون واحدها أطم (بضمتين) .

(٤) أواسي جمع أسي وهو الأصل، يقال فلان في أسيِّه أي في أصله، والأسي والأساس واحد . وفي رواية أخرى (ذي أواش) بالشين المعجمة، يريد أنَّ هذه القصور موشية أي منقوشة .

(٥) ديوانه/٢٤ .

(٦) العلاطان: الرقمتان في أعناق الطير. العسيب: صغار السعف الذي لم ينبت عليه الخوص. الأشاء: صغار النخل .

(٧) أرنَّت: صاحت. المائل: اللاَّطىء بالأرض وهو من الأضداد .

تُباري حَمامَ الجَلْهَتَيْن وتَرْعَوي ... إلى آبْنِ ثَلاثٍ بينَ عُودَيْن أعْجَما [1]

تطوَّق طَوْقاً لم يكُنْ عن تَميمَةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْهِ دِرْهَما

بنَتْ بَيْتَه الخَرقاءُ وهيَ رَفيقَةٌ ... بِه بَيْنَ أعْوادٍ بعَلْيَاءَ مُعْلَما

تُرشِّحُ أحْوَى مُزْلَغِبّاً تَرى لَهُ ... أنابيبَ مِن مُسْتَعْجِلِ الرِّيشِ حَمْحَمَا [2]

كأنَّ على أشْداقِهِ نَوْر حَنْوَةٍ ... إذا هو مدَّ الجِيدَ منه لِيَطْعَما [3]

فلمَّا اكتَسَى رِيشاً سُخاماً ولم يَجِدْ ... له مَعَها في باحَةِ العُشِّ مَجْثَما [4]

أُتيحَ لهُ صَقْرٌ مُسِفٌّ فلمْ يَدَعْ ... لها ولداً إلّا رَميماً وأعْظُما [5]

فأوْفَتْ على غُصْنٍ ضُحَيّاً فلم تَدَعْ ... لِباكيَةٍ في شَجْوِها مُتَلَوَّما [6]

مُطَوَّقةٌ خَطْباءُ تَصْدَحُ كُلَّما ... دَنا الصَّيفُ وانْجَابَ الرَّبيعُ فأنْجَما [7]

إذا شِئتُ غَنَّتْني بأجْزاعِ بيشَةٍ ... أو النَّخْلِ من تَثْليثِ أو مِن يَبَنْبَما [8]

عجِبْتُ لها أنَّى يكونُ غِناؤُها ... فَصِيحاً ولم تفْغَرْ بِمَنْطِقِها فَما

فَلَمْ أرَ مَحْزُوناً لَهُ مثلُ صَوْتِها ... ولا عَرَبيّاً شاقَه صَوْتُ أعْجَما

كمِثْلي إذا غَنَّتْ ولكنَّ صَوْتَها ... له عَوْلَةٌ لو يَفْهَمُ العَوْدُ أرزَما [9]

وقال عبيد بن الأبرص [10] في خرق الحمامة وعدم إتقانها عمل العش:

عَيُّوا بأمْرِهِمُ كَما ... عَيَّتْ بِبَيْضَتِها الحَمَامَهْ

---

(١) الجلهتان: جانبا الوادي. ابن ثلاث: الفرخ ابن ثلاث ليال. بين عودين: يريد أنه في عشه.

(٢) ازلغبَّ الفرخ: طلع ريشه. جمحم: اسودَّ، وفي رواية (جمَّما) أي كثر.

(٣) الحنوة: نبات سهلي طيِّب الريح.

(٤) السخام: اللين. المجثم: موضع جثوم الطائر.

(٥) المسفُّ: الذي يدنو من الأرض في طيرانه.

(٦) ضحياً: ضحىً. متلوَّما: ملامة.

(٧) انجاب، وأنجم: كلاهما بمعنى أقلع.

(٨) بيشة: واد تثليث: موضع قرب مكة. يبنبما: واد قبل تثليث.

(٩) العود: المسن من الابل.

(١٠) عيون الأخبار ٢/٧٢.

جَعَلَتْ لها عُودَيْنِ مِن نَشَمٍ وآخرَ مِن ثُمامَه[1]

وقال أحمد شوقي في قصة الحمامة مع نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام[2]:

كانَ ابنُ داودٍ يُقرِّبُ في مجالِسِهِ حَمَامَهْ
خدمَتْهُ عُمْراً مثلَما قد شاء صِدْقاً واسْتِقامَهْ
فمَضَتْ إلى عُمَّالِهِ يَوماً تبلِّغُهم سَلاَمَهْ
والكتْبُ تحتَ جَناحِها كُتِبَتْ لها فيها الكَرَامَهْ
فأرادَتِ الحَمْقاءُ تعرِفُ مِن رَسائِله مَرامَهْ
عمدَتْ لأوَّلِها وكا نَ إلى خَليفَتِهِ بِرامَهْ[3]
فرأتْهُ يأمرُ فيه عا مِلَهُ بتاجٍ للحَمَامَهْ
ويقولُ وفُوها الرِّعا يَةَ في الرَّحيلِ وفي الإقامَهْ
ويُشيرُ في الثَّاني بأنْ تُعطَى رِياضاً في تِهامَهْ[3]
وأتَتْ لِثالِثِها ولَمْ تَسْتَحِي أنْ فَضَّت خِتامَهْ
فرأتْهُ يأمرُ أنْ تكو نَ لها على الطَّيرِ الزَّعامَهْ
فبكَتْ لِذاكَ تَندُّماً هيهاتَ لا تُجْدي النَّدامَهْ
وأتَتْ نَبيَّ اللَّهِ وَهْـ ـيَ تقولُ يا رَبِّ السَّلامَهْ
قالَتْ: فَقَدْتُ الكتْبَ يا مَوْلايَ في أرْضِ اليَمامَهْ[3]
لِتَنَزُّعي لمَّا أتا ني البازُ يَدْفَعُني أمامَهْ
فأجابَ بلْ جِئتِ الَّذي كادَتْ تقومُ له القِيَامَهْ
لكنْ كفَاكِ عُقوبةً مَن خانَ خانَتْهُ الكرامَهْ

---

(١) يقول: قرنت عودة النشم القوية بالتمام الضعيف فتكسَّر ووقع البيض.
(٢) الشوقيات ٤/١٦٨.
(٣) رامه، وتهامة، واليمامة: أسماء أمكنة.

وقال عبد الله بن جحش في أبي سفيان بن حرب لما عدا على داره بمكّة فباعها[1] :

أبْلِغْ أبا سُفْيانَ عَنْ ... أمْرٍ عَواقِبُهُ نَدامَهْ
دارَ ابنِ عمِّكَ بعْتَها ... تَقْضِي بِها عَنْكَ الغَرامَهْ
وحَلِيفُكُمْ باللَّهِ ... رَبِّ النَّاسِ مُجْتَهِدُ القَسامَهْ
إذهَبْ بها إذهَبْ بِها ... طُوِّقْتَها طَوْقَ الحَمَامَهْ

وقال أبو حيَّة النميري (الهيثم بن الربيع) مشبِّهاً الأثافي بالحمام[2] :

من العَرصاتِ غيرَ مَخَدِّ نُؤْيٍ ... كباقي الوَحْي خُطَّ عَلى إمامِ[3]
وغَيرِ خَوالِدٍ لُوِّحْنَ حتَّى ... بهِنَّ عَلامَةٌ من غَيرِ شامِ[4]
كأنَّ بِها حماماتٍ ثَلاثاً ... مَثَلْنَ ولم يَطِرْنَ مع الحَمَامِ

وقال الفرزدق[5] :

ومن يَكُ خائِفاً لأذاةِ شِعْري ... فَقَدْ أمِنَ الهِجَاءَ بَنُو حَرامِ
هُمُ مَنَعُوا سَفِيهَهُم وخافُوا ... قَلائِدَ مثلَ أطْواقِ الحَمامِ

وقال ابن هرمة (إبراهيم بن عليٍّ)[6] :

إنّي امْرؤٌ أصُوغُ الحَليَ تعْمَلُهُ ... كفَّايَ لكنْ لساني صائغُ الكَلِمِ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٠٠ .
(٢) الحيوان للجاحظ ٣/٢٤٠ .
(٣) المخدُّ: موضع الخدِّ وهو الشق. الوحي: الكتابة . الإمام: الكتاب .
(٤) الخوالد: يعني الأثافي لأنهنَّ يبقين بعد الرحيل عن الدار . لوَّحن: غيَّرتهن النار . الشام جمع شامة وهي الأثر الأسود في البدن أو الأرض .
(٥) ثمار القلوب/٤٦٦. ولم أجدهما في ديوانه.
(٦) المصدر السابق/٤٦٦، وديوانه /٢١٠ و٢١١ .

إنّي إذا ما امْرُؤٌ خفَّتْ نَعامَتُهُ   في الجَهْلِ واسْتَحصدَتْ مِنهُ قُوى الأدَمِ
عَقَدْتُ في مُلْتَوى أوْداجِ لَبَّتِهِ   طَوْقَ الحَمامَةِ لا يَبْلى على القِدَمِ

وقال كثيِّر عزَّة أوْ غيره من بني سهم[1] :

لعَنَ اللّهُ من يَسُبُّ عَلِيّاً   وحُسَيْناً من سُوقَةٍ وإمامِ
أيُسَبُّ المُطَيَّبُونَ جُدُوداً   والكِرامُ الأخْوالِ والأعْمامِ
يَأمَنُ الظَّبْيُ والحَمَامُ ولا يَأ   مَنُ آلُ الرَّسولِ عِندَ المَقامِ
رَحْمَةُ اللّهِ والسَّلامُ عَلَيْهم   كُلَّما قامَ قائِمٌ بِسَلامِ

وقال عديٌّ بن الرِّقاع العاملي، وقيل لنصيب بن رباح[2] :

وممَّا شَجاني أنَّني كنتُ نائِماً   أعَلَّلُ من بَرْدِ الكَرى بالتَّنَسُّمِ
إلى أنْ بكَتْ وَرْقاءُ في غُصْنِ أيْكَةٍ   تُرَدِّدُ مَبْكاها بحُسْنِ التَّرَنُّمِ
فلَوْ قَبلَ مَبْكاها بَكَيتُ صَبابَةً   بِلَيْلي شَفَيْتُ النَّفْسَ قبلَ التَّنَدُّمِ
ولكِنْ بكَتْ قَبْلي فَهَاجَ لَي البُكا   بُكاها فقُلتُ الفَضْلُ لِلمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي في الحمام[3] :

ألا يا حَماماتِ اللِّوى عُدن عَوْدَةً   فإنِّي إلى أصْواتِكُنَّ حَزِينُ
فعُدْنَ فَلمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني   وكِدْتُ بأسْراري لهنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأصْواتِ الهَدِيلِ كأنَّما   شَرِبْنَ حُمَيَّا أوْ بِهِنَّ جُنونُ
فلم تَرَ عَيْني مِثْلَهُنَّ حَمَائِماً   بكينَ ولم تَدْمَعْ لهُنَّ شُؤُونُ

وقال ابن القاشاني في غناء الحمامة[4] :

يا لَيْلةً جَمَعَتْني والمدامَ ومَنْ   أهْواهُ في رَوْضَةٍ تَحكي الجنانَ لَنا

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/١٩٤ .
(٢) الكامل للمبرِّد ٣/١٢٥ والبيتان الثالث والرابع في شعر نصيب بن رباح/١٦٠ مع أبيات أخرى .
(٣) الأعرابيات /٢٥٩ .
(٤) ثمار القلوب/٤٦٧ .

لأشْكُـرنّـكَ مـا غَنَّتْ مُـطوَّقَـةٌ   عَلى الغُصُونِ كما طَوَّقْتَني مِنَنا

وقال شاعر يصف لون الحمام[1] :

كـأنَّ بنَحْـرِهـا والجِيـدِ مِنْهـا   إذا مـا أمْكَنَتْ لِلنّـاظِـرينـا
مَخَـطّاً كـانَ من قَـلمٍ دَقِيـقٍ   فخطَّ بِجِيـدِها والنَّحْـرِ نُـونـا

وقال أبو الحسين النوري[2] :

رُبَّ وَرْقاء هَتُوفٍ في الضُّحَى   ذاتِ شَجْـوٍ هَتَفَتْ فـي فَنَنِ
ذكَـرَتْ إلْفـاً وخِـدْنـاً صـالِحـاً   فَبَكَتْ حُـزْنـاً فهـاجَتْ حَـزَني
فَـبُـكـائِـي رُبَّـمـا أرَّقَـهـا   وبُـكـاهـا ربَّـمـا أرَّقَـنـي
ولقَـدْ تَشْكُـو فَمَـا أفْـهَمُـهـا   ولقَـدْ أشكُـو فـمَـا تَفْـهَمُـني
غيـرَ أنِّي بـالجَـوَى أعْـرِفُهـا   وهيَ أيْضـاً بـالجَـوَى تعْـرِفُني

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح يرثي القمري[3] :

هـلْ لامْـرىءٍ من أمـانِ   مِن رَيْبِ هـذا الـزَّمـانِ
أمْ هَـلْ تَرى نـاجِيـاً مِن   طَـوارِقِ الـحَـدَثـانِ
مـا اثْـنـانِ يَـجْـتَـمِـعـانِ   إلَّا سَـيَـفْـتَـرِقـانِ
قَـريـنُ كُـلِّ قَـريـنٍ   يَـبِـيـنُ بعـدَ اقْـتِـرانِ
والمَأزِمانِ ونَسْـرُ الـ   ـسَّماءِ والـفَـرْقَـدانِ[4]
يُبْلي الـجـدِيـدَ الجَـدِيـ   ـدانِ ثُـمَّ مـا يَـبْـلِـيـانِ
كـانَ الـمُـطوَّقُ خِـدْنـاً   مـن أكـرمِ الأخْـدانِ

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٦٧٤ .
(٢) حياة الحيوان للدميري ٢/٣٩٥ .
(٣) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق /١٩٣ .
(٤) المأزمان: موضع بين المشعر وعرفة .

وصاحِباً وخَليلاً مِن خالِصِ الخِلانِ
سِنينَ سَبْعاً وعَشْراً مَخْفُورَةً بِثَمانِ
فَغالَهُ حادِثٌ مِن حَوادِثِ الأزْمانِ
أمْسَى المُطوَّقُ رَمْساً دَرِيجَةَ الأكْفانِ
مُسْتَوْطِناً دارَ قَفْرٍ مِن عامِرِ الأوْطانِ
داني الجِوارِ وإنْ كا نَ نازِحاً غيرَ دانِ
فالقلبُ فيهِ كُلُومٌ مِن لاعِجِ الأحْزانِ
وفي الحَشَا لاذِعاتٌ كمِشْعَلِ النِّيرانِ
والمُقْلَتانِ سَجُومٌ دَمْعاً هُما تَكِفانِ
كانَ المطوَّقُ أُنْساً للأهْلِ والجِيرانِ
وكانَ طَلْقاً ضَحُوكاً يُجِيبُ كلَّ أوانِ
إذا أشَرْتَ إليهِ باللَّحْظِ أو بالبَنانِ
مُغرِّداً في دُجَى اللَّيْـ لِ مُؤْذِناً بالأذانِ
مُنادِياً ساقَ حُرٍّ أو حُرَّةً بِبَيانِ
وكانَ أعْجَمَ في نُطْـ قِهِ فَصِيحَ اللِّسانِ
وطالَما غنَّاني مِن مُطْرِبِ الألْحانِ
لمعبَدٍ والسُّرَيْجِـ يِّ والغَرِيضِ اليَماني
كانَ المُطوَّقُ جارَ الـ رَّسُولِ والفُرْقانِ
تَنْمِيهِ آباءُ صِدْقٍ لِمُحْصَناتٍ هِجانِ
في مَغْرِسٍ طابَ أصْلاً مِن طَيِّبِ الأغْصانِ
كأنَّ عَيْنَيْهِ ياقُو تَتانِ حَمْراوان
كأنَّ رِجْلَيْهِ مَصْبُو غَتانِ مِن أُرْجُوانِ[1]

---

(١) الأرجوان: صبغ أحمر (معرَّب).

كـأنَّ هـامَـتَـهُ رُكِّـبَـتْ على غُـصْـنِ بـانِ
وأخْـضَـرَ اللَّوْنِ يَـحْـكـي لـبـاسَ أهْـلِ الـجِـنـانِ
وذِي سَـفـاهٍ لـحَـانـي لـم يُعْنِـهِ مـا عَنـانـي
رَدَدْتُـهُ بِـصَـغـارٍ وذِلَّـةٍ وهَـوانِ
يَـلومُـنِـي وهـو خِـلْوٌ لَمْ يَشْجِـهِ ما شَجاني
هَيْهـاتَ مـا لَـكَ ثـانٍ مُـقـارِبٌ أوْ مُـدانـي
ومـا بَنَى مثلَ مـا قَـدْ بَنَيْتَ في اللَّهـو بـاني
فـاذْهَبْ حَمِيـداً فَقِيـداً فمـا خَـلا اللّه فـانـي

وقال بعض الكتاب في وصفه[1] :

سَـجَعَـتْ هـاتِفَـةُ الـوْرِ قِ عَـنـاهـا شَحْطُ بَـيْنِ
ذاتُ طَـوْقٍ مـثـل خَـطِّ النُّونِ أقنَى الـطَّرَفَيْنِ
وتَـرَى نـاظِـرَهـا يَـلْـمَـعُ في يـاقُـوتَـتَـيْـنِ
تُخْـرِجُ الأنْفـاسَ من ثَقْـبَـيْـنِ كـالـلُّؤْلُـؤَتَـيْـنِ

وقال عبد الله بن المعتزّ يصف حمامة[2] :

هَيَّجَتْ حُـزْنَهُ حَمَـامَـةُ غُصْنِ فهُـوَ بـاكٍ يَنُـوحُ وهيَ تُغنِّي
زُيِّنَتْ باكتِساءِ وَشْيٍ من الرِّيـشِ وَطَوْقٍ في جِيدِها مُطْمَئِنِّ
واسْتَعَـادَ الهَـدِيـرَ مِنها ارْتِيـاحٌ لَـجَّ حتَّى حَسِبْتُـهُ مَسَّ جِنِّ
ثـمَّ طـارتْ وسـافَـرَتْ بِجَناحٍ خَلْفَ أُلَّافِهـا كَبَـرْقَـةِ مُـزْنِ

وقال أبو بكر الصنوبري (أحمد بن محمد) في الوَرشان[3] :

أنـا في نُـزْهَتَيْنِ من بُسْتَـانِي حين أخْـلُو بـه ومِن وَرَشـاني

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٦٧٥ .
(٢) ديوانه ٢/٦٤٨ .
(٣) ديوانه/٤٩٨ ونهاية الأرب ١٠/٢٥٩.

طـائِـرٌ قَلْبُ من يُغَنِّيـهِ أوْلَى مِنْـهُ عنـدَ الغِنـاءِ بـالـطَّيرَانِ
مُسمِـعٌ يُودِعُ المَسـامِعَ مـا شا ءَتْ وما لم تَشَأْ من الألْحـانِ
في رِداءٍ مِن سَـوْسَنٍ وقميصٍ زَرَّرَتْـهُ عـليـه تَـشْـريـنـانِ
قـد تَغَشَّى لـونَ السَّمـاءِ قَـراهُ وتَـراءَى في جِيدِه الفَـرْقَـدانِ[1]

وقال يحيى بن هذيل[2] :

قُلْ لهذا الحمامِ إنْ جَهِلَ الحُـ ـبَّ أنـا واقِفٌ عَلى عِـرْفَـانِـهْ
لم تُصِبْـهُ النَّوَى بِفِقْـدانِ خِـلٍّ فَيُـرَى بـاكيـاً عَلى فِقْـدانِـهْ
فَشَـدَا في قَضيبِ أيْـكٍ يُعَلِّيـ ـهِ ويُـدْنِيـه أرْضَـهُ مِن لِيـانِـهْ

---

(١) القرا (بالفتح) : الظهر .
(٢) التشبيهات/٥٨ .



الحَيَّـــة(١)

الحيَّة إسم يطلق على الذكر والأنثى، وإنَّما دخلته الهاء لأنَّه واحد من جنس، فإن أردت التمييز قلت: هذا حيَّة ذكر، وهذه حيَّة أنثى، على أنَّه قد روي عن بعض العرب: رأيت حيّاً على حيَّة، أيْ ذكراً على أنثى، وتجمع على حيَّات وحيوات.

ويقال: أرض مَحْيات ومَحْوات، أيْ كثيرة الحيَّات. والحاوي: صاحب الحيَّات، والحيُّوت: ذكر الحيَّات.

من أسماء الحيات ونعوتها:

الأبْتَر : أبتر الذنب مقطوعه، خبيث أزرق.

الأخْزم : الحيَّة الذكر، والخبيث الغضوب.

الأرْقم : مرقَّم بحمرة وسواد وكُدرة. خبيث عار[illegible] والأرقم

---

(١) المخصص ١٠٦/٨/٢ ـ ١١٥. حياة الحيوان ٢٥/١ ـ ٢٧ و١٧١ و١٨٣ و٢٢٣ و٥٠/٢ و٦٩ و١١٥. المعجم الزوولوجي ٦/٦، والصحاح ولسان العرب وأقرب الموارد ومعجم متن اللغة ضمن حدود المواد التي سيرد ذكرها.

إسم للذكر، ولا يقال للأنثى رقماء ولكنها رقشاء

أسْود : غير مُنوَّن، وأسْود سالخ، وصالخ: إذا ألقى سلخه، وهو لا يثنَّى ولا يجمع ولا يضاف، وجمع الأسود أساود، والأنثى أسودة، وجمع المركّب أساود سُلْخ وسوالخ وسالخة .

الأصَلَة : حمراء ليست بشديدة الحمرة. قصيرة عريضة تخطُّ بذنبها، وهي من دواهي الحيَّات، ويقال: إنَّها تثب على الفارس. والجمع أصلٌ .

الأصَمُّ : ما لا يقبل الرقية، كأنه قد صُمّ عن سماعها .

الأُصَيْلع : دقيق العنق صغير الرأس كأنَّ رأسه بُندقة ..

الأعَيْرج : حية صمَّاء لا تقبل الرُّقية، وربما تثب حتى تصير مع الفارس، جمعها الأعَيْرجات .

الأفْعَى : عريضة على الأرض. إذا مشت مشت مثنيَّة بثنيين، أو بثلاثة أثناء. رأسها عريض. ثقيلة لا تطلب أحداً، وإن طلبت لم تدرك، وإنَّما تعضُّ إذا وطيء عليها. الجمع أفاعي .

الأُفْعُوان . : ذكر الأفاعي .

أفْنُون : الحيَّة العجوز .

الأقزل : ضرب من الحيَّات .

الأيْم : كلُّ حية (أيْم) الذكر والأنثى في ذلك سواء، وأهل الحجاز يسمون الجان من الحيَّات (الأيْم) وهذيل يقولون (الأيِّم) بكسر الياء المشدَّدة، وبنو تميم يقولون (الأيْن)، وقـال ابن بري كما في اللسان: (اليمُّ)

الثُّعْبان : حيَّة ضخمة، زعموا أنَّ نفخه يقتل، وقيل: كلُّ حيَّة ثعبان .

الجَانُّ : حيَّة دقيق أملس لا يضرُّ أحداً. يضرب لونه إلى الصفرة، وأهل الحجاز يسمون الأيْم من الحيَّات الجان

الجارِن : ولد الحيَّة .

الحُباب : حيَّة بعينها ليست من العوارم، وعمَّ بعضهم جميع الحيَّات .

الحُرُّ : حيَّة دقيقة شبيهة بالجانِّ من الحيَّات .

الحُرَف : مظلم اللون، قيل: إذا أخذ إنساناً لم يبق فيه دم إلَّا خرج .

الحِصْف : إسم الحيَّة (طائيَّة) .

الحِضْب : الذكر الضخم من الحيَّات .

الحُفَّاث : من أضخم الحيَّات. أرْقش وهو أكثر رقَطاً من الأرقم منتفخ الوريد. ضعيف السمِّ، وقيل: لا سمَّ له.

الحِفْث : على خلقة الأفعى إلَّا أنَّه أعظم.

الحَمَطِيط : الحيَّة جمعها حماطيط.

الحَنَش : الأسود من الحيَّات. وقيل: حيَّة أبيض طويل أعظم من الثعبان، وقيل: يقال للحيَّة وجميع دوابِّ الأرض: الأحناش، ثمَّ خُصَّت به الحيَّة فقيل لها: حنش .

الخنفيش : حيَّة عظيمة ضخمة الرأس رقشاء كدراء إذا حَرَّبْتها انتفخ وريدها جمعها حنافيش.

الحَشاش : حيَّة أسمر أصغر من الأرقم، صغير الرأس قلَّما يؤذي أحداً .

الدسَّاس : حيَّة أحمر كالدَّم محدَّد الطرفين، لا يُدرى أيُّهما

رأسه، غليظ الجلد، ويسمى النكّاز أيضاً.

الدَّوْدَمَس : ضرب من الحيَّات محرنفش الغلاصم، يقال: إنَّه ينفخ نفخاً فيحرق ما أصاب، والجمع الدَّواميس

ذات الزُّبَيْتين : الحيَّة التي لها نقطتان سوداوان فوق عينيها

ذو الطُّفْيَتين : حيَّة خبيث ذو جُدَدٍ في ظهره بيضٍ وسود، والطُّفَى: خوص المُقل[1]. أراد أن في جنبيه خطَّين كخوصتين من خوص المقل، وفي الصحاح رُبّما قيل لهذه الحيّة، طُفْيَة على معنى ذات الطفية.

الرَّقيب : ضرب من الحيَّات خبيث. الجمع الرَّقيبات والرُّقُب

السِّفُّ : ضرب من الحيَّات، قال بعضهم: إنَّها تطير في الهواء، وقال آخرون: ربَّما خُصَّ بالسف الأرقم

الشجاع : من أعْرم الحيَّات طويل أفرع مُرقَّش الظهر بسواد وصُفرة. الجمع شجعان وأشجعة.

الصِّلُّ : الحيَّة الدقيقة الصفراء، قيل إنَّها تكون في الرمل لا تنفع منها الرقيـة.

العِرْبِد : قيل: إنَّه أسود سالخ، وجاء في المخصص عن ثعلب أنَّها حيَّة خفيفة، وعن ابن قتيبة: أنَّها تنفخ ولا تؤذي، وبها سمِّي المعربد من السكارى لأنَّه ينفخ ولا يؤذي ولا يضير شيئاً.

الغَضُوب : حيَّة خبيثة.

الغُول : الحيَّة جمعها أغوال.

---

(١) المقل (بضم فسكون): ثمر الدَّوم (يؤكل) والدَّوم: شجرة تشبه النخلة في حالاتها.

ابن قِتْرة : حيَّة أغبر اللون صغير أرْقط يتطوَّى ثم ينقز .
القُدار : الثعبان العظيم .
القَرْناء : حيَّة لها كاللحمتين في رأسها .
القُزَة : حيَّة عرجاء تنزو .
القُصَيْرى : ضرب من الأفاعي الخبيثة صغيرة الجسم
حيَّة قصْقاص، أي خبيثة .
المِخْراط : الحيَّة المنسلخة أو المعتادة الإنسلاخ في كلِّ عام.
النَّضْناض : التي تحرِّك لسانها حركة خفيفة، وقيل: هي التي لا تقرُّ
في مكان وإذا نهشت قتلت من ساعتها .
الهِلال : ضرب من الحيَّات إذا سلخت فهي هلال، وقيل: فرخ
الحيَّة، وقيل: هو الحية ما كان.
كنية الذكر : أبو البحتري، أبو عثمان. أبو الربيع. أبو العاص
أبو مذعور، أبو وثَّاب، أبو يقظان .
كنية الأنثى : أمُّ طبق. أمُّ عافية. أمُّ عثمان
أمُّ الفتح. أمُّ محبوب .

ذكرها في الذكر الحكيم

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان عظيم﴾ (الأعراف/١٠٧) ومثلها في (سورة الشعراء/٣٢) .

﴿قال ألقها يا موسى * فألقاها فإذا هي حيَّة تسعى﴾ (طه/٢٠) .

﴿وألْقِ عَصاك فلما رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ﴾ ﴿ولَّى مدبراً ولم يعقِّب﴾ (النحل/١٠) ومثلها في (سورة القصص/٣٠) .

ممّا جاء عنها في الحديث الشريف

(إنَّ الإيمان ليأرَز[1] إلى المدينة كما تأرز الحيَّةُ الى حُجرها)[2] .

(اقتلوا ذا الطفيتين[3] فإنَّه يلتمس ـ أوْ قال: يطمس ـ البصر ويذهب الحَبَل)[4] .

(اقتلوا الحيَّات واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر[5] فإنَّهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل)[6] .

ممّا ورد في الأمثال

(أبصر من حيَّة) . ضرب بها المثل لحدَّة بصرها[7] .

(أدخل من حيَّة) . قيل ذلك لقدرتها على الدخول في كلِّ ثقب وشق[8] .

(أروى من حيَّة) ، لأنَّها تكون في القفر لا ترى الماء ولا تشربه[9] .

(أطول من ذَماء[10] من الحيَّة) ، لأنَّها تُذبح ، وربَّما قطع الثلث منها فتبقى أيّاماً تتحرَّك وقد تعيش إنْ سلمت من الذر[11] .

---

(١) يأرز: ينظمُّ ويجتمع بعضه الى بعض .

(٢) صحيح البخاري ٢٧/٣ .

(٣) ضرب من الحيات تقدم ذكره .

(٤) صحيح البخاري ١٥٦/٤ .

(٥) الأبتر: ضرب من الحيَّات مرَّ ذكره ضمن أسماء الحيَّات .

(٦) صحيح البخاري ١٥٤/٤ .

(٧) لسان العرب (مادة حيا) .

(٨) التمثيل والمحاضرة /٣٧٧ .

(٩) جمهرة الأمثال ٤٩٩/١ .

(١٠) الذماء (بالفتح) : بقيّة النفس .

(١١) جمهرة الأمثال ٢٠/٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أظلم من حيَّة) ، لأنَّها تأتي جحر الضب فتأكل حسلها وتسكن جحرها [١] .

(أعدى من الحيَّة) ، من العدو [٢] لأنَّها تزحف على بطنها ولا يلحق بها أحد [٣] .

(أعْرى من حيَّة) ، لأنَّها تنسلخ من قشرها في كلِّ عام [٤] .

(أعمر من حيَّة) ، لأنَّها ـ كما زعموا ـ لا تموت حتى تقتل [٥] .

(حيَّة الوادي) ، يضرب مثلاً للرجل الشجاع المنيع الجانب الحامي لحوزته [٦] .

(كالأرقم إن يُقْتَل يَنْقَم وإن يُتْرك يَلقَم) ، يضرب لمن يتوقع شرُّه في كلِّ حال [٧] .

(والفَتَى مَن تَعَـرَّقَتْـهُ اللَّيـالي والفَيافي كالحيَّـةِ النَّضْنـاضِ [٨])
(وبـالضَّئيلَةِ لِينٌ في مَجَسَّتِهـا وسَمُّها ناقِعٌ يُردي إذا لَسَعَتْ [٩])
(إذا وَجَـدْتَ بوادٍ حَيَّـةً ذكَـراً فاذْهَبْ ودَعْني أمارِسْ حَيَّةَ الوادي [١٠])

---

(١) لسان العرب (مادة حيا) .
(٢) ويجوز أن يكون من العدوان وقد مرَّ المثل (أظلم من حيَّة) .
(٣) ثمار القلوب/٤٢٦ وجمهرة الأمثال ٢/٦٦ .
(٤) المصدر السابق ٢/٣٤ .
(٥) المصدر المذكور ٢/٧٤ .
(٦) لسان العرب (مادة حيا) .
(٧) جمهرة الأمثال ٢/١٦٧ .
(٨) ديوان أبي تمام الطائي ٢/٣١٠ .
(٩) التمثيل والمحاضرة/٣٧٨ .
(١٠) ثمار القلوب/٤٢٢ .

(لا تَغُرَّنْكَ هـذه الأوجه الغـــــــرُّ فيا رُبَّ حيَّةٍ في رِياضِ[1])

ممّا جاء في القصص

(الحيَّة والقرد والبَبْر[2])

زعموا أنَّ جماعة احتفروا رَكِيَّة[3] فوقع فيها رجل صائغ وحيَّة وقرد وبَبْر. ومرَّ بهم رجل سائح فأشرف على الركيَّة فبُصر بالرجل والحيَّة والقرد والببر. ففكر في نفسه وقال: لست أعمل لآخرتي عملاً أفضل من أنْ اخلِّص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء. . . فأخذ حبلاً وأدلاه في البئر، فتعلَّق به القرد لخفَّته فخرج ثم أدلاه ثانية فالتفتَّ به الحية فخرجت، ثم أدلاه ثالثة فتعلَّق به الببر فأخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له: لا تُخرج هذا الرجل من الركية فإنَّه ليس شيء أقلَّ من شكر الانسان. ثم قال له القرد: انَّ منزلي في جبلٍ قريب من مدينة نوادرَخْت.

فقال له البَبْر: أنا أيضاً في أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية: وأنا في سور تلك المدينة. فإنْ أنت مررت بنا يوماً من الدهر واحتجت إلينا فصوِّت علينا حتى نأتيكَ فنجزيكَ بما أسديت إلينا من المعروف. فلم يلتفت السائح الي ما ذكروا له من قلَّة شُكر الإنسان وأدْلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له. وقال: لقد أوليتني معروفاً، فإنْ مررت يوماً من الدهر بمدينة نوادَرَخْتَ فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ واسمي فلان لعلِّي أكافئك، بما صنعت إليَّ من المعروف. فانطلق الصائغ الى مدينته، وانْطلق السائح الى وجهته. فعرض بعد ذلك أنَّ السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له، وقبَّل

---

(١) التمثيل والمحاضرة /٣٧٨.

(٢) البَبْر: سبع هندي يعادل الأسد في عظم الجثَّة إلاّ أنَّ الببر أشدُّ بطشاً. أبيض البطن والجانبين مع صفرة، ومخطَّط بخطوط اسود، والكلمة فارسية معربة.

(٣) الركيَّة: البئر ذات الماء، ومنه قولهم: ملأ الركوة من الركيَّة.

رجليه، واعتذر إليه وقال: إنّ القرود لا يملكون شيئاً، ولكن اقعد حتى آتيك، فانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيّبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته.

ثم إنّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله البَبْر فخرّ له ساجداً وقال له: إنّك قد أوليتني معروفاً فاطمئنّ ساعة حتى آتيك. فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان(١) إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها، فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو. فقال في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو أتيت إلى الصائغ؟ فإنه إن كان معسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا الحلْي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق السائح فأتى إلى الصائغ فلما رآه رحّب به وأدخله إلى بيته، فلما بصُر بالحلي معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك.

فقال الصائغ: إطمئنّ حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت، ثم خرج وهو يقول: قد أصبتُ فُرصتي، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدلُّه على ذلك فتحسن منزلتي عنده.

فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليَّها عندي فأرسل الملكُ وأتى بالسائح. فلما نظر الحَلْي معه لم يُمهله وأمر به أن يُعذَّب ويطاف به في المدينة ويصلب فلمّا فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته: لو أنّي أطعت القرد والحيّة والببر فيما أمرنني به وأخبرنني من قلّة شُكر الإنسان لم يصر أمري إلى هذا البلاء، وجعل يكرِّر هذا القول، فسمعت مقالته تلك الحيّة فخرجت من جحرها فعرفته فاشتدَّ عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فَرقَوْه ليشفوه فلم يُغنوا عنه شيئاً.

---

(١) الحيطان جمع الحائط، وهو هنا: البستان.

ثم مضت الحيَّة إلى أختٍ لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف وما وقع فيه ، فرقَّت له وانطلقت إلى ابن الملك وتراءت له وقالت: إنَّك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً .وانطلقت الحيَّة إلى السائح فدخلت إليه السجن وقالت له : هذا الذي كنتُ نهيتك عنه من اصطناع المعروف إلى هذا الانسان ولم تطعني ، وأتته بورقٍ ينفع من سمِّها وقالت له: إذا جاؤا بك لترقَى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، فإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فإنَّك تنجو إن شاء الله تعالى ، وإن ابن الملك أخبر أباه أنَّه سمع قائلاً يقول: إنَّك لن تبرأ حتى يرقيك السائح الذي حُبس ظلماً. فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده فقال: لا أحسن الرُّقْي ، ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بأذن الله تعالى ، فسقاه فبرىء الغلام. ففرح الملك بذلك وسأله عن قصَّته فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطيَّة حسنة ، وأمر بالصائغ أن يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح[1].

٢ ـ (الأخوان والحيَّة)

زعموا أنَّ أخوين كانا في إبل لهما ، فأجدبت بلادهما ، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب وفيه حيَّة تحميه من كلِّ أحد ، فقال أحدهما للآخر : لو أنِّي أتيت هذا الوادي المُكْلِىء فرعيت فيه إبلي وأصلحتها ، فقال له أخوه : إنِّي أخاف عليك الحيَّة ألا ترى أنَّ أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلَّا أهلكته ، قال: فوالله لأفعلنَّ ، فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً ، ثم إنَّ الحيَّة نهشته فقتلته ، فقال أخوه : والله ما في الحياة بعد أخي خير ، فلأطلبنَّ الحيَّة ولأقتلنَّها ، أو لأتبعنَّ أخي ، فهبط ذلك الوادي وطلب الحيَّة ليقتلها ، فقالت الحية له : ألست ترى أنِّي قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كلَّ يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أو فاعلة أنت؟ قالت : نعم ، قال : إنِّي أفعل ، فحلف لها

---

(١) كليلة ودمنة /٣٩١.

وأعطاها المواثيق لا يضرُّها، وجعلت تعطيه كلَّ يوم ديناراً ، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً ، ثمَّ إنَّه تذكَّر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرَّت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثَّرت فيه ، فلَّما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرجل شرَّها وندم فقال لها : هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ماكنَّا عليه؟ فقالت (كيف أعاودُك وهذا أثر فأسك؟)[1] .

فذهب قولها المحكيُّ عنها مثلاً يضرب لمن لا يفي بالعهد. ونظم النابغة الذبياني هذه القصَّة بقصيدة سيرد ذكرها ضمن الأشعار التي قيلت في الحيَّة، ولا أستبعد أنَّها من نسج خياله.

مما جاء في الشعر :

قال خلف الأحمر[2] داعياً على شخص اسمه عبيد بأن تنهشه حيَّة من ثلاث حيّات اختارها له: جبلية مهروتة الشدقين رقشاء قرناء، أو ذات الطفيتين لو عضَّت صخرة لتطايرت فِلقاً مثل النوى، أو أسود حالكاً أنيابه كالمُدى:

صَبَّ الإلــهُ على عُبَيْدٍ حيَّــةً ... لا تَنفَعُ النَّفثاتُ فيهـا والـرُّقَى
جبليَّـــةً تَسْـري إذا مــا جَنَّهــا ... ليـلٌ وتَكمنُ بالنَّهـارِ فما تُـرَى
مَهْـرُوتَةَ الشِّـدْقَيْنِ يَنطُفُ نـابُهـا ... سمّاً تَرَى ما إنْ يُهاب ويُتَّقى
خَضِرَتْ لها عُنُقٌ وسائِر خَلْقِها ... بَضٌّ يَبِينُ كمثلِ مِصْباحِ الدُّجَى
وكـأنَّمـا لبِسَتْ بـأعْلَى لَـوْنِهـا ... بُرْداً مَن الأثوابِ أنْعَجَهِ البِلَى[3]
رَقْشـاءَ تَقْتَصِد الطَّريقَ إذا دَنا ... مِنهـا المساءُ كـأنَّهـا ثِنْيـا رِشـا
قَـرْناءَ أنْسـاها الـزَّمانُ فـأدْرَكَتْ ... عـاداً فليسَ لنَهْشِـه منهـا شِفـا

---

(١) مجمع الامثال للميداني ٢/١٤٥.

(٢) نور القبس /٧٨.

(٣) نعج اللون: خلص بياضه.

أو حَيَّــةً ذا طُفْيَتَيْـنِ أحَـلَّه آباؤه في شامخٍ صَعْبِ الذُّرَى[1]

فَنَشـا بغـارٍ مُـظلمٍ أرْجـــاؤُهُ لا الرِّيحُ تُصْرِدُه ولا بَرْدُ الشِّتا

لم تَغْشَه شَمسٌ وحالفَ قَعْرَه فنَهـارُهُ ومَسـاؤهُ فيــه سَــوا

لوْ عَضَّ حَرْفَي صَخْرَةٍ لَتطايَرتْ من نـابهِ فِلَقاً كأفـلاقِ النَّـوَى

أو حالِكـاً أمَّا النَّهارَ فكامِـنٌ متطـرِّقٌ فإذا رأى ليـلاً سَرَى

في عَيْنِـه قَبَـلٌ وفي خَيْشُـومِـهِ فَـطَسٌ وفي أنْيابه مثلُ المُـدَى

يَلْقى عُبَيْــداً ماشِيــاً مُتَفضِّــلاً مُتَخلِّقاً قَد مَلَّهُ طولُ السُّرَى[2]

في لَيْلةٍ نَحْسٍ يَحـارُ هُداتُهـا لا لابِسـاً خُفّاً يقِيـهِ ولا حِذا

فيحَــوُصُــهُ في كَعْبِــهِ بمُـذَرَّبٍ ماضٍ إذا أنْحَى عَلى عَظْمٍ فَرَى[3]

وقال بشار بن برد واصفاً قوافي شعره كأنياب الأفاعي[4].

وقَـدْ علِمَتْ عُليـا رَبيعَـةَ أنَّني إذا السَّيْفُ أكْدَى كانَ فيَّ مَضاءُ

ترَكْتُ ابْنَ نِهْيا بعدَ طولِ هَدِيرِه مُصِيخاً كأنَّ الأرْضَ مِنه خَلاءُ[5]

ومــا راحَ مِـثلي فـي الـعِقــابِ ولا غَــدا

لِـمُسْـتَكْـبِــرٍ فــي نــاظِـرَيْــهِ عِــداءُ

تَزِلُّ القَوافي عَنْ لِساني كأنَّها حُماتُ الأفاعي رِيقُهن قَضاءُ[6]

وقال خلف الأحمر يصف حيَّة: [7].

يَرَوْنَ الموتَ دُونَـكَ إنْ رَأوْني وصِــلَّ صَفــاً لِنــابَيْــهِ ذُبــابُ

---

(١) ذو الطِفيتين: ضرب من الحيات تقدم ذكره في فصل أسماء الحيات.

(٢) متفضلاً: مدّعياً الفضل. متخلّقاً: تخلق بغير خلقه.

(٣) حاص الثوب: خاطه بلا رقعة.

(٤) ديوانه /١٢٨ و ١٢٩.

(٥) ابن نهيا: حماد عجرد.

(٦) حمات، جمع حمة (بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة: شوكة الزنبور وناب الأفعى.

(٧) نور القبس /٧٧.

من المُتــطوِّيـاتِ بكَهْفِ طَــوْدٍ حَـرامٍ لا يُـرامُ لــه جَنـابُ[1]
أبى الحـاوُونَ أنْ يَـطَؤا حِمـاهُ ولا تَسْـري بَعَقْـوَتِــه الـذِئــابُ
كـأنَّ دَمــاً أُمِيــرَ عَلى قَــراهُ وقَــطْرانـاً أُميرَ بــهِ كُبــابُ[2]
إذا ما اسْتَجْرَسَ الأصْواتَ أبْدَى لسـاناً دُونَـه المَوْتُ العُبـابُ[3]
يــظلُّ نَهــارَهُ نَــومــاً سُبــاتــاً ونَــزْوَتُـه طمــوراً وانْسِيــابُ[4]
كــأنَّ جَــرادَةً نَـشَــرَتْ عَـليــهِ جَناحاً فـارْتَدَى منهـا الحُبابُ[5]
متى ما يَرْم عَنْ عَيْنَيْهِ شَخْصاً فليسَ إلى الحيَــاةِ لـه إيــابُ

وقال حَريز بن نُشْبة العَدويّ لبني جعفر بن كلاب، وضرب جَوْر الحيَّة في الحكم مثلاً فقال: [6]

كأنّني حينَ أحْبُو جَعْفراً مِدَحي أسْقِيهُمُ طَرْقَ ماءٍ غيرَ مَشْرُوبِ
ولـوْ أخـاصِمُ أفْعَى نـابُها لَثِقٌ أو الأساوِدَ مِن صُمِّ الأهاضِيبِ[7]
لكُنْتمْ مَعَهــا إلْبــاً وكـان لَهـا نابٌ بأسفـل ساقٍ أوْ بِعُـرقُوبِ

وقال كثيِّر عزَّة لعبد العزيز بن مروان: [8]

ومــا زالَتْ رُقَـاكَ تَسـلُّ ضِغْنِي وتُخْـرِجُ مِن مَكامِنِهـا ضِبابي[9]
ويــرْقِيني لـكَ الــرَّقُــونَ حتَّى أجــابَـتْ حيَّــةٌ تـحت التُّرابِ

---

(١) في المصدر المذكور (عرام) مكان (حرام) والتصويب في الحيوان للجاحظ ٢٧٩/٤.
(٢) امار الدم: أجراه. الكُباب (بالضم) التراب. البيت زيادة من الحيوان للجاحظ.
(٣) استجرس: طلب الجرس (بفتح فسكون) وهو الصوت.
(٤) الطمور: الوثوب الى اسفل.
(٥) الحباب: الحيّة.
(٦) الحيوان للجاحظ ١٥٢/٤.
(٧) لثق: مبتل بالسمّ.
(٨) ديوانه /٢٨٠ والصناعتين /٧٥.
(٩) الضباب: الأضغان والعداوة.

وقال الأعشى الكبير لشيبان بن شهاب الجحدري من قصيدة:[1]

أبا مِسْمَعٍ إنِّي امْرُؤ من قَبيلَة ... بَنَى ليَ مَجْداً مَوتُها وحَياتُها

فَلا تَلْمَسِ الأفْعَى يَداكَ تُريدها ... ودَعْها إذا ما غَيَّبَتْها سَفاتُها[2]

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ فإنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تَأتِكُمْ تَلْحَقْ بها أخَواتُها

وقال آخر:[3]

هُمْ أيْقَظُوا رُقْطَ الأفاعي ونَبَّهوا ... عقارِبَ لَيْلٍ نامَ عَنها حُوانُها

وهُمْ نَقَلُوا عَنِّي الَّذي لم أفُهْ بِهِ ... وما آفَةُ الأخْبارِ إلَّا رُواتُها

وقال آخر في وصف الحيَّات:[4]

وكَمْ طَوَتْ من حَنَشٍ راصِدٍ ... للسَّفْرِ في أعْلَى الثَّنِيَّاتِ[5]

أصَمَّ أعْمَى لا يُجِيبُ الرُّقَى ... يَفْتَرُّ عن عُصْلٍ حَديدات[6]

مُنْهرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى ... سترٍ طَمُورٍ في الدُّجُنَّاتِ[7]

ذي هامَةٍ رَقْطاءَ مَفْطُوحَةٍ ... مِن الدَّواهي الجَبَلِيَّاتِ

صِلٍّ صَفاً تنطِفُ أنْيابُهُ ... سِمامَ ذَيْفانٍ مجيرات[8]

مُطِلْنَ في اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى ... رأسٍ وأشْداقٍ رَحِيباتِ

قَدَّمْنَ عَن ضِرْسَينِ واسْتأخَرا ... إلى سِماخَيْنِ ولَهْواتِ[9]

---

(١) ديوانه / ٨٥.

(٢) السفاة: التراب.

(٣) حياة الحيوان ١/٢٧٥.

(٤) الحيوان للجاحظ ٤/٢٨٢.

(٥) الثنية: الطريق العالي في الجبل.

(٦) الناب الأعصل: الأعوج.

(٧) منهرت: واسع. الطَّمور: الوثاب إلى أسفل.

(٨) تنطف: تقطر. الذيفان: السم القاتل. مجيرات: كذا ورد، وقال الاستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب الحيوان: لعلها (مبيرات) بمعنى مهلكات.

(٩) اللهوات (بالتحريك) جمع اللَّهاة: اللَّحمة المشرفة على الحلق، وقد سكَّن الهاء ليستقيم له وزن الشعر، كما أنَّه جمعها والمراد بها لهاة واحدة.

يُسْبِتُـه الصُّبـحُ وطَـوْراً لَـه نفـخٌ ونَفْثٌ في المغـارات[1]
وتـارَةً تَـحْـسَـبُـه مَـيِّـتـاً من طُـولِ إطْـراقٍ وإخْبـاتِ[2]

وقال الإمام الشافعي: [3]

عنـدي يَـواقيتُ القَـريض ودُرُّه وعَليَّ إكْليـلُ الكَـلامِ وتـاجُـهُ
تُرْبى على رَوْضِ الرُّبا أزْهارُه ويَرِقُّ في نادي النَّدَى دِيباجُـهُ
والشـاعِرِ المنْطيقُ أسْوَدُ سـالخٌ والشعـرُ منـه لُعـابُـه ومُجـاجُـهُ
وعَـداوةُ الشُّعَـراءِ داءٌ مُعْضِـلٌ ولقد يَهُونُ عَلى الكَريم عِلاجُهُ

وقال أبو هلال العسكري يصف حيَّة: [4]

وخفيفة الحركـات تَفْترِعُ الـرُّبَى كالبَرقِ يَلْمعُ في الغَمامِ الرَّائِحِ
منْقُـوطَةٌ تَحكي بُـطُونَ صَحائِفٍ إبَّانَ تبدو من بُـطُونِ صَفائِـحِ
تَرْضى مِن الدُّنيا بظِلِّ صُخَيْرَةٍ ومن المعَايِشِ باشْتِمامِ رَوائِحِ

وقال حُسَيْل بن عُرْفُطَة (جاهلي): [5]

من دُونِ خَيْرِكَ لَوْنُ لَيلٍ مُظْلمٍ وحَفِيفُ نـافِجَةٍ وكلبٌ مُوْسَـدُ[6]
وأخُـوكَ مُحتَمِلٌ عَليـكَ ضَغِينَـةً ومُسِيفُ قَوْمِكَ لائِمٌ لا يُحْمَدُ[7]
والضَّيْفُ عِندك مثلُ أسْوَد سالخٍ لا بَـلْ أحَبُّهُمـا إليـك الأسْـوَدُ

---

(١) يسبته: ينيمه.
(٢) الاطراق: السكون وإرخاء العين. الإخبات الخشوع والتواضع.
(٣) ديوانه /٦٤ و ٦٥.
(٤) ديوان المعاني ٢/١٤٥.
(٥) النوادر لأبي زيد /٧٥ و ٧٦.
(٦) النافجة: الريح تبدأ بشدَّة، والسحابة الكثيرة المطر، أوسد الكلب، وأوصده: أغراه بالصيد فهو مؤسد ومؤصد.
(٧) المسيف: الذي أصاب إبله السواف وهي الغُدة.

وقال آخر: [1]

وكَيْفَ وقَد أَسْهَرْتَ عَيْنكَ تَبْتَغي   عِناداً لِنابَيْ حَيَّةٍ قَدْ تَـربَّدا [2]
من الصُمِّ يَكفي مَرَّةً من لُعابِهِ   وما عاد إلَّا كانَ في العَوْدِ أحْمدَا

وقال عنترة العبسي [3] وقيل إنَّها لحريث بن عنَّاب الطائي: [4].

أَتَرْجُو حياةً يا ابْنَ بِشْرِ بن مُسْهِرٍ   وقد عَلِقَتْ رِجْلاكَ في نابِ أسْوَدا
أصمَّ جِبـاليٍّ إذا عَضَّ عَضَّـةً   تَـزايَـلَ عـنـه جلدُهُ فـتَبَـدَّدا
بِسَلْعِ صَفاً لم يَبْدُ للشَّمْسِ قَبْلَها   إذا ما رآهُ صاحبُ اليَمِّ أُرْعِدا [5]
له رِبْقَةٌ في عُنْقِـهِ من قَميصِهِ   وسـائِرُهُ عَن مَتْنِـهِ قَد تَقَـدَّدا [6]
رَقُـودِ ضُحَيَّـاتٍ كـأنَّ لِسـانَـهُ   إذا سَمِعَ الأجْراسَ مكحالُ أرْمَدا [7]
يُفيتُ النَّفوسَ قبلَ أنْ يَقعَ الرُّقى   وإنْ أبْرقَ الحاوي عليه وأرْعَدا

وقال أبو الأسود الدؤلي: [8]

لـيتَـكَ آذَنْـتَـنـي بـواحِـدَةٍ   تجعَلُهـا منكَ سـائِـر الأبَـدِ
تـحـلِفُ ألَّا تَـبـرَّنـي أبَـداً   فـإنَّ فيهـا بَـرْداً على كَبِـدي

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤/٢٨٥.
(٢) ضمير تربَّد عائد الحية والحية تذكر وتؤنث.
(٣) الحيوان للجاحظ ٤/٣٠٨ ولم أجدها في ديوانه.
(٤) ديوان ابن نباته السعدي ١/٥٩٣.
(٥) السلع: الشقُّ. اليمُّ. الحيَّة.
(٦) الربقة: الحبل. قميصه: جلده المنسلخ.
(٧) الأجراس: الأصوات. المكحال: المِرْوَد يكتحل به، وقد يشبَّه لسان الحية بالمرود في دقَّته وسواده.
(٨) ديوانه /١٠٤.

إنْ كانَ رِزْقي إليكَ فَارْمِ بهِ في ناظري حيَّـة على رصدِ[1]

وقال أبو تمّام من قصيدة في مدح أحمد بن أبي دُواد:[2].

حَمَلَ العِبْءَ كاهِلٌ لكَ أمْسَى لخـطُوبِ الـزَّمـانِ بـالمِـرْصـادِ
عـاتِقٌ مُعْـتَقٌ مِـنَ الهُـوْنِ إلاَّ مِن مُقـاساةِ مَغْـرَمٍ أوْ نِجادِ[3]
مُلْتَتْـكَ الأحْسـابُ أيُّ حَيـاءٍ وحَـيـا أزْمَـةٍ وحَـيَّـة وادِ[4]
لـو تَراخَتْ يَـداكَ عنها فُـواقاً أكلَتْهـا الأيَّـامُ أكْـلَ الجَـرادِ[5]

وقال من قصيدة أخرى في مدح ابن أبي دواد:[6]

خُـذْهـا مُثقَّفَـةَ القَـوافي رَبُّهـا لِسَـوابغِ النَّعْمـاءِ غيرُ كَنُـودِ[7]
كـالدُرِّ كالمَـرْجـانِ أُلِّفَ نَـظْمُـهُ بـالشَّزْرِ في عُنُقِ الفَتاةِ الـرُّودِ
كـرُقَى الأساوِدِ والأراقِمِ طـالَمـا نَزَعَتْ حُماتِ سَخائِمٍ وحُقُودِ[8]

وقال الأخطل:[9]

قد أُنْذِرُوا حيَّةً في رَأسِ هَضْبَتِهِ وقَـد أتَتْهُم به الأخْبـارُ والنُّـذرُ
باتُوا نِياماً عَلى الأنْمـاطِ لَيْلَهُم ولَيْلَهُ ساهِرٌ فيها وما شَعَـرُوا[10]

---

(١) يقال للحيَّة التي ترصد المارَّة على الطريق لتلسع: رصيدٌ.

(٢) ديوانه ١/٣٦٤ و ٣٦٥.

(٣) النجادُ: حمائل السيف، وهو والمغرم لم يكونا من الهوان ولكن جوَّزوا دخول مثلهما في المستثنى الذي ليس من جنسهما الأول.

(٤) يريد أيُّ حياء فيك. الحيا: المطر العام. الأزمة السنة الشديدة. حيَّة الوادي: يشبهون بها السيِّد الشجاع.

(٥) الفُواق: ما بين الحلبتين.

(٦) ديوانه ١/٢٩٧ و ٢٩٩.

(٧) الكنود: الكفور.

(٨) الحُمات جمع الحُمَة: السمُّ، وقيل ناب الحيَّة وشوكة الزنبور.

(٩) ديوانه /٢٦٨ و ٢٦٩.

(١٠) الأنماط: ضرب من البُسط له خمل رقيق.

هناكَ قـالُوا أنـامَ المـاءُ حَيَّتَـه ... ومـا يكادُ يَنـامُ الحيَّـةُ الـذَّكَـرُ

كان الأُقَيْبل بن نبهان القَيْني مع الحجَّاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير، فهرب من الحَّجاج لما رأى البيت الحرام يضرب بالمجانيق، وقال شعراً أغضب الحجَّاج فطلبه! فاحتمى بقبر مروان، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحَّجاج ألاَّ يعرض له. فقال له قومه: إنَّك إنْ أتيت الحَّجاج قتلك . فطرح الكتاب وهرب وقال: (١)

لَقَد عَلِمتُ وخيرُ القَولِ أنْفَعُه ... أنَّ انْطِلاقي إلى الحَجَّاجِ تغْريرُ

لئِنْ ذَهَبْتُ إلى الحجَّاج يَقْتُلُني ... إنِّي لأحْمَقُ مَن تُحْدَى بِهِ العِيرُ

مُسْتَحْقِباً صُحُفاً تَدْمَى طَوابِعُهـا ... وفي الصَّحائِفِ حَيَّاتٌ مَناكِيرُ (٢)

وقال رجل من قريش: (٣)

مـا زالَ أمْـرُ وُلاةِ السُّـوءِ مُنْتَشِراً ... حتَّى أطَـلَّ عَليهم حَيَّـةٌ ذكَــرُ

ذُو مِرَّةٍ تَفْرَقُ الحيَّـاتُ صَوْلَتَـهُ ... عَفُّ الشَّمائِلِ قد شُدَّتْ له المِرَرُ

وقال آخر في الحيَّة: (٤)

لا ينبُتُ العُشْبُ في وادٍ تكونُ بِهِ ... ولا يُجاوِرُها وَحْشٌ ولا شَجَـرُ

جَـرْداءُ شـابِكَـةُ الأنْيـابِ ذابِلَةٌ ... يَنْبُو من اليَبْسِ عَن يافُوخِها الحَجَرُ

لو شُرِّحَتْ بالمُدَي ما مَسَّها بَلَلٌ ... ولو تَكَنَّفَها الحاوُونَ ما قَـدَرُوا

قَد جاهَدُوها فَما قام الرُّقاةُ لَها ... وخاتَلوها فمـا نالُـوا ولا ظَفِرُوا

---

(١) الحيوان للجاحظ ٢٥٣/٤ والمؤتلف المختلف /٢٥.

(٢) استحقب الشيء : حمله في مؤخرة الرجل. الطوابع : الأختام التي تختم بها الرسائل.

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٦١/٤.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣٠٩/٤ ونهاية الأرب ١٤٣/١٠، وقد عزيت في الحماسة البصرية ٣٤٣/٢ الى عمرو بن شاس.

يَكْبُو لها الوَرَلُ العادي إذا نَفَخَتْ   جُبْناً ويَهربُ منها الحيَّةُ الذَّكَرُ[1]

وقال النابغة الذبياني من قصيدة عاتب بها بني مُرَّة على تحالفهم عليه وعلى قومه، وضرب لهم مثل الحيَّة والأخوين الذي تقدم ذكره في فصل القصص: [2].

وإنِّي لألْقَى مِن ذَوي الضِّغْنِ مِنْهمُ   وما أصْبَحَتْ تَشْكُو مِن الوَجْدِ ساهِرَهْ
كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفا من حَلِيفِها   وما آنْفكَّتِ الأمْثالُ في النَّاسِ سائِرَه
فقالَتْ له أدْعوكَ للعَقْلِ وافِياً   ولا تَغْشِيَنِّي مِنكَ بالظُّلْمِ بادِرَهْ[3]
فَواثَقَها باللَّهِ حينَ تَراضَيا   فكانَتْ تَدِيهِ المال غِبّاً وظاهِرَهْ
فَلمَّا تَوفَّى العَقْلَ إلَّا أقَلَّهُ   وجارَتْ بهِ نَفْسٌ عَن الحَقِّ جائِرَهْ
تذكر أنِّى يَجْعَلُ اللَّهُ جُنَّةً   فَيُصْبِحَ ذا مالٍ ويَقْتُلَ واتِرَهْ[4]
فَلمَّا رَأى أنْ ثَمَّرَ اللَّهُ مالَهُ   وأثَّلَ مَوْجُوداً وسَدَّ مَفاقِرَهْ[5]
أكبَّ عَلى فَأسٍ يُحدُّ غُرابَها   مذكَّرَةٍ مِنَ المَعاوِلِ باتِرَهْ
فقامَ لها مِن فَوقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ   لِيَقْتُلَهَا أوْ تُخطِىءُ الكَفُّ بادِرَهْ[6]
فَلَّما وَقاها اللَّهُ ضَرْبَةَ فأسِهِ   ولِلْبَرِّ عينٌ لا تغَمِّضُ ناظِرَهْ[7]
فقال تَعالَيْ نَجعلِ اللَّهَ بَيْنَنا   عَلى مالِنا أو تُنْجِزي لِيَ آخِرَهْ

---

(١) الوَرَل: دابة على خلقة الضب الَّا أنه أعظم منه يكون في الرمال والصحاري. يريد بالحية الذكر. الرجل الشجاع.
(٢) ديوانه /٦٨.
(٣) العقل : الدية التي تعطى لأهل القتيل.
(٤) الجُنَّة (بالضم): السترة، وكل ما وقاك.
(٥) ثمرَّ ماله وأثَّله: نَّماه وأصَّله. المفاقر: جمع الفقر.
(٦) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حدَّته.
(٧) البرُّ (بالفتح وتشديد الراء): من اسماء الله الحسنى.

فقـالَتْ يَمينُ اللّهِ أفعـلُ إنَّني رأيتُكَ مَسْحُوراً يَمينُكَ فاجِرَهْ[1]
أبَى ليَ قبرٌ لا يَزال مُقـابِلي وضَرْبَةُ فأسٍ فَوْقَ رأسيَ فاقِرَهْ

وقال أحمد بن هذيل في وصف الحيّات[2] والأرجح (يحيى بن هذيل:

هُـرْتُ اللَّهـازِمِ لَيْلَهُنَّ رَواقِـدٌ فإذا حَبَتْ في باطِنٍ أوْظاهِرِ[3]
يَـرْمِينَ نِفْـطاً مُحْـرِقاً وكـأنَّما يَحْـرِقْنَ بالأنيـابِ حَدَّ ميـاشرِ[4]
يَـرْفَعْنَ أعْنـاقـاً كعِيـدانِ القَنـا ويَدَعْنَ في المُنْتابِ رُعْبَ الخاطِرِ
وتَمِيـلُ عَمَّـا قـابَلَتْـهُ بِـوَجْهِها فَكـأنَّما تَحْكي صُـدُورَ الهـاجِـرِ
وإذا صَنَعْنَ دَوائِـراً فكـأنَّـمـا يُحكِمْنَ صَوْغَ خَلاخِـلٍ وأساوِرِ
وكـأنَّما أحْـداقُهنَّ مـعَ الضُّحَى . سَبَجٌ يُقَلَّبُ بَيْنَ كَفَّىْ تاجِرِ[5]

وقال محمد بن سعيد: [6]

قَرِيحَة لم تُـدَنِّيها السِّيـاطُ ولم تُورَدْ عِراكاً ولم تُعْصَرْ عَلى كَدَرِ[7]
كمنْطَوى الحيَّةِ النَّضْناضِ مَكمنُها في الصَّدرِ ما لم يُهَيِّجْها على زَوَرِ
اللَّيْثُ لِلَّيـثِ مَنْسُـوبٌ أظـافِـرُهُ والحَيَّةُ الصِّلُّ نَجْلُ الحَيَّةِ الذَّكَرُ

وقال الأخطل[8] :

تَخَلَّ ابنَ صَفَّارٍ فَلا تَذكُرِ العُلى ولا تَذْكُرَنْ حَيَّاتِ قَوْمَكَ في الذِّكرِ

---

(١) أفعل (هنا) بمعنى لا أفعل وذلك لورودها بعد القسم، كقوله تعالى (تاللّه تفتؤا تذكر يوسف) سورة يوسف / ٨٥.
(٢) التشبيهات (١٨٩و ٢٩٩ .
(٣) الهرت: الواسع . اللهازم جمع اللهزمة: العظم الناتيء تحت الأذن.
(٤) المياشر جمع الميشار وهو المنشار.
(٥) السبج: الخرز الأسود (فارسي معرب).
(٦) الحيوان للجاحظ ٤/٢٥٥.
(٧) يريد بالقريحة: خالصة النسب. (تعصر) كذا ورد ولعل الاصل (تُقْسر).
(٨) ديوانه/ ١٣٥ .

فقــدْ نهضتْ لِلتّغلبيِّينَ حَيَّــةٌ   كحيَّةِ مُوسَى يَومَ أُيِّدَ بِـالنَّصْرِ

وقال آخر وقد جمع صفة الحيَّة[1] :

قـد كـاد يَقْتُلني أصَمُّ مُـرَقَّشٌ   مِن حُبِّكُمْ والخَطْبُ غيرُ كَبِـير
خُلقتْ لهـازِمُـه عِـزِينَ ورَأسُـهُ   كالقُرْصِ فُلْطِحَ من دَقيقِ شَعِيرِ[2]
ويُـدِيـرُ عيْنـاً لِلوقـاعِ كـأنَّهـا   سَمْراءُ طاحَتْ من نَفِيضِ بَرِيرِ[3]
وكـأنَّ مَلْقـاهُ بكـلِّ تَنُـوفَـةٍ   مَلْقـاكَ كِفَّـةَ مُنْخُـلٍ مَـأطُـورِ
وكـأنَّ شِـدْقَيْـهِ إذا اسْتَعْـرضْتَـهُ   شِدْقا عَجُـوزٍ مَضْمَضَتْ لِطَهُـورِ

وقال آخر في مليح لسعته حيَّة[4] :

قالُوا حَبِيبُك مَلْسُوعٌ فقُلْتُ لَهُمْ   مِنْ عَقْرَبِ الصُّدْغِ أوْ مِن حَيَّةِ الشَّعَرِ
قالُوا بَلى مِن أفاعي الأرْضِ قلتُ لهم   وكيفَ تَسْعَى أفاعي الأرْضِ للقَمَرِ

ومن أحسن ما قيل في الحية قول النابغة الذبياني[5] :

صِلٌّ صفاً لا تَنْطوي من القِصَرْ   طَـويلَةُ الإطْرَاقِ مِن غَيـرِ خَفَرْ
داهيـة قـد صغُـرتْ مِن الكِبَـرْ   كـأنَّما قـد ذَهَبَتْ بهـا الفِـكَـرْ
مهْـرُوتةُ الشّـدْقَيْن حَوْلاء النـظَرْ   تَفْتَـرُّ عَن عُوجٍ حِـدادٍ كالإبَـرْ

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤/١٨١ ، وفي نسبة الأبيات اختلاف. يراجع الحيوان للجاحظ ٢/٢١٤ والمؤتلف والمختلف/٤٤ والأصمعيات/١٢٣ .

(٢) اللهازم جمع اللهزمة: العظم الناتىء تحت الأذن وهو أصل الحنك. عزين : متفرقات .

(٣) يريد بسمراء : الواحدة من البربر وهو ثمر الأراك إذا اسودَّ وبلغ. النفيض: المنفوض .

(٤) حياة الحيوان ١/٢٨٠ .

(٥) ديوانه/٧٣ .

وقال عمرو بن العاص يوم صفين[1]:

إذا تَخازَرْتُ وما بي مِن خَزَرْ ... ثم خَبَأْتُ العَينَ من غيرِ عَوَرْ
الفَيْتَني أَلْـوَى بَعِـدَ المُسْتَمَـرْ ... ذا صَوْلَةٍ في المُصْمَئِلَّاتِ الكُبَرْ[2]
أَحْمِلُ ما حُمِّلْتُ مِن خَيْرٍ وشَرْ ... كالحيَّةِ الصَّمَّاءِ في أصْلِ الصَّخَرْ

وقال أدهم بن أبي الزعراء[3] وشبَّه نفسه بحيَّة:

وما أسْوَدٌ بالبَأْسِ تَرتاح نفسُـهُ ... إذا حَلْبَةٌ جاءَتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ
بـه نُقَطٌ حُمـرٌ وسُـودٌ كـأنَّمـا ... تنضَّحَ نَضْحاً بالكُحَيْلِ وبالوَرْسِ[4]
أصمُّ قُـطارِيٌّ يكـونُ خُـروجُـهُ ... قُبَيْلَ غُروبِ الشَّمْسِ مُختَلَطَ الدَّمْسِ[5]
له مَنزلٌ أنفُ ابنِ قِتْرَةَ يَغتَذي ... به السمَّ لم يَظهَرْ نَهاراً إلى الشَّمسِ[6]
يَقيلُ إذا ما قـالَ بَينَ شَواهِقٍ ... تَزِلُّ العُقابُ عَن نَفانِفِها المُلْسِ[7]
بأجْرَأ منِّي يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقْدِماً ... إذا الحَرْبُ دَبَّتْ أوْ لبسْتُ لَهَا لِبْسِي

وقال عامر بن لقيط الأسدي الفقعسيُّ[8]:

لَعَمـرُكَ إنِّي لَـوْ أخـاصِمُ حَيَّـةً ... إلى فَقْعَسٍ ما أنْصَفَتْني فَقْعَسُ
فَلا تَجعَلنَّ الأرْضَ ليلاً فـإنَّني ... أخافُ عَليكم حَيَّتي حِينَ تُلْمَسُ

---

(١) وقعة صفين/ ٣٧٠ .
(٢) الألوى: الشديد الخصومة . المصمئلات: الدواهي، واحدها المصمئلّة .
(٣) الحيوان للجاحظ ٤/٣٠٦ .
(٤) الكُحيل (بصيغة التصغير): القطران، ويعرف اليوم بالنفط الأسود. الورس: نبت يُصبغ به فيعطي صفرة إلى حمرة .
(٥) حيَّة قطاريٌّ وقطاريَّة تأوي إلى قطر جبل. الدمس: الظلام.
(٦) ابن قترة: حية خبيثة تقدم ذكرها. يغتذي به، بمعنى يغتذي منه، وفي الذكر الحكيم (عيناً يشرب بها عباد الله) سورة الإنسان/٦ .
(٧) قال الرجل يقيل: نام في القائلة وهي نصف النهار. النفانف جمع النفنف: صقع الجبل الذي كأنَّه جدار مستو.
(٨) الحماسة للبحتري/ ٢٤٠ .

فمـــا لكُمُ طُلْسـاً إليَّ كـأنَّكم ذِئابُ الغَضا والذِّئبُ باللَّيلِ أطْلَسُ [1]

وقال ذو الاصبع العَدْواني[2] :

عَـذِيـرَ الحيِّ مِن عَـدْوا نَ كانوا حَيَّـةَ الأرْضِ [3]
عَـلا بَـعْضُـهُـم بَـعْضـاً فَلم يُـرْعُـوا عَلى بَعضِ
ومِـنهُـمْ كـانَـتِ السَّـادا تُ والمُـوفُـونَ بِـالقَـرْضِ
ومِـنهُـمْ حَـكَـمٌ يَـقْـضـي فَـلا يُنْقَضُ مـا يَقْضـي

وقال جرير من قصيدة في هجاء الفرزدق[4] :

إنّـا لَنَعْرِفُ مِن نِجارِ مُجاشِـع هدَّ الحَفِيفِ كما يَحِفُّ الخِرْوَعُ [5]
أيُفـايِشُـونَ وقَـدْ رَأوْ حُفَّـاثَهُمْ قَد عَضَّهُ فَقَضَى عليهِ الأشْجُعُ [6]

وقال النابغة الذبياني من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر[7] ؛

فبتُّ كـأنِّي سـاوَرَتْني ضَئِيلَةٌ من الرُّقْشِ في أنْيابِها السمُّ ناقِعُ
يُسهَّدُ مِن لَيلِ التِّمامِ سَلِيمُها لِحَلْيِ النِّساءِ في يَدَيْهِ قَعاقِعُ[8]
تناذَرَها الرّاقُونَ من سُـوءِ سمِّها تُـطَلِّقُه طَـوْراً وطَوْراً تُـراجِـعُ[9]

---

(١) الطُّلس جمع الأطلس: الذي في لونه غبرة إلى سواد .
(٢) الشعر والشعراء/٥٩٨ .
(٣) العذير: العاذر، والحال التي تحاولها تعذر عليها .
(٤) ديوانه/٣٤٤ .
(٥) الحفيف: صوت حركة الأغصان. الخروع: شجرة ضعيفة العود .
(٦) المفايشة: المفاخرة. الحفَّاث: حيَّة لا سم لها. الأشجع (بضم الجيم) جمع الشجاع، وهو من أعرم الحيَّات .
(٧) ديوانه/٨٠ .
(٨) ليلة التِّمام: أطول ليالي الشتاء. السليم: الملدوغ. حلي النساء: كان العرب يجعلون الحلي في يد الملسوع ويحركونه لئلَّا ينام فيدبَّ السمُّ فيه .
(٩) تناذرها: أنذر بعضهم بعضاً .

وقال الزياديُّ في يحيى بن أبي حفصة [1]:

إنِّي ويَحْيَى وما يَبْغي كَمُلْتمِسٍ صَيْداً وما نالَ مِنه الرِّيَّ والشِّبَعا
أهْوَى إلى بابِ جُحْرٍ في مُقَدَّمِه مثلُ العَسِيبِ تَرَى في رَأسِهِ قَزَعا [2]
اللَّونُ أرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عُصْلٌ تَرى السمَّ يَجْري بَيْنها قِطَعا [3]
لَوْ نالَ كفَّكَ آبَتْ منه مُخضَبة بَيْضاءَ قد جلّلَتْ أنيابها قَزَعا [4]

فأجابه يحيى فقال [5]:

كَمْ حَيَّةٍ تَرهَبُ الحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدَيْهِ قَد غادَرْتُه قِطعَا [6]
يَلْقَيْنَ حَيَّةَ قُفٌّ ذا مُساوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ القِرْنُ مِن كَأسِ الرَّدَى جُرَعا [7]
تَكادُ تَسقُطُ مِنْهُنَّ الجُلُودُ لِما يَعْلَمْنَ منه إذا عايَنَّهُ قَزَعا
أصَمُّ ما شَمَّ من خَضْراءَ أيْبَسَها أو مَسَّ مِن حَجَرٍ أوْهاهُ فَانْصَدَعا

وقال أبو تمام الطائي [8] من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم :

قَد كَسَانا مِن كِسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ مُكْتَسٍ من مَكارِمٍ ومَساعِ
حُلَّةً سابِرِيَّةً ورِداءً كَسَحا القَيْضِ أوْرِداءِ الشُّجاعِ [9]

وقال السيد أحمد الصافي النجفي في مجاورة الأفعى [10] :

---

(١) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .
(٢) العسيب: جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها. القزع: خفة شعر الرأس.
(٣) شابكة: مشتبكة. عُصل: ملتويات .
(٤) قزعا : قِطعاً متفرقة .
(٥) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .
(٦) الريد (بالفتح) : الحرف الناتىء من الجبل.
(٧) القُفّ (بالضم) : مرتفع حجري .
(٨) ديوانه ٣٤١/٢ .
(٩) السابرية : الرقيقة. القيض: قشرة البيض السميكة العليا ، والسحا: القشرة الرقيقة التي تحت القيض. الشجاع: الحيَّة، ورداؤه: سلخه.
(١٠) ديوانه (شرر)/٥٦ .

جـاوَرْتُ أَفْعَى في السَّقْفِ سـاكِـنَـةً
تُـطْرِبُ لـي بالفَحِيح أسْـماعي

وإنْ تَلوتُ القَريضَ تُنصِتُ لي　كـأنَّهـا طَـرَبَتْ لأَسْجـاعي
خَصْمـانِ سادَ الحيادُ ساحَتَنا　لم تُعلِنِ الحـربَ غيرُ أطْماعِ
قـالوا تَحذَّرْ فالسمُّ في فَمِهـا　فقلتُ سمِّي مِنكمْ وأوْجـاعي
للمَكـرِ تَعْـزُونَهـا ولَستُ أرَى　مِنكُمْ سِوَى مـاكِرٍ وخَدَّاعِ
أأتَّقي لَـدْغَـها وكَـمْ بِكُـمُ　مِن ذي لِسانٍ بالقَـوْلِ لِذَّاعِ
عـامانِ مَـرَّا بِنا وما هيَ لي　سَعَتْ بشَـرٍّ ولا أنـا سـاعِ
وكمْ وكمْ مِنكُمُ صَباحَ مَسـاً　لـلشـرِّ داعٍ لِلخَيْـرِ مَنَّـاعِ

وقال أبو نصر سهل بن المرزبان[١] :

قـالَ لمَّا قلتُ لِمْ تهجـرُنـا　إنْ أتَى بَـرْدٌ وإنْ ثَلْجٌ وَقَـعْ
أنـا كَـالحَيَّـةِ أشْتُـو كـامِنـاً　ثمَّ أنْسـابُ إذا الصَّيْفُ رَجَعْ

وقال أبو الحسين الظاهر البصري[٢] :

عَرَفْتُ في الأسْفارِ ما لَم أعْرِفِ　من كلِّ مَوْصُوفٍ وما لَمْ يُوصَفِ
آليتُ لا أنْصِفُ من لَمْ يُنْصِفِ　ولا أفي دهـري لِخِلٍّ لا يَفي
سِرتُ وصَحْبي وَسْطَ قاعٍ صَفْصَفِ　إذ أشْرَفَتْ مِن فَوقِ طَوْدٍ مُشْرِفِ
رَقْشَـاءُ تَرْنُـو مِن قَلِيبٍ أجْوَفِ　تُومي بِرَأسٍ مثل رَأسِ المِجْدَفِ[٣]
وذَنَـبٍ مُـنـدَمِجٍ مُـعَـقَّـفِ　حـتَّى إذا أبْصَرْتُهـا لا تَنْكفي

---

(١) يتيمة الدهر ٣٩٢/٤ .
(٢) يتيمة الدهر ٣٧٠/٢ .
(٣) المجدف والمجداف (بالدال المهملة والذال المعجمة) : خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسيَّر بها القوارب .

عَلَوتُهــا بِحَــدِّ سَيْـفٍ مُــرْهَفٍ فَـظَلَّ يَجْري دَمُها كالقَـرْقَفِ[1]
أَتْلَفْتُها لَمَّا أرادَتْ تَلَفي

وقال ابن المعتز[2] :

كــأنَّني ســاوَرَتْني يــومَ بَيْنِــهِمُ رَقْشاءُ مَجدُولَــةٌ في لَوْنِها بَلَقُ
كــأنَّها حينَ تَبْـدُو من مَكامِنِهـا غُصْنٌ تَفتَّـحَ فيه النَّـوْرُ والوَرَقُ
يَنْسَـلُّ مِنها لِسـانٌ تَسْتَغِيثُ بـه كمـا تَعـوَّذَ بـالسَّـبَّابَـةِ الغَـرِقُ

وقال آخر في حمرة عين الأفعى[3] :

لَـوْلاَ الهِـراوَةُ والكِفَّـاتُ أَوْرَدَني حَوْضَ المَنِيَّةِ قتَّـالٌ لِمَنْ عَلِقا[4]
أَصَمُّ مُنْهَـرِتُ الشِّـدْقَيْنِ مُلتَبِـدٌ لم يُغْذَ إلَّا المَنايا مِن لَدُنْ خُلِقا
كأنَّ عَيْنَيْهِ مِسْمـارانِ مِن ذَهَبٍ جَلاهُما مِدْوَسُ التَّألاقِ فائْتَلَقا[5]

وقال جمال الملك بن أفلح[6] :

وقالوا يَصِير الشَّعْرُ في الماءِ حَيَّةً إذا الشَّمْسُ حاذَتْهُ فَما خِلتُهُ صِدْقا
فلمَّـا الْتَـوى صُـدْغـاهُ في مـاءٍ وَجْهِـهِ
وقَــد لَسَعــا قَـلْبي تَيَـقَّـنْتُـهُ حَـقَّـا

وقال ابن نباتة السعدي يصف الحية[7] :

---

(١) القرقف: من أسماء الخمر .
(٢) ديوانه ١/١٤١ ، وديوان المعاني ٢/١٤٥ .
(٣) الحيوان للجاحظ ٤/٢٤٢ .
(٤) الكفات جمع الكفة (بالكسر) من آلات الصيد .
(٥) المدوس (بالكسر) : المصقلة . التألاق (تفعال) : من ألق، أي لمع وبرق .
(٦) حياة الحيوان ١/٢٨٠ .
(٧) ديوانه ١/٥٩٤ .

إذا عَرَّسَ السَّارُونَ في بَطْنِ زَامِرٍ ... فسِرْ وتَعوَّذْ من شِرارِ الطَّوارِقِ[1]

فَفي الهَضْبَةِ الحَمراءِ إنْ كُنتَ سارِياً ... أغَيْبِرُ يَأوي في صُدوعِ الشَّواهِقِ

يُسالِمُ رُكْبانَ الطَّريقِ نَهارَهُ ... إلَى اللَّيْلِ مَخْبُوءٌ لإحْدَى البَوائِقِ

كأنَّ بَقايا ما سَرَى مِن قَميصِهِ ... عَلى مَتْنِهِ أفْوافُ بُرْدٍ شَبارِقِ[2]

يُقَصِّرُ عَن يافُوخِهِ حينَ يَنْطَوي ... حَقيبةُ مَملوءٍ من السُّمِّ زاهِقِ

تَناذَرَهُ الحاوُونَ إذْ أبْصَرُوا بِهِ ... تُسارِقُ عَيْناهُ بَنانَ المُسارِقِ[3]

وقال مهذَّب الملك في تشبيه لون النار وألسنتها بالأراقم[4] :

كانُونُ أذْهَبَ بَرْدَهُ كانُونُنا ... ما بينَ ساداتٍ كِرامٍ حُذَّقِ

بأراقِمٍ حُمْرِ البُطُونِ ظُهُورُها ... سُودٌ تَلَعْلَعُ باللِّسانِ الأزْرَقِ[5]

وقال الأخطل من قصيدة في هجاءِ جرير[6] :

وما غَرَّ كَلْباً من كُلَيْبٍ بحَيَّةٍ ... أصَمَّ على أنْيابِهِ السمُّ شابِكِ[7]

وبَيْتِ صَفاةٍ في لِهابٍ لُعابُه ... سِمامُ المَنايا أسوَدِ اللَّوْنِ حالِكِ[8]

تَرى ما يَمسُّ الأرضَ منه إذا مَشَى ... صُدُوعاً نَفَتْ عَنها مُتُونَ الدَّكادِكِ[9]

---

(١) زامر: قال محقق ديوان ابن نباته السعدي (زامر: اسم جبل بمدينة الموصل) ولم أقف عليه. وجاء في تاج العروس (زيمر) بقعة بجبال طيء ، ووادي الزُّمَّار: قرب الموصل .

(٢) الأفواف: النقط البيض في البرود الموشّاة. الشبارق: المقطع .

(٣) تناذره الحاوون: أنذر بعضهم بعضاً .

(٤) حياة الحيوان ١ /٢٠ .

(٥) تلعلع الكلب: دلع لسانه عطشاً .

(٦) ديوانه/ ٢٨٥ .

(٧) الشابك : الطويل الأنياب، وقد رد الشاعر (من ناحية الاعراب) شابك على الأنياب .

(٨) اللهاب جمع لهب (بالكسر) : الصدع في الجبل.

(٩) الدكادك جمع دكدك: الأرض الغليظة .

وقال ابن المعتزّ في الحيَّة[1] :

أنْعتُ رَقْطاءَ لا تَحْيا لَـدِيغَتُها   لَوْ قَدَّها السَّيْفُ لم يَعْلَقْ بهِ بَلَلُ
تُلْقي إذا انْسَلَخَتْ في الأرضِ جِلْدَتها   كـأنَّهـا كُمُّ دِرْعٍ قَـدَّهُ بَـطَلُ

وقال كثير عزة[2] :

وسَوْداءَ مِطْراقٍ اليَّ مِن الصَّفـا   أنِيٍّ إذا الحَاوِي دَنا فَصَدالَها[3]
كفَفْتُ يَداً عَنْها وأرْضَيْتُ سَمْعَها   مِن القَوْلِ حَتَّى صَدَّقَتْ ما وَعَى لهَا
وأشْعَـرْتُها نَفْثـاً بَلِيغاً فَلَوْ تَـرَى   وقَدْ جَعَلَتْ أنْ تَرْعَني النَّفْثَ بالهَا[4]
تَسَلَّلْتُها من حيثُ أدْرَكَها الرُّقَى   إلى الكفِّ لما سالمَتْ وانْسِلالَها

وقال النابغة الذبياني[5] :

مـاذا رُزِئنا بِـهِ مِن حَيَّـةٍ ذَكـرٍ   نَضْنَاضَةٍ بالرَّذايا صِلِّ أصْلالِ[6]
سَهْـلِ الخَلِيقَةِ مَشَّـاءٍ بـأقْـدُمِـهِ   إلى ذَواتِ الذُّرَى حَمَّالِ أثْقالِ[7]

وقال آخر في وصف حيَّات الجبل[8] :

عـلَّ زَيْـداً أنْ يُـلاقي مَـرَّةً   في الْتِماسٍ بَعْضَ حَيَّاتِ الجَبَلْ

---

(١) ديوانه ١/٦٣٣ .

(٢) ديوانه/٨٥ والحيوان للجاحظ ٤/١٨٨ و ١٨٩ .

(٣) الصفا: الصخور الملساء الصلبة. أنيٌّ، من الأناة: البطء . صدالها، من التصدية وهي التصفيق .

(٤) النفث، من نفث الراقي في العقدة: بزق ولا ريق معه، ونفثت الحيَّة: نفخت، ولسعت .

(٥) ديوانه/١٠٠ .

(٦) النضناضة : الحية التي تحرك لسانها حركة خفيفة، وقيل: التي لا تقر في مكان وإذا نهشت قتلت من ساعتها .

(٧) يريد بذوات الذرى: المعالي .

(٨) الحيوان للجاحظ ٣/٤٩٧ .

غـايِرُ العَيْنينِ مَفْـطُوحُ القَفَـا ... ليسَ من حَيَّاتِ جُحْرٍ والقُلَلْ [1]
يَـتَـوارَى فـي صُـدُوعٍ مَـرَّةً ... رَبذُ الخَطْفَةِ كالقِدْحِ المُؤَلْ [2]
وتَـرَى الـسمَّ عَـلى أشْـداقِـهِ ... كشُعاعِ الشمْسِ لاحَتْ في طَفَلْ [3]
طَـرَدَ الأرْوَى فـمـا تَـقْـرَبُـهُ ... ونَفَى الحيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحَجَلْ [4]

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي مشبِّهاً درعه بسلـخ حيَّة [5] .

نَهْنَهتُ أوَّلَهـا بِضَـرْبَـةِ صادِقٍ ... كانَتْ كما شُقَّ الـرِّداءُ المُعْلَمُ
وعَلَيَّ مَسْبُـوغُ الحَـديـدِ كـأنَّـهُ ... سِلْخُ كَسـانِيـهِ الشُّجـاعُ الأرْقَمُ

وقال المتلمِّس [6] :

ومـا كنْتُ إلاَّ مثـلَ قـاطِـعِ كفِّـهِ ... بكفٍّ لـه أُخْرَى فـأصْبَـحَ أجْـذَمـا [7]
فَلمَّا اسْتَقادَ الكفُّ بالكفِّ لم يَجِدْ ... له دَرَكاً في أنْ تَبِينا فَأَحْجَما [8]
يَـداهُ أصابَتْ هـذه حَتْفَ هذهِ ... فَلَمْ تَجِدِ الأخْرَى عَليها مُقَدَّما
فأطْرَقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولَو يَرَى ... مَساغاً لِنابَيْهِ الشُّجـاعُ لَصمَّما [9]

وقال آخر مشبِّهاً صديقَ السوء بالحيَّةِ [10]:

مَتَى تَحْمَدْ صَدِيقَ السُّوءِ فاعْلَمْ ... بِـأَنَّـكَ بَعْـدَ مَحْمَـدَةٍ تَـذُمُّـهْ

---

(١) مفطوح : عريض .
(٢) الرَبِذ : السريع . القدح : السهم . المؤل، أصله المؤلّل: المحدَّد .
(٣) الطفل : قبيل غروب الشمس .
(٤) قال الجاحظ : إنما ذكر ذلك لأن الأروى تأكل الحيات .
(٥) ثمار القلوب/٤٢٩ .
(٦) مختارات ابن الشجري، القسم الأول/٢٩ .
(٧) الأجذم: المقطوع اليد .
(٨) الدرك: اللَّحاق .
(٩) الإطراق: السكوت . الشجاع : ضرب من الحيات .
(١٠) التمثيل والمحاضرة /٣٧٨.

كـطِفْـلٍ .راقَــهُ تَـرْقِيشُ صِــلٍّ   فَــلمَّـا مَــسَّــهُ أرْداهُ سـَــمُّــهْ

وقال أبو نصر العتبي[1] :

تَعلَّمْ من الأفْعَى أمـاليَ طَبْعِها   وآنَسْ إذا أوْحَشْتَ تُعْفَ عن الذَّمِّ
لئِن كانَ سمٌّ ناقِعٌ تحتَ نابِها   ففي لَحْمِها تِرْيـاقُ غائِلَةِ السمِّ

وقال خلف الأحمر[2] يصف حيَّة :

لـه عُنُقٌ مُـخْضَـرَّةٌ مَــدُّ ظَهْـرِهِ   وشُوُمٌ كتَحبِير اليَماني المُرَقَّمِ[3]
إلى هامَةٍ مثلِ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٍ   بِهـا نُقطٌ سُودٌ وعَيْنـانِ كالـدَّمِ

وقال آخر[4] :

لا هُمَّ إنْ كانَ أبو عَمْروٍ ظَلَمْ   وخـانَني في عِلْمِهِ وقَـدْ عَلِمْ
فَابْعَثْ لَهُ في بَعْضِ أعْراضِ اللَّمَمْ   لَمِيمَةً مِن حَنَشٍ أعْمَى أصَمْ[5]
أسْمَرَ زَحَّافـاً من الرُّقْطِ العُـرُمْ   قد عاشَ حتَّى هو لا يَمْشي بدم[6]
فكلَّمـا أقْصَدَ مِنـه الجُوعُ شَمْ   حتَّى إذا أمْسَى أبو عَمْرٍو ولَمْ[7]
يمسَّ منــه مَـضَضٌ ولا سَقَـمْ   قـامَ وَوَدَّ بَعْـدَهـا أنْ لَمْ يَقُمْ
ولـم يَـقُـمْ لإبـلٍ ولا غَـنَـمْ   ولا لِخَــوْفٍ راعَــهُ ولا لِهَــمْ

---

(١) التمثيل والمحاضرة.
(٢) نهاية الأرب ١٠/١٤٥ .
(٣) التحبير: التزيين والتوشية . اليماني المرقم برد مخطط من صنع اليمن.
(٤) الحيوان للجاحظ ٤/٢٨٣ .
(٥) اللمم (بالفتح) : جنون خفيف، أو طرف من جنون يلمُّ بالإنسان. اللَّميمة: الجماعة. الحنش: ضرب من الحيات .
(٦) العرم (بضم فسكون) جمع أعرم، وهو ما كان منقَّطاً بسواد وبياض. وقد ضم الراء لضرورة الوزن .
(٧) أقصده : أصابه . شم ، أي شم الهواء يطعمه بدل الطعام .

حتَّى دَنا مِن رَأسِ نَضْناضٍ أصَمْ ... فَخـاضَهُ بَينَ الشِّـراكِ والقَدَمْ[1]
بِمِذْرَبٍ أخْرَجَهُ مِن جَوفِ كِمْ ... كـأنَّ وَخْـزَنـا بِـه إذا انْتَظَمْ[2]
وَخْزَةُ إشْفَى في عَطُوفٍ مِن أدَمْ[3]

وقال أحمد بن هذيل يصف حيَّة[4]، وإخالة يحيى بن هذيل :

مِن الـرُّقْشِ في ظَهْـرِها حُلَّةٌ ... قَـد اخْـتَلَفَـتْ فيـهِ ألْـوانُـهـا
ومُـدَّتْ بـأُخْـرَى عَلى جَـوْفِهـا ... مُـعَصْـفَـرةٍ هـالَـنِي شـانُـهـا
وتَنصَبُّ مِثْـلَ التِّـلاعِ المِـلا ... ءِ فاضَتْ عَلى الأَرْضِ خُلْجانُها
فمِنْ قـائـمِ الـرُّمْحِ جُثمـانُها ... ومِن جِـدَّةِ الـرُّمْـحِ أسْنـانُهـا
أراهـا الفَتـاتَ اللَّعُـوبَ التي ... تَفُـوحُ مِن الـمِسْـكِ أرْدانُـهـا
وكُـنْـتُ جَـحَـدْتُ سراوِيـلَها ... فـقـالَـتْ أما تِـلْـكَ هِـمْـيـانُـهـا[5]

وقال علي بن أبي الحسين[6] :

أرْقَمُ كـالـدِّرْعِ فيـه وَشْـمُ ... مُـنَـمْـنَـمُ الـظَّهـرِ والـلَّبانِ[7]
يَـزْحَفُ كـالسَّيْـلِ مِن تِـلاعٍ ... كَـأنَّ عَـيْـنَـيْـهِ كَـوْكَـبـانِ
مـا بَيْنَ نَـبْـعٍ وبَيـنَ ضـالٍ ... وبَـيْـنَ آسٍ وأقْـحُـوانِ

---

(١) النضناض : حية ينضنض لسانه، أي يحركه. خاضه بالسيف خوضاً: وضعه في أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق .
(٢) أراد بالمذرّب : الناب الحاد . الكم (بالكسر) : وعاء الطلع ، وغطاء النَّور ، وأراد به فم الحية .
(٣) الإشفي (بالكسر) : المخرز. العطوف: المعطوف. الأدم : الجلد .
(٤) التشبيهات/١٨٨ و ٢٩٩ .
(٥) الهميان : تكّة السروال (معرَّب) .
(٦) التشبيهات/١٨٩ .
(٧) اللبان : الظهر .

يَـرْتَشِفُ المـاءَ مِـنْ نِـطافٍ ويَقْضِمُ الحَمْضَ مِن رِعـانِ[1]

وقال الحسين بن الحجّاج يمدح مَن وهب له دابة[2] :

فَـدَيْتُ مَـن صَيَّـرني راكِبـاً وكُنتُ أعْـدَى قبـلُ من حَيَّهْ[3]
فَـدَيْـتُـهُ إنَّ فِـدائِـي لـه في قَلْبِ مَن يَحْسُدُني كَـيَّـه

---

(١) النطاف (بالكسر) : الماء القليل . الرعان جمع الرعن : أنف يتقدم الجبل .
(٢) ثمار القلوب/٤٢٦ .
(٣) يقال (أعدى من الحية) لأنّها تمشي على بطنها .

فهرس الجزء الأول











